

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير الفريسي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الرابع

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]
وصححها نخبة من العلماء

طبع بدار إحياء الكتب العربية
مكتبة البابي الحلبي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تفسير سورة الصافات وهي مكية)

قال النسائي أخبرنا إسماعيل بن مسعود حدثنا خالد : يعني ابن الحارث - عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات ، تفرد به النسائي

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾

قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال (والصافات صفا) وهى اللاتكة (فالزاجرات زجراً) هى اللاتكة (فالتاليات ذكراً) هى اللاتكة ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة : اللاتكة صفوف فى السماء . وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربيع عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث . جعلت صفوفنا كصفوف اللاتكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء » وقد روى مسلم أيضاً وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن السيب بن رافع عن نعيم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تصفون كما تصف اللاتكة عند ربهم ؟ » قلنا وكيف تصف اللاتكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم « يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون فى الصف » وقال السدى وغيره معنى قوله تعالى (فالزاجرات زجراً) أنها تزجر السحاب ، وقال الربيع بن أنس (فالزاجرات زجراً) ما زجر الله تعالى عنه فى القرآن ، وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم (فالتاليات ذكراً) قال السدى اللاتكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى (فالتاليات ذكراً) عذراً أو نذراً . وقوله عز وجل (إن إلهم لواحدهم) هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض (وما بينهما) أى من المخلوقات (ورب المشرق) أى هو المالك المتصرف فى الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب وثواب وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب . واكتفى بذكر المشرق عن المغرب لدلتها عليه وقد صرح بذلك فى قوله عز وجل (فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون) وقال تعالى فى الآية الأخرى (رب المشرقين ورب المغربين) يعنى فى الشتاء والصيف للشمس والقمر

﴿ إِنَّا نَبِّئُكَ أَنَّ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ لَّا أَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزين الكواكب ، قرئ بالإضافة وبالبدل وكلاهما

بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين * وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقال عز وجل (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) فقوله جل وعلا ههنا (وحفظاً) تقديره وحفظناها حفظاً (من كل شيطان مارد) يعنى المتمرد العاتى إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) أى لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحى الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم يان ذلك فى الأحاديث التى أوردناها عند قوله تبارك وتعالى (حق إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) ولهذا قال تعالى (ويقذفون) أى يرمون (من كل جانب) أى من كل جهة يقصدون السماء منها (دحورا) أى رجما يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ويرحمون (ولهم عذاب واصب) أى فى الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر كما قال جل جلالته (وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقوله تبارك وتعالى (إلا من خطف الخطفة) أى إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهى الكلمة يسهها من السماء فيلقها إلى التى تحته ويلقيها الآخر إلى التى تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتية الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم فى الحديث ولهذا قال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) أى مستنير . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان للشياطين مقاعد فى السماء قال فكانوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا فى الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال ما هو إلا من أمر حدث قال فبعث جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين جبلى نخلة قال وكيع يعنى بطن نخلة قال فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال هذا الذى حدث ، وستأتى إن شاء الله تعالى الأحاديث الواردة مع الآثار فى هذا المعنى عند قوله تعالى إخبارا عن الجن أنهم قالوا (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً * وأنا لا تدرى أشراً أريد بمن فى الأرض أم أراد ربهم رشداً)

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ الْخَلْقُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ * وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَفَعَدَّائُوا لَنَا نَارًا وَإِنَّا لَنَبْعَثُونَ * أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ)

يقول تعالى : فسل هؤلاء النكيرين للبعث أيما أشد خلقاً هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقولون أن هذه الخلوقات أشد خلقاً منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم بين أنهم خلقوا من شئ ضئيف فقال (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك : هو الجيد الذى يلتزق ببعضه ببعض ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذى يلزق باليد ، وقوله عز وجل (بل عجبتم ويسخرون) أى بل عجبتم يا محمد من تكذيب هؤلاء النكيرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فناها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك

قال قتادة: عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم (وإذ أروا آية) أى دلالة واضحة على ذلك (يستسخرون) قال مجاهد وقتادة يستهزئون (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) أى إن هذا الذى جئت به إلا سحر مبين (أفئدنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون) يستبعدون ذلك ويكذبون به (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أى حقرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك تعالى (وكل أتوه داخرين) وقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين). ثم قال جلت عظمته (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) أى فأنما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم .

﴿ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيمة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) فنقول لهم اللاتكة والمؤمنون (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) وهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ ويأمر الله تعالى اللاتكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال النعمان بن بشير رضى الله عنه يعنى بأزواجهم أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم ، وقال سفيان الثوري عن ممالك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال إخوانهم . وقال شريك عن سمالك عن النعمان قال : سمعت عمر يقول (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال أشباههم . قال يحيى وأصحاب الزمام أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا ، وأصحاب الحجر مع أصحاب الحجر ، وقال خفيف عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أزواجهم نساء هم وهذا غريب والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرنائهم وما كانوا يعبدون من دون الله أى من الأصنام والأنداد تحشر معهم فى أما كنهم . وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى أرشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عياوبكم وصماهاهم وأهملهم) كلما خبت زدنهم سعيرا) وقوله تعالى (وقفوههم إنهم مسؤولون) أى قفوههم حتى يستلوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعنى احبسوهم إنهم محاسبون . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا النفيلي حدثنا العتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفا معه إلى يوم يوم القيامة لا يفارقه ولا يفارقه وإن دعا رجل رجلا ثم قرأ (وقفوههم إنهم مسؤولون) ورواه الترمذى من حديث ليث بن أبى سليم ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضى الله عنه مرفوعا . وقال عبد الله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول إن أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ (ما لكم لا تناصرون ؟) أى كما زعمتم أنكم جميع منتصر (بل هم اليوم مستسلمون) أى متقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يعيدون عنه والله أعلم

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿

يذكر تعالى أن الكفار يتلادون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار (فيقول الضعفاء الذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار * قال الدين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين * قال الدين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الدين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له انداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الدين كفروا هل يحزون إلا ما كانوا يعملون) وهكذا قالوا لهم ههنا (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تعهرونا بالقدرة منكم علينا لأننا كننا أذلاء وكنتم أعزاء ، وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقول له للشياطين . وقال قتادة قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهو ناعنه وتبطل ناعنه ، وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدونا عن الحق وقال الحسن في قوله تعالى (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي والله يأتيه عند كل خير يريد فيصده عنه ، وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمرنا به ، وقال يزيد الرشك (١) من قبل لا إله إلا الله وقال خفيف يعنون من قبل ميامنهم ، وقال عكرمة (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال من حيث نأمنكم .

وقوله تعالى (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) تقول القادة من الجن والإنس للاتباع ما الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان قابلة للكفر والعصيان (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من حجة على صفة مادعونكم إليه (بل كنتم قوماً طافين) أي بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فهذا الاستجبة لنا وتركتكم الحق الذي جاءكم به الأنبياء وأقاموا لكم الحجج على صفة ما جاءكم به فخالفتموهم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناهم إنا كنا غاوين) يقول الكبراء المستضعفين حقت علينا كلمة الله إنا من الأشقياء الذائعين للعذاب يوم القيامة (فأغويناهم) أي دعوناكم إلى الضلالة (إنا كنا غاوين) أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي الجميع في النار كل بحسبه (إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا) أي في الدار الدنيا (إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله تعالى في كتابه وذكر قوماً استكبروا فقال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) . وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيراً فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله واليسع فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون

ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال . قال أبو نصره فينطلقون أسرع من الطير . قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له . قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين (ويقولون أننا لئلا نركو آلهتنا لشاعر مجنون) أى آنحن ترك عبادة آلهتنا وآلهة آباؤنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذبا لهم وردا عليهم (بل جاء بالحق) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب (وصدق المرسلين) أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) الآية

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (ثم استثنى من ذلك عبادة المخلصين كما قال تعالى (والعصر إن الإنسان لئى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال عز وجل (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجى الدين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) ولهذا قال جل وعلا ههنا (إلا عباد الله المخلصين) أى ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون فى الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بمشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف . وقوله جل وعلا (أولئك لهم رزق معلوم) قال قتادة والصدى يعنى الجنة ثم فسره بقوله تعالى (فواكه) أى متنوعة (وهم مكرمون) أى يخدمون ويرفون ويعمرون (فى جنات النعيم * على سرر متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض . وقال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزوينى حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشى عن سعيدين شريحيل عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا هذه الآية (على سرر متقابلين) ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب . وقوله تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين * بياض لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) كما قال عز وجل فى الآية الأخرى (يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون) نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التى فى خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو القول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ها هنا (يطاف عليهم بكأس من معين) أى بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم : خمر جارية بياض أى لونهم مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا فى منظرها البشع الردى من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم . وقوله عز وجل (لذة للشاربين) أى طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا فى جميع ذلك وقوله تعالى (لا فيها غول) يعنى لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مايتها ، وقيل المراد بالقول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن

ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تقتال عقولهم كما قال الشاعر :
فما زالت الكأس تقتالنا * وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى ، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن ، وقوله تعالى (ولا هم عنها ينزفون) قال مجاهد لا تذهب عقولهم وهكذا قال ابن عباس وعمر بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الحجر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خير الجنة فزها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقاتدة والسدي وغيرهم . وقوله تبارك وتعالى (عين) أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهي النجلاء العيلاء فوصف عيونهم بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام حين حملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمته وأكبرته وظن أن ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي هو مع هذا الجمال عفيف تقى وهي هكذا الحور العين (خيرات حسان) ولهذا قال عز وجل (وعندهم قاصرات الطرف عين) وقوله جل جلاله (كأنهن بيض مكنون) وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (كأنهن بيض مكنون) يقول اللؤلؤ المكنون وينشدهن نايبت أبي دهل الشاعر وهو قوله في قصيدة له وهي زهراء مثل لؤلؤة الغر * اص مبرت من جوهر مكنون

وقال الحسن (كأنهن بيض مكنون) يعني محصون لم تمسه الأيدي ، وقال السدي : البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير (كأنهن بيض مكنون) يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة ، وقال السدي (كأنهن بيض مكنون) يقول يبيض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا بمسها جناح الطير والعش وتناولها الأيدي بخلاف داخلها والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصديقي الديلمي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (حور عين) قال « العين الضخام العين شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال « رقهن كرقعة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلى القشر وهي الفرق » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس خروجاً إذا بمشوا ، وأنا خطيهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا حزوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا لواء الحمد يومئذ يدي ، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأنهن البيض المكنون - أول اللؤلؤ المكنون - ، والله تعالى أعلم بالصواب .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَأُنْكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ *
أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنْتَ لَمَدِينُنَا * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ * فَأَطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ * قَالَ
تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتَزِدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ * أَمْأَنَا نَحْنُ بِمُتِّينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى
وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِيَمْلِكِ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يسانون فيها وذلك من حديثهم على شرايبهم واجتماعهم في تناديمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم

بين أيديهم يسعون ويحيثون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قال قائل منهم إني كان لي قرين) قال مجاهد يعني شيطاناً . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل للشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ، ولاتنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلامهما يتعاونان قال الله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) ولهذا (قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئتلك لمن المصدقين) أي أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون) قال مجاهد والسدى لمحاسبون ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي لمجزيون بأعمالنا وكلامهما صحيح قال تعالى (قال هل أأنتم مطلقون) أي مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة وخليد المصري وقتادة والسدى وعطاء الخراساني يعني في وسط الجحيم ، وقال الحسن البصري في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد ، وقال قتادة ذكر لنا أنه اطلع فرأى جاجم القوم تغلى ، وذكر لنا أن كعب الأحبار قال في الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً (قال تالله إن كدت لتردين) يقول المؤمن مخاطباً للكافر والله إن كدت لتهلكني لو أعطتك (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) أي ولولا فضل الله على لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل على ورحمته فهداني للإيمان وأرشدني إلى توحيدة (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) . وقوله تعالى (أئنا نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين) هذا من كلام المؤمن مغتبطاً نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل (إن هذا هو الفوز العظيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر المدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عز وجل (هنيئاً) أي لا يموتون فيها فنعدها قالوا (أئنا نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين) وقال الحسن البصري : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا (أئنا نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين) قيل لا (قالوا إن هذا هو الفوز العظيم) وقوله جل جلاله (لعل هذا فليعمل العاملون) قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة ، وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لعل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصبروا إليه في الآخرة وقد ذكرنا قصة رجلين كانا شريكين في بني إسرائيل تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة ، قال أبو جعفر بن جرير حدثني إسحاق بن إبراهيم ابن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خفيف عن فرات بن ثعلبة النهراي في قوله (إني كان لي قرين) قال إن رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أراي إلا مفارقك ومقامك مقامه وفارقه ثم إن الرجل اشترى داراً بألف دينار كانت للملك مات فهدا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال ما أحسنها ، فلما خرج قال اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك داراً من دور الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ، ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاماً فلما أتاه قال إني تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار وإني أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفي دينار ثم دعاه فأراه فقال إني ابتعت هذين البستانين بألفي دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار وأنا أسألك بستانين في الجنة فتصدق بألفي دينار ، ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق

بهذا المتصدق فأدخله داراً تعجبه وإذا بامرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيئاً الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة ، قال فانه كان لي صاحب يقول أئتتك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال هل أتم مطلعون ؟ فاطلع فرآه في شواء الجحيم فقال عند ذلك (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) الآيات قال ابن جرير وهذا يقوى قراءة من قرأ (أئتتك لمن المصدقين) بالتشديد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار أخبرنا أبو حفص قال سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية (قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أئتتك لمن المصدقين) قال فقال لي ما ذكرك هذا قلت قرأته آنفاً فأحييت أن أسألك عنه فقال : أما فاحفظ ، كان شريكاً في بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكنا ما شاء الله تعالى أن يمكننا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك ؟ أضربت به شيئاً أتجرت به في شيء ؟ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت ؟ فقال اشتريت به أرضاً ونخلًا وثماراً وألف دينار - قال - فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم ، قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال : اللهم إن فلانا - يعني شريكه الكافر - اشترى أرضاً ونخلًا وثماراً وألف دينار فألف دينار ثم يموت غداً ويتركها ، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضاً ونخلًا وثماراً وألف دينار في الجنة - قال : ثم أصبح قسمها في المساكين - قال - ثم مكنا ما شاء الله تعالى أن يمكننا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال لا قال فما صنعت أنت ؟ قال كانت ضيعتي قد اشتد على مؤنتها فاشتريت رقيقاً بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون لي فيها فقال له المؤمن أوفعلت ؟ قال نعم - قال - فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم إن فلانا - يعني شريكه الكافر - اشترى رقيقاً من الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون فيتركونه ، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف الدينار رقيقاً في الجنة - قال - ثم أصبح قسمها في المساكين - قال - ثم مكنا ما شاء الله تعالى أن يمكننا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال لا فما صنعت أنت ؟ قال كان أمرى كله قد تم إلا شيئاً واحداً فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقته ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم إن فلانا - يعني شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غداً فيتركها أو يموت غداً فتركها اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عينا في الجنة - قال - ثم أصبح قسمها بين المساكين - قال - فبقي المؤمن ليس عنده شيء . قال فلبس قبيصاً من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته . قال فجاءه رجل فقال له يا عبد الله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهراً بشهر تقوم على دواب لي تغلفها وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهراً بشهر يقوم على دوابه ، قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعير هذه البارحة . قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكى الكافر فلأعملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوماً بيوم ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا ، قال فانطلق يريد فأتته إلى بابه وهو ممسك فإذا قصر مشيد في السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم إذا فعلتم سره ذلك ، فقالوا له انطلق إن كنت صادقاً فم في ناحية فإذا أصبحت فتعرض له . قال فانطلق المؤمن فالتى نصف كسائه تحت نصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك ؟ قال بلى قال أخبرني ما صنعت في مالك ؟ قال لا تسألني

عنه ، قال فما جاء بك ؟ قال جئت أعمل في أرضك هذه فقطعني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين إذا بليسا ، قال لا ولكن أوسع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى متى خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من ؟ قال الملىء الوفى قال من ؟ قال الله ربى قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال (أئتلك لمن الصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال السدى محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه ، قال فلما رآه المؤمن وليس يلوى عليه رجع وتركه يعيش ، المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان قال فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا ؟ فيقال هذا لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أتاب بمثل هذا ؟ قال ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا ؟ فيقال هؤلاء لك ، فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أتاب بمثل هذا قال ثم يمر فإذا هو بقبة من يا قوتة حمراء محوفة فيها حوراء عبياء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضلى عملى أن أتاب بمثل هذا ، قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول (إني كان لى قرين * يقول أئتلك لمن الصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول (تالله إن كدت لتردين * ولو لا نعمة ربى لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين إلا موتنا الأولى وما نحن بممدين * إن هذا هو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون) بمثل ما قدم من عليه . قال فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت

﴿ أذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَئُونٌ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْقَوْا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰ أَعْرَاسٍ يُهْرَعُونَ ﴾

يقول الله تعالى أهدى الذى ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من اللذات خير ضيافة وعطاء (أم شجرة الزقوم) أى التى فى جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار فى الجنة إلا وفيها منها غصن ، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكليين) يعنى الزيتون ويؤيد ذلك قوله تعالى (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم) وقوله عز وجل (إنا جعلناها فتنه للظالمين) قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فاقتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبسكم أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) غديت من النار ومنها خلقت . وقال مجاهد (إنا جعلناها فتنه للظالمين) قال أبو جهل لعنه الله إنما الزقوم القمر والزبد أتزقه قلت ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا نخبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) . وقوله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى أصل منبتها فى قرار النار (طلعها كأنه رؤوس الشياطين تبشيع لها وتكره له كرها . قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء ، وإنما شبهها برؤوس الشياطين) وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر فى النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر ، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رؤوسها بشعة ، وقيل جنس من النبات طلعه فى غاية الفحاشة وفى هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرها ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم . وقوله تعالى (فانهم لا يكون منها فمائلون منها البطون) ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التى لا أشبع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هى عليه من سوء الطعم والريح

والطبع فانهم ليضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمعون ولا يبصرون) وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى (ثم إن لهم عليها شوباً من حميم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم ، وقال في رواية عنه شوباً من حميم ، مزجا من حميم ، وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق ما يسيل من فروجهم وعيونهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي حدثنا بقة بن الوليد عن صفوان بن عمرو أخبرني عبيد بن بشر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « يقرب - يعني إلى أهل النار - ماء فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب ابن عبد الله عن جعفر وهارون بن عنترة عن سعيد بن جبيرة قال إذا جاع أهل النار استعاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيثأثون بماء كالملح وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي سقطت عنها الجلود ويصهر ما في بطونهم فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حiale يدعوون بالثبور وقوله عز وجل (ثم إن مرجعهم ل إلى الجحيم) أي ثم إن مردم بعد هذا الفصل ل إلى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) هكذا تلاتة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدي في قراءة عبد الله رضي الله عنه (ثم إن مقيلهم ل إلى الجحيم) وكان عبد الله رضي الله عنه يقول والذي نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وروى الثوري عن ميسرة عن النبال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) ثم إن مقيلهم ل إلى الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة لحبر على خبر وقوله تعالى (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) أي إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ، ولهذا قال (فهم على آثارهم يهرعون) قال مجاهد شبيهة بالهرولة ، وقال سعيد بن جبيرة سيفون

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ - إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرِينَ يندرون بأس الله ويحذرونهم سطوته وشمته بمن كفر به وعبد غيره وأنهم تآمروا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك الكاذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظهرهم ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المنذرِينَ لإعباد الله المخلصين)

﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَمَلِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أن يغلب فانتصر ، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ، ولهذا قال عز وجل (ولقد نادانا نوح فلنعم المحييون) أي فلنعم المحييون له (ونجينا وأهله من الكربة العظمى) وهو التكذيب والأذى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام ، وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن ممرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال سام وحام ويافث وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن ممرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال « سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم » ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به ، قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر ، وقد روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، والمراد بالروم هنا هم الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السبب قال : ولد نوح عليه السلام ثلاثة : سام ويافث وحام ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة وأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وتركناه عليه في الآخرين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بغير ، وقال مجاهد يعني لسان صدق للأنبياء كلهم ، وقال قتادة والسدي بقاء الله عليه الثناء الحسن في الآخرين . قال الضحاك السلام والثناء الحسن ، وقوله تعالى (سلام على نوح في العالمين) مفسر لما بقي عليه من الذكر الجليل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى (إنه من عبادنا المؤمنين) أي المصدقين للوحدانية الموقنين (ثم أغرقنا الآخرين) أي أهلكتناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة

﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِلَّهِ رَبِّهِمْ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَنْفِكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (وإن من شيعته لإبراهيم) يقول من أهل دينه ، وقال مجاهد طي مهاجبه وسفته (إذ جاء ربه بقلب سليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شهادة أن لا إله إلا الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم ؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وقال الحسن : سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لمانا وقوله تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل أنفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره

﴿ فَانظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾

مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٠﴾

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيديم فإنه كان قد أرف خروجهم إلى عيديم فأحب أن يختلي بأهلهم ليكسرهما فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يليهم به فقال (إني سقيم) أي ضعيف، فأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى، وقوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله في سارة هي أختي» فهو حديث مخرج في الصحيح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يندم فاعله حاشا وكلا ولا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجاوزا وإنما هو من المعارض في الكلام لتقصدي شرعي ديني كما جاء في الحديث «إن في المعارض لندوحة عن الكذب» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في كلمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التي قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى (فقال إني سقيم) وقال (بل فعله كبيرهم هذا) وقال لذلك حين أراد أمرته هي أختي. قال سفيان في قوله (إني سقيم) يعني طعين وكانوا يفرون من الطعون فأراد أن يغلو بأهلهم، وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) فقالوا له وهو في بيت آلهتهم: أخرج فقال إني مطعون فتركوه مخافة الطاعون. وقال قتادة عن سعيد بن السبب رأى نجما طلع فقال (إني سقيم) كابدني الله عن دينه (فقال إني سقيم). وقال آخرون (فقال إني سقيم) بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت، وقيل أراد (إني سقيم) أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى، وقال الحسن البصري: خرج قوم إبراهيم إلى عيديم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال (إني سقيم) وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها، رواه ابن أبي حاتم، ولهذا قال تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أي ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء (فقال ألا تأكلون؟) وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه. قال السدي: دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه، فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال (ألا تأكلون؟) ما لكم لا تنطقون) وقوله تعالى (فراغ عليهم ضربا باليمين) قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين. وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين. وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ولهذا تركهم جذازا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا (فأقبلوا إليه يزفون) قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون، وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الأنبياء مبسطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي فعل ذلك، فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبتهم فقال (أتعبدون ما تنحتون) أي تعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتعملونها بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقدیره والله خلقكم والذي تعملونه وكلا القولين متلازم، والأول أظهر لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد عن علي بن اللديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا قال «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعه»

وقرأ بعضهم (والله خلقكم وما تعملون) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهقروا فقالوا (ابنوا له بنيانا فألقوه في البعير) وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأطى حجه ونصرها ولهذا قال تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين)

(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدَيْنِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي النَّامِ أُنًى أَذْجُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰأَبَتِ أَفَلَا تَتُورُ مَرُسَاجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّيْرِ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ * وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَٰإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ النَّبِيُّ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فِي رُؤْيَاهُ * وَظَلَمْنَا لِنَفْسِهِ مَبِينٌ)

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدَيْنِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) يعني أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم ، قال الله تعالى (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد لإسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيدته وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذبا وبهتاناً إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهابه وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره ، وأيضا فإن أول ولد له معزة مالم يس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الديسح هو إسحاق وحكى ذلك عن طائف من السلف حتى قل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم وذكر أنه الديسح ثم قال بعد ذلك (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ولما بشرت للملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا (إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ) . وقال تعالى (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) أى يولد له فى حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن الله تعالى قد وعدنا بأنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا وإسماعيل وصف ههنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام . وقوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) أى كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشى معه وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب فى كل وقت يتفقد ولده وأم ولده يلاذ فاران وينظر فى أمرها وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك والله أعلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم (فلما بلغ معه السعى) بمعنى شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل (فلما بلغ معه السعى) قال يابننى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى (قال عبيد بن حمير رؤيا الأنبياء وحى ثم تلا هذه الآية (قال يابننى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) . وقد

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكرندي حدثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رؤيا الأنبياء في المنام وحى » ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صفه على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه (قال يا أبت أفعل ما تؤمر) أي امض لما أمرك الله من ذبحي (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيها وعبد ولهذا قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . قال تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) أي فلما شهدا وذكر الله تعالى إبراهيم على الدج والولد شهادة الموت وقيل أسلما يعني استسلما واتقادا ، إبراهيم امثل أمر الله تعالى وإسماعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن إسحاق وغيرهم ، ومعنى تله للجبين أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة (وطه للجبين) أ كبه على وجهه . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم النبوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسأله فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام فبص أبصر فقال له يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فاخلعه حتى تكفني فيه فخلعه ليخلعه فنودي من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبصر أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا أن نتبع ذلك الضرب من الكبش ، وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله . ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الديبج روايتان والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال خرج عليه كبش من الجنة قدرعى قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه وإسماعيل الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به للنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش ملحق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحمل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي دعوة مستجابة وإنني قد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم قال فذاك أبي وأمي - أوفداه أبي وأمي - أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟ إنه لما أرى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان إن لم أقتن هؤلاء عند هذه لم أقتنهم أبداً فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت غدا به لبعض حاجته قال فإنه لم يغبه له حاجة إنما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك ، قال لبعض حاجته قال فإنه لا يذهب بك حاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحني ؟ قال يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابنك ، قال لحاجة قال فانك لم تعديه حاجة وإنما غدوت به لتذبحه قال

ولم أذبحه ؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لأفعلن قال فتركه ويش أن يطاع
وقد رواه ابن جرير عن بونس عن ابن وهب عن بونس بن يزيد عن ابن شهاب قال إن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن
جارية التقي أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره وأوحى الله تعالى إلى إسحاق أني أعطيتك
دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك
بك شيئاً فأدخله الجنة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يفرلنصف أمتي وبين أن يجيب شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكفر
ألجم لأمتي ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دهوتي إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح
قيل له يا إسحاق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئاً
فاغفرله وأدخله الجنة » هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون
في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظاً
فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل وإنما حرقوه بإسحاق حسداً منهم كما تقدم وإلا فالمناسك والذبايح إنما
عملها بمنى من أرض مكة حيث كان إسماعيل لا إسحاق فإنه إنما كان يبلد كنعان من أرض الشام . وقوله تعالى
(وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وذكر السدي
وغيره أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عليه الصلاة والسلام
عند ذلك (قد صدقت الرؤيا) . وقوله تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نصرنا عمن أطاعنا المسكارة
والشهداء ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل الله له مخرجاً ويرزقه من حيث
لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) وقد استدلل بهذه الآية
والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافاً لطائفة من العزلة والدلالة من هذه
ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان
المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى (إن هذا لمو البلاء
البين) أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى متقاداً لطاعته
ولهذا قال تعالى (وإبراهيم الذي وفى) . وقوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي
عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه (وفديناه بذبح عظيم) قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربطت بسمرة قال أبو الطفيل
وجدوه مربوطاً بسمرة في ثير ، وقال الثوري أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب
الصنار حدثنا داود الطمار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمضى بأصل
ثيهرى الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء إسحاق ابنه هبط عليه من ثير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قرب به
ابن آدم فتقبل منه فكان مخزوناً حتى فدى به إسحاق ، وروى أيضاً عن سعيد بن جبير أنه قال كان الكبش يرتع في الجنة
حتى شقق عنه ثير وكان عليه عهن أحمر ، وعن الحسن البصري أنه كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير
وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام ، وقال مجاهد ذبحه بمضى عند النحر . وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذراً أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك لو كنت
أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشاً فإن الله تعالى قال في كتابه (وفديناه بذبح عظيم) والصحيح الذي عليه الأكثر
أنه فدى بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال وعمل وقال محمد بن إسحاق
عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدى إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثير .

وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه ، وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي ﷺ ؟ قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني كنت رأيت قرني الكعبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تغمرها فغمرها فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الصلي » قال سفيان لم يزل قرنا الكعبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فان قرشا توارثوا قرني الكعبش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم

(فصل في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن المسيح من هو)

(ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام) قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال : قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ، وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون يالله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك ؟ قال « إن إبراهيم لم يعدل بشيء قط إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جاد لي بالذبيح وهو خير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زاده بلاء زادني حسن ظني » . وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله . وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق ، وعن أبيه العباس وطى ابن أبي طالب مثل ذلك ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق ، وهكذا روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهرى عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده وتقولوا ما عنده عنه غشا وسميتها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول بأنه إسحاق عن عمر وطى وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت قلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن طى بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وطى بن زيد بن جدعان منكر الحديث . وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ، ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم

(ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به) قد تقدمت

الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبيرة وطامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال الفدي إسماعيل

عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود ، وقال إسرائيل عن ثولا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
 المسيح إسماعيل وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو إسماعيل
 عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكشي في الكعبة . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمر بن عبيد عن
 الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وممعت
 محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وانالنجبد ذلك في كتاب الله
 تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبح من ابني إبراهيم قال تعالى (وبشرناه بإسحاق
 نبيا من الصالحين) ويقول الله تعالى (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) يقول باین وابن ابن فلم يكن
 ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه الا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك
 كثيرا ، وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسدي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن
 عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما
 قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن
 عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه
 فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب طي ان يكون أباكم الذي كان
 من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصدقه لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويؤمنون أنه إسحاق لأن إسحاق
 أبوم والله أعلم أيها كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله
 سألت أبي عن المسيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد . وقال ابن أبي حاتم وممعت أبي
 يقول الصحيح أن المسيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن طي وابن عمرو وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد
 ابن المسيب وسعيد بن جبیر والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن طي وأبي صالح
 رضي الله عنهم أنهم قالوا المسيح إسماعيل . وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب
 والسدي والحسن البصري ومجاهد والريبع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس
 وحكاها أيضا عن أبي عمرو بن العلاء . وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار
 الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتي من
 ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا المسيح
 إسماعيل أو إسحاق فقال طي الخير سقطم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد طي
 مما أفاء الله عليك يا ابن الدبيحين فضحك رسول الله ﷺ قليل له يا أمير المؤمنين وما الذي حان ؟ فقال إن
 عبد المطلب لما أمر بجهر زمزم نذرته إن سهل الله له أمرها عليه ليدبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه
 أخواله وقالوا اقد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني إسماعيل . وهذا حديث غريب جدا وقد رواه
 الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرظي
 حدثنا عبيد الله بن محمد العتي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية
 رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره ، كذا كتبه من نسخة مغلوطة وإنما عول ابن جرير في اختياره
 أن المسيح إسحاق طي قوله تعالى (فبشرناه بسلام حليم) فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله تعالى (وبشروه
 بسلام حليم) وأجاب عن البشارة يعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولده أولاد
 مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز أنها قلا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن
 من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك ، هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ما ذهب إليه بمنهج ولا لازم بل هو بعيد
 جدا والذي استدلل به محمد بن كعب القرظي طي أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم وقوله تعالى (وبشرناه

يُاسْحَقُ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) لما تقدمت البشارة بالديسح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحق وقد ذكرت في سورتي هود والجر، وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علي عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما الديسح إسحق قال وقوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) قال بشر بنبوتة قال وقوله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته . وحدثنا ابن عبد الأمل حدثنا العنبر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) قال إنما بشر به نبيا حين فداء الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) قال بشر به حين ولد وحين نبيء وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) قال بعد ما كان من أمره لما جاد الله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل (وباركنا عليه وعلينا إسحاق) وقوله تعالى (وباركنا عليه وعلينا إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) كقوله تعالى (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمْ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فقلوبهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء) وقال عز وجل ههنا (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) أي في الأقوال والأفعال (وتركنا عليهما في الآخرين) أي أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسر بقروله تعالى (سلام على موسى وهارون) إننا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين

﴿ وَإِنَّا لِيَاسَ لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمْ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال قتادة ومحمد بن إسحق يقال الياس هو إدريس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : الياس هو إدريس ، وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بل فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدوا واستمروا على ضلالهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوهم أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم الطمر ، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث واستمروا

على أخص ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه إليه ، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر إلياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا فلهما جاءه فليركبه ولا يهبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساء الریش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا إنسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته (إذا قال لقومه ألا تتقون) أى ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا . قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن ، وفى رواية عن قتادة قال : وهى لغة أزد شنوءة . وقال ابن إسحق أخبرنى بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هواسم صنم كان يعبد به أهل مدينة يقال لها بعلبك غربى دمشق ، وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه . وقوله تعالى (أتدعون بعلا ؟) أى أتعبدون صنما (وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين) أى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، قال الله تعالى (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى للعذاب يوم الحساب (إلا عباد الله المخلصين) أى للوحدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت . وقوله تعالى (وتركنا عليه فى الآخرين) أى ثناء جميلا (سلام على إلياسين) كما يقال فى إسماعيل وإسماعين وهى لغة بنى أسد ، وأنشد بعض بنى تميم فى صب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

ويقال ميكال وميكائيل وميكايل وإبراهيم وإبراهيم وإسرائيل وإسرائيل وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائق وقرأ آخرون (سلام على إدراسين) وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وآخرون (سلام على آل ياسين) يعنى آل محمد ﷺ ، وقوله تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين) قد تقدم تفسيره والله أعلم

(وَإِنْ لَوْطَا لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّا لَمَكْتُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِالْبَلِيلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعث إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل عائلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسيل مقيم يمر بها المسافرين ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى (وإنكم لتكفرون عنهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون) أى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها .

(وَإِنْ يُونُسَ لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَمِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنِدَّاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَعِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطَعِينَ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام فى سورة الأنبياء ، وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أمه وفى رواية إلى أبيه . وقوله تعالى (إذ أبق إلى الفلك المشحون) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو القور أى المملوء بالأمعة (فساهم) أى قارع (فكان من المدحضين) أى المغلوتين ، وذلك أن السفينة تلعب بها الأمواج من كل جانب وأشرافوا على الفرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخف بهم السفينة فوقت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث

مرات وهم يظنون به أن يلتقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها . ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي ققام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس ، واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت قليل ثلاثه أيام قاله قتادة ، وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك ، وقال مجاهد عن الشعبي : التقمه ضحى ولفظه عشية ، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونساً وقد بات في أضغاث حوت لياليا

وقوله تعالى (فلولا أنه كان من السبحين * لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قيل لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منه وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده إن شاء الله تعالى ما يدل على ذلك إن صح الخبر ، وفي حديث عن ابن عباس « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة (فلولا أنه كان من السبحين) يعني المصلين ، وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم كان من السبحين في جوف أبيه ، وقيل المراد (فلولا أنه كان من السبحين) هو قوله عز وجل (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) قاله سعيد بن جبير وغيره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه - ولا أعلم أنسا إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ « ان يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش ، قالت اللاتكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أمه تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ؟ قال عز وجل عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ، قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه في البلاء ، قال بلى فأمر الحوت فطره بالعراء » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به ، زاد ابن أبي حاتم قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرني ابن تسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع بأهريرة رضي الله عنه يقول : طرح بالعراء وأثبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أباهريرة وما اليقطينة ، قال شجرة الدباء . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وهيا الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال هشاش الأرض - قال فتفتش عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألقى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسندا مرفوعا في تفسير سورة الأنبياء ، ولهذا قال تعالى (فنبدناه) أي ألقيناه (بالعراء) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهى الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم (وهو سقيم) أى ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضي الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ، وقال السدي كهيئة الصبي حين يولد وهو النفوس وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد أيضا (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع . وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها فهي من اليقطين وفي رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليقطين ، وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نياحه وتظليل ورقه لكبره

ونعمته وأنه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيثا ومطبوخا بلبله وقشره أيضا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتبعه من حواشي الصحفة . وقوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما نبذته الحوت ، رواه ابن جرير حدثني الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر به ، وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت (قلت) ولا مانع أن يكون الذين أرسل اليهم أولا أمرا بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به ، وحكى البغوى أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى (أو يزيدون) قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه : بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا والله أعلم وقال سعيد بن جبیر يزيدون سبعين ألفا وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً يحدث عن معمر أبا العالية يقول حدثني أبي بن كعب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا ورواه الترمذى عن طى بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب . ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به . قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه إلى المائة ألف أو كانوا يزيدون عندهم يقول كذلك كانوا عندهم ، ولهذا سلك ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله تعالى (إذا فريق منهم ينجشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) المراد ليس أقص من ذلك بل أزيد وقوله تعالى (فآمنوا) أى فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم (فتنعموا إلى حين) أى إلى وقت آجالهم كقوله جلّت عظمتهم (فلولا كانت قرية آمنت فنفخها إيمانها إلى قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنعناهم إلى حين)

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَارِهِمْ يَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَلَمْ تَلِدْ كُرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)

يقول تعالى منكراً على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أى من الذكور أى يودون لأنفسهم الجيد (وإذا شرأحدم بالأشئ ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) أى يسوءه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين ، يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذى لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى (فاستفتهم) أى سلهم على سبيل الانكار عليهم (ألبك البنات ولهم البنون) كقوله عز وجل (ألكم الذكر وله الأنثى ، * تلك إذا قسمة ضيزى) . وقوله تبارك وتعالى (أم خلقنا للملائكة إناثاً وهم شاهدون) أى كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا (وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتكتب شهادتهم ويسألون) أى يسألون عن ذلك يوم القيامة . وقوله جلّت عظمتهم (ألا إنهم من إنكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولله الله) أى صدر منه الولد (وإنهم لكاذبون) فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب ، فأولاً جعلهم بنات الله فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف

في التخليد في نار جهنم . ثم قال تعالى منكرا عليهم (أصطفى البنات على البنين) أى أى شيء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل (أفأمنفأكم ربكم بالبنين واتخذ من اللاتكة إناثا ؟ إنكم لتقولون قولا عظما) ولهذا قال تبارك وتعالى (مالكم كيف تحكمون) أى مالكم عقول تتدبرون بها ما تقولون (أفلا تدكرون ؟) أى لم سلطان مبين) أى حجة على ما تقولونه ، (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) أى هاتوا برهاننا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوز العقل بالكلية . وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد : قال للشركون اللاتكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فمن أمهاتهن ، قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد علمت الجنة) أى الذين نسبوا إليهم ذلك (إنهم لمحضرون) أى إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافتراءهم وقولهم الباطل بلا علم ، وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، حكاه ابن جرير وقوله جلّت عظمته (سبحان الله عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون اللحدون علوا كبيرا . وقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير في قوله تعالى (عما يصفون) عائد إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم التابعون للحق المنزل على كل نبي مرسل ، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى (إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين) وفي هذا الذى قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للشركين (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) أى إنما يتقاد لمقاتلكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرى النار (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فهذا الضرب من الناس هو الذى يتقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى (إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أى إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ، ثم قال تبارك وتعالى مبرزها لللائكة عما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله (وما منا إلا له مقام معلوم) أى له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزوه ولا يتعداه وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه « أطلت السماء وحق لها أن تظط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكم أو ساجد » ثم قرأ ﷺ (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) وقال الضحاك في تفسيره (وما منا إلا له مقام معلوم) قال كان مسروق يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم » فذلك قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) .

وقال الأعمش عن أبي إسحق عن مسروق عن ابن عباس رضى الله عنه قال : إن في السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (وما منا إلا له مقام معلوم) وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت (وما منا إلا له مقام معلوم) فتقدم الرجال وتأخر النساء

(وإننا لنحن الصافون) أى تقف صفوها فى الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى (والصافات صفاً) قال ابن جرير عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال كانوا لا يصفون فى الصلاة حتى نزلت (وإننا لنحن الصافون) فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضى الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قالوا أقيموا صفوفكم استووا قياماً يريد الله تعالى بكم هدى للملائكة ثم يقول (وإننا لنحن الصافون) تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وفى صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف للملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً ، وتربتها طهوراً » الحديث (وإننا لنحن السبحون) أى نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسده ونترزه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (وما منا إلا له مقام معلوم) الملائكة (وإننا لنحن الصافون) الملائكة (وإننا لنحن السبحون) الملائكة نسبح الله عز وجل . وقال قتادة (وإننا لنحن السبحون) يعنى الصالون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم أنى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) . وقوله جل وعلا (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين) أى قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكركهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) وقال تعالى (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ولهذا قال تعالى هاهنا (فكفروا به فسوف يعلمون) وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسول الله ﷺ

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى تقدم فى الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال عز وجل (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون) أى فى الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين (وإن جندنا لهم الغالبون) أى تكون لهم العاقبة . وقوله جل وعلا (فتول عنهم حتى حين) أى اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ، ولهذا قال بعضهم فيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضاً فى معناها ، وقوله جلت عظمتة (وأبصرهم فسوف يبصرون) أى انظرهم وارقب ماذا يعمل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أبعدنا يستعجلون) أى هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى ينضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضاً كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة . قال الله تبارك وتعالى (فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المُنْذَرِينَ) أى فإذا نزل العذاب بمحلهم فبئس ذلك اليوم يومهم

بأهلاكم ودمارهم ، وقال السدي (فإذا نزل بساحتهم) يعني بدارهم (فساء صباح النذرين) أى فبئس ما يصبحون أى بش الصباح صباحهم . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال : صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون عمو والله عمو والحجيس فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر خربت خير إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح النذرين » ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضى الله عنه . وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضى الله عنه قال : لما صبح رسول الله ﷺ خيرا وقد أخذوا مساحيم وغدوا إلى حروثهم وأرضهم ، فلما رأوا النبي ﷺ نكسوا مدبرين فقال نبي الله ﷺ « إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح النذرين » لم يخرجوه من هذه الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين . وقوله تعالى (وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبيصرون) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدها ويرها عما يقول الظالمون للكاذبون المعتدون تعالى وتنزهه وتقده عن قولهم علوا كبيرا ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة) أى ذى العزة التى لا ترام (عما يصفون) أى عن قول هؤلاء المعتدين للفترين (وسلام على المرسلين) أى سلام الله عليهم فى الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه فى ربهم وصحته وحقيقته (والحمد لله رب العالمين) أى له الحمد فى الأولى والآخرة فى كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما فى هذا الموضع وفى مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على المرسلين فإنا أنا رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك ، وقد أسند ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا على بن الحسين بن الجندب حدثنا أبو بكر الأعمش ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على المرسلين » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا نوح^(١) حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يسلم قال « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » ثم يسلم إسناده ضعيف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا غمار بن خالد الواسطي حدثنا شعبة عن يونس ابن أبي إسحاق عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين) » وروى من وجه آخر متصل موقوف على رضى الله عنه قال أبو محمد البغوى فى تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم . الشريعى أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجدى حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الأصمغ بن نباتة عن على رضى الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين . وروى الطبرانى من طريق عبد الله ابن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد أكتال

(١) فى النسخة المكية : فرج

بالجرب الأوفى من الأجر » وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . وقد أفردت لها جزءا طى حدة فلتكتب هاهنا إن شاء الله تعالى . آخر تفسير سورة الصافات والله أعلم

(تفسير سورة ص وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ مَنَاصٍ)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم فى المعاش والمعاد قال الضحاك فى قوله تعالى (ذى الذكر) كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليك كتابا فيه ذكر كم) أى تذكركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وإسماعيل بن أبى خالد وابن عينة وأبو حصين وأبو صالح والسدى (ذى الذكر) ذى الشرف أى ذى الشأن والمكانة ، ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعذار والانذار واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) وقيل قوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) حكاهما ابن جرير وهذا الثانى فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير ، وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه (ص) بمعنى صدق حق (والقرآن ذى الذكر) وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكاملها والله أعلم ، وقوله تبارك وتعالى (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) أى إن فى هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (فى عزة) أى استكبار عنه وحية (وشقاق) أى ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزل من السماء ، فقال تعالى (كم أهلكتنا من قبلهم من قرن) أى من أمة مكذبة (فنادوا) أى حين جاءهم العذاب استعانوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل (فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون) أى يهربون (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أنترقم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن التميمى قال ؟ سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى (فنادوا ولات حين مناص) قال ليس بيمين نداء ولا نزول فرار : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس بيمين مناث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفهم وأنشد * تذكر لى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب فى قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستنصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم ، وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة فى غير حين النداء ، وقال مجاهد (فنادوا ولات حين مناص) ليس بيمين فرار ولا إجابة وقد روى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة ، وعن مالك عن زيد بن أسلم (ولات حين مناص) ولانداء فى غير حين النداء ، وهذه الكلمة وهى لات هى لا التى للنفى زيدت معها التاء كما تزداد فى ثم يقولون ثم توب فيقولون رب وهى مفصولة والوقف عليها ، ومنهم من حكى عن المصنف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بيمين ولا تحين مناص والمشهور الأول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب لىلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ومنهم من جوز الجربها وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

وأنشد بعضهم أيضاً
 بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولات حين مناص)
 أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى للوفق للصواب

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ * أَجْعَلْ آلَ اللَّهِ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَأَنْتَلَقِ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا مِمَّنَّا بِهَذَا فِي الْيَلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خَيْلٌ * أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَنَا يَذُوقُوا عَذَابٌ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً كما قال عز وجل (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) وقال جل وعلا ههنا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم وقال الكافرون (هذا ساحر كذاب * أجعل آل الله إلهاً واحداً) أي أزعجهم أن العبادة لا لإله إلا هو أنكر المشركون ذلك فبجهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأثرت في قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلق ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا (أجعل آل الله إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجب * وانتلق الملائكة منهم) وهم ساداتهم وقادتهم ورؤسائهم وكبرائهم قائلين (امشوا) أي استمعوا على دينكم (واصبروا على آلهتكم) ولا تستجيبوا لما يدعوك إليه محمد من التوحيد ، وقوله تعالى (إن هذا لشيء يراد) قال ابن جرير إن هذا الذي يدعونا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد شيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه إليه . (ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات) قال السدي إن ناساً من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكيف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكيف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه ، قال فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراهم وقد سألوكم أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك قال صلى الله عليه وسلم «ياعم أفلا أدعوم إلى ما هو خير لهم ، قال وإلام تدعوم ، قال صلى الله عليه وسلم «أدعوم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها المعجم» فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم «تقولون لا إله إلا الله» فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم «لوجئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي مأسألتكم غيرها» فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتعنك وإلهك الذي أمرك بهذا (وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا شيء يراد) ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم همه إلى قول لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين الأشياخ ونزلت (إنك لا تهدي من أحببت) . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو أسامة

حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فنهته فبعث إليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فضي أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك ويذمونك أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال « يا عم إنني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية » ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وما هي ، وقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله » فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون (أجعل الآلهة إلها واحدا ! إن هذا لشيء عجيب) قال ونزلت من هذا الوضع إلى قوله (بل لا يذوقوا عذاب) لفظ أبي كريب وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن حمير كلاهما عن أبي أسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه . وقال الترمذي حسن وقولهم (مامعنا بهذا في الملة الآخرة) أي مامعنا بهذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة . قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب والسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما مامعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقا لأخبرتنا به النصارى (إن هذا إلا اختلاق) قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم (أ أنزل عليه الذكر من بيننا) يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال في الآية الأخرى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله تعالى (أم هم قسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم . قال الله تعالى (بل لا يذوقوا عذاب) أي إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونعمته سيعلمون غيب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . ثم قال تعالى مبينا أنه للتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطى من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لا يملكون شيئا من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير . ولهذا قال تعالى منكرا عليهم (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي العزيز الذي لا يرام جنبه الوهاب الذي يعطى ما يريد لمن يريد ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نفيرا) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) وقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا) وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا (ألقى الذكر عليه من بيننا ، بل هو كذاب أشمر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرئقوا في الأسباب) أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب . قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعني طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة ثم قال عز وجل (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيزمون ويخلبون ويكتبون كما كتبت الذين من قبلهم من الأحزاب الكذابين وهذه الآية كقوله جلّت عظمتهم (أم يقولون

نحن جميع منتصر سيزم الجمع ويولون الدبر) كان ذلك يوم بدر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأُوتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ * وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْتِيًا مِنْ فَوْاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمة في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسطة في أماكن متعددة وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) أى كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر . وقوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فوق) قال مالك عن زيد بن أسلم أى ليس لها مثوية أى ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أى فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هى نفخة الفزع التى يأمر الله تعالى إسرائيل أن يطولها فلا يبق أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل . وقوله جل جلاله (قالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب) هذا إنكار من الله تعالى على المشركين فى دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فإن القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضى الله عنها ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوا تعجيل العذاب ، زاد قتادة كما قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك فى الدنيا وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر فى الدنيا وهذا الذى قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبى خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد . قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر

﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد . والأيد القوة فى العلم والعمل . قال ابن عباس رضى الله عنها والسدى وابن زيد الأيد القوة ، وقرأ ابن زيد (والسماء بفيها بأيدواً للموسعون) وقال مجاهد الأيد القوة فى الطاعة . وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة فى العبادة وفقها فى الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وانه كان أواباً » وهو الرجاء إلى الله عز وجل فى جميع أموره وشؤونه . وقوله تعالى (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) أى أنه تعالى سخر الجبال تسبيح معه عند إشرار الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل (يا جبال أوبي معي والطير) وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيحه إذا مر به الطير وهو سابح فى الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف فى الهواء ويسبح معه وتجييه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له . قال ابن

جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل (يسبحن بالعشى والإشراق) ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي التوكل عن أيوب بن صفوان عن مولا عبد الله بن الحارث ابن نوفل أن ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبرني هذا ما أخبرني فقلت : دخل على رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيبي وبينه فاغتسل ثم رشح ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يسبحن بالعشى والإشراق) وكنت أقول أين صلاة الإشراق وكان بعد يقول صلاة الإشراق ولهذا قال عز وجل (والطير محشورة) أي محبوسة في الهواء (كل له أبواب) أي مطيع يسبح تبعاً له ، قال سعيد بن جبير وقادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (كل له أبواب) أي مطيع ، وقوله تعالى (وشددنا ملكه) أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك ، قال ابن أبي نجيع عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغني أنه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفاً مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحرر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نهرين من بني إسرائيل استمدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقرأ فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعى ، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى فقال يابني الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقرى ؟ فقال له إن الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لأحالة ، فقال والله يابني الله إن الله لم يأمر بك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه وإنني لصادق فيما ادعيت ولكي كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل ، قال ابن عباس رضي الله عنهما فاشتدت هيته في بني إسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل (وشددنا ملكه)

وقوله جل وعلا (وآتيناه الحكمة) قال مجاهد يعني الفهم والعقل والفطنة ، وقال مرة : الحكمة والعدل ، وقال مرة : الصواب ، وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه ، وقال السدي (الحكمة) النبوة وقوله جل جلاله (وفصل الخطاب) قال شريح القاضي والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعى أو يمين للمدعى عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصلحون وهو قضاء هذا الأمة إلى يوم القيامة ، وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد أيضاً هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النخعي حدثنا إبراهيم بن النضر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أول من قال أما بعد : داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : أما بعد

(وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَى إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخْرَجَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْمُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ قَالُوا كُفْلَيْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى

نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَثََابٍ ﴿١٠﴾

قد ذكر القسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن العصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سند له من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضى الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد عليها إلى الله عز وجل لأن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى (ففزع منهم) إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أى اختاطبا به يسألانه عن هاتهما وقوله عز وجل (وعزى في الخطاب) أى غلبنى يقال عزى إذا قهر وغلب وقوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى اختبرناه . وقوله تعالى (وخر راكعا) أى ساجدا (وأناب) ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك ، وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا (ففقرنا له ذلك) أى ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين

وقد اختلف الأئمة في سجدة من هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضى الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل هو ابن هبة عن أيوب عن مكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال السجدة في من ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها ، ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال النسائي أيضا عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم ابن الحسن هو القاسمي حدثنا حجاج بن محمد عن حماد بن عمار عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ، إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في من وقال « سجدتها داود عليه الصلاة والسلام توبة وسجدتها شكرا » فمروا بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات . وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج للزى قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو إسحاق الدبري أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحام أخبرنا أبو سعد الكنجدرودي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج بإحسن حدثني جدي عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رأيت فيها يرى النائم كأنى أسلى خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وضع بها عني وزرا ، واقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس رضى الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام أتمرا السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة ، رواه الترمذي عن قتبية وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال البخاري عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة من فقال : سألت ابن عباس رضى الله عنهما من أين سجدت فقال أو ما تحراً (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهم اهتداهم) فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فمدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله اللزى أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضى الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب من فلان بلغ إلى الآية التي يسجد

بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال فقصرها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد ،
تفرد به أحمد ، وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال
عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على
النبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود
فقال ﷺ « إنما هي توبة نبي ولكني رأيتم تشزنتم » فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح
وقوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع
وهو الدرجات العالية في الجنة لنوبته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين
الرحمن وكلنا يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وما ولوا » وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية
عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام
عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر » ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن
مرزوق الأغر عن عطية به ، وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله
ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقام
داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدي اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم الذي كنت تمجدي به في الدنيا فيقول
وكيف وقد سلبتني ؟ فيقول الله عز وجل إني أردته عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان

﴿ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا
عنه فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب
الشديد . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني ابراهيم
أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الأول
وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول : قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله
أوداود عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعد في كتابه فقال تعالى (يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) الآية وقال عكرمة (لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب) هذا من اللقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدي لهم عذاب شديد
بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ *
أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كِتَابٌ
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر
ولهذا قال تبارك وتعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) أى الذين لا يرون بشا
ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط (فويل للذين كفروا من النار) أى ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار

المعدل ، ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى (أم نجعل الدين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض * أم نجعل للمتقين كالفجار) أى لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل المقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكلمة فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة من انصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتمين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والموازنة . ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) أى ذوو العقول وهى الألباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصرى والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل . روى ابن أبي حاتم

(زوهبنا لداود سلميّن نعم المبدئ إنه أوأب * إذ عرض عليه بالمشى الصافنات الجياد * فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * رذوها قلّ فطلقن مسحاً بالسوق والأغناق)

يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان أى نبيا كما قال عز وجل (وورث سليمان داود) أى فى النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر وقوله تعالى (نعم العبد إنه أوأب) ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والانابة إلى الله عز وجل . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بنى ما أحسن ؟ قال سكينه الله والإيمان قال لما أقبح ؟ قال كفر بعد إيمان قال لما أحلى ، قال روح الله بين عباده قال لما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبى . وقوله تعالى (إذ عرض عليه بالمشى الصافنات الجياد) أى إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام فى حال مملكته وساطعته الخيل الصافنات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث وطرף حافر الرابطة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان بن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي فى قوله عز وجل (إذ عرض عليه بالمشى الصافنات الجياد) قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا روى ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرنى إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي قال كانت الخيل التى شملت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثنى حمارة بن غزيرة أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيرى وهى سهوتها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لمائشة رضى الله عنها لعب فقال صلى الله عليه وسلم « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضى الله عنها بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال صلى الله عليه وسلم « ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ » قالت رضى الله عنها فرس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هذا الذى عليه ؟ » قالت رضى الله عنها جناحان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرس له جناحان ؟ » قالت رضى الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضى الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه . وقوله تبارك وتعالى (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بمرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذى يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت فى الصحيحين من غير وجه من ذلك عن حار رضى الله عنه قال جاء عمر رضى الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول

يا رسول الله والله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال قمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائفاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والحيل تتراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايقة والمضايقة حيث لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده (ردوها على فطلق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري لا قال : والله لا تشغلني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فمقرت وكذا قال قتادة ، وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيها بالسيوف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حباً لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكنا نكثر أن السفر نحو البيت قال أئبنا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ يدي رسول الله ﷺ فجعل يلمسني بما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تنزع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ • قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَنِي إِدْرِى إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابُ • فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ • وَالشَّيَاطِينُ كُلَّ بِنَاءٍ وَقَوَاسٍ • وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ • هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ • وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أي اخبرناه بأن سليمان الملك (وألقينا على كرسيه جسدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حبيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسطة ومختصرة ، وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت للقدس فقبل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقبل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يرددها في كل سبعة أيام مرة فتزج ماءها وجعل فيها خمر فجاء يوم ورده فإذا هو بالحمر فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدن الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدن الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الحاتم أو ختم به بين كتفيه فذل ، قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمع فيه صوت حديد قال فأتى ببيض المهدد فجعل عليه زجاجة فجاء المهدد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أنفضى إلى بيضة فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الحلاء أو الحمام لم يدخل بالحاتم فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك

عند مقارفة قارف فيها بعض نساؤه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتصقت سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقع على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نساؤه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه في القوة فقال والله لأجربنه قال: فقال يانبي الله وهو لا يرى إلا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال: لا فينا هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جنى ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وألقينا على كرسيه جسداً) قال هو الشيطان صخر وقال السدى (ولقد قتنا سليمان) أى ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهم يقال لها جرادة وهى أثر نساؤه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاهها يوما خاتمه ودخل الحلاء ، فخرج الشيطان في صورته فقال هاأى الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلمائهم فجاءوا حتى دخلوا على نساؤه فقالوا لمن إننا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشرروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوق الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعضى فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بش ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان ، قال فأعطوه سمكتين بمقادير عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحدى إحداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتدرون بماضعوا فقال ما أحمدم على عذرهم ولا ألومهم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجاء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخره الريح ولم تكن سخرته قبل ذلك وهو قوله (وهبلى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب)

وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس ؟ قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرته قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستنظم فيقول أتعرفونى ؟ أطمعوني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهذه كلها من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن النهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الحلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نساؤه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاأى خاتمى فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الحلاء قال لها هاأى خاتمى قالت قد أعطيتك سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتى أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما

رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أنتن كن من سليمان شيئا ، قلن نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر فدفعوها تحت كرسى سليمان ثم أناروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالحاتم فطرحه في البحر فنلقته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكة فيه تلك السمكة التي في بطنها الحاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم قال بك ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الحاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الحاتم في جوفها فألقاه قلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجيزة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطاناً مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدرُونَ عليه حتى وجدوه يوماً نائماً فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انحط معه من الرصاص ، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقرله تحت من رخام ثم أدخله في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يعني الشيطان الذي كان سلط عليه ، إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوى ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبية عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . وقال يحيى بن أبي عروبة الشيباني : وجد سليمان خاتمه بعسقلان فثقى في حرقه إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل ، رواه ابن أبي حاتم . وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار في صفة كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام خبراً عجيباً فقال حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو إسحاق المصري عن كعب الأحبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرني عن كرسى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو ، فقال كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة مرصعاً بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصصاً بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسى فحف من جانبيه بالنخل فخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وجعل على رؤوس النخل التي عن يمين الكرسى طواويس من ذهب ثم جعل على رؤوس النخل التي على يسار الكرسى نسورا من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتي صنوبر من ذهب وعن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمودان من زبرجد ، وجعل من جانبي الكرسى شجرتي كرم من ذهب قد أظلتا الكرسى وجعل عنائيهما درا وياقوتا أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرسى أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا ، فإذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضجان مافي أجوافهما من اللسك والعنبر حول كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد لحايفته والآخر لرئيس أحبار بني إسرائيل ذلك الزمان ، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبراً من ذهب يقعد عليها سبعون قاضياً من بني إسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبراً من ذهب ليس عليها أحداً فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسى كله بما فيه وما عليه وييسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه

الأيسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة فيبسط الأسيديه اليسرى وينشر النسر جناحه الأيمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى السرعة ، فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال تين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم بما عمله صخر الجني فإذا أحست به يرانه دارت تلك الأسود والنسور والطلو ويسأل في أسفل الكرسي دون التي أعلاه فإذا وقف وقعن كلهن منكسات روسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . ثم تناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجملها في يده فيقرؤها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) قال بعضهم مناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسألني بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع على الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تسمعوا وتظفروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان عليه الصلاة والسلام (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) » قال ربح فردة خاشا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول « أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك يا لعنة الله » ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله ممعنك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك يا لعنة الله الثامنة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موتها يلعب به صبيان أهل المدينة » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد ثنا ميسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه قفراً فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي لما زلت أخته حتى وجدت برد لهما به بين أصبعي هاتين - الإبهام والى تليها - ولولا دعوت أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أسد فليفعل » وقد روى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريح عن أبي أحمد الزبيري به . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في سائط له بالطائف يقال له الوهط وهو محاصر فقي من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث أنه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحاً وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأنه من أتى بيت المقدس لا تنزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع القوم ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لأحد أن يقول على ما لم أقول ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب

تاب الله عليه - قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال - فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الجبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة ، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أن يكون له رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يخرج من خطبته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطانا إياه » وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلا لا ثلاثا » وذكره وقد روى من حديث رافع بن عمر رضي الله عنه بإسناد وسياق غريبين . فقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة السقلافي حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي الزاهرية عن رافع بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتا في الأرض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله إليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال يا داود إنك لا تصلح أن تبني لي بيتا قال ولم يا رب ؟ قال لما جرى على يديك من السماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال بلى ولكم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه لا تحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولماتم قرب القرايين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك بيني فسلني أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملكلا ينبغي لأحد من بعدى ومن آتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه - قال رسول الله ﷺ - أما الثنتان فقد أعطيتهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد الجعفي حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتح « سبحان الله ربى العلى الأعلى الوهاب » وقد قال أبو عبيد حدثنا علي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسبار قال لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سلني حاجتك قال أسألك أن تجعل لي قلبا يخشاك كما كان قلب أبي وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الله عز وجل : أرسلت إلى عبيدي وسألتهم حاجتهم فكانت حاجتهم أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني ، لأهين له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده . قال الله جلّت عظمتة (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) والتي بعدها قال فأعطاهما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه هكذا أورده أبو القاسم بن عساکر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه ، وروى عن بعض السلف أنه قال بلغني عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهي كن لسليمان كما كنت لي فأوحى الله عز وجل إليه : أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك . وقوله تبارك وتعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) قال الحسن البصري رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الحيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر . وقوله جل وعلا (حيث أصاب) أي حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله (والشياطين كل بناء وغواص) أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية المائلة من معاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها (وآخرين مقرنين في الأصفاد) أي موثوقون في الأغلال والأنكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى . وقوله عز وجل

(هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أى هذا الذى أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعطى من شئت وأحرم من عثت لأحساب عليك أى مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبتت في الصحيحين أن رسول صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون عبداً رسولاً - وهو الذى يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به - وبين أن يكون نبياً ملكاً يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح : اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فأختار المنزلة الأولى لأنها أرفع قدراً عند الله عز وجل وأعلى منزلة في العباد وإن كانت المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظيمة أيضاً في الدنيا والآخرة ، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى في الدار الآخرة

(وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِرَأْسِ الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتَنَا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْأَمِيزُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاء تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سوا قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه خير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نهوا من ثمانى عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكاملها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضى الله عنها لأنها كانت لا تفارقه صباحاً ومساءً إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريباً ، فلما طال للطلال ، واشتد الحال ؛ وانتهى القدر ، وتم الأجل للقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال (إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وفي هذه الآية الكريمة قال (وأذكر عبدنا أيوب إذا نادى ربه أُنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) قيل ينصب في بدن وعذاب في ماله وولده فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى هينا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان فيه بدنه من الأذى ، ثم أمره بضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له هينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهب جميع ما كان في بطنه من السوء وتكاملت المافية ظاهراً وباطناً ، ولهذا قال تبارك وتعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يندوان إليه ويروحان ، فقال أحسدهما لصاحبه نعم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذن به أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك ؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحم الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكر أن الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق ، قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطلها عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت أى بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا البطل ، قواله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك

إذ كان صحيحاً قال فإني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداها على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيننا أيوب ينتقل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يمشو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتكَ عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لا غنى بي عن بركتك » انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولي الألباب) قال الحسن وقتادة أحياء الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم ، وقوله عز وجل (رحمة منا) أي به على صره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته (وذكري لأولي الألباب) أي لدوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة . وقوله جلت عظمتي (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته قيل باعت ضغيرتها بخبز فاطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاء الله تعالى ليضربها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاء الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حشيه ووفى بندره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) أثني الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد إنه أواب) أي رجاع منيب ؛ ولهذا قال جل جلاله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا* ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا*) واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها . وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب

(وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ* وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ* هَذَا ذِكْرُنَا)

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبياؤه العابدين (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (أولي الأيدي) يقول أولي القوة (والأبصار) يقول الفقه في الدين . وقال مجاهد (أولي الأيدي) يعني القوة في طاعة الله تعالى والأبصار يعني البصر في الحق وقال قتادة السدي أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين . وقوله تبارك وتعالى (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدي ذكروهم للآخرة وعملهم لها . وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكروها وأخلصهم بحب الآخرة وذكروها ، وكذا قال عطاء الخراساني . وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها ، وقال في رواية أخرى ذكرى الدار عقي الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ؛ وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة ، وقوله تعالى (وإنهم عندنا لمن الصّافين الأخيار) أي لمن المختارين المجتبيين الأخيار فهم أخيار مختارون . وقوله تعالى (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته هنا وقوله عز وجل (هذا ذكر) أى هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ، وقال السدى
يعنى القرآن العظيم .

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ * مُتَكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ
كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطُّرْفِ أُنْرَابٍ * هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا
مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾

نجبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب وهو الرجوع والنقلب ثم فسر به بقوله
تعالى (جنات عدن) أى جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول مفتحة لهم
أبوابها أى إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهاربي حدثنا عبد الله بن نعيم حدثنا
عبد الله بن مسلم يعنى ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو رضى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ
« إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله
سأولا يسكنه - إلا نبيا أو صديق أو شهيد أو إمام عدل » وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه
عديدة . وقوله عز وجل (متكئين فيها) قيل متربعين على سرر تحت الحجال (يدعون فيها بفكهة كثيرة) أى مهما
طلبوا وجدوا وأحضروا كما أرادوا (وشراب) أى من أى أنواعه شاءوا أتهم به الخدام (بأكواب وأباريق وكأس
من معين) (وعندهم قاصرات الطرف) أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن (أنراب) أى متساويات في السن
والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وعبد بن كعب والسدى (هذا ما توعدون
ليوم الحساب) أى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هى التى وعدنا عباده للتقين التى يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم
من قبورهم وسلامتهم من النار . ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء
فقال تعالى (إن هذا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) كقوله عز وجل (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وكقوله جل وعلا (عطاء
غير مجدود) وكقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع وكقوله عز وجل (أكلها دائم وظلها تلك عقي
الذين آمنوا وعقبى الكافرين النار) والآيات في هذا كثيرة جدا .

﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخِرُ
مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِذْهُمْ صَالُوا النَّارَ * قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ
أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْفَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّ هَذَا أَبَا ضِعْفٍ فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى
رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَخَذْنَا مِنْهُمُ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء تبنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل
(هذا وإن للطاغين) وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لشر مآب) أى لسوء
منقلب ومرجع . ثم فسر به بقوله جل وعلا (جهنم يصلونها) أى يدخلونها فتنعمهم من جميع جوانبهم (فبئس المهاد * هذا
فليذوقوه حميم وغساق) أما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذى لا استطاع
من شدة برده للؤلؤ ولهذا قال عز وجل (وآخر من شكله أزواج) أى وأشياء من هذا القبيل : الشيء وضده يعاقبون
بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لميعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه عن

رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن دلوًا من غساق يهراق في الدنيا لأتت أهل الدنيا » ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به وقال كعب الأحبار : غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كفيه وعقبه ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه ، رواه ابن أبي حاتم . وقال الحسن البصري في قوله تعالى (وآخر من شكله أزواج) ألوان من العذاب ، وقال غيره كالزهرير والسموم وشرب الخمر وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه وقوله عز وجل (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار) هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها) يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية (هذا فوج مقتحم) أي داخل (معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار) أي لأنهم من أهل جهنم (قالوا بل أئتم لا مرحباً بكم) أي فيقول لهم الداخلون (بل أئتم لا مرحباً بكم أئتم قدمتموه لنا) أي أئتم دعوتونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فبئس القرار) أي فبئس المنزل والمستقر والمصير (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) كما قال عز وجل (قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار * قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أي لكل منكم عذاب بحسبه (وقالوا مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار * اتخذناهم سخرياً أم زاغتم عنهم الأبصار ؟) هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لانراهم معنا في النار؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لأرى بلالا وعماراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا (مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار * اتخذناهم سخرياً) أي في الدار الدنيا (أم زاغتم عنهم الأبصار ؟) يسألون أنفسهم بالحال يقولون أولعلمهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم ، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العالية وهو قوله عز وجل (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين — إلى قوله — ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون (وما من إله إلا الله الواحد القهار) أي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه (رب السموات والأرض وما بينهما) أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (العزيز الغفار) أي غفار مع عظمته وعزته (قل هو نبأ عظيم) أي خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إياي اليكم (أئتم عنه معرضون) أي غافلون ، قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن . وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون) أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملاء الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس

من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا جهضم الجامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا تراءى قرن الشمس فخرج ﷺ سريعا فتوب بالصلاة فصلى وتجاوز في صلاته فلما سلم قال ﷺ « كما أتم » ثم أقبل إلينا فقال « إني قتت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في سلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدرى فيم يغتصم اللأ الأمل ، قلت لا أدري يا رب — أعادها ثلاثا — فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يغتصم اللأ الأمل : قلت في الكفارات . قال وما الكفارات ، قلت ثقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام ، قال سل ، قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب السالكين وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك — وقال رسول الله ﷺ — إنها حق فادرسوها وتعلموها » فهو حديث اللام المشهور ، ومن جعله نقطة فقد غلط وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله الجامي به ، وقال الحسن صحيح وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر ، وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بهذا وهو قوله تعالى

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا • إِلَّا إِبْلِيسَ أَسْكَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَتَسْكَبْتُ أَنتَ كُنْتَ مِنَ الْمَالِئِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِّن طِينٍ • قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ • وَإِن عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ • قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ • قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ • قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ • لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا . كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه ، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبده الله عز وجل وأرغم أنه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وصماه إبليس إعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يسجل على من عصاه . فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطنى وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين • لإعبادك منهم المخلصين) كما قال عز وجل (أرايتك هذا الذي كرمت على • لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلا) هؤلاء هم المستثنون

في الآية الأخرى وهي قوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) وقوله تبارك وتعالى (قال فالحق والحق أقول * لأملئن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه . الحق منى وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبهما قال السدى هو قسم أقسم الله به (قلت) وهذه الآية كقوله تعالى (ولكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكقوله عز وجل (قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا)

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونه من عرض الحياة الدنيا (وما أنا من المتكلفين) أى وما أريد على ما أرسلنى الله تعالى به ولا أبتغى زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لأزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغى بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخرجاه من حديث الأعمش به ، وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (للعالمين) قال الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى (لأنذرکم به ومن بلغ) وكقوله عز وجل (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقوله تعالى (ولتعلمن نبأه) أى خبره وصدقه (بعد حين) أى عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين فان من مات فقد دخل في حكم القيامة ، وقال قتادة في قوله تعالى (ولتعلمن نبأه بعد حين) قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين آخر تفسير سورة ص والله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الزمر وهي مكية)

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى يقول ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) وقال تبارك وتعالى (وإنه لكتاب عزيز * لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال جل وعلا هاهنا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى النجى الجنب (الحكيم) أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين) أى فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عدل ولا نديد ولهذا قال تعالى (ألا الله الدين الخالص) أى لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له .

وقال قتادة فى قوله تبارك وتعالى (ألا الله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزله ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم ليك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها والدعوة إلى أفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وأخبر أن الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه (فلا تضرّبوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقوله عز وجل (إن الله يحكم بينهم) أى يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) أى سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويحزى كل عامل بعمله (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله عز وجل (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) أى لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين فى الملائكة والمعادنون من اليهود والنصارى فى العزيز وعيسى فقال تبارك وتعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصفحنى عما يخلق ما يشاء) أى لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل (لو أردنا أن نتخذ لهم أولاداً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد التنكيم وقوله تعالى (سبحانه هو الله الواحد القهار) أى تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى كل شيء عبد لديه فقير إليه وهو الذى عما سواه الذى قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَعَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَانِ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْثَمِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَى تُصْرَفُونَ)

يخبر تعالى أنه الخالق لما فى السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقبل ليله ونهاره (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلباً حيثما كقوله تبارك وتعالى (ينفى الليل النهار يطلبه حثيثاً) هذا معنى ما روى عن ابن عباس رضى الله

عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وغيرهم . وقوله عز وجل (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقض يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) أى مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه وقوله جلّت عظمته (خلقكم من نفس واحدة) أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام (ثم جعل منها زوجها) وهى حواء عليها السلام كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أى وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهى المذكورة فى سورة الأنعام ، ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عز وجل (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) أى قدركم فى بطون أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر (فتبارك الله أحسن الخالقين) . وقوله جل وعلا (فى ظلمات ثلاث) يعنى فى ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التى هى كالنشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد . وقوله جل جلاله (ذلكم الله ربكم) أى هذا الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف فى جميع ذلك (لا إله إلا هو) أى الذى لا تنبى العبادة إلا له وحده لا شريك له (فأتى تصرفون) أى فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بقولكم ؟

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِي عَفْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٥٠ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ٥١ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى أنه العنى عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام (إن تكفروا أتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله لفتى حميد) وفى صحيح مسلم « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » . وقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) أى لا يحب ولا يأمر به (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يحبكم لكم ويزدكم من فضله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور) أى فلا تخفى عليه خافية . وقوله عز وجل (وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه) أى عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلا نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل) أى فى حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (وإذا مس الإنسان الضر دعا لنا لجنبه أوقاعدا أو قائما فلا كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) وقوله تعالى (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) أى فى حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) أى قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتموا فإن مصيركم إلى النار) وقوله تعالى (نعمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)

﴿ أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ ۚ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا ، لا يستوون عند الله كما قال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تبارك وتعالى ههنا (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) أى فى حال سجوده وفى حال قيامه ولهذا استدلل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع فى الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون . قال الثورى عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن والسدى وابن زيد آناء الليل جوف الليل . وقال الثورى عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أى فى حال عبادته خائف راج ولا بد فى العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى الموت فقال له « كيف تهجدك ؟ » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه » . ورواه الترمذى والنسائى فى اليوم واللييلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذى غريب ، وقدرناه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ مرسل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبه عن عبيدة الحميرى حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الحرازى حدثنا يحيى البكاء أنه مع ابن عمر رضى الله عنها يقرأ (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال ابن عمر ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنما قال ابن عمر رضى الله عنها ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بالليل وقراءته حتى إنمر بما قرأ القرآن فى ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضى الله تعالى عنه ، وقال الشاعر ،

ضحوا بأشعث عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرأنا

وقال الامام أحمد كتب إلى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير ابن مرة عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائى فى اليوم واللييلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به . وقوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى هل يستوى هذا والذى قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله (إنما يتذكر أولو الأبواب) أى إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ قُلْ إِنِّ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة فى دنياهم وأخراهم ، وقوله (وأرض الله واسعة) قال مجاهد

فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان ، وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى (وأرض الله واسعة) قال إذا دعيتهم إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقوله وتعالى (وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال الأوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يعرف لهم غرما ، وقال ابن جريج بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن زادون على ذلك ، وقال السدي (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) يعني في الجنة . وقوله (قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي إنما أمرت بإخلاص العباد لله وحده لا شريك له (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) قال السدي يعني من أمته ﷺ

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَلْعَبُدِ قَاتِنُونَ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد وأنت رسول الله (إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأخرى (قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أيضا تهديد وتبر منهم (قل إن الخاسرين) أي إنما الخاسرون كل الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة) أي تفرقوا فلا لقاء لهم أبدا وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد ذهبواهم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور (ألا ذلك هو الخسران المبين) أي هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) كما قال عز وجل (لهم من جهنم مهاد . ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين)

وقال تعالى (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) وقوله جل جلاله (ذلك يخوف الله به عباده) أي إنما يقص خبر هذا السكائن لاحالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم . وقوله تعالى (يا عباد فاتقون) أي اخشوا بأسي و سطوتي وعذابي و تهمتي

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) نزلت في زيد بن عمرو بن ثعلبة وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب . إلى عبادة الرحمن فهو لاء هم الذين لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل (فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) (أولئك الذين هداهم الله) أي التصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة (وأولئك هم أولوا الأبواب) أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ ﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والحلاك ؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه

من يضل الله فلا هادى له ومن يهده فلا مضل له . ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أى الشاهقة (من فوقها غرف مبنية) طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . قال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وآلان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام » تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه به وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون العرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء » قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول « كما تراءون الكوكب الذي في الأفق الشرقى أو الغربى » أخرجه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الذي في الأفق الطالع في فاضل أهل الدرجات - فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ - « بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قال ثنا زهير ثنا سعد الطائي ثنا أبو الدله مولى أم المؤمنين رضي الله عنها أنه مع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقتك أعجبنا الدنيا وشئنا النساء والأولاد قال ﷺ « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأ كفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم » قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال ﷺ « لينة ذهب ولينة فضة وملأها المسك الأذفر وحسبائها اللؤلؤ والياقوت وترباها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويغلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزني لأنصرك ولو بعد حين » وروى الترمذي وابن ماجه بعضه من حديث سعد بن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي الدله وكان ثقة به وقوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) أى تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا (وعد الله) أى هذا الذى ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين (إن الله لا يخلف الميعاد)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبُيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْدِيهِمْ قُرْآنَهُ مَعْنَرًا ثُمَّ يُجْمَعُ خُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أَوْلَتْكَ فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ ﴾

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فإذا أنزل الماء من

السما كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا عمرو بن علي ثنا أبو قتيبة عتبة بن يقطان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) فمن سره أن يعود للملح عذبا فليصعده ، وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي أن كل ماء في الأرض فأصله من السماء ، وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعنى أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها وقوله تعالى (ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) أى ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه أى أشكاله وطعمه وروائح منافع (ثم يهيج) أى بعد نضارته وشبابه بكنهل قتره مصفراً قد خالطه اليس (ثم يجعله حطاماً) أى ثم يعود يابساً يتحطم (إن في ذلك لذكرى لأولى الأبواب) أى الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء والشباب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً كما قال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) وقوله تبارك وتعالى (أمن شر ما صدره للإسلام فهو على نور من ربه) أى هل يستوى هذا ومن هو قاسى القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) ولهذا قال تعالى (فويل للفاسية قلوبهم من ذكر الله) أى فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تسمى ولا تفهم (أولئك في ضلال مبين)

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدًى لِّلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾

هذا مدح من الله عز وجل لكتاب القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم . قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني) قال مجاهد يعنى القرآن كله متشابه مثاني ، وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك : مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن بنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء وروى عن سفيان ابن عيينة معنى قوله تعالى (متشابهاً مثاني) إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من التشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) وإن الفجار لفي جحيم) وكقوله عز وجل (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) - إلى أن قال - كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) (هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب) - إلى أن قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب) ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أى في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو للتشابه وليس هذان للتشابه المذكور في قوله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ذاك معنى آخر وقوله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، الهميم العزيز الغفار ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم

من الخشية والخوف (ثم تليين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن صماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك تسمات الآيات من أصوات القينات ﴿ الثاني ﴾ أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لا حين عنابا لمصغين إليها فاهمين بصيرين بعمانيها فلهمذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم ﴿ الثالث ﴾ أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضى الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشع جلودهم ثم تليين مع قلوبهم إلى ذكر الله . لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلمون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية مالا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأسمى في الدنيا والآخرة . قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تليين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) قال هذا نعت أولياء الله ، نعمتهم الله عز وجل بأن تقشع جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعمهم بذهاب عقولهم والعشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان ، وقال السدى (ثم تليين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى إلى وعد الله ، وقوله (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) أى هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو بمن أضله الله (ومن يضل الله فما له فمن هاد)

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) ويقترع فيقال له ولأمثاله من الظالمين (ذوقوا ما كنتم تكسبون) كن يأتى آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ؟) وقال جل وعلا (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) وقال تبارك وتعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر . كقول الشاعر :

فما أدرى إذا يممت أرضا * أريد الخير أيهما يلينى

يعنى الخير أو الشر . وقوله جلت عظمته (كذب الذين من قبلهم فأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى القرون الماضية المكذبة لرسول أهلكتهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ، وقوله جل وعلا (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا) أى بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشقى المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك فانه قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ والذى أعد الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ قُرْءَانًا هَرِيًّا فَعَزَّ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَامًا لَرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لَخُلِدُوا فِي النَّارِ أَبَدًا مُنَادًى لَهُمْ فِيهَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَنْصِبْ لَهُ مِنْ يَمِينِكَ وَسِقْ لَهُ مِنْ يَمِينِكَ بِئْسَ الثَّوَابُ * ثُمَّ أَوَّاهُ بِأَنفُسِهِمْ فَصَبَّوهُ فِي الْعَذَابِ أَدْنًى لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أى بينا للناس فيه بضرب الأمثال (لعلمهم يتذكرون) فان المثل يقرب المعنى إلى الأذهان كما قال تبارك وتعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله جل وعلا (قرءانا عربيا غير ذى عوج) أى هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك (لعلمهم يتقون) أى يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم (ورجلا سلبا) أى سالبا (لرجل) أى خالسا لا يملكه أحد غيره (هل يستويان مثلا ؟) أى لا يستوى هذا وهذا . كذلك لا يستوى الشرك الذى يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذى لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ؟ فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما وجهاد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال (الحمد لله) أى على إقامة الحجة عليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أى فلهذا يشركون بالله وقوله تبارك وتعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) هذه الآية من الآيات التى استشهد بها الصديق رضى الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ومعنى هذه الآية أنكم ستقلعون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين الشركين المكذبين . ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فانها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فانه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أى حاطب - يعنى يحيى بن عبد الرحمن - عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال لما نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضى الله عنه يا رسول الله : أتكرر علينا الخصومة ، قال ﷺ « نعم » قال رضى الله عنه : إن الأمر إذا لشديد . وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة : ولما نزلت (ثم لتستلن يومئذ عن النعم) قال الزبير رضى الله عنه : أى رسول الله أى نعم نستل عنه وإنما نعينا الأسودان . التمر والماء ؛ قال ﷺ « أما إن ذلك سيكون » وقد روى هذه الزيادة الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذى حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد - يعنى ابن عمرو - عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ (إنك ميت وإنهم ميتون) ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضى الله عنه . أى رسول الله أى ككرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الدنوب ؟ قال ﷺ « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذى حق حقه » قال الزبير رضى الله عنه : والله إن الأمر لشديد ، رواه الترمذى من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لميعة عن أبي عياش عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول الخصمين يوم القيامة جاران » تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لميعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إنه ليختصم حتى الشاتلت فيها انتطحتا » تفرد به أحمد رحمه الله . وفي للسند عن أى ذكر رضى الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال « أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر ، » قلت لا قال ﷺ « لكن الله يدري وصيحكم بينهما » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبي ثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يجاء بالإمام الجائر الحائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحون

عليه فيقال له سد ركننا من أركان جهنم» ثم قال الأغلب بن تميم ليس بالحافظ. وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول يخاصم الصادق الكاذب، والظالم، والمهتدى الضال، والضعيف المستكبر، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير إني أرى هنا ثماراً ولكن لا أصل إليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدى؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فأنكما قد حكمتما طي أنفسكما، يعني أن الجسد للروح كالطية وهو راكمه وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة حدثنا ضرار حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا منصور بن سلمة حدثنا القمي - يعني يعقوب ابن عبد الله - عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال قلنا من نخاصم؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما: هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل نخخص فيه، ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة به، وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال يعني أهل القبلة؟ وقال ابن زيد: يعني أهل الإسلام وأهل الكفر، وقد قدمنا أن الصحيح العموم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ إِلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يقول عز وجل مخاطباً للمشركين الذين اقتروا طي الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا ان لللائكة بنات الله وجعلوا لله ولداً. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم طي السنن رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل (فمن أظلم ممن كذب طي الله وكذب بالصدق إذ جاءه) أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب طي الله وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلّت عظمته متوعدا لهم (أليس في جهنم مثوى للكافرين؟) وهم الجاحدون المكذبون. ثم قال جل وعلا (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الذي جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال السدي: هو جبريل عليه السلام (وصدق به) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (والذي جاء بالصدق) قال من جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) يعني رسول الله ﷺ وقرأ الربيع بن أنس (والذين جاءوا بالصدق) يعني الأنبياء (وصدقوا به) يعني الأتباع. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيثون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتونا فعملنا فيه بما أمرتمونا. وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية طي هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق للرسولين وآمن بما أنزل إليه من ربه وللمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والذي جاء بالصدق) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصدق به) قال للسلمون (أولئك هم للتقون) قال ابن عباس رضي الله عنهما: اتقوا الشرك (لهم ما يشاءون عند ربهم) يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا (ذلك جزاء المحسنين) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) كما قال عز وجل في الآية الأخرى

(أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ * وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْعَالُهُمْ لَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ ﴾

يقول تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقرأ بعضهم (عبادہ) يعنى أنه تعالى يكفى من عبده وتوكل عليه وقال ابن أبي حاتم ههنا حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو هانئ عن أبي طى عمرو بن مالك الجنبى عن فضالة بن عبيد الأنصار رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » ورواه الترمذى والنسائى من حديث حيو بن شريح عن أبي هانئ الخولانى به وقال الترمذى صحيح (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى الشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التى يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل (ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ؟) أى منيع الجنب لا يضام من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه فانه العزيز الذى لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (ولكن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) يعنى الشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره بما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى (قل أفرأيت ما تدعون من دون الله إن أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ؟ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ؟) أى لا تستطيع شيئا من الأمر ، وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الأقلام واعمل لله بالشكر فى اليقين ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا . وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع السريرا » (قل حسبي الله) أى الله كافى (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه (إن تقول إلا اعتراك بعض آلتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون * من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى ثنا عبد الله بن بكر السهمى ثنا محمد بن حاتم عن أبي اللقدام مولى آل عثمان بن محمد بن كعب القرظى ثنا ابن عباس رضى الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله عز وجل أوثق منه بما فى يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق الله عز وجل » ، وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أى على طريقتهن وهذا تهديد ووعد (فى عامل) أى على طريقتهن ومنهجهن (فسوف تعلمون) أى ستعلمون غيب ذلك ووباله (من يأتيه عذاب يخزيه) أى فى الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم)

أى دائم مستمر لا يحيدله عنه وذلك يوم القيامة ، أعاذنا الله منها .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَقَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (إنا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى لجميع الخلق من الإنس والجن لتتذرعهم به (فمن اهتدى فلنفسه) أى فانما يعود نفع ذلك إلى نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى إنما يرجع وبال ذلك على نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أى بموكل أن يهتدوا (إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) . ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف فى الوجود بما يشاء وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى وفى هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فيه دلالة على أنها تجتمع فى الملاء الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن منده وغيره . وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخله إزاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » . وقال بعض السلف يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت) التى قد ماتت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . قال السدى إلى بقية أجلها ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ولا يغلط (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآ بَمَلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلِ اللَّهُ الشَّافِعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَاهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

يقول تعالى ذاماً للمشركين فى اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التى اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداثهم على ذلك وهى لا تملك شيئا من الأمر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هى جادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ، ثم قال قل أى يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فارجعها كلها إليه (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (له ملك السموات والأرض) أى هو البصر فى جميع ذلك (ثم إليه ترجعون) أى يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزى كلا بعمله ، ثم قال تعالى ذاماً للمشركين أيضا (وإذا ذكر الله وحده) أى إذا قيل لا إله إلا الله وحده (اشتأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال مجاهد اشتأزت انقبضت وقال السدى نفرت وقال قتادة

كثرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أي عن المتابعة والاتباع قلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى (وإذا ذكر الدين من دونه) أي من الأصنام والأنداد قاله مجاهد (إذام يستبشرون) أي يفرحون ويسرون .

(قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ * وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)

يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من اللذمة لهم في حجبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) أي ادع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض ونظرها أي جعلها على غير مثال سبق (عالم الغيب والشهادة) أي السر والعلانية (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي في دينهم يستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم . قال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن همار ثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح صلاته إذا قام من الليل ، قالت رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أن أناسه عن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « من قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد اليك في هذه الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فانك إن تكفى إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإنى لأتق إلا برحمتك فأجعل لي عندك عهداً توفي به يوم القيامة انك لا تخلف اليعاد ، إلا قال الله عز وجل للملائكة يوم القيامة إن عبدى قد عهد إلى عهداً وفوه إياه فيدخله الله الجنة » قال سهل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا فقال ما ينالنا جارية إلا وهى تقول هذا فى خدرها انشرد به الإمام أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لمية حدثني يحيى بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاساً وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعبنا قول : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء وإله كل شيء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وللملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إثمًا أو أجرحه إلى مسلم . قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يلعبه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يقول ذلك حين يريد أن ينام ، فخره به أحمد أيضاً .

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي راشد الجبراني قال : آتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ فنظرت فيها فإذا فيها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أنسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوءاً أو أجرحه إلى مسلم » ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به وقال حسن

غريب من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل : اللهم فاطر السموات والأرض الخ . وقوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا) وهم المشركون (مافي الأرض ومثله معه) أي ولو أن جميع مافي الأرض وضعفه معه (لا فتدوا به من سوء العذاب) أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهباً كما قال في الآية الأخرى (وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم (وبدلهم سيئات ما كسبوا) أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الإنسان أنه في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه وإذا خوله نعمة منه بنى وطنى وقال (إنما أوتيته على علم) أي لما يعلم الله تعالى من استحقاق له ولولا أنى عند الله خسيس لما خولى هذا قال قتادة على علم عندى على خبر عندى قال الله عز وجل (بل هي فتنة) أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيها أنعمنا عليه أي طبع أم يعصى مع علمنا بالتقدم بذلك فهي فتنة أي اختبار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) فلماذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون (قد قالها الذين من قبلهم) أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير من السلف من الأمم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فما صح قولهم ولا فعمهم جمعهم وما كانوا يكسبون (فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء) أي من المخاطبين (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي كما أصاب أولئك (وما هم بمُعْجِزِينَ) كما قال تبارك وتعالى مخبراً عن قارون أنه قال له قومه (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وقال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمُعْذِينَ) وقوله تبارك وتعالى (أو لم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على قوم ويضيقه على آخرين (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي لعبدا وحججا

﴿ قُلْ يٰمُعَاذِی الَّذِیْنَ اُسْرِفُوْا عَلٰی اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الَّذِیْنَ نُوْبَ جَمِیْعًا اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِیْمُ ﴾ * وَانۢیۡبُوا۟ اِلَی رَبِّکُمْ وَاَسۡئَلُوْا۟ لَهٗ مِنْ قَبْلِ اَنْ یَّآتِیَکُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُوْنَ * وَاتَّبِعُوا۟ اَحْسَنَ مَاۤ اُنۡزِلَ اِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ مِّنۢ قَبْلِ اَنْ یَّآتِیَکُمُ الْعَذَابُ بَفۡتَةٍ وَّاَنْتُمْ لَا تَشعُرُوْنَ * اَنْ تَقُوْلَ نَفۡسٌ یَّحۡسُرُنِیْ عَلٰی مَا فَرۡطْتُ فِی جَنۡبِ اللّٰهِ وَاِنْ کُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِیۡنَ * اَوْ تَقُوْلَ لَوْ اَنَّ اللّٰهَ هَدٰنِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِیۡنَ * اَوْ تَقُوْلَ

حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَأَنْ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والالابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . قال البخارى حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبیر أخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لا عملنا كفارة فنزل (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) ونزل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم الكنى عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضى عنهما به . والمراد من الآية الأولى قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لميعة ثنا أبو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن الزنى يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) » إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك ؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال « ألا ومن أشرك » ثلاث مرات تفرد به الإمام أحمد . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني عن مكحول عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصاه له فقال : يا رسول الله إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى ؟ فقال ﷺ « ألسنت تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال بلى وأشهد أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « قد غفر لك غدراتك وفجراتك » تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (إنه عمل غير صالح) وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى إنه الغفور الرحيم) ورواه أبو داود والترمذى من حديث ثابت به . فهذه الأحاديث كلها دالة على أن للراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) وقال عز وجل (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا) وقال جل وعلا فى حق المنافقين (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا) وقال جل جلاله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم قال جل جلالته (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تبارك وتعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) قال الحسن البصرى رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والغفرة والآيات فى هذا كثيرة جدا . وفى الصحيحين عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذى قتل تسعا وتسعين نفسا ثم ندّم وسأل عابدا من عباد بنى إسرائيل هل له من توبة ، فقال لا قتلته وأكل به مائة ثم سأل طالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدتها فأتاه الموت فى أثناء الطريق فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن

يقبضوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشر قبضته ملائكة الرحمة ، وذكر أنه نأى بصدرة عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الحيرة أن تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد ، هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) إلى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ومن زعم أن عزير ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغسولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء ، من قال أنا ربكم الأعلى وقال (ما علمت لكم من إله غيري) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيذ ابن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول إن أعظم آية في كتاب الله (لا إله إلا هو الحي القيوم) وإن أجمع آية في القرآن بخير بشر (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكثر آية في القرآن فرحا في سورة الفرق (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقال له مسروق صدقت . وقال الأعمش عن أبي سعيد عن أبي الكنود قال مر عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) رواه ابن أبي حاتم رحمه الله

﴿ ذكر أحاديث فيها نفى القنوط ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا شرح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأوا خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفسي محمد صلى الله عليه وسلم - بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل يقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم » تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبدالعزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كنتمت منكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « لو لا أنكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم » هكذا رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الأنصاري صحابي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنهما به . وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « كفارة الذنب الندامة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم » تفرد به أحمد . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثني عبد الأعلى بن حماد القرشي ثنا داود ابن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة بن عبد الله الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يحب العبد اللين التواب » ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحديد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن إبليس لعنه الله تعالى قال يا رب إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسلطانك قال فأنت مسلط ، قال يا رب زدني ، قال لا يولد له ولد إلا ولدك مثله ، قال يا رب زدني قال أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال أجلب عليهم بخیلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدمهم وما يعدم الشيطان

إلا غرورا ، فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته على وإنى لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء ، قال يارب زدنى ، قال الحسنه عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أعوها قال يارب زدنى قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يارب زدنى قال (يا عبادى الدين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وقال محمد بن إسحاق قال نافع عن عبد الله ابن عمر عن عمر رضى الله عنهما فى حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل من افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم (يا عبادى الدين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيسوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتىكم العذاب ثم لا مرون *) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتىكم العذاب بغتة وأتم لا تشعرون) قال عمر رضى الله عنه فكنتها يدي فى صحيفة وبعث بها إلى هشام بن العاص رضى الله عنه قال : فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بدي طوى أسعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بغيرى ، فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ثم استحثت تبارك وتعالى عباده إلى السارعة إلى التوبة فقال (وأنيسوا إلى ربكم وأسلموا له) الخ : أى ارجعوا إلى الله واستسلموا له (من قبل أن يأتىكم العذاب ثم لا مرون) أى بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النعمة (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) وهو القرآن العظيم (من قبل أن يأتىكم العذاب بغتة وأتم لا تشعرون) أى من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) أى يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط فى التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين الخالصين للطيعين لله عز وجل ، وقوله تبارك وتعالى (وإن كنت لمن الساخرين) أى إنما كان عملى فى الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موثق مصدق (أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كره فأكون من المحسنين) أى تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل . قال طي بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه . وقال تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كره فأكون من المحسنين) فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال (ولوردوا لمادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقد قال الإمام أحمد حدثنا أسود ثنا أبو بكر عن الأعشى عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هدانى فتكون عليه حسرة ، قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هدانى قال فيكون له الشكر » ورواه النسائي من حديث أبى بكر بن عياش به ، ولما تمى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتى فى الدار الدنيا وقامت حججى عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَازِيهِمْ لَا يَسْأَلُهُمُ الشُّوْءَ وَلَا هُمْ يَمْرُؤُونَ ﴾

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه ويبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرق والاختلاف ، وتبيض

وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا (ويوم ترى الدين كذبوا على الله) أى فى دعواهم له شريكا وولدا (وجوههم مسودة) أى بكذبهم واقتراهم وقوله تعالى (أليس فى جهنم مثوى للتكبرين ؟) أى أليست جهنم كافية لها سجنا وموتلا لهم فيها الحزى والهوان بسبب تكبرهم ونجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب ثنا عمى ثنا عيسى بن أبى عيسى الحياط عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن للتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه النار فى صور الناس يعلوهم كل شيء من الصفار حتى يدخلوا سجنا من النار فى واد يقال له بولس من نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الجبال » ، وقوله تبارك وتعالى (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) أى بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله (لا يمسهم السوء) أى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أى ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فرع مزحزون عن كل شر نائلون كل خير

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تديره وقهره وكلايته وقوله عز وجل (له مقاليد السموات والأرض) قال مجاهد : المقاليد هى المفاتيح بالفارسية ، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة ، وقال السدى (له مقاليد السموات والأرض) أى خزائن السموات والأرض ، والمعنى على كلا القولين أن أزمة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا (والذين كفروا بآيات الله) أى حججه وبراهينه (أولئك هم الخاسرون) وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جداً وفى صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فإنه قال حدثنا يزيد بن سنان البصرى بمصر ثنا يحيى بن حماد ثنا الأعلى بن تميم عن عجلد ابن هذيل العبدى عن عبد الرحمن اللدى عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) فقال « ما سألتى عنها أحد قبلك يا عثمان » قال صلى الله عليه وسلم « تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله ، الأول والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير . من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرار أعطى خصالا ستا : أما أولاهن فيحرس من إبليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قطارا من الأجر ، وأما الثالثة فترفع له درجة فى الجنة ، وأما الرابعة فيتزوج من الحور العين ، وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكا ، وأما السادسة فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وله مع هذا يا عثمان من الأجر ، كمن حج وقبلى حجته واعتمر فقبلت عمرته فإن مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء » ورواه أبو يعلى اللوصلى من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟) ذكروا فى سبب نزولها ما رواه ابن أبى حاتم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم وبعبدوا معه إله فنزلت (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟ *) ولقد أوحى إليك وإلى الدين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه كقوله تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) . وقوله عز وجل (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قدره وقدرته ، قال مجاهد نزلت في قريش ، وقال السدى ما عظموه حق تعظيمه ، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوا . وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم . فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف . قال البخارى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية ورواه البخارى أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما كلهم من حديث سلمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلاق على اصبع والسموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع ، قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر الآية ، وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه - كل ذلك يشير بأصابعه - قال فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) الآية وكذا رواه الترمذى فى التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به وقال الحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ثم قال البخارى حدثنا سعيد بن عفيرة ثنا الليث ثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عاصم القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على اصبع وتكون السموات يمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر ، وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا إسحق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

يحييه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر « يعبد الرب نفسه أنا الجبار أنا التكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم » فرجف برسول صلى الله عليه وسلم التبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما به نحوه ، ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيف يحكى النبي ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى ممواته وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى النبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إنى لأقول أساقطه برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو حلى الحنفى ثنا عباد المنقرى حدثني محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية طى النبر (وما قدروا الله حتى قدره - حتى بلغ - سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال النبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ، ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وقال صحيح . وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتيبي ثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضى الله عنهم « إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة » فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند (وما قدروا الله حتى قدره) إلى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يك فقال الدين لم يكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكى فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم « إني سأقرأها عليكم فممن لم يك فليتباك » هذا حديث غريب جداً وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضا حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتن عن عبادى لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا : لو كشفت غطاءى فرأى حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقى إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذى له الملك دونى فأرهبهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأرهبهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شئ فيستيقنوها ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم » وهذا إسناد متقارب وهى نسخة تروى بها أحاديث جمعة والله أعلم ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَمِنَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى خبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقلوه تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) هذه النفخة هى الثانية وهى نفخة الصعق وهى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحا به مفسرا فى حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحى القيوم الذى كان أولا وهو الباقي آخر بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) أنا الذى كنت وحدى وقد قهرت كل شئ وحكمت بالفناء طى كل شئ ، ثم يجي أول من يجي إسرئيل ويأمره أن ينفخ فى الصور أخرى وهى النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) أى أحياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى (فاعاهاى زجرة واحدة

فإذا هم بالساهرة . وقال عز وجل (يوم يدعوك فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال جل وعلا (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إنك تقول الساعة تقوم إلى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا إنما قلت سترون بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال في أمي فيمكث فيهم أربعين لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان في كبد جبل لمخلت عليه » قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى لينا ورفع لينا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلوا إلى ربكم (وقومهم إثمهم مسؤولون) - قال - ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيئا ويومئذ يكشف عن ساق » انفراد بإخراجه مسلم في صحيحه

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه) وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين النفختين أربعون » قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال رضي الله تعالى عنه أيبت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال أيبت ، قالوا أربعون شهرا ؟ قال أيبت ويلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق

وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو الهيثم حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسياهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من يا قوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه يضحك إليهم وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلاحساب عليه رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش فإنه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وأشرق الأرض بنور ربها) أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء (ووضع الكتاب) قال قتادة كتاب الأعمال (وجيء بالنبيين) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشهدون على الأمم بأنهم بلغوا رسالات الله إليهم (والشهداء) أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر (وقضى بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) قال الله تعالى (ونضع للوازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال جل وعلا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها ويؤت من لده أنه أجرا عظيما) ولهذا قال عز وجل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي من خير أو شر (وهو أعلم بما يفعلون)

(وسيناق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يقولون عليهم آيت ربكم وينذروكم) لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب

﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقا عنيفا بزر و تهديد ووعيد كما قال عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أى يدفعون إليها دفعا ، وهذا وهم عطاش ظمأ كما قال جل وعلا في الآية الآخر (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وهم في تلك الحال صم وبكم وعمى منهم من يمشى على وجهه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما مأواهم جهنم كلما خبت زادهم سعيرا) وقوله تبارك وتعالى (حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها) أى بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنها من الزبانية الدين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التفرغ والتوبيخ والتنكيل (ألم يأتكم رسل منكم ؟) أى من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم (يتلون عليكم آيات ربكم) أى يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعواكم إليه (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى ويحذرونكم من شر هذا اليوم ، فيقول الكفار لهم (بلى) أى قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين (ولكن حقَّتْ كلمات العذاب على الكافرين) أى ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التى كننا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل عجزا عنهم في الآية الأخرى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أى رجعوا على أنفسهم باللاملة والندامة (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) أى بعدا لهم وخسارا

وقوله تبارك وتعالى ههنا (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أى كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الحبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أى ما كثرت فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها (فبئس مثوى المتكبرين) أى فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإياكم عن اتباع الحق فهو الذى صيركم إلى ما أنتم فيه فبئس الحال وبئس المال

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْزَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة زمرا أى جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصدّيقون مع أشكائهم ، والشهداء مع أضربهم ، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا (حتى إذا جاءوها) أى وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وتقوا أذن لهم فى دخول الجنة وقد ورد فى حديث الصور أن المؤمنين إذا اتبوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم فى الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين كما فعلوا فى العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتى لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر فى المواطن كلها وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول شفيع فى الجنة » وفى لفظ لمسلم « وأنا أول من يقرع باب الجنة » وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

عليه وسلم « أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهوابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن مام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا ييصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها ، آتيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا » ورواه البخارى عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درى في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وأخرجاه أيضا من حديث جرير وقال الزهرى عن سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « اللهم أجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ « سبقك بها عكاشة » أخرجاه وقد روى هذا الحديث - في السبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب - البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهنى وأم قيس بنت محصن رضى الله عنهم ولهما عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمئة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلى رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدنى ربى عز وجل أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى عز وجل » وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبرانى عن عيينة^(١) بن عبد السلى « ثم مع كل ألف سبعين ألفا » ويروى مثله عن ثوبان وأبى سعيد الأنصارى وله شواهد من وجوه كثيرة وقوله تعالى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب ههنا ، وتقديره حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراما وتعظيما وتلقاهم الملائكة الحزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالثريب والتأنيب فتقديره إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم ، وإذا حذف الجواب ههنا ذهب الدهن كل مذهب في الرجاء والأمل ، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى (وفتحت أبوابها) واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع ، وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعى من أبواب الجنة وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله

(١) في نسخة عن عتبة . وقوله ثم مع كل ألف الخ . في نسخة ثم ينفق كل ألف في سبعين ألفا .

ماطى أحد من ضرورة دعى من أيها دعى فهل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال ﷺ « نعم وأرجو أن تكون منهم » رواه البخارى ومسلم من حديث الزهرى بنحوه وفيهما من حديث أبى حازم سلة بن دينار عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن فى الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » . وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وقال الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفتاح الجنة لا إله إلا الله »

﴿ ذكر سعة أبواب الجنة - نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها ﴾

فى الصحيحين من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث الشفاعة الطويل « فىقول الله تعالى يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فى الأبواب الأخر والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة ما بين عضداتى الباب لكما بين مكة أو هجر - وهجر ومكة - وفى رواية - مكة وبصرى » . وفى صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفى السند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، وقال عبد بن حميد ثنا الحسن بن موسى ثنا بن لهيعة ثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن ما بين مصرعين فى الجنة مسيرة أربعين سنة » . وقوله تبارك وتعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم) أى طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين فى بعض الغزوات « إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - وفى رواية - مؤمنة » وقوله (فادخلوها خالدين) أى ما كثر فيها أبدا لا يغنون عنها حولا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى يقول المؤمنون إذا عاينوا فى الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والمملك الكبير يقولون عند ذلك (الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى الذى كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كادعوا فى الدنيا (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ما كنا لنتهدى لولا أن الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار للمقامة من فضله لا يمسن فيها نصيب ولا يمسن فيها لغوب) وقولهم (وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) . قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدى وابن زيد أى أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) ولهذا قالوا (نتبوا من الجنة حيث نشاء) أى أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس رضى الله عنه فى قصة المعراج قال النبى صلى الله عليه وسلم « أدخلت الجنة فإذا جناذ للؤلؤ وإذا ترابها السك » . وقال عبد بن حميد حدثنا روح بن عباد ثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال درمكة بضاء مسك خالص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق » وكذا رواه مسلم من حديث أبى سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه به ورواه مسلم أيضا عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال « درمكة بضاء مسك خالص » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن طى بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) قال سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا

إلى إحداها فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم بعدها أبدا ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا إلى الأخرى كأنما أمروا بها فشربوها منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة (سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين) وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قال وينطلق غلام من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفن الفرج حتى تخرج إلى أسكفة الباب قال فيجىء فإذا هو بنارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابى ماثونة قال ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه إلى سقفه فلو أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب بصره إنه لمثل البرق ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين ثم يتكى على أريكته من أرائكه ثم يقول (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

ثم قال حدثنا أبى ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصرى يقول إن عليا رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «والذى نفس بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتغسل مافي بطونهم من دنس ويفتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين ياعلى فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجداً - فيقول ارفع رأسك فأنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفوا أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حي وأنا حاك وأنا الخالدة التى لا أموت وأنا الناعمة التى لا أبأس وأنا الراضية التى لا أسخط ، وأنا المقيمة التى لا أظعن فيدخل بيتاً من أسه إلى أسقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبها في البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضى جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تترد أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال لم يخرج من ضروع الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستجنى الثمار فإن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء متكئا - ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً) - فيشهى الطعام فيأتيه طير أبيض - قال وربما قال أخضر قال - فترفع أجنحتها فياً كل من جنوبها أى الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم تلسم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون . ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت فى الأرض لأضاءت الشمس معها سوادا فى نور » هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حكمه فى أهل الجنة والنار وأنه نزل كلا فى المحل الذى يليق به ويصلح له وهو العادل فى ذلك الذى لا يبور ، أخبر عن ملائكته أنهم محددون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدمونه وينزهونه عن النقائص والجزور وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل (وقضى

بينهم) أى بين الخلائق (بالحق) . ثم قال (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى نطق الكون أجمع نطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد فى حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتاده افتتح الخلق بالحمد فى قوله (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض) واختتم بالحمد فى قوله تبارك وتعالى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) .

(تفسير سورة المؤمن وهى مكية)

قد كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وإنما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضى الله عنهما إن لكل شىء لباباً وللباب القرآن آل حم أو قال الحواميم وقال مسعر بن كدام كان يقال لمن العرائس روى ذلك كله الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى فى كتاب فضائل القرآن . وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب قليل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن أورده البغوى . وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لكل شىء لباب وللباب القرآن الحواميم ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه إذا وقعت فى آل حم فقد وقعت فى روضات أمانق فيهن . وقال أبو عبيد ثنا الأشجعى حدثنا مسعر هو ابن كدام عن حدثنا أن رجلاً رأى أبا الدرداء رضى الله عنه يبنى مسجداً فقال له ما هذا ؟ فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذى بناه أبو الدرداء رضى الله عنه هو المسجد المنسوب إليه داخل قلعة دمشق ، وقد يكون صياتها وحفظها يركته وبركة ما وضع له فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى بعض الغزوات « إن يتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون - وفى رواية - لا تنصرون » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازنى ومحمد بن الليث الهمدانى قالوا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر الليكى عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء » ثم قال لانهلم يروى إلا بهذا الاسناد ورواه الترمذى من حديث الليكى وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُوفِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا وقد قيل إن (حم) اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا فى ذلك بيتاً

يذكرنى حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدّم

وقد ورد فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى من حديث الثورى عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال : حدثنى من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن يتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون » وهذا إسناد صحيح ، واختار أبو عبيد أن يروى فقولوا حم لا ينصروا أى إن قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا وقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذى العزة والعلم فلا يرام جنبه ولا يخفى عليه الدر وإن تكاثف حجاباه . وقوله عز وجل (غافر الذنب وقابل التوب) أى يغفر ما سلف

من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله جل وعلا (شديد العقاب) أى لمن تمرد وطنى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى وهذه كقوله (نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليقى العبد بين الرجاء والخوف ، وقوله تعالى (ذى الطول) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى السعة والغنى ، وهكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال يزيد بن الأصم ذى الطول يعنى الخير الكثير . وقال عكرمة (ذى الطول) ذى اللين ، وقال قتادة ذى النعم والفواصل ، والمعنى أنه المتفضل على عباده للتطول عليهم بما هم فيه من اللين والانعام التى لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الآية . وقوله جلست عظمتة (لا إله إلا هو) أى لا نظير له فى جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه (إليه المصير) أى المرجع والمآب فيجازى كل عامل بعمله (وهو سريع الحساب) وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لى من توبة فقرأ عمر رضى الله عنه (حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال اعمل ولا تيأس . روى ابن أبي حاتم واللفظه وابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى ابن مروان الرقي ثنا عمر يعنى ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذوبأس وكان يفتد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ففقد عمر فقال ما فعل فلان بن فلان ، فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع فى هذا الشراب . قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك فأتى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيك أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه ، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضى الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، قد حذرتى عقوبته ووعدتى أن يغفر لى . ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددتها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع ، فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو عمر الصمار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضى الله عنه فى سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلى ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله إلا هو إليه المصير فإذا رجل خلنى على بخله شهباء عليه مقطعات يمينية فقال إذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لى ذنبى ، وإذا قلت وقابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبى ، وإذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبنى ، قال فالتفت فلم أر أحدا فخرجت إلى الباب فقلت مريم رجل عليه مقطعات يمينية ، قالوا ما رأينا أحدا فكانوا يرون أنه إلياس ، ثم روى من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر إلياس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَةِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾

يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إلا الذين كفروا) أى الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) أى فى أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل وعلا (لا يغرك تقلب الذين كفروا فى البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال عز وجل (نمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ثم قال تعالى مسلأ لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم فى تكذيب من كذبه من قومه بأن له أسوة من سلف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانه قد كذبهم أمهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم إلا قليل فقال (كذبت

قبلهم قوم نوح) وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الأوثان (والأحزاب من بعدهم) أى من كل أمة (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) أى ما حاولوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلى

وقد قال أبو القاسم الطبراني ثنا طى بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن حنشى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم » وقوله جلّت عظمتة (فأخذتهم) أى أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام (فكيف كان عقاب) أى فكيف بلغك عذابى لهم ونكالى بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما . قال قتادة كان شديدا والله . وقوله جلّ جلاله (وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى كما حقّت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة كذلك حقّت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأخرى لأن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقرّبين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكرويين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أى يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضى لإثبات صفات المدح (ويؤمنون به) أى خاشعون له أدلاء بين يديه وأنهم (يستغفرون للذين آمنوا) أى من أهل الارض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقرّبين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت فى صحيح مسلم « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبي شيبة ثنا عبيدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ « صدق أمية بن أبي الصلت فى شيء من شعره » فقال

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله ﷺ « صدق » فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

تأبى فما تطلع لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق » وهذا إسناد جيد وهو يقتضى أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهنا سؤال وهو أن يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذى رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد ابن أبي ثور عن سالك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : كنت بالبطحاء فى عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال « ما تسمون هذه ؟ » قالوا

السحاب ، قال « والزن » قالوا والزن قال « والعنان » قالوا والعنان ، قال أبو داود ولم ألقن العنان جيداً ، قال « هل تدرون بعدما بين السماء والأرض ؟ » قالوا لا ندري ، قال « بعدما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعله مثل بين السماء إلى السماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عااا بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين السماء إلى السماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين السماء إلى السماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » . ثم رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ممالك ابن حرب به وقال الترمذى حسن غريب وهذا يقتضى أن حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوش رضى الله عنه : حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أى رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى فاصفح عن السيئين إذا تابوا وأنبأوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات (وقهم عذاب الجحيم) أى وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب اللووج الأليم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع فى منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى (والذين آمنوا واتبعهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) أى ساوينا بين الكل فى النزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالى حتى يساوى الدانى بل رفعنا ناقص العمل فساوينا به كثير العمل تفضلا منا ومنة . وقال سعيد بن جبیر إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم ؟ فيقال لهم لم يبلغوا طبقتك فى العمل فيقول إني إنما عملت لى ولهم فيلحقون به فى الدرجة ثم تلا سعيد ابن جبیر هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : ألتصع عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين . وقوله تبارك وتعالى (إنك أنت العزيز الحكيم) أى الذى لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرتك (وقهم السيئات) أى فعلها أو وبالها ممن وقعت منه (ومن تق السيئات يومئذ) أى يوم القيامة (فقد رحمتهم) أى لطفت به ونجيتهم من العقوبة (وذلك هو الفوز العظيم)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا أُنْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أُنْتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُذَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُم ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ * فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

يقول تعالى محضاً عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم فى غمرات النيران يتلظون وذلك عندما باشرناهم عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التى كانت سبب دخولهم إلى النار فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عاليا نادواهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم فى الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم فى هذه الحالة . قال قتادة فى قوله تعالى (لمت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) يقول لمت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عابوا عذاب الله يوم

القيامة ، وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذرين عبيد الله الحمداني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمته الله عليهم أجمعين . وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية . وقال السدي أمتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ، ثم أمتوا ثم أحيوا يوم القيامة ، وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحيام يوم القيامة ، وهذا القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قالنا ثلاث إحياءات وإماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما ، والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فلا يجابون ثم إذا رأوا النار وعانوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامها وأغلغلتها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم (وهم يسطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟ فذوقوا فما للظالمين من نصير) (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسأوا فيها ولا تكلمون) وفي هذه الآية الكريمة تطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أي قدرتكم عظيمة فأنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما تشاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا (فهل إلى خروج من سبيل) أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فأنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون ، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا ، ثم علل النع من ذلك بأن سجياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ، ولهذا قال تعالى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا) أي أتم هكذا تكونون وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله جل وعلا (فالحكم لله العلي الكبير) أي هو الحاكم في خلقه العادل الذي لا يجور فيهدى من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا إله إلا هو ، وقوله جل جلاله (هو الذي يريك آياته) أي يظهر قدرته لحلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها (وينزل لكم من السماء رزقا) وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائح وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء (وما يتذكر) أي يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إلا من ينيب) أي من هو بصير منيب إلى الله تبارك وتعالى وقوله عز وجل (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) أي فأخلصوا الله وحده العبادة والطاعة وخالفوا الشركين في مسلكهم ومنههم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام يعني بن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن مدرس المكي قال : كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة . ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له »

وذكر تمامه . وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب الصلوات المكتوبات « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الحبيب بن ناصح حدثنا صالح يعني الرى عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « ادعوا الله تبارك وتعالى وأتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالى على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى (من الله ذى العارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح إن شاء الله وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الأوعال ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم . وقوله تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) كقوله جلّت عظمته (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وكقوله تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) ولهذا قال عز وجل (لينذر يوم التلاق) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده ، وقال ابن جريج قال ابن عباس رضى الله عنهما يلتقى فيه آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقى فيه العباد . وقال قتادة والسدى وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق ، وقال ميمون بن مهران يلتقى الظالم والمظلوم ، وقديقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ماعمله من خير وشر كما قاله آخرون

وقوله جل جلاله (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أى ظاهرون بادون كلهم لاشيء يكنهم ولا يظلمهم ولا يسترهم ولهذا قال (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أى الجميع في علمه على السواء . وقوله تبارك وتعالى (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) قد تقدم في حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه تعالى يطوى السموات والأرض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وفى حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا (لله الواحد القهار) أى الذى هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ينادى مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أستم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات قال وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول (لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار) . وقوله جلّت عظمته (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزى بالحسنة عشر أمثالها وبالسيفة واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى (لا ظلم اليوم) كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل أنه قال « يا عبادى إني حرمت الظلم

على نفسه وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا — إلى أن قال — يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » وقوله عز وجل (إن الله سريع الحساب) أى يحاسب الخلاق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة كما قال جل وعلا (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) وقال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة فكلح بالبصر)

﴿وَأَنذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ أَتَى الْقُلُوبَ لَدَى الْخُنُجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

يوم الأرزاق اسم من أسماء يوم القيامة وميقت بذلك لاقتها كما قال تعالى (أُرْفِتِ الْأَرْزَاقِ * ليس لها من دون الله كاشفة) وقال عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقال جل وعلا (اقرب للناس حسابهم) وقال (أتى أمر الله فلا تستبجلوه) وقال جل جلاله (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) الآية . وقوله تبارك وتعالى (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) قال قتادة وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ، وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد ، ومعنى كاظمين أى ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن جريج (كاظمين) أى باكين . وقوله سبحانه وتعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير . وقوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيقها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) هو الرجل يدخل على أهل البيت يبتهم وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به وبهم المرأة الحسناء فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غض ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبى حاتم ، وقال الضحاك (خائنة الأعين) هو الغمز وقول الرجل رأيت ولم ير . أو لم أر وقد رأى . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعلم الله تعالى من العين فى نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وما تخفى الصدور) يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزنى بها أم لا ؟ وقال السدى (وما تخفى الصدور) أى من الوسوسة

وقوله عز وجل (والله يقضى بالحق) أن يحكم بالعدل ، قال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (والله يقضى بالحق) قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنة وبالسيرة السيئة (إن الله هو السميع البصير) وهذا الذى فسر به ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى (ليجزى الدين أساءوا بما عملوا ويجزى الدين أحسنوا بالحسنى) وقوله جل وعلا (والذين يدعون من دونه) أى من الأصنام والأوثان والأنداد (لا يقضون بشيء) أى لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء (إن الله هو السميع البصير) أى مسمع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل فى جميع ذلك

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا

فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى (أو لم يسيروا) هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد (في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي من الأمم الكاذبة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وأناروا في الأرض) أي أثروا في الأرض من البنائات والعالم والديارات مالا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) وقال تعالى (وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها) أي مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلمهم (وما كان لهم من الله من واق) أي ومادفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق ، ثم ذكر علة أخذهم إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجتمروها فقال تعالى (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات (فكفروا) أي مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) تعالى أي أهلكهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها (إنه قوي شديد العقاب) أي ذو قوة عظيمة وبطش شديد (وهو شديد العقاب) أي عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَحِيرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فإن الله تعالى أرسله بالآيات والبيانات والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى (بآياتنا وسلطان مبين) والسلطان هو الحجة والبرهان (إلى فرعون) وهو ملك القبط بالديار المصرية (وهامان) وهو وزيره في مملكته (وقارون) وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة (فقالوا ساحر كذاب) أي كذبوه وجعلوه ساحراً مجنوناً بموها كذاباً في أن الله أرسله وهذه كقولته تعالى (كذلك ما أتى الدين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون) (فلما جاءهم بالحق من عندنا) أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله عز وجل أرسله إليهم (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل . أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر الثاني فللعلة الثانية ولاهاته هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) قال قتادة هذا أمر بعد أمر ، قال الله عز وجل (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) أي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه) وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة والسلام أي قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا (وليدع ربه) أي لا أبالي منه ، وهذا في غاية الجحد والتجهر والعناد ، وقوله سبحانه (إنني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) يعني موسى ، يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم

وعاداتهم ، وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً ، يعنى واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام . وقرأ الآكثرون (أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد) وقرأ الآخرون (أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) وقرأ بعضهم (يظهر في الأرض الفساد) بالضم (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أى لما بلعه قول فرعون (ذروني أقتل موسى) قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال (إني عذت بربي وربكم) أيها المخاطبون (من كل متكبر) أى عن الحق مجرم لا يؤمن بيوم الحساب) ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال « اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندراً بك في نحورهم »

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَقُومَ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَهْرِيْنٌ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون ، قال السدى : كان ابن عم فرعون ويقال إنه الذي نجى مع موسى عليه الصلاة والسلام ، واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً لأن فرعون اتفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ، ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل بالقوبة لأنه منهم وقال ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال (يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتُمُ إيمانه عن قومه القبط فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون (ذروني أقتل موسى) فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل . وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائركما ثبت بذلك الحديث ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهى قوله (أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) اللهم إلا ما رواه البخارى في صحيحه حيث قال حدثنا طى بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رضى الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال (أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟) انفرد به البخارى من حديث الأوزاعى قال وتابعه محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن عروة عن أبيه به : وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الحمداى حدثنا عبدة عن هشام يعنى ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سئل ما أشد ما رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ قال مر ﷺ بهم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال « أنا ذاك » فقاموا إليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضى الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وإن عينيه ليسيلان وهو يقول يا قوم (أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائى من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وقوله تعالى (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أى كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم نزل معهم في المخاطبة فقال (وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم) يعنى إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل

والرأى التام والحزم أن تركوه ونفسه فلا تؤذوه فان يك كاذبا فان الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالمعقوبة في الدنيا والآخرة وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندهم أن يكون صادقا فينبغي على هذا أن لا تترضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه . وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام أنه طلب من فرعون وقومه المواعدة في قوله (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعالوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عندي بري وربي أن ترجحون * وإن لم تؤمنوا إلى قاعنزلون) وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه بسوء ويصالوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته قال الله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أى أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس ، وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحاً مبيناً ، وقوله جل وعلا (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أى لو كان هذا الذي يزعم أن الله تعالى أرسله إليكم كاذباً كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله فكانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديداً ومنهجه مستقيماً ، ولو كان من السرفين الكذابين لما هداه الله وأرشداه إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله ، ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) أى قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله ﷺ واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) أى لا تنفى عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بسوء (قال فرعون) لقومه راداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون (ما أرى لكم إلا ما أرى) أى ما أقوال لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسى وقد كذب فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) وقال الله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) فقلوه (ما أرى لكم إلا ما أرى) كذب فيه واقتري وخان الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورعيته فغشهم وما نصحهم وكذا قوله (وما أهديك إلا سبيل الرشاد) أى وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضاً في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال الله تبارك وتعالى (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) وقال جللت عظمتة (وأضل فرعون قومه وما هدى) وفي الحديث « ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يحرق رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » والله سبحانه وتعالى للوفق للصواب .

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ * وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا

والآخرة فقال (يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) أى الذين كذبوا رسل الله فى قديم الدهر كقوم نوح وعاد وهود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله ومارده عنهم راد ولا صده عنهم صاد (وما الله يريد ظلما للعباد) أى إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره فأفقد فيهم قدره ثم قال (يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك قال بعضهم لما جاء فى حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هارين ينادى بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك إذا جرى بجهنم ذهب الناس هرابا منهم فتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر وهو قوله تعالى (والملك على أرجائهم) وقوله (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه والحسن والضحاك أنهم قرأوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير إذا تردى وذهب وقيل لأن الميزان عنده ملك إذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف عمله نادى ألا قد شقى فلان بن فلان وقال قتادة ينادى كل قوم بأعمالهم ، ينادى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار ، وقيل مسمى بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم) ومناداة أهل النار أهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) ومناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور فى سورة الأعراف ، واختار البغوى وغيره أنه مسمى بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم . وقوله تعالى (يوم تولون مدبرين) أى ذاهبين هارين (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) ولهذا قال عز وجل (ما لكم من الله من عاصم) أى لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه (ومن يضل الله فما له من هاد) أى من أضله الله فلا هادى له غيره . وقوله تبارك وتعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) يعنى أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فأطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدينى ولهذا قال تعالى (فما زلت فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا) أى يئستم قتلتم طامعين (لن يبعث الله من بعده رسولا) وذلك لكفرهم وتكذيبهم (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى كحالكم هذا يكون حال من يضل الله لاسرافه فى أفعاله وارتباب قلبه ، ثم قال عز وجل (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) أى الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فإن الله عز وجل يعقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) أى والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر) أى على اتباع الحق (جبار) وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة وحكى عن الشعبي أنهما قال لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو هريرة الجوفى وقاتلة : آية الجبارة القتل بغير حق والله تعالى أعلم

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ بِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوهُ عَمَلِهِ وَصَدُّهُ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافتراءه فى تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبنى له صرحا وهو القصر العالى اللئيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين اللشوى كما قال تعالى (فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى . هـ ح) ولهذا قال إبراهيم النخعى كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يجعلوه فى

قبورهم رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات) الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات (فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله عز وجل أرسله إليه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى (وما كيد فرعون إلا في تباب) قال ابن عباس ومجاهد يعني إلا في خسار

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الجبار الأعلى فقال لهم (يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) لا كما كذب فرعون في قوله (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ثم زهدم في الدنيا التي قد آثروها على الأخرى وصدّتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أي قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل (وإن الآخرة هي دار القرار) أي الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل إما نعيم وإما جحيم ولهذا قال جلّت عظمتها (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) أي واحدة مثلها (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي لا يتقدر بجزاء بل يشبهه الله عز وجل نواباً كثيراً لا انقضاء له ولا نقاد والله تعالى الوفي للصواب

﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوْضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

يقول لهم المؤمن ما بالي أَدْعُوكُمْ إلى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه (وتدعونني إلى النار) تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم (أي على جهل بلا دليل) وأنا أَدْعُوكُمْ إلى العزيز الغفار (أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنوب من تاب إليه) لا جرم أنما تدعونني إليه (يقول حقاً؟ قال السدي وابن جرير معنى قوله (لا جرم) حقاً وقال الضحاك (لا جرم) لا كذب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لا جرم) يقول بلى إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) قال مجاهد : الوثن ليس له شيء ، وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر ، وقال السدي : لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهذا كقوله تبارك وتعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟) وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو معموماً استجابوا لكم) وقوله (وأن مردنا إلى الله) أي في الدار الآخرة فيجازى كلا بعمله ولهذا قال (وأن السرفين هم أصحاب النار) أي

خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل (فستذكرون ما أقول لكم) أى سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتمكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم (وأفوض أمري إلى الله) أى وأتوكل على الله وأستعينه وأقطعكم وأبعدكم (إن الله بصير بالعباد) أى هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدى من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ . وقوله تبارك وتعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما فى الآخرة فبالجنة (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو الفرق فى اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم ، فان أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم فى النار ولهذا قال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى أشده ألما وأعظمه نكالا ، وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور وهى قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا)

ولكن هنا سؤال وهو أنه لاشك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر فى البرزخ وقد قال الإمام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر ثنا إسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ثنا سعيد بنى أباه عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلاتنع عائشة رضى الله عنها إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية وراك الله عذاب القبر قالت عائشة رضى الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قفلت يارسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا ، من زعم ذلك ؟ » قالت هذه اليهودية لا أصنع اليها شيئا من المعروف إلا قالت وراك الله عذاب القبر قال ﷺ « كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم القيامة » ثم مكث بعد ذلك ماشاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محرمة عيناه وهو ينادى بأعلى صوته « القبر كقطع الليل المظلم ، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكنتم كثيرا وضحكم قليلا ، أيها الناس استعينوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق » وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وراك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له فقال ﷺ « لا » قالت عائشة رضى الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك « وإنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم » وهذا أيضا على شرطهما . فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيا فى البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث الرضية الآتى ذكرها . وقد يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار فى البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن فى قبره بذنوب . ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهى تقول أشعرت أنكم تفتنون فى قبوركم ؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال « إنما يفتن يهود » قالت عائشة رضى الله عنها فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله ﷺ « ألا إنكم تفتنون فى القبور » وقالت عائشة رضى الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيز من عذاب القبر ، وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد وحرمة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الإيلي عن الزهرى به

وقد يقال إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح فى البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل فى الأجساد فى قبورها فلما أوحى إلى النبي ﷺ فى ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد روى البخارى من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نموذ بالله من عذاب القبر فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر

فقال صلى عليه وسلم « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضى الله عنها : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر . فهذا يدل على أنه بادر صلى الله عليه وسلم إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه ، وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلمها قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً وقال قتادة في قوله تعالى (غدوا وعشيا) صباحاً ومساءً ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم تؤيخا وثمة وصغاراً لهم ، وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا الحارثي ثنا ليث عن عبد الرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة في العرش ، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تندو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ، وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل ابن شرحبيل من كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي . وفي حديث الإسراء عن رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه « ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سبالة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وآل فرعون كالإبل المسومة يخطون الحجارة والشجر ولا يقولون » وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا زيد بن أكرم ثنا عامر بن مدرك الحارثي ثنا عتبة - يعني ابن يقظان - عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أتاه الله تعالى » قال قلنا يارسول الله ما إجابة الله للكافر؟ فقال « إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أتاه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك » قلنا فما إجابته في الآخرة؟ قال صلى الله عليه وسلم « عذاباً دون العذاب » وقرأ (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أكرم ثم قال : لا نعلم له إسناداً غير هذا . وقال ابن جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب أيضاً فوجاً لا يعلم عددها إلا الله عز وجل فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً قال وفطنتم إلى ذلك ؟ قال نعم ، قال إن ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سوداً فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تندو على النار غدواً وعشيا ثم ترجع إلى وكورها ، فذلك دأبهم في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال وكانوا يقولون إنهم ستمائة ألف مقاتل ، وقال الإمام أحمد ثنا إسحاق ثنا مالك عن عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالقدادة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا كُنْتُمْ تُغْنُونَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا نَتْلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

يخبر تعالى عن نجاح أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جلتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء (إنا كنا لكم تبعاً) أى أطعناكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) أى قسطاً تتحملونه عنا (قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أى لا تتحمل عنكم شيئاً كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال (إن الله قد حكم بين العباد) أى قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقال الذين في النار لحزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال (اخشوا فيها ولا تكلمون) سألوها الحزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب فقالت لهم الحزنة رادين عليهم (أولئك تأتيتكم رسلكم بالبينات ؟) أى أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل (قالوا بلى قالوا فادعوا) أى أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم نهيكم أن تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ * إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبِلَافِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

قد أورد أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) سؤالاً فقال قد علم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجراً كإبراهيم ، وإما إلى السماء كعيسى فأين النصرة في الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن يكون الخبر خرج عاماً والمراد به البعض قال وهذا سائق في اللغة (الثاني) أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم من آذاهم وسواء كان ذلك بحضورهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن الفروخ أخذ الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلّوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ففي صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالحرب » وفي الحديث الآخر « إني لأتأثر لأوليائى كما يتأثر الليث الحرب » ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباهم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق . وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحداً وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحداً ، قال السدى لم يبعث الله عز وجل رسولا قط إلى قوم فيقتلونه أو قوماً من المؤمنين يدعون

إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم بمن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها . وهكذا نصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ، وأمره بالمهجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلمهم وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ، ثم من عليهم بأخذ الفداء منهم ثم بعد مدة قريية فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام الشرف العظيم فأنتزعه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكاملها ودخل الناس في دين الله أفواجا . ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى إلى الله جل وعلا ، وفتحوا البلاد والرسايق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها . ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة ولهذا قال تعالى (إنا لننصر رسلاً والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي يوم القيامة تكون النصره أعظم وأكبر وأجل ، قال مجاهد : الشهداء الملائكة . وقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من قوله (ويوم يقوم الأشهاد) وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسر به (يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين) وهم الشركون (معذرتهم) أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية (ولهم اللعنة) أي الابعاد والطرده من الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي النار قاله السدي بشئ المنزل والمقليل ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ولهم سوء الدار) أي سوء العاقبة وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى) وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بمأصبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة (هدى وذكري لأولي الألباب) وهي العقول الصحيحة السليمة . وقوله عز وجل (فاصبر) أي يا محمد (إن وعد الله حق) أي وعدناك أنا سنعلى كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف اليعاد وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى (واستغفر لذنبك) هذا تهيج للامة على الاستغفار (وسبح بحمد ربك بالعمى) أي في أواخر النهار وأوائل الليل (والابكار) وهي أوائل النهار وأواخر الليل . وقوله تعالى (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) أي يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله (إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) أي مافي صدورهم إلا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس ما يرومونه من إخماد الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو الرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع (فاستعذ بالله) أي من حال مثل هؤلاء (إنه هو السميع البصير) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية في اليهود (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) قال أبو العالية وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم وأنهم يملكون به الأرض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمرا له أن يستعيز من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى منها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السموات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس بداية وإعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على مادونه بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعب خلقهن قادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير) وقال ههنا (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض ويشكرون المعاد استبعادا وكفرا وعنادا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتتدكرون) أى كما لا يستوى الأعمى الذى لا يبصر شيئا والبصير الذى يرى ما انتهى إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوى المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار (قليلا ماتتدكرون) أى ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى (إن الساعة آتية) أى لكائنة وواقعة (لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها . قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول يامن أحب عباده اليه من سأله فأكثر سؤاله ، ويامن أبغض عباده اليه من لم يسأله وليس أحد كذلك غيرك يارب . رواه ابن أبي حاتم وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وقال قتادة : قال كعب الأحبار أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعظم من أمة قبلها لا نبى : كان إذا أرسل الله نبيا قال له أنت شاهد على أمتك وجعلك شهادا على الناس ، وكان يقال له ليس عليك فى الدين من حرج وقال لهذه الأمة (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وكان يقال له ادعنى أستجب لك وقال لهذه الأمة (ادعوني أستجب لكم) رواه ابن أبي حاتم . وقال الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن حنبل فى بن المثنى الموصلى فى مسنده حدثنا أبو إبراهيم الترمذى حدثنا صالح اللدنى قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فىما يروى عن ربه عز وجل قال « أربع خصال واحدة منهن لى وواحدة لك وواحدة فى بينى وبينك ووحدة فى بينك وبين عبادى ، فأما التى لى فعبادتى لا تشرك بى شيئا وأما التى لك على فما عملت من خير جزيتك به وأما التى بينى وبينك فمك الدعاء على الإجابة وأما التى بينك وبين عبادى فأرض لهم ما ترضى لنفسك » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زر عن يسيع الكندى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن زر به وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن منصور عن ذر به ، ورواه ابن حبان والحاكم فى صحيحهما وقال الحاكم صحيح الإسناد وقال الأمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو صالح اللدنى شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع الله عز وجل غضب عليه » تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا مروان الفزارى حدثنا صبيح أبو المليلح سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يسأله يغضب عليه » قال ابن معين أبو المليلح هذا اسمه صحيح كذا قيده بالضم

عبد الغنى بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الحوزى سكن شعب الحوز ، قاله البزار فى مسنده ، وكذا وقع فى روايته أبو المليح الفارسى عن أبى صالح الحوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يسأل الله يغضب عليه » . وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمى حدثنا همام حدثنا إبراهيم ابن الحسن حدثنا نائل بن نجيح حدثنى عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد بن مسلمة الأنصارى وجدنا فى ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم معتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لربكم فى بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا ينحسر بعدها أبدا » وقوله عز وجل (إن الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن دعائى وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أى صاغرين حقيرين كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحشر التكبرون يوم القيامة أمثال الدر فى صور الناس يعلم كل شىء من الصغار حتى يدخلوا سجننا فى جهنم يقال له بولس تعلم نار الأنبار يستقون من طينة الحبال عصارة أهل النار » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا طلى بن الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت أبى يحدث عن وهيب بن الورد حدثنى رجل قال كنت أسير ذات يوم فى أرض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك يارب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك . قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك يرضى غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فناديته أجنى أنت أم إنسى ؟ قال بل إنسى اشغل نفسك بما يعينك عما لا يعينك

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلْيَلٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِثَابِتِ اللَّهِ يُجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى تمتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذى يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم فى المعاش بالنهار وجعل النهار مبصرا أى مضيئا ليتصرفوا فيه بالأسفار وقطع الأقطار والتمسكن من الصناعات (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل (ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو) أى الذى فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق الأشياء الذى لا إله غيره ولا رب سواه (فأنى تؤفكون) أى فكيف تعبدون غيره من الأصنام التى لا تخلق شيئا بل هى مخلوقة منحوتة

وقوله عز وجل (كذلك يؤفك الذين كانوا يأتون الله يحجدون) أى كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى . وجحدوا حجج الله وآياته ، وقوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) أى جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تمشون عليها وتنتصرون فيها وتمشون فى مناكبها وأرسلها بالجبال لثلا تميد بكم (والسما بناء) أى سقفا للعالم محفوظا (وصوركم فأحسن صوركم) أى فخلقكم فى أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور فى أحسن تقويم (ورزقكم من الطيبات) أى من الماء كل والشارب فى الدنيا فذكر أنه خلق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى فى سورة البقرة (يأيها الناس

اعبدوا ربكم الذى خلقكم والدين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) . وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الأشياء (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أى فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى (هو الحى لا إله إلا هو) أى هو الحى أزلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الأول والآخِر والظاهر والباطن (لا إله إلا هو) أى لا نظير له ولا عديل له (فادعوه مخلصين له الدين) أى موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو الحمد لله رب العالمين . قال ابن جرير : كان جماعة من أهل العلم يأمرّون من قال لا إله إلا الله أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية . ثم روى عن محمد بن على بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) . وقال أبو أسامة وغيره عن إسماعيل بن أبي خالصة عن سعيد بن جبير قال إذا قرأت (فادعوا الله مخلصين له الدين) فقل لا إله إلا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) . قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشيم يعنى ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن بدر المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يقول فى دبر كل صلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وذكر تمامه

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه فى قوله جلّت عظمتة (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) أى هو الذى يخلقكم فى هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له وعن أمره تديره وتقديره يكون ذلك كله (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم بل تسقطه أمه سقطا ومنهم من يتوفى صغيرا وشابا وكهلا قبل الشيخوخة كقوله تعالى (لنين لكم وتقرى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) وقال عز وجل ههنا (ولتبلغوا أجل مسمى ولعلكم تعقلون) قال ابن جرير تتذكرون البعث ثم قال تعالى (هو الذى يحيى ويميت) أى هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه (فإذا قضى أمرا فأنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ) أى لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْتِ يَصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحُطَيْمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ﴾

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) أي من الهدى والبيان (فسوف يعلمون) هذا تهديد شديد ، ووعد أكيد ، من الرب جل جلاله هؤلاء كما قال تعالى (ويل يومئذ للكافرين) وقوله عز وجل (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ولهذا قال تعالى (يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) كما قال تبارك وتعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) وقال عز وجل (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في موم وحميم وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم - إلى أن قال - ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم * فالثون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم. فشاربون شرب الحميم ، هذا نزولهم يوم الدين) وقال عز وجل (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ، خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، إن هذا ما كنتم به تمتمون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقرع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهمك والاستهزاء بهم قال ابن حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزاعي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينشئ الله عز وجل سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقول نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمراً يلهب النار عليهم » هذا حديث غريب وقوله تعالى (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله؟) أي قيل لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم (قالوا ضلوا عنا) أي ذهبوا فلم ينفعونا (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً) أي جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمتة (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) ولهذا قال عز وجل (كذلك يضل الله الكافرين) . وقوله (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أي تقول لهم اللائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أي فبئس المنزل والمقبل الذي فيه الموان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فإن الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولن اتبعك في الدنيا والآخرة (فإما نربيك بعض الذي نعدهم) أي في الدنيا وكذلك وقع فإن الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم أيعدوا في يوم بدر ثم فتح الله عليهم مكة وسائر

جزيرة العرب في حياته ﷺ وقوله عز وجل (أو توفينك فإلينا يرجعون) أى فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسليا له (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك كما قال جل وعلا في سورة النساء سواء أى منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسول العاقبة والنصرة) ومنهم من لم نقصص عليك) وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء والله الحمد والمنة . وقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أى ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله في ذلك فبدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به (فإذا جاء أمر الله) وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين (قضى بالحق) فينجى المؤمنين ، ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل (وخسر هنالك المبطلون)

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفُسَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَطَىٰ الْفُلْكَ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾

يقول تعالى ممثنا على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهى الابل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فالابل تركب وتؤكل وتحلب ويعمل عليها الأتقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة ، والبقر تؤكل وشرب لبنها وتحرب عليها الأرض ، والغنم تؤكل ويشرب لبنها والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فصل وبين في أماكن تقدم ذكرها في سورة الأنعام وسورة النحل وغير ذلك ولذا قال عز وجل ههنا (لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وطى الفلك تحملون) وقوله جل وعلا (ويرى آياته) أى حججه وبراهينه في الآفاق وفى أنفسكم (فأى آيات الله تنكرون) أى لا تقدرون على إنكار شئ من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا

﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال فما أغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم فذة من بأس الله وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات . والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نغذب وقال السدى فرحوا بما عندهم من العلم بجهااتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أى يكذبون ويستبعدون وقوعه (فلما رأوا بأسنا) أى عاينوا وقوع العذاب بهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفروا بما كنا به مشركين) أى وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع العذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الفرق (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله تبارك وتعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أى فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وهكذا قال تعالى ههنا (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت في عباده) أى هذا حكم الله في جميع من تاب عند معارضة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث

« إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرر » أى فإذا غرر وبلغت الروح الحجرة وعابن الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى (وخسر هنالك الكافرون)

(تفسير سورة فصلت وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كَتَبَ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ)

يقول تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) يعنى القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقوله تبارك وتعالى (كتاب فصلت آياته) أى بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآنا عربيا) أى فى حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أى هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أى إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون (بشيرا أو نذيرا) أى تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه (وقالوا قلوبنا فى أكِنَّةٍ) أى فى غلف مغطاة (مما تدعوننا إليه وفى آذاننا وقْر) أى صمم عما جئنا به (ومن بيننا وبينك حجاب) فلا يصل إلينا شيء مما تقول (فاعمل إننا عاملون) أى اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك ، قال الإمام العالم عبد بن حميد فى مسنده حدثني ابن أبي شيبة حدثنا طى بن مسهر عن الأجلح عن الزيال ابن حرملة الأسدى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا وشقت أمرنا وعاب ديننا فليسلكه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشقت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب ، حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا والله ما ننظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحداً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغت » قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم * تنزيل من الرحمن الرحيم — حتى بلغ — فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا ، فقال رسول الله ﷺ « لا » فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك ، قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كفته ، قالوا فهل أجابك ، قال نعم لا واللهى نسبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالمرية لا تدرى ما قال ، قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى اللوصلى فى مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء ، وقد ساقه البغوى فى تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى الكوفى وقد ضعف بعض

الشيء عن الزيال بن حرمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث إلى قوله (فإن أعرضوا قفل أندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل يامعشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبت إلى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيتك وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى (فإن أعرضوا قفل أندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسك بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخشيت أن ينزل بك العذاب ، وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم ، وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيديا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فامنع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ « قل يا أبا الوليد أسمع » قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمرار دنك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثا نراهم لا نستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قاله ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال « أفرغت يا أبا الوليد ؟ » قال نعم . قال « فاستمع مني » قال أفل . قال (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرأها عليه . فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورأيت أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوا هالي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهُ وَاحِدٌ فَاستَعِيزُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الكذابين المشركين (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) لا كما

تعبده من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين إنما الله إله واحد (فاستقيموا إليه) أى أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل (واستغفروه) أى لسالف الذنوب (وويل للمشركين) أى دمار لهم وهلاك عليهم (الذين لا يؤتون الزكاة) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى (قدأ فليح من زكاهها، وقد خاب من دسها) وكقوله جلت عظمتها (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقوله عز وجل (قل هل لك إلى أن تزكى؟) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة ثقله وتوفيقا إلى استعماله فى الطاعات، وقال السدى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أى لا يؤدون الزكاة، وقال معاوية بن قررة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لأن إيجاب الزكاة إنما كان فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم إلا أن يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به فى ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) فأما الزكاة ذات النصب والقادير فإنما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى ابتداء البعثة فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئا فشيئا والله أعلم . ثم قال جل جلاله بعد ذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال مجاهد وغيره: غير مقطوع ولا محبوب كقوله تعالى (ما كثر فيها أبدا) وكقوله عز وجل (عطاء غير مجدوذ) وقال السدى غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فإن المنة لله تعالى على أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) وقال أهل الجنة فن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، وقال رسول الله ﷺ «إلا أن يتعمدنى الله برحمته منه وفصل» .

﴿ قُلْ إِنَّا نَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَفْقَاتٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ * ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء القادر على كل شيء فقال (قل أننكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا) أى نظراء وأمثالا تعبدها معها (ذلك رب العالمين) أى الخالق للأشياء هورب العالمين كلهم . وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى (خلق السموات والأرض فى ستة أيام) ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسما فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) الآية فأما قوله تعالى (أأتتم أشد خلقا أم السماء بناها) رفع مكمها فسواها * وأغطش ليها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم) فى هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها) وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض قبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضى الله عنه فيما ذكره البخارى عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال . وقال المنهال عن سعيد بن جبیر قال : قال رجل لابن عباس

رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف على ، قال (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (ولا يكتُمون الله حديثا) (والله ربنا ما كنا مشركين) فقد كتموا في هذه الآية ، وقال تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها - إلى قوله - والأرض بعد ذلك دحاها) فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى (قل أنتم لتكفرون باللهي خلق الأرض في يومين - إلى قوله - طائعين) فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء قال (وكان الله غفورا رحيما) (عزيزا حكيم) (ميمم بصيرا) فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) في النفخة الأولى (ثم ينفخ في الصور) فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله (فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم في النفخة الأخرى) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وأما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) (ولا يكتُمون الله حديثا) فان الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتتطرق أيديهم فعند ذلك يعرف أن الله تعالى لا يكتُم حديثا ، وعنده (يود الذين كفروا) الآية ، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيا أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجناد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله (خلق الأرض في يومين) فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين (وكان الله غفورا رحيما) سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فان الله تعالى لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلفن عليك القرآن فان كلا من عند الله عز وجل . قال البخاري حدثني يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن النهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله (خلق الأرض في يومين) يعني يوم الأحد ويوم الاثنين (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والفراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الارزاق والامكان التي تزرع وتدرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال (في أربعة أيام سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل (وقدر فيها أقواتها) جعل في كل أرض ما يصلح في غيرها ومنه العصب بالين والسابورى بسابور والطيايسة بالرى وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى (سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فان الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه وهذا القول يشبه ما ذكره في قوله تعالى (وآتاكم من كل ما سألتموه) والله أعلم وقوله تبارك وتعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) أي استجيبا لأمرى وانفعلا لفعلى طائعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) قال : قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقمرى ونجومى وقال للأرض شقي أنهارك وأخرجى نمارك (قالتا أتيننا طائعين) واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتيننا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعا مطعين لك ، حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لمن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل إن التكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه رواه ابن أبي حاتم (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي ففرغ من تسويتهم سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة (وأوحى في كل مماء أمرها) أي ورتب مقرر في كل مماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهى الكواكب النيرة المشرقة على أهل الأرض (وحفظا) أي حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملائكة الأعلى (ذلك تقدير العزيز العليم) أي العزيز الذي قد عز كل شيء فعلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد :

قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات الأرض فقال صلى الله عليه وسلم « خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيه من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والساء والدائن والعمران والحراب فهذه أربعة (قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين » وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة » ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال « ثم استوى على العرش » قالوا قد أصبت لو آمنت : قالوا ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل (ولقد خلقنا السموت والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » فاصبر على ما يقولون) هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق الكرو يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا قُلْ أُنذَرْتُكُمْ صَغْفَةً مِّثْلَ صَغْفَةِ عَادٍ وَنُوحٍ * إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا نُوحُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَآخَذْنَاهُمْ صَغْفَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الشركين الكذابين بما جنتهم به من الحق إن أعرضتم عما جنتكم به من عند الله تعالى فإن أنذركم حاول نعمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من الكذابين بالمرسلين (صاعقة مثل صاعقة عاد ونوح) أي ومن شاكلها ممن فعل كفعالها (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) كقوله تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي في القرى المجاورة لبلاذهم بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ، أو ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أوليائه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا (لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده (فإنا بما أرسلتم به) أي أيها البشر (كافرون) أي لا تتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال الله تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الأرض) أي بقوا وعتوا وعصوا (وقالوا من أشد منا قوة ؟) أي منوا بشدة تركيهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي ألما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فانه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وأن بطشه

شديد كما قال عز وجل (والسما بنيناها بأيد وإنا لموسعون) فبارزوا الجبار بالعداوة وجعدوا بآياته وعصوا رسله
لهذا قال (فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً) قال بعضهم وهي شديدة المهبوب ، وقيل الباردة . وقيل هي التي لها صوت
والحق أنها متصفة بجميع ذلك فانها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قوام وكانت
باردة شديدة البرد جدا كقوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه
سمى النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرأ لقوة صوت جريه . وقوله تعالى (في أيام نحسات) أي متتابعات (سبع ليال
وثمانية أيام حسوما) وكقوله (في يوم نحس مستمر) أي ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا
النحس (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال
(لنذيقهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد خزيا لهم (وهم لا ينصرون) أي في الآخرة
كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من وافي يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال . وقوله عز وجل (وأما ثمود
فهديناهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدى وابن زيد : بينا لهم ، وقال
الثوري دعوانهم (فاستحبوا العمى على الهدى) أي بصرناهم وبيننا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه
الصلاة والسلام فخالقوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم (فأخذتهم صاعقة
العذاب الهون) أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا (بما كانوا يكسبون) أي من
التكذيب والجحود (ونحيينا الذين آمنوا) أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى
مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم بتقواهم لله عز وجل

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا بِهَٰذَا لَمْ نَشْهَدْ شَيْئًا عَلَيْنَا أَلَمْ يَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ دَٰخِرًا
وَهُوَ خَلْقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوْتُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا
جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ
فَأُصْبِحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾

يقول تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أي اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار
يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي عطاشا .
وقوله عز وجل (حتى إذا ما جاءوها) أي وقفوا عليها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)
أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتف من حرق (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) أي لاموا أعضائهم وجلودهم
حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة) أي فهو
لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا
شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم
وتبسّم فقال صلى الله عليه وسلم « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكتم » قالوا يا رسول الله من أي شيء ضحكتم ،
قال ﷺ « عجب من عبادة العبد ربه يوم القيامة يقول أي ربى أليس وعدتني أن لا تظلني ، قال بلى فيقول فاني لا أقبل
على شاهدا إلا من نفسى فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين - قال - فيردد
هذا الكلام مرارا - قال - فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول بعدا لكن وسحقا ، عنكن كنت

أجادل « ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر ابن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به، ثم قال النسائي لا أعلم أحدا رواه عن الثوري غير الأشجعي وليس كما قال كما رأيت والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة قال أبو موسى : ويدعى الكافر والنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فإذا فعل ذلك ختم على فيه، قال الأشعري رضي الله عنه فاني لأحسب أول ما ينطق منه فخذه الجنى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن عن ابن أبي ليثة قال دراج عن أبي الليث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول كذبوا فيحلفون ثم يصنمهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتدرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركة بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يحجدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فتقر الألسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي . عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيروفي فمه حتى يملأ فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لأرأيه كلما تكلم واشهدى عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا . وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بما أغنى عن إعادته ههنا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال « ألا تحذرون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهاينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يدي بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدقت صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذن لضعيفهم من شديدهم » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تتقون أنه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم (أي هذا الظن الفاسد هو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي ألتفكم وأرداكم عند ربكم (فأصبحتم من الخاسرين) أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مسترا بأستار الكعبة

فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان - أو ثقفى وختناه قرشيان - كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر إن مع من شئت سمعه كله - قال - فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم معكم ولا أبصاركم ولا جلودكم - إلى قوله - من الخاسرين) وهكذا رواه الترمذى عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه ، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذى أيضا من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ، ورواه البخارى ومسلم أيضا من حديث السفيانين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سبرة عن ابن مسعود رضى الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (أن يشهد عليكم معكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) قال « إنكم تدعون يوم القيامة مفدما على أقواهم بالفدما فأول شيء يبين عن أحدكم فخذله وكفه » قال معمر : وتلا الحسن (وذلك ظنكم الذى ظنتم بربكم أرداكم) ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى أنا مع عبدى عند ظنه بى وأنا معه إذا دعانى » ثم اقر الحسن ينظر فى هذا فقال : ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والنافق فأساء الظن بالله فأساء العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى (وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم معكم ولا أبصاركم - إلى قوله - وذلك ظنكم الذى ظنتم بربكم أرداكم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل القاس وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبى ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى (وذلك ظنكم الذى ظنتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) وقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعذبوا فما هم من العتبين) أى سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم فى النار لا يحيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعذبوا ويبدوا أعذارا فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات . قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى (وإن يستعذبوا) أى يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخبارا عنهم (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * قال اخشعوا فيها ولا تكلمون)

﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْأ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ * فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ عِبَادِ اللَّهِ أَلَّا تَعْلَمُونَ * فَلَنُؤَدِّيَنَّهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ مَا كَانُوا يَسْأَلُونَنَا بِحَبْلِنَا يُجَادُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمْ تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْآسَفِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه هو الذى أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم فى أفعاله بما قيس لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن (فزينو لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى حسنوا لهم أعمالهم فى الماضى والنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى (ومن يش عن ذكر الرحمن قيقض له شيطاناً فهو له قرين * وإتهم ليعصونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) . وقوله تعالى (وحق عليهم القول) أى كلمة العذاب كما حق على أمم قد دخلت من قبلهم بمن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أى استوتوا هم وإياهم فى الخسار والدمار . وقوله تعالى

(وقال الدين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره (والنوا فيه) أى إذا تلى لا تسمعوا له كما قال مجاهد والنوا فيه يعنى بالمكاء والصغير والتخليط فى النطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس (والنوا فيه) عيبوه ، وقال قتادة اجحدوا به وأنكروه وعادوه (للكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجبهة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند مماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ثم قال عز وجل متصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران (فنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) أى فى مقابلة ما اعتمدوه فى القرآن وعند مماعه (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى بشر أعمالهم وسوء أفعالهم (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون *) وقال الدين كفروا ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن أبيه عن طى رضى الله عنه فى قوله تعالى (الذين أضلنا) قال إبليس وابن آدم الذى قتل أخاه . وهكذا روى العوفي عن طى رضى الله عنه مثل ذلك . وقال السدى عن طى رضى الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فإبليس الداعى إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كائنت فى الحديث « ما قتلت نفس ظلمت إلا كان طى ابن آدم الأول كفلا من دمها لأنه أول من سن القتل » . وقولهم (نجعلهما تحت أقدامنا) أى أسفل منا فى العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا (ليكونا من الأسفلين) أى فى الدرك الأسفل من النار كما تقدم فى الأعراف فى سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قاداتهم أضعاف عذابهم (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أى أنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتمون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم)

يقول تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى طى ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الوصلى حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشيعرى ثنا سهيل بن أبى حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فذالها ناس ثم كفروا أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائى فى تفسيره والبخارى وابن جرير عن عمرو بن طى الفلاس عن مسلم بن قتيبة به . وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن الفلاس به . ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبى إسحق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما تقولون فى هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال فقالوا (ربنا الله ثم استقاموا) من ذنب فقال لقد حملتموه طى غير الحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدى وغير واحد ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهرانى أخبرنا حفص بن عمر القدى عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضى الله عنهما أى آية فى كتاب الله تبارك وتعالى أخص ؟ قال قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) طى شهادة أن لا إله إلا الله . وقال الزهرى : تلاهم رضى الله عنه هذه الآية طى النبى ثم قال استقاموا والله طى بطاعته ولم يروغوا وروغان الثعالب

وقال طي بن أبي طحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على أداء فرائضه ، وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية (ثم استقاموا) أخلصوا له الدين والعمل

وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقي عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت فما أتقى ؟ أوماً إلى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به . ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقي قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعصم به قال صلى الله عليه وسلم « قل ربى الله ثم استقم » قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف طي ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال « هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث . وقوله تعالى (تنزل عليهم الملائكة) قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه يعني عند الموت قائلين (أن لا تخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أى عما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال وأودين فانا نخلفكم فيه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان » وقيل إن الملائكة تنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ (إن الدين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة) فوقف فقال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملاك اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال فيؤمن الله تعالى وخوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هده الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره حين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع . وقوله تبارك وتعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أى تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أى قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة تؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور وتؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) أى في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون (ولكم فيها ما تدعون) أى مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم (نزلاً من غفور رحيم) أى ضيافة وعطاء وإنعاماً من غفور لدنوبكم رحيم بكم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) فقال حدثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي الشرين أبي سعيد حدثنا الأزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد ابن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيهما سوق ؟ فقال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أديانهم وما فيهم دناء على كتابان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي

بأفضل منهم مجلسا . قال أبوهريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم » هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ، « قلنا لا ؛ قال صلى الله عليه وسلم « فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يمتنى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى إنه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا - فيقول أى رب أفلم تغفرلى ، فيقول بلى ، فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه - قال - فينبأهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحهم شيئا قط - قال - ثم يقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتبهتم ، قال فتأتى سواقا قد حفت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتبهنا ليس يباع فيه شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هودونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقض آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم تنصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبتنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن نتقلب بمثل ما اتقلبنا به ، وقد رواه الترمذى في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدى عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قلنا يا رسول الله : كلنا نكره الموت قال ﷺ « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قدلقى الله تعالى فأحب الله لقاءه - قال - وإن الفاجر - أو الكافر - إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول عز وجل (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) أى وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقيل المراد بها المؤذنون الصالحاء كما ثبت في صحيح مسلم « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » وفي السنن مرفوعاً « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين » وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن عروة المروى حدثنا غسان قاضي هراة وقال أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه قال « سهام للمؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهويين الأذان والإقامة كاللشعوط في سبيل الله تعالى في دمه » قال : وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو كنت مؤذناً ما باليت أن لأحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو كنت مؤذناً لأكمل أمري وما باليت أن لا أتصعب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اغفر للمؤذنين » ثلاثاً ، قال : قلت يا رسول الله تركتكم ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف قال صلى الله عليه وسلم « كلا يا عمر إنه سيأتى على

الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ولهم هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) قالت فهو المؤذن إذا قال حى على الصلاة فقد دعا إلى الله وهكذا قال ابن عمر رضى الله عنهما وعكرمة إنما نزلت في المؤذنين وقد ذكر البغوى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال في قوله عز وجل وعمل صالحاً يعنى صلاة ركعتين بين الأذان والاقامة . ثم أورد البغوى حديث عبد الله بن الغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة - ثم قال فى الثالثة - لمن شاء » وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثورى عن زيد العمى عن أبى إياس معاوية بن قره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الثورى لا أراه إلا قد رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة كلهم من حديث الثورى به وقال الترمذى هذا حديث حسن ، ورواه النسائى أيضاً من حديث سليمان التيمى عن قتادة عن أنس به ، والصحيح أن الآية عامة فى المؤذنين وفى غيرهم فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن عبد ربه الأنصارى رضى الله عنه فى منامه فقصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه على بلال رضى الله عنه فإنه أندى صوتاً كما هو مقرر فى موضعه فالصحيح إذا أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى أنه تلا هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) فقال هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً فى إجابته وقال إننى من المسلمين هذا خليفة الله ، وقوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى فرق عظيم بين هذه وهذه (ادفع بالتي هى أحسن) أى من أساء إليك فادفعه عنك بالاحسان إليه كما قال عمر رضى الله عنه : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وقوله عز وجل (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وهو الصديق أى إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتة تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحو عليك حتى يصير كأنه ولى لك حميم أى قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك ، ثم قال عز وجل (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى ذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوم كأنه ولى حميم . وقوله تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أى أن شيطان الإنس ربما ينخدع بالاحسان إليه فأما شيطان الجن فإنه لاحيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعانة بخالقه الذى سلطه عليك فإذا استعنت بالله والتجأت إليه كف عنه ورد كيده ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له فى القرآن إلا فى سورة الأعراف عند قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه مبيع عليم) وفى سورة المؤمنين عند قوله (ادفع بالتي هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك أن يحضرون

(وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِن الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى

إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى منها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذي لا نظيره وأنه على ما يشاء قادر (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) أي أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضياءه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازلها في فلكه واختلاف سيره في سبائه يعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشمس والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والعمالات . ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام للشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبادان من عبيده تحت قهره وتسخيريه فقال (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر أن يشرك به ولهذا قال تعالى (فإن استكبروا) أي عن أفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) كقوله عز وجل (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عفان يعني ابن وكيع حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم » . وقوله (ومن آياته) أي على قدرته على إعادة الموتى (أنك ترى الأرض خاشعة) أي هامة لانبات فيها بل هي ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أي أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار (إن الذي أحيها لحبي الموتى إنه على كل شيء قدير)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقِي فِي النَّارِ خَيْرًا مِّن يَّاتِيهِ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۚ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۚ﴾

قوله تبارك وتعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا) قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد ، وقوله عز وجل (لا يخفون علينا) فيه تهديد شديد ووعد أكيد أي أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى (أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آتنا يوم القيامة ؟) أي أيستوى هذا وهذا ؟ لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة (اعملوا ما شئتم) قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني (اعملوا ما شئتم) وعيد أي من خير أو شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال (إنه بما تعملون بصير) ثم قال جل جلاله (إن الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) قال الضحاك والسدي وقاتدة وهو القرآن (وإنه لكتاب عزيز) أي منيع الجنب لا يرام أن يأتي أحد بمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي ليس للباطل إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال (تنزيل من حكيم حميد) أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمود عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) قال قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لهم فاصبر أنت على أذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره وقوله تعالى (إن ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب إليه (وذو عقاب أليم) أي لمن استمر على كفره وطفيلانه وعناده وشقاؤه ومخالفته ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن

السبب قال نزلت هذه الآية (إن ربك لود مغفرة) قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد العيش ، ولولا وعيده وحقا به لا تسلك كل أحد »

﴿ وَلَوْ جَمَعْتُمْ قُرْءَانًا أُعْجِبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٍ ﴾

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به الشركون به طي أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل (ولو نزلناه على بعض الأعجمين ققرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين) وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعدا (لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) أي لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه هكذا روى هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ؟ وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي أي هل أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي ؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعدا أبلغ ثم قال عز وجل (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي لا يفهمون ما فيه (وهو عليهم غمى) أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول ، قلت وهذا كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بهم عى فهم لا يفلتون) وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأسمائهم . وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضى إذ قال : يا ليكاه فقال له عمر رضى الله عنه لم تلبى ، هل رأيت أحدا أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال عمر رضى الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبي حاتم . وقوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي كذب وأوذى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) بتأخير الحساب إلى يوم العاد (لقضى بينهم) أي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا (وإنهم لفي شك منه مريب) أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه ، هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۖ إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامٍهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُ هِيَ قَالُوا أَاذْنُكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا لَمْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴾

يقول تعالى (من عمل صالحا فلنفسه) أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه (ومن أساء فعليها) أي إنما يرجع وبال ذلك عليه (وما ربك بظلام للعبيد) أي لا يعاقب أحدا إلا بذنبه ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ثم قال جل وعلا (إليه يرد علم الساعة) أي لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد

البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل (إلى ربك منتهاها) وقال جل جلاله (لا يحيط بها لوقها إلا هو) وقوله تبارك وتعالى (وما تخرج من ثمرات من أكامها وما تحمل من أثى ولا تضع إلا بعلمه) أى الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وقد قال سبحانه وتعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وقال جلّت عظمتة (يعلم ما تحمل كل أثى وما تفيض الأرض وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) وقال تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير) وقوله جل وعلا (ويوم يناديهم أين شركائى ؟) أى يوم القيامة ينادى الله الشركين على رؤوس الخلائق أين شركائى الذين عبدتموهم معى (قالوا آذناك) أى أعلنناك (ما منا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يَدْعُونَ من قبل) أى ذهبوا فلم ينفعوهم (وظنوا ما لهم من محيص) أى وظن الشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين (ما لهم من محيص) أى لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا)

﴿ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ عَنْهُ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَإِذَا أُنْمِنَّا إِلَى الْإِنْسَانِ أَنَّهُ آمِنٌ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذَا دُعَاءٌ عَرِيضٌ ﴾

يقول تعالى لا يعلم الإنسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر (فيئوس قنوط) أى يقع فى ذهنه أنه لا يتبأ له بعد هذا خير (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) أى إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان فى شدة ليقولن هذا لى (لى كنت أستحقه عند ربى) (وما أظن الساعة قائمة) أى يكفر بقيام الساعة أى لأجل أنه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده لحسنى) أى ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلى ربى كما أحسن إلى فى هذه الدار ، يتمنى على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) أى أعرض عن الطاعة واستكبر عن الاتقياء لأوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله (فتولى بركنه) (وإذا مسه الشر) أى الشدة (فذو دعاء عريض) أى يطيل السئلة فى الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل وقد قال تعالى (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) الآية

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَتَرْنَاهُمْ عَنْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ لِّئَلَّا يُنَبِّئَنَّهُمْ أَنَّهُ أَلْخَقَ أَوَّلَهُمْ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا لَهُمْ فِي مِزَانِهِمْ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الكذابين بالقرآن (أرايتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله ثم كفرتم به ؟) أى كيف ترون حالكم عند الذى أنزله على رسوله ؟ ولهذا قال عز وجل (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ؟) أى فى كفر

وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) أى سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية (في الآفاق) من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان قال مجاهد والحسن والسدى ودلائل في أنفسهم قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمدًا صلى الله عليه وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأختلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو عجول عليه من الأخلاق الثبانية من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعدها كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكير والاعتبار عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال

وإذا نظرت تريد معتبرا فانظر اليك فليك معتبر أنت الذي تسمى وتصبح في
دنيا وكل أموره عبر أنت للصرف كان في صغر ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذي تنعاه خلقتك ينعاه منه الشعر والبشر أنت الذي تعطى وتسلب لا
ينجيه من أن يسلب الحذر أنت الذي لا شيء منه له وأحق منه بماله القدر

وقوله تعالى (حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) أى كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) الآية . وقوله تعالى (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم) أى في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون به ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبأون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الأنصاري قال : إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سعد النبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أتم اليه صائرون فعلت أن الصدق بهذا الأمر أحق والكذب به هالك ، ثم نزل . ومعنى قوله رضى الله عنه أن الصدق به أحق أى لأنه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موثق بوقوعه وهو مع ذلك يتأدى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه فهو أحق بهذا الاعتبار والأحق في اللغة ضعيف العقل ، وقوله والكذب به هالك هذا واضح والله أعلم . ثم قال تعالى مقررًا أنه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى (ألا إنه بكل شيء محيط) أى الخلقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طى علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فإشاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله إلا هو . آخر تفسير سورة جم السجدة والله المحدث والنلة .

(تفسير سورة الشورى وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَطَفَّرْنَ مِنْ فَوْقَيْنِ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا منكرًا فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل

إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أخبرني عن تفسير قول الله تعالى (حم عسق) قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يجبر إليه شيئا فقال له حذيفة رضي الله عنه أنا أنبتك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار الشرق تبني عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فإذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداها نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبها متعجبة كيف أفلتت ؟ فما هو إلا يياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى (حم عسق) يعني عزيمة من الله تعالى وقتنة وقضاء حم عين يعني عدلا منه سين يعني سيكون ق يعني واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو علي الوصلي في الجزء الثاني من مسند ابن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذلك ولكن إسناده ضعيف جدا ومنقطع فإنه قال حدثنا أبو طالب عبد البار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الحشني الدمشقي عن أبي معاوية قال : سعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبر فقال : أيها الناس هل معكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر (حم عسق) فوثب ابن عباس رضي الله عنه فقال أنا ، قال حم امم من أسماء الله تعالى ، قال فعين ؟ قال عاين المولود عذاب يوم بدر ، قال فسين ؟ قال سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، قال فقاف ؟ فسكت ققام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تنشى الناس . وقوله عز وجل (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على الأنبياء قبلك. وقوله تعالى (الله العزيز) أي في انتقامه (الحكيم) في أقواله وأفعاله

قال الإمام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعني ما يقول » قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه صلى الله عليه وسلم ليتصد عرقا . أخرجه في الصحيحين ولفظه للبخاري . وقد رواه الطبراني عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن الحارث بن هشام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال ﷺ « في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت ما قال - أو قال - وهو أشده علي - قال - وأحيانا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني فأعني ما يقول » . وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نسي قبض » فردبه أحمد ، وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة . وقوله تبارك وتعالى (له ما في السموات وما في الأرض) أي الجميع عبيده وملكه تحت قهره وتصريفه (وهو العلي العظيم) كقوله تعالى (وهو الكبير المتعال) (وهو العلي الكبير) والآيات في هذا كثيرة . وقوله عز وجل (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة والسدي وكعب الأحمري أي فرقا من العظيمة (والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن في الأرض) كقوله جل وعلا (الذين يعملون العرش ومن حوله حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقوله جل جلاله (ألا إن الله هو المتفور الرحيم) إعلام بذلك وتوحيه به ، وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني المشركين (الله حفيظ عليهم) أي شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عدا ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء (وما أنت عليهم

بوكيل (أى إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك (أوحينا إليك قرآنا عربيا) أى واضحا جليباينا (لتنذر أمة القرى) وهى مكة (ومن حولها) أى من سائر البلاد شرقا وغربا ، وصميت مكة أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة المذكورة فى مواضعها ، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : إن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » هكذا رواية الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذى حسن صحيح . وقوله عز وجل (وتنذر يوم الجمع) وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد وقوله تعالى (لا ريب فيه) أى لا شك فى وقوعه وأنه كائن لا محالة ، وقوله جل وعلا (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) كقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم الثواب) أى يبين أهل الجنة أهل النار ، وكقوله عز وجل (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخره الا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس الا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثنى أبو قبيل للعافى عن شفى الأصمعى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم الذى فى يمينه « هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم - ثم أجمل على آخرهم - لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا - ثم قال صلى الله عليه وسلم الذى فى يساره - هذا كتاب أهل النار باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأى شيء نعمل أن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يفتح له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار يفتح له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل » ثم قال صلى الله عليه وسلم بيده قبضها ثم قال « فرغ ربكم عز وجل من العباد - ثم قال باليمين فنبذ بها فقال - فريق فى الجنة - ونفذ باليسرى وقال - فريق فى السعير » وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفى بن مانع الأصمعى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب وساقه البغوى فى تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبي الزاهرية عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها - ثم فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله عز وجل - ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي قبيل عن شفى عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم فذكره

ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول : إن الله تعالى لما خلق آدم قضه قض للردود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النعف قبضهم قبضتين ثم قال شفى وسعيد ثم أقامهما ثم قبضهما فقال فريق فى الجنة وفريق فى السعير

وهذا الموقف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال: إن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي ، فقالوا له ما يبكي ، ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك ثم أفره حتى تلقاني ، قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى قبض يمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي » فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن واللسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جعترضوا الله عنهم أجمعين . وقوله تبارك وتعالى (ولو شاء الله لجلهم أمة واحدة) أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فآوب بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل (ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) . وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا وهيب أخبرني الحارس عن عمرو بن أبي سويد أنه حدثه عن ابن حبيزة أنه بلغه أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يارب خلقك الدين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لوما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يارب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقى كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه .

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۚ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۚ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله وخبراً أنه هو الولي الحق الذي لا ينبغي العبادة إلا له وحده فإنه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير . ثم قال عز وجل (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أي مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء (فحكمه إلى الله) أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ذلكم الله ربى) أي الحاكم في كل شيء (عليه توكلت وإليه أنيب) أي أرجع في جميع الأمور ، وقوله جل جلاله (فاطر السموات والأرض) أي خالقهما وما بينهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى (ومن الأنعام أزواجا) أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج . وقوله تبارك وتعالى (يذركم فيه) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذركم فيه ذكورا وإناثا خلقا من بعد خلق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد نسل من الناس والأنعام وقال البغوي يذركم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة . قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والأنعام ، وقيل في معنى الباء أي يذركم به (ليس كمثله شيء) أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له (وهو السميع البصير) : وقوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) تقدم تفسيره في سورة الزمور وحاصل ذلك أنه للتصرف الحاكم فيهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضييق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام (إنه بكل شيء عليم) .

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْيُوكَ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿

يقول تعالى لهذه الأمة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك) فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) الآية والدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) . وفى الحديث « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ولهذا قال تعالى ههنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الاقتراق والاختلاف ، وقوله عز وجل (كبر على المشركين ما تدعوم إليه) أى شق عليهم وأنكروا ما تدعوم إليه يا محمد من التوحيد . ثم قال جل جلاله (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) أى هو الذى يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ، ولهذا قال تبارك وتعالى (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أى إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشاقة ثم قال عز وجل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) أى لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة فى الدنيا سريعا . وقوله جل جلالته (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى الجيل المتأخر بعد القرن الأول للكذب للحق (لنى شك منه مرىب) أى ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وأعمالهم مقلدون لأبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا براهان وهم فى حيرة من أمرهم وشك مرىب وشقاق بعيد

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة كل منها منفصلة عن التى قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسي فانها أيضا عشرة فصول كهذه . وقوله (فلذلك فادع) أى فللذى أوحينا إليك من الدين الذى وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم فادع الناس إليه . وقوله عز وجل (واستقم كما أمرت) أى واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) يعنى المشركين فيما اختلفوه فيه وكذبوه واقتروه من عبادة الأوثان . وقوله جل وعلا (قل ءامنت بما أنزل الله من كتاب) أى صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم وقوله (وأمرت لأعدل بينكم) أى فى الحكم كما أمرنى الله وقوله جل جلالته (الله ربنا وربكم) أى هو العبود لا إله غيره فنحن نهر بذلك اختيارا وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارا فله يسجد من فى العالمين طوعا وإجبارا . وقوله تبارك وتعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى (وان كذبوك قتل لى عملى ولكم عملكم) أى برئ منكم وأنا برىء مما تعملون) وقوله تعالى (لا حجة بيننا وبينكم) قال مجاهد أى لا خصومة قال السدى وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة . وقوله عز وجل (الله يجمع بيننا) أى يوم القيامة كقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم ففتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم) وقوله جل وعلا (وإليه المصير) أى الرجوع والى يوم الحساب

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ * اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ أَلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُبَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿

يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به (والذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له) أي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوم عما سلكوه من طريق الهدى (حجتهم داحضة عند ربهم) أي باطلة عند الله (وعليهم غضب) أي منه (ولهم عذاب شديد) أي يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنه وعجده جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوم عن الهدى وطعموا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك . ثم قال تعالى (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (والميزان) وهو العدل والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى (لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقوله (والسواء رفعا ووضع للميزان * ألا تظنوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) . وقوله تبارك وتعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب) فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا وقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أي يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك تكديبا واستبعادا وكفرا وعنادا (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون وجلون من وقوعها (ويعلمون أنها الحق) أي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها . وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألقاظه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال يا محمد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من صوته « هاؤم » فقال له متى الساعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » فقال حب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت » قوله في الحديث « للزعم مع من أحب » هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها . وقوله تعالى (ألا إن الذين يمارون في الساعة) أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها (لني ضلال بعيد) أي في جهل بين لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ قَرِّدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَةٍ أَلْجَنَّتْ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء في رزقه البر والفاقر كقوله عز وجل (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) ولما نظائر كثيرة وقوله جل وعلا (يرزق

من يشاء) أى يوسع على من يشاء (وهو القوى العزيز) أى لا يعجزه شيء ثم قال عز وجل (من كان يريد حرث الآخرة) أى عمل الآخرة (نزدله في حرثه) أى تقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكث نعماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) أى ومن كان إنماسه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكلية حرمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل لاهذه ولا هذه ، وفاز الساعى بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، والدليل على هذا أن هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقال الثوري عن معمر عن أبي العالقة عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بشر هذه الأمة بالسنة والزفة والنصر والتكفين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب » وقوله جل وعلا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أى هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تعزيم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقهار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحرير والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت عمرو بن لحي بن قنعة يجر قصبه في النار » لأنه أول من سب السواائب ، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الأشياء وهو الذي حمل قريشا على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى (ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم) أى لموجلا بالعقوبة لولما تقدم من الانظار إلى يوم للماد (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) أى شديد موجه في جهنم وبئس العير ، ثم قال تعالى (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا) أى في عرصات القيامة (وهو واقع بهم) أى الذي يخافون منه واقع بهم لاحتالة هذا حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم) فأين هذا من هذا ؟ أى أين من هو في العرصات في الدل والوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مأكل ومشرب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار حدثنا محمد بن سعد الأنصاري عن أبي طيبة قال إن الشرب من أهل الجنة لتظلمهم السحابة فتقول ما أمطركم ؟ قال فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم حتى إن القائل منهم ليقول أمطرتنا كواعب أترابا . رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به ، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الفضل الكبير) أى الفوز العظيم والنعمة التامة السائبة الشاملة العامة

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ذلك الذين يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى هذا حاصل لهم كائن لاحتالة يبشيرة الله تعالى لهم به . وقوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) أى قل يا محمد لهؤلاء الشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرككم عنى وتذرونى أبلغ رسالات ربي إن لم تنصرونى فلا تؤذونى

بما بيني وبينكم من القرابة . قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قري آل محمد فقال ابن عباس عجلت^(١) إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ، انفرد به البخاري ، ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة به ، وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وطى بن أبي طلحة والعمري ويوسف بن مهراون وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن القاسم بن زيد الطبراني وجعفر القلائسي قال حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شريك عن خفيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني في نفسى لقرا بى منكم وتحفظوا القرابة بيني وبينكم » وروى الإمام أحمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن قزعة ابن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرا إلا أن توادوا الله تعالى وأن تقرّبوا إليه بطاعته » وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول إلا المودة في القربى أى إلا أن تعملوا بالطاعة التي تهربكم عند الله زلفى . وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير مامعناه أنه قال معنى ذلك أن تودوني في قرا بى أى تحسنوا إليهم وتبرؤم . وقال السدي عن أبي الدليل قال : لما جاء بعلى بن الحسين رضي الله عنه أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له على بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن ؟ قال نعم : قال أقرأت آل حم ؟ قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ؟ قال وإنكم لأتمم ؟ قال نعم وقال أبو إسحاق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال قري النبي ﷺ رواها ابن جرير . ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام حدثني زيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت الأنصار فلما فعلنا وفعلنا وكأنهم فخرنا فقال ابن عباس وأبو العباس رضي الله عنهما - شك عبد السلام - لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال « يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأنزلكم الله في ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال ﷺ « ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي » قالوا بلى يا رسول الله قال « أفلا تحبوني » قالوا ما تقول يا رسول الله قال « ألا تقولون ألم يخرجكم قومك فآويناكم أولم يكذبوك فصدقناكم أولم يخذلوكم فنصرناكم » قال فما زال صلى الله عليه وسلم يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن على بن الحسين عن عبد المؤمن بن على عن عبد السلام عن زيد بن أبي زياد وهو ضعيف بإسناده مثله أو قريبا منه . وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية ، وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا رجل ساء حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرا الله بمودتهم ؟ قال « فاطمة وولدها رضي الله عنهما » وهذا إسناد ضعيف فيه مبهمة لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المثل ، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلى رضي الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به جبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري

ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فانهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وطل وأهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإني لم يفرقا حتى يردا على الحوض » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد ابن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، قال فضرب النبي ﷺ غضبا شديدا وقال « والذى نفسى بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله » ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فقال إنا لنخرج قري قريشا نحدث فإذا رأونا سكتوا فضرب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال ﷺ « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرايى » وقال البخارى حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضى الله عنهما عن أبي بكر — هو الصديق — رضى الله عنه قال ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته . وفي الصحيح أن الصديق رضى الله عنه قال لعلى رضى الله عنه : والله لقراية رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرايى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنهما والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فحال الشيخين رضى الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضى الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان التميمي حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنه فلما جلسنا إليه قال حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا : رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه ، لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى لقد كبر سنى وقدم عهدي ونسيت بعض الذى كنت أعمى من رسول الله ﷺ فما حدثكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفوني ، ثم قال رضى الله عنه : قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فبنا بماء يدعى خميا بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ﷺ « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال ﷺ « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نسائك من أهل بيته ؟ قال إن نسائك من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم ؟ قال هم آل طى وآل عقیل وآل جعفر وآل العباس رضى الله عنهم ، قال أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة ؟ قال نعم ، وهكذا رواه مسلم والنسائي من طرق يزيد بن حبان به وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا طى بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي . أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتي أهل بيتي ولن يفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » تفرد بروايته ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال الترمذى أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد بن الحسن عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال . رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تفرد به الترمذى أيضا وقال حسن غريب .

وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم . ثم قال الترمذي أئصاننا أبو داود سليمان الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبوا الله تعالى لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي » ثم قال حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) بما أغنى عن إعادتها هنا والله الحمد والمنة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبي إسحاق عن حنشل قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » هذا بهذا الإسناد ضعيف . وقوله عز وجل (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا أي أجرا وثوابا كقوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها . ومن جزاء السيئة السيئة بعدها . وقوله تعالى (إن الله غفور شكور) أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويفر ويضاعف فيشكر وقوله جل وعلا (أم يقولون افتري على الله كذبا فإن يشأ الله نختم على قلبك) أي لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يختم على قلبك) أي يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي لا نتقنا منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه . وقوله جلت عظمتة (ويمح الله الباطل) ليس معطوفا على قوله (يختم) فيكون مجزوما بل هو مرفوع على الابتداء . قاله ابن جرير قال وحذفت من كتابته الواو في رسم مصحف الإمام كما حذفت في قوله (سندع الزبانية) وقوله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) . وقوله عز وجل (ويحق الحق بكلماته) معطوف على (ويمح الله الباطل ويحق الحق) أي يحققه ويثبت به ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه (إنه علم بذات الصدور) أي بما تكنه الضمائر وتتطوى عليه السرائر

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى ممثنا على عبادته بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستتر ويفر كقوله عز وجل (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحما) وقد ثبت في صحيح مسلم رحمة الله عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال : حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا إسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح . » وقد ثبت أيضا في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن

عباده) إن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش » وقال همام بن الحارث سئل ابن مسعود رضى الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال لا بأس به وقرأ (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الآية رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) أى يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي (ويسلم ما تعملون) أى هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقتلتم ومع هذا يتوب على من تاب إليه . وقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال السدي يعنى يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم وحكاه عن بعض النحاة وأنه جعلها كقوله عز وجل (فاستجاب لهم ربهم) ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة ابن سبرة قال خطبنا معاذ رضى الله عنه بالشام فقال أتم المؤمنون وأتم أهل الجنة والله إنى لأرجو أن يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة وذلك بأن أحدكم إذا عمل له يعنى أحدهم عملا قال أحسنت رحمك الله أحسنت بارك الله فيك ثم قرأ (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله (الذين يستمعون القول) أى هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون ، والوثنى يبعثهم الله) والمعنى الأول أظهر لقوله تعالى (ويزيدهم من فضله) أى يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا طي بن الحسين حدثنا محمد بن المصنف حدثنا بقية حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكندي حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفا في الدنيا » وقال قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله عز وجل (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال يشفعون في إخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال يشفعون في إخوانهم . وقوله عز وجل (والكافرون لهم عذاب شديد) لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد للوجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم . وقوله تعالى (ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أى لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغى والطغيان من بعضهم على بعض أشرا وبطرا وقال قتادة كان يقال خير العيش مالا يلبيك ولا يطعك وذكر قتادة حديث « إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا » وسؤال السائل أيا نى الخير بالشر ؟ الحديث وقوله عز وجل (ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير) أى ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره بما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فيغنى من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروى « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفنى ولو أقفرته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » . وقوله تعالى (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وقهرهم إليه كقوله عز وجل (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) وقوله جل جلاله (وينشر رحمته) أى يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضى الله عنه مطرتم ثم قرأ (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد) أى هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وآخرهم وهو الحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ * وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خلق السموات والأرض وما بث فيهما) أى ذرأ فيهما أى فى السموات والأرض (من دابة) وهذا يشمل لللائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم فى أرجاء أقطار السموات والأرض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم إذا يشاء قدير) أى يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق . وقوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أى مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فانما هى عن سيئات تقدمت لكم (ويعفو عن كثير) أى من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وفى الحديث الصحيح «والذى نفسى بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها» . وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال : قرأت فى كتاب أنى قلابة قال نزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فأمسك وقال : يا رسول الله إني أرى ما عملت من خير وشر ، فقال «أرأيت ما رأيت مما تكره ، فهو من مثاقيل ذر الشر وتدخل مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة» قال : قال أبو إدريس فأنى أرى مصداقها فى كتاب الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم رواه من وجه آخر عن أنس رضى الله عنه قال والأول أصح : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي عن الحضرمي بن القواس البجلي عن أبي سخيلة عن علي رضى الله عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال «ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وسأفسرها لك يا على : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فأن الله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه» وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية وعبد الله بن عبيد بن عمير عن أبي سخيلة قال : قال على رضى الله عنه فذكر نحوه مرفوعا ثم روى ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبي الونضاح عن أبي الحسن عن أبي جحيفة قال دخلت على على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغى لكل مؤمن أن يعيه ؟ قال فسلنا فتلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال ما عاقب الله تعالى به فى الدنيا فأن الله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه فى الدنيا فأن الله أكرم من أن يعود فى عفوه يوم القيامة وقال الإمام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة بن يحيى عن أبي بردة عن معاوية هو ابن أبي سفيان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من شيء يصيب المؤمن فى جسده يؤذي إلا كفر الله تعالى عنه به من سيئاته» وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها» . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى حدثنا أبو أسامة عن إسحاق بن مسلم عن الحسن هو البصري قال فى قوله تبارك وتعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال لما نزلت قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمر بن على حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلى فى جسده فقال له بعضهم إنا لنبأس لك لما نرى فيك ، قال فلا تبتئس بما نرى فإن ما نرى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

ويعفو عن كثير) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال: قلت للعلاء بن بدر (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقد ذهب بصري وأنا غلام؟ قال فبذنوب والديك. وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم يقول الضحاك وأى مصيبة أعظم من نسيان القرآن

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَمَلْنِ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوقِنُ إِذَا كُفِّرُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾

يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخير البحر لتجرى فيه الفلك بأمره وهى الجوارى فى البحر كالأعلام أى كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدى والضحاك أى هذه فى البحر كالجبال فى البر (إن يشأ يسكن الريح) أى التى تسير فى البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تبحر ولا تنذهب بل واقفة على ظهره أى على وجه الماء (إن فى ذلك لآيات لكل صبار) أى فى الشدائد (شكور) أى إن فى تسخير البحر وإجرائه فى الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار أى فى الشدائد شكور فى الرخاء. وقوله عز وجل (أو يوقن بما كسبوا) أى ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر، وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى (أو يوقن بما كسبوا) أى لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال آتية لا تسير على طريق ولا إلى جهة مقصد، وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للأول وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل اللطير بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيجا من أرض أخرى غيرها لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم، وقوله تعالى (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) أى لا محيد لهم عن بأسنا وقمنا فانهم مقهورون بقدرتنا

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعم الفانى بقوله تعالى (فما أوتيتم من شئ فمتنا) الحياة الدنيا) أى مهما حصلتم وجمعت فلا تغتروا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا وهى دار دنيئة فانية زائلة لا محالة (وما عند الله خير وأبقى) أى وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدى فلا تقدموا الفانى على الباقي ولهذا قال تعالى (للذين آمنوا) أى للذين صبروا على ترك الملاذ فى الدنيا (وعلى ربهم يتوكلون) أى ليعينهم على الصبر فى أداء الواجبات وترك المحرمات ثم قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) وقد قدمنا الكلام على الإثم

والفواحش في سورة الأعراف (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أى سجيّتهم تقتضى الصفح والعفو عن الناس ليس سجيّتهم الانتقام من الناس . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمت الله وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المغتبة « ماله تربت يمينه » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن إبراهيم قال كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا وكانوا إذا قدروا عفوا . وقوله عز وجل (والذين استجابوا لربهم) أى اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره (وأقاموا الصلاة) وهى أعظم العبادات لله عز وجل (وأمرهم شورى بينهم) أى لا يرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى (وشاورهم في الأمر) الآية ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها لطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم عثمان وطى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنهم فاجتمع رأى الصحابة كلهم رضى الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضى الله عنهم (ومما رزقناهم ينفقون) وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب

وقوله عز وجل (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أى فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغي عليهم وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاختوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك نفر الثمانين الذين قصده عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن غورث بن الحارث الذى أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو فى يده مصلنا فأنهز فوضعه من يده وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فى يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه وكذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن لبيد بن الأعصم الذى سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفوه صلى الله عليه وسلم عن المرأة اليهودية - وهى زينب أخت مرحب اليهودى الخيرى الذى قتله محمود بن سلمة - التى سميت الذراع يوم خيبر - فأخبره الذراع بذلك فداها فاعترفت فقال صلى الله عليه وسلم « ما حملك على ذلك ؟ » قالت أردت إن كنت نبيا لم يضرك وإن لم تكن نبيا استرخنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضى الله عنها قتلها به والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ * أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

قوله تبارك وتعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكقوله (وإن عاقبتهم فمقابوا بمثل ما عوقبتهم به) الآية فشرع العدل وهو القصاص وندب إلى الفضل وهو العفو وكقوله جل وعلا (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) ولهذا قال ههنا (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) أى لا يضيع ذلك عند الله كما صرح ذلك فى الحديث « وما زاد الله تعالى عبدا بعفو إلا عزا » وقوله تعالى (إنه لا يحب الظالمين) أى المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة ثم قال جل وعلا (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أى ليس عليهم جناح فى الانتصار ممن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار فى قوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) فحدثنى على بن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال

ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قالت أم المؤمنين رضى الله عنها دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش رضى الله عنها فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصنع بيده شيئا فلم يظن لها قفلت يده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضى الله عنها تفجع لمائشة رضى الله عنها فيها فأبت أن تنهى ، فقال لمائشة رضى الله عنها « سبها » فسبها فغلبتها وانطلقت زينب رضى الله عنها فأنت عليا رضى الله عنه فقالت إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم لها « إنها حبة أريك ورب الكعبة » فانصرفت وقالت لعلى رضى الله عنه إنى قلت له صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال لى كذا وكذا قال وجاء على إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه في ذلك هكذا أوردهذا السياق ، وطى بن زيد بن جدهان يأتى في رواياته بالمنكرات غالبا وهذا فيه نكارة ، والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفأ عن عبد الله البهي عن عروة قال : قالت عائشة رضى الله عنها ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهى غضبي ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبك إذا قلت لك ابنة أبي بكر درعها ثم أقبلت على فأعرضت عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « دونك فانتصرى » فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد ييس في فمها ما ترد على شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلم وجهه وهذا لفظ النسائي . وقال البرار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو غسان حدثنا أبو الأحوص عن أبي حمزة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » ورواه الترمذى من حديث أبي الأحوص عن أبي حمزة وإسماعيل بن عمار قال لا تعرفه إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وقوله عز وجل (إنما السبيل) أى إنما الحرج والعنت (على الذين يظلمون الناس ويبنون فى الأرض بغير الحق) أى يبدون الناس بالظلم كما جاء فى الحديث الصحيح « المستبان ما قالا ، فعلى البادىء ما لم يستد للظلم » (أولئك لهم عذاب أليم) أى شديد موجع . قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا عثمان الشامى حدثنا أحمد بن واسع قال قدمت مكة فإذا على الخندق قنطرة فأخذت فانطلقت إلى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ما حاجتك يا أبا عبد الله ، قلت حاجتى أن استطعت أن تكون كما كان أخو بنى عدى ، قال ومن أخو بنى عدى ، قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب إليه أما بعد فإن استطعت أن لا تبني إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقيه من دماء السليين وأموالهم فانك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبنون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ما حاجتك يا أبا عبد الله ، قلت حاجتى أن تلحقنى بأهلى قال نعم . رواه ابن أبي حاتم ، ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادبا إلى العفو والصفح (ولن صبر وغفر) أى صبر على الأذى وستر السيئة (إن ذلك لمن عزم الأمور) قال سعيد بن جبير معنى لمن حق الأمور التى أمر الله تعالى بها أى لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التى عليها ثواب جزيل وثناء جميل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى الطرسوسى حدثنا مصعب بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا قتل يا أخى اعف عنه فان العفو أقرب للتقوى فان قال لا يحتمل قلبى العفو ولكن أنتصر كما أمرنى الله عز وجل فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو فانه باب واسع فانه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينال على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الأمور . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله إنه كارهى يشتنى وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقتت قال « إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حصر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان » ثم قال - يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها

لله إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صله إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة » وكذا رواه أبو داود عن عبد الأعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبري عن بشير بن الحر عن سعيد بن المسيب مرسلًا وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو مناسب للصديق رضى الله عنه

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذُلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة أنه ما شاء كان ولا رادله ومالم يشأ لم يكن فلاموجد له وأنه من هدهاء فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له كما قال عز وجل (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) ثم قال عز وجل مخبرًا عن الظالمين وهم المشركون بالله (لما رأوا العذاب) أى يوم القيامة آمنوا الرجعة إلى الدنيا (يقولون هل إلى مراد من سبيل) كما قال جل وعلا (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله عز وجل (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى الذى قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى (ينظرون من طرف خفي) قال مجاهد يعنى ذليل أى ينظرون إليها مسارقة خوفا منها والذى يحذرون منه واقع بهم لاحالة وما هو أعظم بما فى نفوسهم أجازنا الله من ذلك (وقال الذين آمنوا) أى يقولون يوم القيامة (إن الخاسرين) أى الخسار الأكبر (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم فى دار الأبد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبائهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) أى دائم سرمدى أبدى لا خروج لهم منها ولا عجد لهم عنها وقوله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أى يقدونهم بمأم فيه من العذاب والنكال (ومن يضل الله فما له من سبيل) أى ليس له خلاص

﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾

لما ذكر تعالى ما يكون فى يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال (استجبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى إذا أمر بكونه فانه كلمع البصر يكون وليس له دافع ولا مانع . وقوله عز وجل (ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أى ليس لكم حصن تحصنون فيه ولا مكان يستتركم وتتنكرون فيه فتصيبون عن بصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بجمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه إلا إليه (يقول الانسان يومئذ أين للفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر) وقوله تعالى (فان أعرضوا) يعنى الشركين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى لست عليهم بمسيطر ، وقال عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال تعالى (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال جل وعلا ههنا (إن عليك إلا البلاغ) أى إنما

كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم ثم قال تبارك وتعالى (وإنا إذا أذقنا الإنسان منارحة فرح بها) أى إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك (وإن تصبهم) يعنى الناس (سيئة) أى جذب ونقمة وبلاء وشدة (فإن الإنسان كفور) أى يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف إلا الساعة الراهنة فإن أصابته نعمة أشرب وبطر وإن أصابته محنة يشرب وقنط كما قال رسول الله ﷺ للنساء « يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة ولم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لأنكن تكفرن الشكاية وتكفرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يوما قالت ما رأيت منك خيرا قط » وهذا حال أكثر النساء إلا من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الدين آمنوا وعملوا الصالحات فالؤمن كما قال ﷺ « إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »

﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا وَهَبُ لِمَن يَشَاءُ اللَّهُ كُورَ * أَوْ يَرْزُقُهُمْ ذُرًّا أَوْ إِنَّا وَهَبُ لِمَن يَشَاءُ عَقِيًّا إِنَّهُ عَزِيزٌ قَدِيرٌ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والتصرف فيهما وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه يخلق ما يشاء (يهب لمن يشاء إناثا) أى يرزقه البنات فقط قال البغوى ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام (ويهب لمن يشاء الذكور) أى يرزقه البنين فقط قال البغوى كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكورا وإناثا) أى ويعطى لمن يشاء من الناس الزوجين الله كر والأثني أى من هذا وهذا ، قال البغوى كمحمد صلى الله عليه وسلم (ويجعل من يشاء عقيما) أى لا يولد له قال البغوى كيعسى وعليهما الصلاة والسلام ، فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما لا نسل له ولا ولد له (إنه عليم) أى بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام (قدير) أى على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك ، وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ولنجعل آية للناس) أى دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فأدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى ، وحواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى ، وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى ، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر ، فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . ولهذا قال تعالى (ولنجعل آية للناس) فهذا المقام فى الآباء والمقام الأول فى الأبناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف فى روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتبارى فيه أنه من الله عز وجل كإدعاء فى صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فأتقوا الله وأجملوا فى الطلب » وقوله تعالى (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فانه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما « ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أبلك كفاحا » كذا جاء في الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا وقوله عز وجل (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إنه على حكيم) فهو على علم خير حكيم وقوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) يعني القرآن (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) أى على التفصيل الذى شرع لك فى القرآن (ولكن جعلناه) أى القرآن (نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) كقوله تعالى (قل هو الذى آمنواهدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقروهم عليهم عمى) الآية وقوله تعالى (وإنك) أى يا محمد (لتهدى إلى صراط مستقيم) وهو الخلق القويم ثم فسر به قوله تعالى (صراط الله) أى شرعه الذى أمر به الله (الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) أى ربهما ومالكهما والتصرف فيهما والحاكم الذى لا معقب لحكمه (ألا إلى الله تصير الأمور) أى ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

﴿ تفسير سورة الزخرف وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حَمْ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ * أَمْ نَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ * وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَأَهْلِكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَنْ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ ﴾

يقول تعالى (حم والكتاب المبين) أى البين الواضح الجلى المعانى والألفاظ لأنه نزل بلغة العرب التى هى أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى (إنا جعلناه) أى أنزلناه (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب فصيحاً واضحاً (لعلكم تعقلون) أى تفهمونه وتتدبرونه كما قال عز وجل (بلسان عربى مبين) وقوله تعالى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) بين شرفه فى الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيحه أهل الأرض فقال تعالى (وإنه) أى القرآن (فى أم الكتاب) أى اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (لدينا) أى عندنا قاله قتادة وغيره (لعلى) أى ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة (حكيم) أى محكم برى من اللبس والزيغ . وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال تبارك وتعالى (إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين) وقال تعالى (كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة) ولهذا استنبط العلماء رضى الله عنهم من هاتين الآيتين أن المحدث لا يمسه المصحف كما ورد به الحديث إن صح لأن الملائكة يعظمون المصحف المشتملة على القرآن فى الملأ الأعلى ، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالأكرام والتعظيم ، والالتقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله تعالى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وقوله عز وجل (أَمْ نَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ؟) اختلف المفسرون فى معناها فقبل معناها أن نصف عنكم فلا نعتبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به قاله ابن عباس رضى الله عنهما وأبو صالح ومجاهد والسدى واختاره ابن جرير ، وقال قتادة فى قوله تعالى (أَمْ نَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ؟) والله لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بعائده ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جدا وحاصله أنه يقول فى معناه أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلق لا يترك دعاهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدى به من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم قال جل وعلا مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى

تكذيب من كذبه من قومه وأمراله بالصبر عليهم (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) أى في شيع الأولين (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) أى يكذبونه ويسخرون به . وقوله تبارك وتعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى فأهلكنا المكذبين بالرسول وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد كقوله عز وجل (أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) والآيات في ذلك كثيرة جدا . وقوله جل جلاله (ومضى مثل الأولين) قال مجاهد: ستمهم . وقال قتادة: عقوبتهم . وقال غيرهما: عبرتهم أى جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة (فجعلناهم سلفا ومثالا لآخرين) وكقوله جل جلالته (سنة الله التي قد خلت في عباده) وقال عز وجل (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْغَبُونَ لَتَسْتَوْا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾

يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد ثم قال تعالى (الذى جعل لكم الأرض مهذا) أى فراشا قرارا ثابتة تسرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تמיד هكنا ولا هكذا (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا بين الجبال والأودية (لعلكم تهتدون) أى فى سيركم من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم . وقوله تبارك وتعالى (فأنشرنا به بلدة ميتا) أى أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ثم نبه تعالى بأحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم الماد بعد موتها فقال (كذلك تخرجون) . ثم قال عز وجل (والذى خلق الأزواج كلها) أى مما تنبت الأرض من سائر الأنصاف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك . ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها (وجعل لكم من الفلك) أى السفن (والأنعام ما تركبون) أى ذلها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا (لتستوا على ظهوره) أى لتستوا متمكنين مرتفقين (على ظهوره) أى على ظهور هذا الجنس (ثم تذكروا نعمة ربكم) أى فى سخر لكم (إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أى مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه . قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والسدى وابن زيد : مقرنين أى أمطيقين (وإننا إلى ربنا لمقلبون) أى لصائرون إليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد النبوى على الزاد الأخرى فى قوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وباللباس النبوى على الأخرى فى قوله تعالى (وريشا ولباس التقوى ذلك خير)

﴿ ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة ﴾

﴿ حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال الإمام حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبى إسحاق

عن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال باسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون) ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له م ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت م ضحكت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري » وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالي به وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة قلت لأبي إسحاق السبيعي ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب فقلت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته ؟ فقال من رجل سمعه من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدي عن علي بن ربيعة الوالي به (حديث عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما قال الإمام أحمد حدثنا أبو الفيرة حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ أردفه علي دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله ﷺ ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال « ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل عليه فضحك إليه كما ضحكت إليك » تفرد به أحمد (حديث عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ثم يقول — اللهم إني أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا السفر واطولنا البعيد ، اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا » وكان صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى أهله قال « آيئون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون » وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة إلى الحج فقلنا يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم « ما من بعير إلا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم ثم امتنعوها لأنفسكم فأنما يحمل الله عز وجل » أبو لاس اسمه محمد بن الأسود بن خلف (حديث آخر) في معناه قال أحمد حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله بن حوطي بن إسحاق أخبرنا عبد الله بن أبي المبارك أخبرنا أسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم »

(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَةًكُمْ بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشِّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِلَاصِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْنَا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)

يقول تعالى عبرا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر

الله عز وجل عنهم في سورة الأنعام في قوله تبارك وتعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحراث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون) وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى (ألكم الله كره ولهم الأثني * تلك إذا قسمة ضيزى) وقال جل وعلا ههنا (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين) ثم قال جل وعلا (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟) وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار . ثم ذكر تمام الإنكار فقال جل وعلا عظمتهم (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أي إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه إلى الله عز وجل ، ثم قال سبحانه وتعالى (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيبة أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ، فالأثني ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب

وما الحلي إلا زينة من تقيصة * يتمم من حسن إذا الحسن قصرا

وأما إذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

وأما نقص معناها فافها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا همة كما قال بعض العرب وقد بشر بينت ما هي بنعم الولد نصرها بكاء ، وبرها سرقة ، وقوله تبارك وتعالى (وجعلوا اللاتكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) أي اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال (أشهدوا خلقهم) أي شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا (ستكتب شهادتهم) أي بذلك (ويستلون) عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي هي على صور اللاتكة التي هي بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ (أحدها) جعلهم لله تعالى ولدا ، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا (الثاني) دعواهم أنه اصطفي البنات على البنين فجعلوا اللاتكة الذين هم عباد الرحمن إناثا (الثالث) عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخطب في الجاهلية الجهلاء (الرابع) احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا فانه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار فانه منذ بعث الرسل وأزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقال عز وجل (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال جل وعلا في هذه الآية بعد أن ذكر حججهم هذه (ما لهم بذلك من علم) أي بصحة ما قالوه واحتجوا به (إن هم إلا يخرصون) أي يكذبون ويتقولون ، وقال مجاهد في قوله تعالى (ما لهم بذلك من علم ان هم إلا يخرصون) يعني ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك

﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ * قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُوكُمْ بِآهْتِكُمْ إِنَّمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل شركهم (فهم به مستمسكون) أى فيما هم فيه أى ليس الأمر كذلك كقوله عز وجل (أم أنزلنا عليهم سلطانا نفو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى لم يكن ذلك . ثم قال تعالى (بل قالوا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) أى ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين ههنا وفي قوله تبارك وتعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة) وقولهم (وانا على آثارهم) أى وراءهم (مهتدون) دعوى منهم بلا دليل . ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسول تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالاتهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) * أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وهكذا قال ههنا (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ثم قال عز وجل (قل) أى يا محمد لهؤلاء المشركين (أو لو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) أى ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتم به لما اتقادوا لذلك لسوء قصدكم ومكابرتهم للحق وأهله . قال الله تعالى (فاتقوا الله يا أيها الذين آمنوا لعلكم تفلحون) أى من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم (فانظر كيف كان عاقبة الكاذبين) أى كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ * نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ سُلْطَانًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَحْكُمُونَ * وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُفْكَاً مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليفه إمام الخلفاء والوالد من بعث بعده من الأنبياء الذى تنتسب إليه وریشه في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال (إني براء مما تعبدون) * إلا الذى فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه) أى هذه الكلمة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهى لا إله إلا الله أى جعلها دأمة في ذريته يقتدى به فيها من هداية الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام (لعلهم يرجعون) أى إليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم في قوله عز وجل (وجعلها كلمة باقية في عقبه) (يعنى لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها . وروى نحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقال ابن زيد كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا (بل متعت هؤلاء) (يعنى المشركين) (وآباءهم) أى فتناول عليهم العمر في ضلالهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) (أى بين الرسالة والنذارة) (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) (أى كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والراح كفرا وحسدا وبغيا) (وقالوا) أى كالمترضين على الذى أنزله تعالى وتقدس (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أى هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدى وابن زيد وقد ذكر

غيروا حد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي . وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي . وعن مجاهد يعنون عمر بن عمرو بن مسعود الثقفي وعنه أيضا أنهم يعنون عتبة بن ربيعة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما جبارا من جبابرة قريش وعنه رضى الله عنهما أنهم يعنون الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد الليل بالطائف وقال السدي عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدين كان . قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم فى هذا الاعتراض (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) أى ليس الأمر مردوداً إليهم بل إلى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالته فانه لا ينزلها إلا على أذى الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأطهرهم أصلاً ثم قال عز وجل مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والتهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) الآية . وقوله جلت عظمتها (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) قيل معناه ليسخر بعضهم بعضاً فى الأعمال لا حثاج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا قاله السدي وغيره وقال قتادة والضحاك ليلك بعضهم بعضاً وهو راجع إلى الأولى . ثم قال عز وجل (ورحمة بك خير مما يجمعون) أى رحمة الله بخلقهم خير لهم مما يبيدهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالى (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال . هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج) أى سلام ودرجا من فضة . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم (عليها يظهرون) أى يصعدون وليوتهم أبواباً أى أغلاقاً على أبوابهم (وسرراً عليها يتكئون) أى جميع ذلك يكون فضة (وزخرفاً) أى ذهباً . قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد . ثم قال تبارك وتعالى (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أى إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحاقرة عند الله تعالى أى يجعل لهم بحسانهم التى يعملونها فى الدنيا ما كل ومشرب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح . وورد فى حديث آخر « لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء » أسنده البغوى من رواية زكريا بن منظور عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الطبرانى من طريق زمعة بن صالح عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم « لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئاً » ثم قال سبحانه وتعالى (والآخرة عند ربك للمتقين) أى هى لهم خاصة لا يشاركون فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله ما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه فرآه على رمال حصيد قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يا رسول الله هذا كسرى وقصر فيها مما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس وقال « أوفى شك أنت يا ابن الخطاب » ثم قال صلى الله عليه وسلم « أولئك قوم عجبت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا » وفى رواية « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » . وفى الصحيحين أيضا وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافها فانها لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة » وإنما حولهم الله تعالى فى الدنيا لحقارتها كما روى الترمذى وابن ماجه من طريق أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً » قال الترمذى حسن صحيح

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُنَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۖ ﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ نَاقِلٌ يَلَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۖ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ

فَلْتَسْمُ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ أَوْ تَهْدِي الْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿

يقول تعالى (ومن يعش) أى يتعاضى ويتغافل ويعرض (عن ذكر الرحمن) والعشا فى العين ضعف بصرها والمراد ههنا عشا البصيرة (يقبض له شيطانافهو له قرين كقوله تعالى) (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية وكقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وكقوله جل جلاله (وقيضنا لهم قرناء فزيووا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) الآية ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا (وإنهم ليعصونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا) أى هذا الذى تغافل عن الهدى يقبض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الحليم . فإذا وفى الله عز وجل يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذى وكل به (قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقرأ بعضهم (حتى إذا جاءنا) يعنى القرين والقارن . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريرى قال : بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة تشفع يده شيطان فلم يفارقة حتى يصيرها الله تبارك وتعالى إلى النار فذلك حين يقول (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) والمراد بالمشرقين هاهنا هو ما بين الشرق والغرب . وإنما استعمل هاهنا تغليبا كما يقال: القمران والعمران والأبوان . قاله ابن جرير وغيره . ثم قال تعالى (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) أى لا ينفى عنكم اجتماعكم فى النار واشتراكم فى العذاب الأليم وقوله جلّت عظمتة (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين .) أى ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل فى ذلك . ثم قال تعالى (فأما نذهب بك فإنا منهم منتقمون) أى لا بد أن تنتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهب أنت (أو نرينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون) أى نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه فى نواصبيهم . وملكه ما تضمنته صياصبيهم هذا معنى قول السدى واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا فتادة (فأما نذهب بك فإنا منهم منتقمون) فقال ذهب النبى ﷺ وبقيت النعمة ولن يرى الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبى قط إلا وقد رأى العقوبة فى أمته إلا نبيكم ﷺ . قال وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أرى ما يصيب أمته من بعده فإرمى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبى عروبة عن فتادة نحوه ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضا وفى الحديث «النجوم أمانة للسماء فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمانة لأصحابى فإذا ذهب أتى أصحابى ما يوعدون» ثم قال عز وجل (فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) أى خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق وما يهذى إليه هو الحق للفضى إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم للقيم . ثم قال جل جلاله (وإنه لذكر لك ولقومك) قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعجابه وفتادة والسدى وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواء وأورد الترمذى ههنا حديث الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن هذا الأمر فى قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين» رواه البخارى ومعناه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغى أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلق من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم وقيل معناه (وإنه

له كرك لك ولقومك) أى لتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم كقوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) وكقوله تبارك وتعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) (وسوف تستلون) أى عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له . وقوله سبحانه وتعالى (واسئلكم من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى جميع الرسل دعوا إلى مادعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد كقوله جلت عظمتة (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) قال مجاهد في قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واسئلكم الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا . وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى عن ابن مسعود رضى الله عنه . وهذا كأنه تفسير لاتلاوة والله أعلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسألهم ليلة الإسراء فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له ، واختار ابن جرير الأول والله أعلم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِنَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِنَاتِنَا إِذَاهُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَاهُمْ يَنْكُشُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام أنه ابتعثه إلى فرعون وملكه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبنى إسرائيل ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه وأنه بعث معه آيات عظيمة كيد وعصا ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن قص الزروع والأنفس والثمار ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والالتقاد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا بمن جاءهم بها (وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها) ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخباياهم . وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة بقولهم (يا أيها الساحر) أى العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر في زمانهم مذموما عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لاتناسب ذلك وإنما هو تعظيم في زعمهم ففى كل مرة يهدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بنى إسرائيل . وفى كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن ملك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالقوه إذا هم ينكثون)

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ سَاهِيٌّ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ * فَلَمَّا ءَاسَفُونَا نَتَمَنَّىٰ مِنْهُمْ فَأَعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون ومجرمه وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرف فيها (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟) قال قتادة قد كانت لهم جنات وأنهار (أفلا تبصرون) أى أفلا ترون ما أنافيه من العظمة والملك يعنى وموسى وأتباعه قراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى (فحشر فنادى * فقال

أنا ركبكم الأعلى * فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) وقوله (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) قال السدي يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن أم هانئ بمعنى بل ، ويؤيد هذا ما حكاه القراء عن بعض القراء أنه قرأها (أما أنا خير من هذا الذي هو مهين) قال ابن جرير ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واصحا ولكنها خلاف قراءة الأمصار فانهم قرأوا (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) على الاستفهام [قلت] وعلى كل تقدير فانما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله المتتاعة إلى يوم القيامة . ويعني بقوله مهين كما قال سفيان حقيير وقال قتادة والسدي يعني ضعيف وقال ابن جرير يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال (ولا يكاد يبين) يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عي حصر قال السدي (لا يكاد يبين) أي لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدي وابن جرير يعني عي اللسان وقال سفيان يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فيه وهو صغير ، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وانما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ما ينظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يهر أبصار ذوى الأبواب ، وقوله (مهين) كذب بل هو المهين الحقير خلقه وخلقا ودينا ، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد ، وقوله (ولا يكاد يبين) افتراء أيضا فانه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من حجة تلك الجمرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استحباب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله (قد أوتيت سؤلك يا موسى) وتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام ، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدرى هذا وإنما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) وهي ما يجعل في الأيدي من الحلى قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقاتدة وغير واحد (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه ، نظر إلى الشكل الظاهر ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه لو كان يفهم ولهذا قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) أي استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له (إنهم كانوا قوما فاسقين) قال الله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما آسفونا أسخطونا ، وقال الضحاك عنه أغضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وقاتدة والسدي وغيرهم من المفسرين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم التميمي عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يشاء وهو مقبم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له » ثم تلا ﷻ (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضى الله عنه فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرأ رضى الله عنه (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وجدت النعمة مع الغفلة يعني قوله تبارك وتعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وقوله سبحانه وتعالى (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) قال أبو عبيد سلفا لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد ومثلا أي عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى للوفق للصواب واليه المرجع والمآب

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا يَا إِلَهُتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصَصُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مِثْلًا لِّمَنْ فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَكَيْفٌ لِلَّسَاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ فِيهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدُّكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَإِنَّ رَبَّنَا لَفِي شَيْءٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَيَنْقَضُوا عَنْهُمْ وَأَنْ يَخْلُفُوا عَنْهُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَكُم مِّنْ رَبٍّ ثُمَّ يُنَادُوا بِمِثْلِهِمْ ﴾

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ ﴿١﴾

يقول تعالى مخبرا عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قال غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك يضحكون أى أعجبوا بذلك ، وقال قتادة: يجزعون ويضحكون . وقال إبراهيم النخعي يعرضون وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بطنى يومامع الوليد بن الغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) الآيات : ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير التيمي حتى جلس فقال الوليد بن الغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعيد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبير أما والله لو وجدته لحصمته ، سلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » فأنزل الله عز وجل (إن الذين سبقوا هم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) أى عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجه وخصومته (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) أى يصدون عن أمرك بذلك من قوله . ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل * ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخفون * وإنه لعلم للساعة) أى ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول (فلا تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قال يعنى قريشا لما قبل لهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إلى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم ؟ قال « ذاك عبد الله ورسوله » فقالوا والله ما يريد هذا إلا أن يتخذ ربا كما اتخذ النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصارى قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد علمت آية من القرآن مأسألى عنها رجل قط ولا أدرى أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفتنوا لها فيسألوا عنها . قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها فقلت أنا لها إذا راح غدا فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمسى أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفتنوا لها فقلت أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلي ، قال رضي الله عنه نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش « يا معشر قريش إنه ليس أحديهم من دون الله فيه خير » وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألسنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان

نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فإن كنت صادقاً كان آلهتهم كما تقولون قال فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قلت ما يصدون ؟ قال يضحكون (وإنه لعلم للساعة) قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم ابن أبي الجود عن أبي أحمد مولى الأنصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » فقالوا له ألسنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قالت قريش إنما يريد محمدان نعبده كما عبد قوم عيسى عليه السلام ، ونحو هذا قال قتادة . وقوله (وقالوا أآلهتنا خير أم هذا) يعنيون محمداً ﷺ . وقوله تبارك وتعالى (ماضربوه لك إلاً جديلاً) أي مرأى وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يعقل وهي قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ثم هي خطاب لقريش وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين أن مقاتلتهم إنما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها ، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ماضربوه لك إلاً جديلاً بل هم قوم خصمون) وقدرناه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ، ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه كذا قال . وقد روى من وجه آخر عن أبي أمامة رضي الله عنه بزيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حميد بن عياش الرمي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال حماد لا أدري رفعه أم لا ؟ قال : ماضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل ، ثم قرأ (ماضربوه لك إلاً جديلاً بل هم قوم خصمون) وقال ابن جرير أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عباد بن جعفر عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الحبل ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض فانه ماضل قوم قط إلا أوتوا الجدل » ثم تلا صلى الله عليه وسلم (ماضربوه لك إلاً جديلاً بل هم قوم خصمون) . وقوله تعالى (إن هو إلا عبد أأنعمنا عليه) يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ما هو إلا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة (وجعلناه مثلاً لى إسرائيل) أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عز وجل (ولونشاء لجعلنا منكم) أي بذلك (ملائكة في الأرض يخلفون) قال السدي يخلفونكم فيها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتلة خلف بعضهم بعضاً كما يخلف بعضهم بعضاً وهذا القول يستلزم الأول ، وقال مجاهد يعمرؤن الأرض بذلك وقوله سبحانه وتعالى (وإنه لعلم للساعة) تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفي هذا نظر . وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فإن السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وإنه لعلم للساعة) أي أمانة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد (وإنه لعلم للساعة) أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقاتلة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى

عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا . وقوله تعالى (فلا تَمَرَّن بها) أى لا تشكوا فيها إنها واقعة وكائنة لا محالة (واتبعون) أى فيما أخبركم به (هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان) أى عن اتباع الحق (إنه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولأين لكم بعض الذى تختلفون فيه) قال ابن جرير يعنى من الأمور الدينية لا الدنيوية وهذا الذى قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا يعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال :

نزال أمكنة إذا لم أرضها * أو يتعلق بعض النفوس حمامها

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس . قال ابن جرير وإنما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذى قاله محتمل وقوله عز وجل (فاتقوا الله) أى فيما أمركم به (وأطيعوا) أى فيما جئكم به (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى أنا وأتم عبيد له قراء إليه مشتركون فى عبادته وحده لا شريك له (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى جئكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده . وقوله سبحانه وتعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق وصاروا شيعا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعى أنه ولد الله ، ومنهم من يقول إنه الله . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . ولهذا قال تعالى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَعْبادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا بِثَأْنِ دُنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا اشْتَهَتْهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)

يقول تعالى هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسول (إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) أى فانها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين . فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم . وقوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) أى كل صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (إنما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الحارث عن طى رضى الله عنه (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفى أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم إن فلانا خليلى كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهى عن الشر وينبئنى أنى ملائكتك اللهم فلا تفضله بعدى حتى تزيه مثل ما أريتنى . وترضى عنه كما رضى عني فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله عندى لضحك كثيرا وبكيت قليلا . قال ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما فيقال ليئن أحدكما طى صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم نعم الأخ ونعم الصحاب ونعم الخليل . وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول اللهم إن خليلى فلانا كان يأمرنى بمعصيتك ومعصية رسولك . ويأمرنى بالشر وينهى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملائكتك اللهم فلا تهده بعدى حتى تزيه مثل ما أريتنى وتسخط عليه كما سخطت طى قال فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما . فيقال ليئن كل واحد

منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بشئ الأخ وبشئ الصاحب وبشئ الخليل رواه ابن أبي حاتم .
وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا اللتين ، وروى الحافظ ابن عساكر
في ترجمة هشام بن أحمد عن هشام بن عبد الله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الحضر بالرقعة عن معاذي حدثنا حكيم
ابن نافع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن
رجلين تحابا في الله أحدهما بالشرق والآخر بالغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذى أحببته في » وقوله
تبارك وتعالى (يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) ثم بشرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)
أى آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادوا لشرع الله جوارحهم وظواهرهم . قال المتمر بن سليمان عن أبيه إذا كان يوم
القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فزع فينادى مناد (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)
فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) قال فيأمر الناس منها غير المؤمنين (ادخلوا
الجنة) أى يقال لهم ادخلوا الجنة (أنتم وأزواجكم) أى نظرائكم (تحبسون) أى تتنعمون وتسعدون وقد تقدم تفسيرها
في سورة الروم (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) أى زيادى آتية الطعام (وأكواب) وهى آتية الشراب أى من
ذهب لا خراطيم لها ولا عرى (وفيها ما تشتهى الأنفس) وقرأ بعضهم تشتهى الأنفس (وتلذذ الأعين) أى طيب الطعام
والريح وحسن النظر ، قال عبد الرزاق معمر أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد قال : إن عكرمة مولى ابن عباس
رضى الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل
الجنة بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع
شبر إلا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحيفة من ذهب ليس فيها صحيفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله
شهوته في آخرها كشهوته في أولها لونزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم بما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتى شيئا »
وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا عمرو بن سواد السرحى حدثني عبد الله بن وهب عن ابن
لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن بن أبي هريرة رضى الله عنه أن أبا أمامة رضى الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ
حدثهم وذكر الجنة فقال « والذى نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله
طعام آخر فيتحول الطعام الذى في فيه على الذى اشتهى » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيه ما تشتهيه
الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون) وقال الإمام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز
حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن أدنى أهل الجنة منزلة من له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح
كل يوم بثلثمائة صحيفة - ولا أعلمه إلا قال من ذهب - في كل صحيفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، ومن
الأشربة ثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول يا رب لو أذنت لى لأطعمت
أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شيء وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا
وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض » وقوله تعالى (وأنتم فيها) أى في الجنة (خالدون) أى لا تخرجون
منها ولا تبغون عنها حولا . ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان (وتلك الجنة التى أوردتموها بما كنتم تعملون) أى
أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم فإنه لا يدخل أحد عمله الجنة ولكن برحمة الله وفضله وإنما الدرجات
ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات قال ابن أبي حاتم حدثنا الفضل بن شاذان المقرئ حدثنا يوسف بن يعقوب
يبنى الصفار حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« كل أهل النار يرى منزله من الجنة فيكون له فيقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين) وكل أهل
الجنة يرى منزله من النار فيقول (وما كنا لتهدى لولا أن هدانا الله) فيكون له شكرا » قال : وقال رسول الله ﷺ
« ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار . والمؤمن يرث

الكافر منزله من الجنة وذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) « وقوله تعالى (لكم فيها كافة كثيرة) أى من جميع الأنواع (منها تأكلون) أى مهما اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكه لتتم النعمة والغبطة وانه تعالى أعلم

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ * خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ * وَمَا ظَنَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مُّكْثُونَ * لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِحَقِّ كَرِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُّبرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الأشقياء فقال (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتقر عنهم * وهم فيه مبسئون) أى آيسون من كل خير (وما ظنناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أى بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجازوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد (ونادوا يا مالك) وهو خازن النار . قال البخارى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان ابن يعلى عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على النبر (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أى يقبض أرواحنا فيرجعنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال عز وجل (ويتجنبها الأشقياء * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيا) قلنا سألو أن يموتوا أحابهم مالك (قال إنكم ماكثون) قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال إنكم ماكثون رواه ابن أبي حاتم أى لا خروج لكم منها ولا عهد لكم عنها . ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال (لقد جئناكم بالحق) أى بيناه لكم ووضحناه وفسرناه (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه وإعانتها للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم باللامه واندموا حيث لا تنفعكم الندامة ثم قال تبارك وتعالى (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون) قال مجاهد أرادوا كيد شرفك دناهم وهذا الذى قاله مجاهد كما قال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكراهم لا يشعرون) وذلك لأن الشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قال (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى سرهم وعلانياتهم (بل ورسلنا لديهم يكتبون) أى نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ * سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرَهُمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ * وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَقِيلَ لَهُ رَبُّ إِنْ هُوَ إِلَّا قَوْمٌ لَا يَوْمِنُونَ * فاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد (إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى لو فرض هذا لعبده على ذلك لآتى عبد من عبده مطيع لجميع ما يأمرني به ليس عندى استكبار ولا إباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممنوع فى حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا كما قال عز وجل (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاسطقى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى (فانا أول العابدين) أى الآتين ومنهم سفيان الثورى والبخارى حكاه فقال ويقال أول العابدين الجاحدين من عبد يعبد ، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأطل عن ابن وهب حدثني ابن أبي ذئب عن أبي قسيط عن بعة بن بدر الجهنى أن امرأته منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها أن ترجع فدخل عليه على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : إن الله تعالى يقول فى كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال عز وجل (وفصاله فى عامين) قال فوالله ما عبد عثمان رضى الله عنه أن يبعث إليهما ترد قال يونس قال ابن وهب : عبدة : استنكف . وقال الشاعر .

مق ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لأنه كيف يلتزم مع الشرط فيكون تقديره إن كان هذا فانا ممنوع منه ؟ هذا فيه نظر فليتأمل اللهم إلا أن يقال إن إن ليست شرطا وإنما هى نافية كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد) يقول لم يكن للرحمن ولد فانا أول الشاهدين وقال قتادة : هى كلمة من كلام العرب (إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى إن ذلك لم يكن فلا ينبغي ، وقال أبو صخر (قل إن كان للرحمن ولدا فانا أول العابدين) أى فانا أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحده ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد (فانا أول العابدين) أى أول من عبده ووحده وكذبكم ، وقال البخارى (فانا أول العابدين) الآتين وهما لعتان رجل عابد وعبد والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ولكن هو ممنوع ، وقال السدى (قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) يقول لو وكان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن إن نافية . ولهذا قال تعالى (سبحانه رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد فانه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له . وقوله تعالى (فذرهم يخوضوا) أى فى جهلهم وضلالهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم القيامة أى فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم فى ذلك اليوم . وقوله تبارك وتعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو إله من فى السماء وإله من فى الأرض يعسده أهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه (وهو الحكيم العليم) وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون أى هو للدعوى الله فى السموات والأرض (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما) أى هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أى استقر له السلامة من العيوب والنقائص لأنه الرب العلى العظيم المالك للأشياء الذى يده أزمة الأمور تقضا وإبراما (وعنده علم الساعة) أى لا يحيلها لوقتها إلا هو (وإليه ترجعون) أى فيجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ثم قال تعالى (ولا يملك الذى يدعون من دونه) أى من الأصنام والأوثان (الشفاعة) أى لا يقدر على الشفاعة لهم (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) هذا استثناء منقطع أى لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فانه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . ثم قال عز وجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أى ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلقهم ليقولن الله) أى هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعا وحده لا شريك له فى ذلك ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئا ولا يقدر على شيء فهم فى ذلك فى غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل . ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون) . وقوله جل وعلا (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) أى وقال محمد صلى الله عليه وسلم قيله أى شكك إلى ربه شكوا من قومه الذين كذبوه فقال يا رب

إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضى الله عنه ومجاهد وقادة وعليه فسر ابن جرير، قال البخارى وقرأ عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه (وقال الرسول يا رب) وقال مجاهد في قوله (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال يؤثر الله عز وجل قول محمد ﷺ وقال قتادة: هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى ربه عز وجل. ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى (وقيله يا رب) قراءتين إحداهما النصب ولها توجيهان أحدهما أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى (نسمع سرهم ونجواهم) والثاني أن يقدر فعل وقال قيله، والثانية والحذف وقيله عطفا على قوله (وعنده علم الساعة) وتقديره وعلم قيله وقوله تعالى (فاصفح عنهم) أى للشركين (وقل سلام) أى لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولا (فسوف يعلمون) هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا أحل بهم بأسه الذى لا يرد وأعطى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام في المشرق والمغرب والله أعلم. آخر تفسير سورة الزخرف

(تفسير سورة الدخان وهى مكية)

قال الترمذى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن أبى خنم عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمرو بن أبى خنم يضعف قال البخارى: منكر الحديث ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحباب عن هشام أبى القدام عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو القدام يضعف والحسن لم يسمع من أبى هريرة رضى الله عنه كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وطى بن زيد رحمة الله عليهم أجمعين. وفي مسند البزار من رواية أبى الطفيل عامر بن واثلة عن زيد ابن حارثة أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد «إني قد خبأت خبايا هو؟» وخبأه رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ. فقال «أخسا ما شاء الله» ثم انصرف

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿حَمْ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَيِّ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾

يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهى ليلة القدر كما قال عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى (وشهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجمة فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذى رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري أخبرنى عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل ليتكعب ويولد له وقد أخرج اسمه في الوتى» فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص وقوله عز وجل (إنا كنا منذرين) أى معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم جنة الله على عباده وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أى في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وأبى مالك والضحاك وغير واحد

من السلف وقوله جل وعلا (حكيم) أى محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله (أمرا من عندنا) أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه بأمره وإذنه وعلمه (إنا كنا مرسلين) أى إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبینات فان الحاجة كانت ماسة إليه ولهذا قال تعالى (رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السموات والأرض وما بينهما) أى الذى أنزل القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما (إن كنتم مؤمنين) أى إن كنتم متحققين ثم قال تعالى (لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) وهذه الآية كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت) الآية

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَتَى لَهُمُ الْدُّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ)

يقول تعالى بل هؤلاء الشركون في شك يلعبون أى قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ، ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهددا (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال سليمان بن مهران الأعشى عن أبي الضحى : مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال دخلنا المسجد يعنى مسجد الكوفة عند أبواب كندة فإذا رجل يقص على أصحابه (يوم تأتي السماء بدخان مبين) تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة يأخذ بأسماع المناقبين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضى الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففرع قفعد وقال إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام واستصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والليثة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، قال الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) فأتى رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسق صلى الله عليه وسلم لهم فسقوا فزلت (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) قال ابن مسعود رضى الله عنه فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزله الله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال يعنى يوم بدر قال ابن مسعود رضى الله عنه قد مضى خمسة : الدخان والروم والقمر والبطشة والزام ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ورواه الإمام أحمد في مسنده وهو عند الترمذى والنسائى في تفسيريهما وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الأعشى به وقد وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى : جماعة من السلف كجهاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أى حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الرحمن الأعرج في قوله عز وجل (يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جدا بل منكر . وقال آخرون لم يمس الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة : حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن ننذاكر الساعة فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسوف بالشرق وخسوف بالمغرب وخسوف بحزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحترق الناس - تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا » تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه وفي الصحيحين أن

رسول الله ﷺ قل لا بن صياد « إني خبأت لك خبأ » قال هو الدخ فقال صلى الله عليه وسلم له « اخسأ فلن تعدو قدرك » قال وخبأه رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرظون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعنى الدخان فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال صلى الله عليه وسلم « اخسأ فلن تعدو قدرك » ثم قال ابن جرير وحدثني عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبي حدثنا سفيان بن أبي سعيد الثوري حدثنا منصور بن العتمر عن ربيعة بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قبر عدن أبين تسوق الناس إلى الحشر تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان — قال حذيفة رضى الله عنه يا رسول الله وما الدخان ؟ فقال رسول الله ﷺ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب اليم) — يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره » قال ابن جرير لوصح هذا الحديث لكان فاصلا وإنما لم أشهد له بالصحة لأن محمد بن خلف السقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا ، قال فقلت أقرأته عليه ؟ قال لا قال فقلت له أقرأه عليه وأنت حاضر فأقر به ؟ فقال لا فقلت له فمن أين جئت به فقال جاءني به قوم فعرضوه على وقالوا لي سمعنا منا قراءوه على ثم ذهبوا به فحدثوا به عنى أو كما قال وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ههنا فانه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أما كن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جدا ولا سيما في أول سورة بني إسرائيل في ذكر المسجد الأقصى والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضحضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن ربكم أنذركم ثلاثا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة والثالثة الدجال » ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به وهذا إسناد جيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يهبج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه » ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه موقوفا ، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضى الله عنه قال لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال يخرج الدخان يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل مسامع الكافر والنافق حتى يكن كالرأس الحنيد أى المشوى على الرضف ثم قال ابن جرير حدثني محقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدت على ابن عباس رضى الله عنهما ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فاعت حتى أصبحت وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضى الله عنهما خبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مفتح ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أى بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضى الله عنه إنا هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس) أى يتغشاهم ويجمعهم ، ولو كان

أمر آخيايا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه (يغشى الناس) وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) أى يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا كقوله عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أو يقول بعضهم لبعض ذلك وقوله سبحانه وتعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) أى يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله جلّت عظمته (ولو ترى إذا وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وكذا قوله جل وعلا (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) وهكذا قال جل وعلاهنا (آتى لهم الله كرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والندارة ومع هذا تولوا عنه وماوا قفوه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا كقوله جلّت عظمته (يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) الآية كقوله عز وجل (ولو ترى إذا فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) إلى آخر السورة وقوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) يحتمل معنيين (أحدهما) أنه يقول تعالى ولو كشفنا عنكم لعذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعذبتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) وكقوله جلّت عظمته (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لسكاذبون) (والثاني) أن يكون المراد إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأتم مستمرون فيها أتم فيه من الطغيان والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه قال الله تعالى إخبارا عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه حين قالوا (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم وقال قتادة إنكم عائدون إلى عذاب الله وقوله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) فسر ذلك ابن مسعود رضى الله عنه بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفي عنه وعن أبي بن كعب رضى الله عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضا قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن مسعود رضى الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا إسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصرى وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَذْوَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لَا تَمْوُلُوا إِلَى اللَّهِ عَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * وَإِنِّي عُنْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ * وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونِ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَأَءَقَوْمٌ مُّجْرِمُونَ * فَأَمْرٌ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ * وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ * كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ * وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِينَ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ * وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ)

يقول تعالى ولقد اخترنا قبل هؤلاء الشركين قوم فرعون وهم قبط مصر (وجاءهم رسول كريم) يعنى موسى
كليله عليه الصلاة والسلام (أن أدوا إلى عباد الله) كقوله عز وجل (أن أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد
جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) وقوله جل وعلا (إني لكم رسول أمين) أى مأمون على
ما أبلغكموه . وقوله تعالى (وأن لا تعملوا على الله) أى لا تستكبروا عن اتباع آياته والالتقاء لحججه والإيمان يراهينه
كقوله عز وجل (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) (إني آتيتكم بسُلطان مبین) أى
بمحجة ظاهرة واضحة وهى ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والأدلة القاطعات (وإني عدت بربى وربكم أن
ترجمون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم . وقال قتادة الرجم بالحجارة أى أعوذ
بالله الذى خلقنى وخلقكم من أن تصلوا إلى بسوء من قول أو فعل (وإن لم تؤمنوا لى فاعترفوا) أى فلا تعرضوا لى ودعوا
الأمر بينى وبينكم مسالمة إلى أن يقضى الله بيننا فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك
وما زادهم ذلك إلا كفرا وعنادا دعا ربه عليهم دعوة شذت فيهم كما قال تبارك وتعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت
فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أحييت دعوتكما فاستقيما) وهكذا قال ههنا (فدعا ربه أنزه هؤلاء قوم مجرمون)
فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بينى إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا
قال جل جلاله (فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون) كما قال تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب
لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى) وقوله عز وجل ههنا (واترك البحر رهوا إنهم جند مفرقون)
وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبو إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما
كان ليسير حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل إليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جند
مفرقون فيه وأنه لا يخاف دركا ولا يخشى ، قال ابن عباس رضى الله عنهما (واترك البحر رهوا) كهيشته وامضه
وقال مجاهد رهوا طريقا يبسا كهيشته يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم وكذا قال عكرمة والريبع
ابن أنس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الأحمار وسماك بن حرب وغير واحد ثم قال تعالى (كم تركوا من جنات)
وهى البساتين (وعيون وزروع) والمراد بها الأنهار والآبار (ومقام كريم) وهى المساكن الأتية والأماكن
الحسنة . وقال مجاهد وسعيد بن جبير (ومقام كريم) للنابر ، وقال ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافى عن عبد الله
ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال نيل مصر سيد الأنهار سخر الله تعالى له كل نهر بين الشرق والغرب وذلك له فاذا
أراد الله عز وجل أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمدد فأمدته الأنهار بمائها وفجر الله تبارك وتعالى له الأرض
عيونا فاذا انتهى جريه إلى ما أراد الله جل وعلا أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره وقال فى قول الله
تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين) قال كانت الجنان بحافى نهر
النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد وكان له تسع خلج ^(١) خليج الاسكندرية وخليج
دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنتهى متصل لا ينقطع منها شئ، وزرع ما بين الجبلين
كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها
وجسورها وخليجها (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أى عيشة كانوا يتفكحون فيها فإكلون ماشاءوا ويلبسون ما أحبوا مع
الأموال والجاهات والحكم فى البلاد فسلبوا ذلك جميعه فى صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس
المصير واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنوا إسرائيل كما قال تبارك وتعالى (كذلك
وأورثناها بنى إسرائيل) . وقال فى الآية الأخرى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها

(١) الخليج . شرم من النهر ويطلق على النهر ، وعلى السفينة والجمع خلجان وخلق . وقوله : تسع خلج هكذا فى الأصول فليحرر .

التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى طى بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا
يعرشون (وقال عز وجل ههنا) كذلك وأورثناها قوما آخرين (وهم بنو إسرائيل كما تقدم . وقوله سبحانه وتعالى
(فما بكت عليهم السماء والأرض) أى لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد فى أبواب السماء فتبكي طى قدمهم ولا لهم
فى الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلماذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم
وعنادهم . قال الحافظ أبو يعلى اللوصلى فى مسنده حدثنا أحمد بن إسحاق البصرى حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا
موسى ابن عبيدة حدثنى يزيد الرقاشى حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
« ما من عبد إلا وله فى السماء ما بان : باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقد جاءه وبكى عليه » وتلا
هذه الآية (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذكر أنهم لم يكونوا يعملوا طى الأرض عملا صالحا يبكي عليهم ولم
يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتقدمهم فتبكي عليهم ، ورواه ابن أبى حاتم
من حديث موسى بن عبيدة وهو الربذى . وقال ابن جرير حدثنى يحيى بن طلحة حدثنى عيسى بن يونس عن صفوان
ابن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمى قال : قال رسول الله ﷺ « إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا
كما بدأ . ألا لغربة طى مؤمن ، مامات مؤمن فى غربة غابت عنه فيها بوا كيه الا بكت عليه السماء والأرض » ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فما بكت عليهم السماء والأرض) ثم قال « إنهما لا يبيكان طى الكافر » وقال
ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عاصم حدثنا أبو أحمد يعنى الزبيرى حدثنا العلاء بن صالح عن النهال بن عمرو عن عباد
ابن عبد الله قال سأل رجل علياً رضى الله عنه هل تبكى السماء والأرض طى أحد فقال له لقد سألتنى عن شئ ما سألتنى
عنه أحد قبلك إنه ليس من عبد إلا له مصلى فى الأرض ومصعد عمله من السماء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل
صالح فى الأرض ولا عمل يصعد فى السماء ثم قرأ طى رضى الله عنه (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)
وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنم عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبير قال آتى ابن عباس
رضى الله عنهما رجل فقال يا أبا العباس أرايت قول الله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)
فهل تبكى السماء والأرض طى أحد ؟ قال رضى الله عنه نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب فى السماء منه
ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذى كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقدته
بكى عليه وإذا أقدمه مصلا من الأرض التى كان يصلى فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم تكن
لهم فى الأرض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض وروى العوفى
عن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه هذا . وقال سفيان الثورى عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : كان يقال تبكى الأرض طى المؤمن أربعين صباحا ، وكذلك مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد ،
وقال مجاهد أيضا مامات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا قال فقلت له أتبكي الأرض ؟ فقال أتعجب
وما للأرض لا تبكى طى عبد كان يعمرها بالكوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكى طى عبد كان لتكبيره وتسبيحه
فيها دوى كدوى النحل وقال قتادة كانوا أهون طى الله عز وجل من أن تبكى عليهم السماء والأرض وقال ابن أبى
حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا عبد السلام بن عاصم حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا للمستورد بن سابق عن عبيد المكتب
عن إبراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا طى اثنين قلت لعبيد أليس السماء والأرض تبكى على المؤمن ؟ قال
ذاك مقامه حيث يصعد عمله قال وتدرى ما بكاء السماء ! قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان ، إن يحيى بن زكريا عليه
الصلاة والسلام لما قتل احموت السماء وقطرت دما . وإن الحسين بن على رضى الله عنهما لما قتل احموت السماء .
وحدثنا على بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو بن نبيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد قال لما قتل الحسين بن على
رضى الله عنهما احموت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكأوها وهكذا قال السدى الكبير وقال عطاء
الحراسانى بكأوها أن تحمر أطرافها . وذكروا أيضا فى مقتل الحسين رضى الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد

تحتة دم عييط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر ، والظاهر أنه من سخط الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكره فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل منه بالاجماع ولم يقع شيء من ذلك ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مظلوما ولم يكن شيء من ذلك . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم ينظروهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكره . ويوم مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت لأحد ولا لحياته . وقوله تبارك وتعالى (ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من السرفين) بمن عليهم تعالى بذلك حيث أقدمهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم وتسخيرهم إياهم في الأعمال المهيبة الشاقة وقوله تعالى (من فرعون إنه كان عاليا) أى مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل (إن فرعون علا في الأرض) . وقوله جل جلاله عظمت (فاستكبروا وكانوا قوما عالىين) من السرفين أى مسرف في أمره سخييف الرأى على نفسه . وقوله جل جلاله (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) قال مجاهد (اخترناهم على علم على العالمين) على من هم بين ظهريه وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال إن لكل زمان عالما وهذا كقوله تعالى (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس) أى أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام (واصطفاك على نساء العالمين) أى في زمانها فان خديجة رضي الله عنها إما أفضل منها أو مساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وقوله جل جلاله (وآتيناهم من الآيات) الحجج والبراهين وخوارق العادات (ما فيه بلاء مبين) أى اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به .

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ * فَأْتُوا بِبَآئِنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى منكراً على الشركين في إنكارهم البعث والمعاد وأنه ماثم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد المات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بأبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقاً (فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد إما هو يوم القيامة لافي الدار الدنيا بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها بعيد الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً ، يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا ومنذراهم بأمره الذي لا يرد كما حل بأشباههم ونظرهم من المشركين للسكرين للبعث كقوم تبع وهم سبأ حيث أهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردهم في البلاد وفرقهم شذر منذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين للمعاد وكذلك ههنا شبههم بأولئك وقد كانوا عرباً من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كل ما ملك فيهم رجل صموه تبعاً كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الأجناس . ولكن اتفق أن بعض تبايعهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى ممر قند واشتد ملكه . وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق أنه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فأراد قتال أهلها فأنصروه وقتلوه بالنهار وجعلوا يقرونه بالليل فاستجيا منهم وكف عنهم واستصحب معه حبرين من أخبار يهود كانوا قد نصحاء وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة فانها مهاجرة نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وأخذها معه إلى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم

الكعبة فنهياهم عن ذلك أيضا وأخبراه بعظمة هذا البيت وأنه من بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الللاء والوصائل والخبر ثم كر راجعا إلى اليمن ودعا أهلها إلى اليهود معه وكان إذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه عامة أهل اليمن ، وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا وما لم نذكر . وذكر أنه ملك دمشق وأنه كان إذا استعرض الخيل صفت له من دمشق إلى اليمن . ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما أدرى الحدود طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدرى تبع لعينا كان أم لا ؟ ولا أدرى ذوالقرنين نبيا كان أم ملكا » . وقال غيره « عزيز أ كان نبيا أم لا » ، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهراني عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق ، ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « عزيز لأدرى أنبيا كان أم لا ؟ ولا أدرى ألعين تبع أم لا ؟ » ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان كافرا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحج البيت في زمن الجرميين وكساء الللاء والوصائل من الحرير والخبر ونحوه عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلى اليمن . وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسطة عن أبي بن كعب وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكعب الأحبار وإليه المرجع في ذلك كله وإلى عبد الله بن سلام أيضا وهو أثبت وأكبر وأعلم . وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها . وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تتبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فان تبعا هذا للشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ وقد بسطنا قصتهم هنالك والله الحمد واللثة ، وقال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبوكريب بن مليكرب النخعي ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستا وعشرين سنة ولم يكن في حمر أطول مدته منه وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة . وذكروا أنه لما ذكر له الخبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مهاجرة نبي آخر في الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويرونه خلفا عن سلف وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره وهو :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم فلو مد عمرى إلى عمره

لكنك وزير له وابن عم وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حفر قبر بصنعاء في الاسلام فوجدوا فيه امرأتين صبيحتين وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حيي وتميس وروى حيي وتماضر ابنتي تبع ماتتاوها تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وقد ذكرنا في سورة سبأ شعر سبأ في ذلك أيضا . قال قتادة ذكر لنا أن كعبا كان يقول في تبع نعت نعت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان رجلا صالحا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي - قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان قد كان أسلم » ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به . وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان عن سهاك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم » وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أدرى تبع نبياً كان أم غير نبي » وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر « لا أدرى تبع كان لعينا أم لا » والله أعلم . ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى المدني عن عكرمة عن ابن عباس موقوفاً وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل أخبرني نعيم بن عبد الرحمن قال : قال عطاء بن أبي رباح لا تسبوا تبعاً فإن رسول الله ﷺ نهى عن سبه والله تعالى أعلم

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *
إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ؟ * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ثم قال تعالى (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين . وقوله عز وجل (ميقاتهم أجمعين) أى يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً) أى لا ينفع قريب قريباً كقوله سبحانه وتعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله جل وعظمته (ولا يسأل حميم حمياً يصبرونهم) أى لا يسأل أخاه عن حاله وهو يراه عياناً . وقوله جل وعلا (ولا هم ينصرون) أى لا ينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال (إلا من رحم الله) أى لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه (إنه هو العزيز الرحيم) أى هو عزيز ذو رحمة واسعة

﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ
الْحَجِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقاءه (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) والأثيم أى فى قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد أنه أبو جهل ولا شك فى دخوله فى هذه الآية ولكن ليست خاصة به قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء رضى الله عنه قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أى ليس له طعام من غيرها ، قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها فى الأرض لأفسدت على أهل الأرض معاشهم ، وقد تقدم نحوه مرفوعاً ، وقوله (كالْمُهْلِ) قالوا كعكر الزيت (يغلى فى البطن كغلى الحميم) أى من حرارتها ورداءتها ، وقوله (خذوه) أى الكافر ، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية خذوه اجتدره سبعون ألفاً منهم ، وقوله (فاعتلوه) أى سوقوه سحبا ودفعوا فى ظهره ، قال مجاهد (خذوه فاعتلوه) أى خذوه فادفعوه ، وقال الفرزدق :

ليس الكرام بنا حليك أباهم * حتى ترد إلى عطية تغتل

(إلى سواء الحميم) أى وسطها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كقوله عز وجل (يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجالود) وقد تقدم أن الملك يضربه بمقعدة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل فى بدنه فيسلى مافى بطنه من أمعائه حتى تمرق من كهيته أعذاً الله تعالى من ذلك . وقوله تعالى (ذق إنك أنت

العزیز الکرم) أى قولوا له ذلك على وجه التوسيع ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أى لست بعزیز ولا کریم وقد قال الاموى فى مغازیه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال « إن الله تعالى أمرنى أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء ولقد علمت أنى أمتنع أهل البطحاء وأنا العزیز الکرم ، قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل (ذق إنك أنت العزیز الکرم) . وقوله عز وجل (إن هذا ما كنتم به تمترون) كقوله تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) ولهذا قال تعالى ههنا (إن هذا ما كنتم به تمترون)

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمى القرآن مثنائى فقال (إن المتقين) أى لله فى الدنيا (فى مقام أمين) أى فى الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج ، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيدته وسائر الآفات والمصائب (فى جنات وعيون) وهذا فى مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم ، وقوله تعالى (يلبسون من سندس) وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها (وإستبرق) وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعلى القماش (متقابلين) أى على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره وقوله تعالى (كذلك وزوجناهم بحور العين) أى هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين اللاتي (لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان) (كأنهن الباقوت والمرجان) (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضى الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت فى بحر لجلى لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها . وقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أى مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا ، وقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) هذا استثناء يؤكد النفي فانه استثناء منقطع ومعناه أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت » وقد تقدم الحديث فى سورة مريم عليها الصلاة والسلام . وقال عبد الرزاق حدثنا سفيان الثورى عن أبي إسحق عن أبي مسلم الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا » رواه مسلم عن إسحق بن راهويه وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو إسحق وأهل العراق أبو مسلم الأغر وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الأغر . وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يأس ويحيا فيها فلا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا

سلم بن عبد الله الرقي حدثنا مصعب بن إبراهيم حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن النكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم أينام أهل الجنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري حدثنا القدام بن داود حدثنا عبد الله بن الغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » ، وقال أبو بكر البرزاري في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن النكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله هل ينام أهل الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا ، النوم أخو الموت » ثم قال لا نعلم أحداً أسنده عن ابن النكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي ، هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم ، وقوله تعالى (ووقاهم عذاب الجحيم) أى مع هذا النعيم العظيم القيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ونجاهم من الهروب ولهذا قال عز وجل (فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) أى إنما كان هذا بفضلهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » ، وقوله تبارك وتعالى (فأنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) أى إنما يسرنا هذا القرآن الذى أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً بلسانك الذى هو أفصح اللغات وأجلها وأعلاها (لعلمهم يتذكرون) أى يفهمون ويعملون . ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلماً له وواعدا له بالنصر ومتوعدا لمن كذبه بالعطب والمهلك (فارتقب) أى انتظر (إنهم مرتقبون) أى فيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة فأنها لك يا أحمد ولأخوانك من النبيين والرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) الآية وقال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) آخر تفسير سورة الدخان والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الجاثية وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض وما فيها من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الأصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبها دائبين لا يفران هذا بظلامه وهذا بضائه وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه ومما رزقاً لأن به يحصل الرزق (فأحياه الأرض بعد موتها) أى بعد ما كانت هامة لانبات فيها ولا شيء . وقوله عز وجل (وتصريف الرياح) أى جنوباً وشمالاً ودبوراً وصبارية وبحرية ليلية ونهارية . ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء للارواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج وقال سبحانه وتعالى أولاً (آيات للمؤمنين) ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا غريبًا في خلق الإنسان من الأخطا الأربعة والله أعلم

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأَى حَدِيثَ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيَلْ لَّكُلْ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَذَا هَدَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُ رِبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴾

يقول تعالى (تلك آيات الله) يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيّنات (تتلوها عليك بالحق) أى متضمنة الحق من الحق فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا يتفادون لها فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى (ويل لكل أفّاك أثيم) أى أفّاك في قوله كذاب حلاف مهين أثيم في فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال (يسمع آيات الله تتلى عليه) أى تقرأ عليه (ثم يصير) أى على كفره وجحوده استكبارا وعنادا (كأن لم يسمعها) أى كأنه ما سمعها (فبشره بعذاب أليم) أى فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابا أليما موجعا (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أى إذا حفظ شيئا من القرآن كفر به واتخذ سخرى وهزوا (أولئك لهم عذاب مهين) أى في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال (من ورائهم جهنم) أى كل من اتصف بذلك سيصرون إلى جهنم يوم القيامة (ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا) أى لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا تنفعهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئا (ولهم عذاب عظيم) ثم قال تبارك وتعالى (هذا هدى) يعنى القرآن (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وهو المولم الموضع والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر (لتجري الفلك) وهى السفن فيه بأمره تعالى فإنه هو الذى أمر البحر بحملها (ولتبتغوا من فضله) أى فى التاجر والكاسب (ولعلكم تشكرون) أى على حصول النافع المجلوبه إليكم من الأقليم النائية والآفاق القاصيه ثم قال عز وجل (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض) أى من الكواكب والجبال والبحار والأنهار وجميع ما تنفعون به أى الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ولهذا قال (جميعا منه) أى من عنده وحده لا شريك له فى ذلك كما قال تبارك وتعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وروى ابن جرير من طريق

العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تبارك وتعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا) كل شيء هو من الله . وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه للنازعون واستيقن أنه كذلك وقت ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن خلف العسقلانى حدثنا القريابى عن سفيان عن الأعمش عن النزال بن عمرو عن أبى أراكه قال سأل رجل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال مع خلق الخلق قال من النور والنار والظلمة والثرى قال واثبت ابن عباس رضى الله عنهما فأسأله فأتماه فقال له مثل ذلك فقال ارجع إليه فسله مع خلق ذلك كله . فرجع إليه فسأله فتلا (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا) هذا أثر غريب وفيه نكارة (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لصفحو عنهم ويتحملوا لأذى منهم وكان هذا فى ابتداء الإسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلال والجهاد . هكذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة ، وقيل بجاهد (لا يرجون أيام الله) لا ينالون نعم الله تعالى ، وقوله تبارك وتعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى إذا صفحو عنهم فى الدنيا فإن الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة فى الآخرة ولهذا قال تعالى (من عمل صالحا قلنفسه ومن أساء فعلمها ثم إلى ربكم ترجعون) أى تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيرها وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ يوقِنُونَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على بنى إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى من المأكول والشارب (وفضلناهم على العالمين) أى فى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أى حججا وبراهين وأدلة قاطعات قامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وإنما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا (إن ربك) يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهمجهم ولهذا قال جل وعلا (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) أى اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين وقال جل جلاله هنا (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أى وماذا تغنى عنهم ولا يتهم لبعضهم بعضا فانهم لا يزيدونهم إلا خسارا والله شينا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض (والله ولي المتقين) وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ودماروا وهلاكا (والله ولي المتقين) وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، ثم قال عز وجل (هذا بصائر للناس) يعنى القرآن (وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَئِذَا تَجُوزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ *

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٠﴾

يقول تعالى لا يستوى المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال تبارك وتعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أى عملوها وكسبوها (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟) أى نساويهم بهم فى الدنيا والآخرة (سواء ما يحكمون) أى سواء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوى بين الأبرار والفجار فى الدار الآخرة وفى هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن إهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخى حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجى عن أبي ذر رضى الله عنه قال ؟ إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين ، قيل وما هن يا أبا ذر ؟ قال يسلم حلال الله وحرام الله ، وأمر الله الله ونهى الله الله لا يؤتمن عليهن إلا الله ، قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « كما أنه لا يحتج من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار » هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن إسحق فى كتاب السيرة أنهم وجدوا حجرا بركة فى أس الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يحى من الشوك العنب . وروى الطبرانى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق أن تميا الدارى قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولهذا قال تعالى (سواء ما يحكمون) وقال عز وجل (وخلق الله السموات والأرض بالحق) أى بالعدل (ولنجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

ثم قال جل وعلا (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) أى إنما يأتمر بهواه ، فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على العزلة فى قولهم بالتحسين والتقييس العقليين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير ليهوى شيئا إلا عبده وقوله (وأضله الله على علم) يحتمل قولين (أحدهما) وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك (والآخر) وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه والثانى يستلزم الأول ولا ينعكس (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أى فلا يسمع ما ينفعه ولا يعى شيئا يهتدى به ولا يرى حجة يستضىء بها . ولهذا قال تعالى (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) كقوله تعالى (من يضل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون)

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْبِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّتُوا بِثَابِتٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى انكار المعاد (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أى ماثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البقاء والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا العقول وكذبوا النقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا الدهر) قال الله تعالى (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) أى يتوهمون ويتخيلون . فأما الحديث الذى أخرجه صاحبنا الصحيح وأبو داود والنسائى من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « يقول تعالى يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، يسدى الأمر أقلب ليله ونهاره » وفي رواية « لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر » وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يمتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ويسبون الدهر فقال الله عز وجل : يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، يسدى الأمر أقلب الليل والنهار » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ، ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر يسدى الليل والنهار » وأخرجه صاحبنا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى استقرضت عبي فلم يعطى وسبى عبي ، يقول وادهراه وأنا الدهر » قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال ، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحاخوه من الظاهرية في عدم الدهر من الأسماء الحسنى أخذوا من هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أى إذا استدلل عليهم وبين لهم الحق وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها (ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) أى أحيوهم إن كان ما تقولونه حقا قال الله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم) أى كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ؟) أى الذى قدر على البداة قادر على الاعادة بطريق الأولى والأخرى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) أى إنما يجمعكم إلى يوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا (ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) (يوم يجمعكم ليوم الجمع - لأى يوم اجلت - ليوم الفصل - وما تؤخره إلا لأجل معدود) وقال ههنا (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) أى لاشك فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى فلهذا ينكرون المعاد ويستبدعون قيام الأجساد قال الله تعالى (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أى يرون وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ * وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل (ويوم تقوم الساعة) أى يوم القيامة (ينفسر المبطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات

وقال ابن أبي حاتم قدم سفيان الثوري المدينة فسمع العافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس فقال له يا شيخ أما علمت أن الله تعالى يوما ينفسر فيه المبطلون ؟ قال فما زالت تعرف في العافري حتى لحق بالله تعالى ، ذكره ابن أبي حاتم ثم قال تعالى (وترى كل أمة جائية) أى على ركبها من الشدة والعظمة ويقال إن هذا إذا جرى بهم فأنها تفرزفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسى نفسى نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسى

وحق إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول لأسألك اليوم إلا نفسي لأسألك مريم التي ولدتي . قال مجاهد وكعب الأحبار والحسن البصري (كل أمة جاثية) أى على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب والأول أولى . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد القري حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كائن أراكم جاثين بالكوم دون جهنم » . وقال إسماعيل بن أبي رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا في حديث الصور فيتميز الناس وتجتو الأمم وهى التي يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) وهذا فيه جميع بين القولين ولا منافاة والله أعلم ، وقوله عز وجل (كل أمة تدعى إلى كتابها) يعنى كتاب أعمالها كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب وجيء بالبين والشهداء) ولهذا قال سبحانه وتعالى (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل (يفتأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره) ولهذا قال جل جلالته (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) أى يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وقوله عز وجل (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء فيقالون للملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتابة بما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ فى كل ليلة قدر مما كتبه الله فى القدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ * وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ * ذَٰلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّبْتُمْ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَمْتَبُونَ * فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبَرِيَّاءُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن حكمه فى خلقه يوم القيامة فقال تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة وهى الخالصة الواقعة للشرع (فيدخلهم ربهم فى رحمته) وهى الجنة كما ثبت فى الصحيح أن الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء (ذلك هو الفوز المبين) أى البين الواضح . ثم قال تعالى (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم) أى يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن مماعها وكنتم قوما مجرمين فى أفعالكم مع ما شتمت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) أى إذا قال لكم المؤمنون ذلك (قلتم ما ندري ما الساعة) أى لانعرفها (إن نظن إلا ظنا) أى إن نتوهم وقوعها إلا توهمها أى مرجوحا ولهذا قال (وما نحن بمستقيين) أى

بمحققين قال الله تعالى (وبدا لهم سيئات ما عملوا) أى وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أى من العذب والنكال (وقيل اليوم ننساكم) أى نعاملكم معاملة الناسى لكم فى نار جهنم (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به (وما وأاكم النار وما لكم من ناصرين) . وقد ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة « ألم أزوجك ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى يارب فيقول أفظننت أنك ملاقى ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيته » قال الله تعالى (ذلك بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) (أى إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخرىا تسخرون وتستهزئون بها) (وغرتكم الحياة الدنيا) أى خدعتكم فاطمأنتم إليها فأصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عز وجل فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم العتبي بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب . ثم لما ذكر تعالى حكمه فى المؤمنين والكافرين (قال قلله الحمد رب السموات ورب الأرض) أى المالك لهما وما فيهما ولهذا قال (رب العالمين) ثم قال جل وعلا (وله الكبرياء فى السموات والأرض) قال مجاهد يعنى السلطان أى هو العظيم المجد الذى كل شىء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد فى الحديث الصحيح « يقول الله تعالى العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما أسكنته نارى » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبى إسحاق عن الأغربى عن مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقوله تعالى (وهو العزيز) أى الذى لا يغالب ولا يمانع (الحكيم) فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو . آخر تفسير سورة الجاثية والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة الاحقاف وهى مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حَمْ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتَوِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ يَمُنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التى لاترام ، والحكمة فى الأقوال والأفعال ثم قال تعالى (ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أى لا على وجه العبث والباطل (وأجل مسمى) أى وإلى مدة معينة مضروبه لاتزيد ولا تنقص ، وقوله تعالى (والذين كفروا عما أُنذروا معرضون) أى لا هون عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى إليهم كتابا وأرسل إليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أى وسيعلمون غيب ذلك . ثم قال تعالى (قل) أى لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره (أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) أى أرشدوني إلى المكان الذى استقلوا بخلقه من الأرض (أم لهم شرك فى السموات ؟) أى ولا شرك لهم فى السموات ولا فى الأرض وما يملكون من قطمير إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم إلى هذا ؟ من دعاكم إليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شىء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال (اتقونى بكتاب من قبل هذا) أى هاتوا كتابا من كتب الله النزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الأصنام (أو إثارة من علم)

أى دليل بين على هذا المسلك الذى سلكتموه (إن كنتم صادقين) أى لا دليل لكم لا قلبيا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون أو أثرة من علم أى أو علم صحيح تؤثرونه عن أحد ممن قبلكم كما قال مجاهد فى قوله تعالى (أو أثرة من علم) أو أحد يثر علما ، وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أو بينة من الأمر . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سفيان لا أعلم إلا عن النبى صلى الله عليه وسلم أو أثرة من علم قال الخطوط قال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصرى أو أثرة شئ يستخرجه فيثريه وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضا أو أثرة من علم يعنى الخط وقال قتادة أو أثرة من علم خاصة من علم وكل هذه الأقوال متقاربة وهى راجعة إلى ما قلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه . وقوله تبارك وتعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟) أى لا أضل ممن يدعو من دون الله أنصاما ويطلب منها ما لا تستطيع إلى يوم القيامة وهى غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطلش لأنها جماد حجارة صم ؟ وقوله تبارك وتعالى (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) كقوله عز وجل (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) أى سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام (إنما اتخذتم من دون أولئنا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

يقول عز وجل مخبرا عن المشركين فى كفرهم وعنادهم إنهم إذا تلى عليهم آيات الله بينات أى فى حال بيانها ووضوحها وجلائها يقولون (هذا سحر مبين) أى سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا (أم يقولون افتراه) يعنون محمدا ﷺ . قال الله عز وجل (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) أى لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلنى وليس كذلك لعاقبى أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الأرض لا أتم ولا غيركم أن يجيرنى منه كقوله تبارك وتعالى (قل إني لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فإمنكم من ألدعنه حاجزين) ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم) هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد ، وقوله جل وعلا (وهو الغفور الرحيم) ترغيب لهم إلى التوبة والانابة أى ومع هذا كله إن رجعت وتبتم تاب عليكم وعفانكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عز وجل فى سورة الفرقان (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما) . وقوله تبارك وتعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلى فما أنا بالأمر الذى لا نظير له حتى تستنكرونى وتستبعدون بعثى إليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الأنبياء إلى الأمم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة (قل ما كنت بدعا من الرسل) ما أنا بأول رسول ، ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبى حاتم غير ذلك

وقوله تعالى (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية نزل بعدها (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة إنها منسوخة بقوله تعالى (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) قالوا ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ما هو فاعل بك يا رسول الله فما هو فاعل بنا ؟ فأُنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) هكذا قال والذي هو ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا هنيئاً لك يا رسول الله فما لنا ؟ فأُنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أى ما أدري بماذا أؤمر وبماذا أنهى بعد هذا ؟ وقال أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال أما في الآخرة فمعاذ الله وقد علم أنه في الجنة ولكن قال لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلى ؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلى ؟ ولا أدري أيخسف بكم أو ترمون بالحجارة ؟ وهذا القول هو الذى عول عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره ولا شك أن هذا هو اللائق به عليه السلام فانه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا يؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم ، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء وهى امرأة من نسائهم أخبرته وكانت بايعت رسول الله عليه السلام قالت طار لهم في السكينة حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضى الله عنه فاشتكى عثمان رضى الله عنه عندنا فمرضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله عليه السلام فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله عليه السلام « وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ » فقلت لا أدري بأبى أنت وأمى فقال رسول الله عليه السلام « أما هو فقد جاءه اليقين من ربه وإنى لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت : فقلت والله لا أزكى أحدا بعده أبداً وأحزنى ذلك فتمت فرأيت لعثمان رضى الله عنه عينا تجرى فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال رسول الله عليه السلام « ذاك عمله » فقد انفرد بإخراجه البخارى دون مسلم ، وفى لفظ له « ما أدري وأنا رسول الله عليه السلام ما يفعل به » وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزنى ذلك وفى هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذى نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلا بيتر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضى الله عنهم . وقوله (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) أى إنما أتبع ما ينزله الله على من الوحي (وما أنا إلا نذير مبين) أى بين النذارة أمرى ظاهر لكل ذى لب وعقل والله أعلم

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ * وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن (أرايتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله وكفرت به)

أى ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذى جئتكم به قد أنزل على لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) أى وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلى بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به . وقوله عز وجل (فآمن) أى هذا الذى شهد بصدقه من بنى إسرائيل لمعرفته بحقيقته (واستكبرتم) أتم عن اتباعه ، وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبىه وكتابه وكفرتم أتم بنبىكم وكتابكم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) وهذا الشاهد اسم جلس يعمر عبد الله بن سلام رضى الله عنه وغيره فان هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال (إن الدين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرجون للأذان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) قال مسروق والشعبي ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية وإسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير . وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضى الله عنه قال وفيه نزلت (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث مالك به ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدى والثورى ومالك بن أنس وابن زيد أنهم كلهم قالوا : إنه عبد الله بن سلام . وقوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أى قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضى الله عنهم وأشباهم وأضرابهم من المستضعفين والعييد والإمام وماذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية . وقد غلطوا فى ذلك غلطا فاحشا وأخطؤا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) وأما أهل السنة والجماعة فيقولون فى كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضى الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها . وقوله تعالى (وإذا لم يهتدوا به) أى بالقرآن (فسيقولون هذا إفك قديم) أى كذب قديم أى مأثور عن الناس الأقدمين فينتصرون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بطل الحق وغمط الناس » ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) وهو التوراة (إماما ورحمة وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) أى لما قبله من الكتب (لسانا عربيا) أى فصيحاً بينا واضحا (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) أى مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين وقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تقدم تفسيرها فى سورة حم السجدة ، وقوله تعالى (فلا خوف عليهم) أى فما يستقبلون (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) أى الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَخَلَّهُ فَضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿

لما ذكر تعالى فى الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو

مقرون في غير ما آية من القرآن كقوله عز وجل (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقوله جل جلاله (أن أشكرلى ولوالديك إلى الصير) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة . وقال عز وجل ههنا (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) أى أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة أخبرنى ممالك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضى الله عنه قال: قالت أم سعد لسعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاهما بالعصا ونزلت هذه الآية (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) الآية ورواه مسلم وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث شعبة باسناد نحوه وأطول منه (حملته أمه كرها) أى قاست بسببه في حال حملها مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعتها كرها) أى بمشقة أيضا من الطلق وشدته (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) . وقد استدلل على رضى الله عنه بهذه الآية مع التى في لقمان (وفصاله في عامين) وقوله تبارك وتعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوى صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهمى قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لحام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان رضى الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكى أختها فقالت وما ييكىك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضى الله سبحانه وتعالى في ما شاء فلما أتى بها عثمان رضى الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فأتاه فقال له ما تصنع . قال ولدت عامما لستة أشهر وهل يكون ذلك . فقال له على رضى الله عنه أما تقرأ القرآن . قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال (حولين كاملين) فلم نجد به بقى إلا ستة أشهر قال: فقال عثمان رضى الله عنه والله ما فطنت بهذا على المرأة فوجدوها قد فرغ منها قال : فقال معمر فوالله ما التراب بالتراب ولا البيضة بالبيضة باشبهه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة فما زالت تأكله حتى مات رواء ابن أبي حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل (فأنا أول العابدين) ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا على بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا وإذا وضعت لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا وإذا وضعت لستة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده) أى قوى وشب وارتجل (وبلغ أربعين سنة) أى تنهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين قال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن قال: قلت لسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الأربعين فخذ حذرك وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو عبد الله القواريرى حدثنا عروة بن قيس الأزدي وكان قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن الكوفي عمر بن أوس قال : قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة إليه وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه » وقد روى هذا من غير هذا الوجه وهو في مسند الإمام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحسكى أحد أمراء بني أمية بدمشق تركت المعاصي والدنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده

(قال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه) أى فى المستقبل (وأصلح لى فى ذرى) أى نسلى وعقبى (إني ثبت إليك وإني من المسلمين) وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين

أن يحدد التوبة والانابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها وقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد « اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أعمارنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتممها علينا » قال الله عز وجل (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة) أى هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون مافات بالتوبة والاستغفارهم الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل وتتقبل منهم اليسير من العمل (في أصحاب الجنة) أى هم في جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب إليه وأناب ، ولهذا قال تعالى (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا العتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فإن بقيت حسنة وسع الله تعالى له في الجنة » قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال : قلت فإن ذهبت الحسنة قال (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الأعلى الصنعائى عن العتمر بن سليمان بإسناده مثله وزاد عن الروح الأمين . قال : قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فذكره ، وهو حديث غريب وإسناده جيد لأبأس به :

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم الكلأى حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال ونزل في دارى حيث ظهر على رضى الله عنه على أهل البصرة فقال لى يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه وعنده عمار ومصعة والاشتر ومحمد ابن أبي بكر رضى الله عنهم فدكروا عثمان رضى الله عنه فقالوا منه فكان لى رضى الله عنه على السرير ومعه عود فى يده فقال قائل منهم إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه فقال لى رضى الله عنه كان عثمان رضى الله عنه من الذين قال الله تعالى (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضى الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آله لسمعت هذا من على رضى الله عنه ؟ قال آله لسمعت هذا من على رضى الله عنه

﴿ وَالَّذِى قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِى أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَفْهِمَاَنِ اللَّهَ وَيَلْكَ ءَمِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أَمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلُهُمْ وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْأَذْهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِى حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما ومالهم عنده من القوز والنجاة عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال (والذى قال لولايه أف لكما) وهذا عام فى كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من

خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما وفي صحة هذا نظر والله تعالى أعلم . وقال ابن جريج عن مجاهد نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما قاله ابن جريج ، وقال آخرون : عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما ، وهذا أيضا قول السدى وإنما هذا عام في كل من عقى والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لكما عقمها وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد أخبرني عبد الله بن اللديني قال إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر رضى الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما أهرقليه ؟ إن أبا بكر رضى الله عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحدهم أهل بيته ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده فقال مروان أأنت الذى قال لوالديه أف لكما ؟ فقال عبد الرحمن رضى الله عنه أأنت ابن اللعين الذى لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك قال ومعهما عائشة رضى الله عنها فقالت يا مروان أنت القاتل لعبد الرحمن رضى الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم اتعجب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف وقد رواه البخارى بإسناد آخر ولفظ آخر فقال حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضى الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان إن هذا الذى أنزل فيه (والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى) فقالت عائشة رضى الله عنها من وراء الحجاب : ما أنزل الله عز وجل فينا شيئا من القرآن إلا أن الله تعالى أنزل عذرى

(طريق أخرى) قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية رضى الله عنه لابنه قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما سنة هرقل وقصر فقال مروان هذا الذى أنزل الله تعالى فيه (والذى قال لوالديه أف لكما) الآية فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمى الذى أنزل فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله ، وقوله (أتعداننى أن أخرج ؟) أى أبعث (وقد خلت القرون من قبلى) أى قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر (وها يستغيثان) الله أى يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما (ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين) . قال الله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) أى دخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة وقوله (أولئك) بعد قوله (والذى قال) دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقتادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبرقان العليمي عن سليم بن حبيب عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مضل للساكين » قال خالد الذى يهوى بيده إلى الساكين فيقول هلم أعطيك فإذا جاءه قال ليس معى شيء « والذى يقول للماعون ابن (١) وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذى يضرب الوالدين حتى يستغيثا » غريب جدا . وقوله تبارك وتعالى (ولكل درجات بما عملوا) أى لكل عذاب بحسب عمله (وليوفهم أعمالهم وهم لا يظلمون) أى لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات النار تذهب سفلا ودرجات الجنة تذهب علوا . وقوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أى يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا ، وقد

(١) يياض بالأصل والحديث غير محرر فليراجع في كتاب الحافظ ابن عساكر.

تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن كثير من طيات المآكل والشارب وتنزه عنها ويقول
إني أخاف أن أكون كالدين قال الله لهم وبهم وقرعهم (أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) وقال أبو عجلز
ليفقدن أقوام حسنة كانت لهم في الدنيا فيقال لهم (أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا) وقوله عز وجل (فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) فجوزوا من جنس عملهم
فكما متعوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو
الاهانة والحزى والآلام الموجهة والحسرات المتتابعة والنازل في الدرجات المظلمة أجازنا الله سبحانه وتعالى
من ذلك كله.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ إِلَهِنَا فَأَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ
عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُعْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَذْمُرُ
كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا بَرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿

يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه (واذكر أخا عاد) وهو هود عليه
الصلاة والصلاة بعثه الله عز وجل إلى عاد الأولى وكانوا يسكنون الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل قاله ابن زيد،
وقال عكرمة الأحقاف: الجبل والغار. وقال طي بن أبي طالب رضى الله عنه: الأحقاف واد بمحضرموت يدعى برهوت
تلقى فيه أرواح الكفار، وقال قتادة ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها
الشر قال ابن ماجه ﴿باب إذا دعا فليبدأ بنفسه﴾ حدثنا الحسين بن علي الخلال حدثنا أبي حدثنا زيد بن الحباب
حدثنا سفيان حدثنا طي بن إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «يرحمنا الله وأخا عاد» وقوله تعالى (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) يعنى وقد أرسل
الله تعالى إلى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها)
وكقوله جل وعلا (فان أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن
خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين (أجئتنا لنأفكنا عن
آلهتنا؟) أى لتصدنا عن آلهتنا (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم
وقوعه كقوله جل وعظمت (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) (قال إنما العلم عند الله) أى الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين
لتعجيل العذاب فسي فعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأني أنى أبلغكم ما أُرسلت به (ولكنى أراكم قوما تجهلون) أى لاتعقلون
ولا تفهمون. قال الله تعالى (فلما رآوه عارضا مستقبل أوديتهم) أى لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا أنه عارض
مطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا محلين محتاجين إلى المطر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
أليم) أى هو العذاب الذى قلتم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (تدمر) أى تخرب (كل شيء) من بلادهم
بما من شأنه الحراب (بأمر ربها) أى بإذن الله لها فى ذلك كقوله سبحانه وتعالى (ما تذر من شيء أتمت عليه إلا
جعلته كالريم) أى كالشيء البالى ولهذا قال عز وجل (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) أى قد بادوا كلهم عن آخرهم
ولم تبق لهم باقية (كذلك نجزي القوم المجرمين) أى هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا، وقد ورد حديث
في قصتهم وهو غريب جداً من غرائب الحديث وأفراده: قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام

ابن سليمان النحوي قال حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فتررت بالربذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله : إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلغني إليه ؟ قال فحملتها فأتيت بها المدينة فإذا للسجد غاص بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وإذا بلال رضى الله عنه متقلداً السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ماشأن الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه وجهاً قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال ﷺ « هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ » قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك فها هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فإني أين يضطر مضطرك ؟ قال قلت إن مثلي ما قال الأول : معزى حملت حتفها ؛ حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال هي « وما وafd عاد ؟ » وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه قلت : إن عاداً قحطوا فبعثوا وفداً لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الحمر وتغنيه جاريثان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال اللهم إنك تعلم أني لم أجد إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فمرت به سحبات سود فنودي منها اختر فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رماداً رمداً ، لا تبقى من عاد أحداً ، قال فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خأمي هذا حتى هلكوا ، قال أبو وائل وصدق وكانت المرأة والرجل إذا بشوا وافتدأ لهم قالوا لا تكن كوافد عاد . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الأعراف

وقال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيت غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهك الكراهية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » وأخرجاه من حديث ابن وهب « طريق أخرى » قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن القدام ابن شريح عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئاً في أفق من آفاق السماء ترك عمله وإن كان في صلاته ثم يقول « اللهم إني أعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وإن أمطر قال « اللهم صيباً نافعا » « طريق أخرى » قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر الطاهر أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيراً وخيراً ما فيها وخيراً ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » قالت وإذا تحلبت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فمرفت ذلك عائشة رضى الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ « لعله يا عائشة كما قال قوم عاد (فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أو ديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) » وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الأعراف وهو دوماً أغنى عن إعادته ههنا والله تعالى الحمد والمنة . وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا إسماعيل بن زكريا الكوفي حدثنا أبو مالك ابن مسلم اللامي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم في البدو إلى الحضرة فلما رأها أهل الحضرة قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبلاً أوديتنا وكان أهل البوادي فيها فأتى أهل البادية على أهل الحضرة حتى هلكوا - قال عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الأبواب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حولَ كُمْ مِنَ الْقَرْيَاتِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾

يقول تعالى ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نعطيكم مثله ولا قريبا منه (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى وأحاط بهم العذاب والنعكس الذى كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه ، أى فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعنى أهل مكة وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسول بما حولها كعاد وكانوا بالاحقاف بمحرمات عند الجن وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ومدين وكانت في طريقهم ومحرم إلى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يبرون بها أيضا وقوله عز وجل (وصرفنا الآيات) أى بينها وأوضحناها (لعلمهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أى فهل نصرهم عند احتياجهم إليهم (بل ضلوا عنهم) أى بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم (وذلك إفكهم) أى كذبهم (وما كانوا يفكرون) أى وافترأؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم

﴿ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ * قَالُوا يَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْخُلُقِ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة عن الزبير (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) قال بنخله ورسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العشاء الآخرة (كادوا يكونون عليه لبدا) قال سفيان : ألبد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض تفرد به أحمد وسيأتي من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس أنهم سبعة من جن نصيبين وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة ح وقال الإمام الشير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا إسماعيل القاضي أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماقرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه طامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم ، فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم

وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنحلة عامدا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم (قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحدا) وأنزل الله على نبيه ﷺ (قل أوحى إلى أنه استمع نقر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن رواء البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا فيكون ما مسموعا حقًا وما زادوا باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلين نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الأرض ، ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث إسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصري إنه ﷺ ما شعر بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله عز وجل وإبائهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن « اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل لي سخطك ولك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » قال فلما انصرف عنهم بات بنحلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين ، وهذا صحيح ولكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره والله أعلم وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن يبطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قال صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عز وجل (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين - إلى - ضلال مبين) فهذا مع الأول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسلوا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج كاستأني بذلك الأخبار في موضعها والآثار مما سنوردها هنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة

فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعا عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن مسعر ابن كدام عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول سألت مسروقا من أذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه أنه آذنتهم شجرة فيحتمل أن يكون هذا في المرة الأولى ويكون إثباتا مقدما على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل أن يكون في الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنتهم الشجرة أي أعلمته باجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم قال الحافظ البيهقي وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يهرهم ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم

إلى الله عز وجل كإرواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

﴿ ذكر الرواية عنه بذلك ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال ما صحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أوقال في السحر إذا نحن به يجي من قبل حراء فقلنا يارسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال « إنه أثنى داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي سألوه الزاد ، قال عامر سألوهم بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بكرة أو روثة علف لدوابكم - قال - فلا تستنجوا بهما فانهما زاد إخوانكم من الجن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن طي بن حجر عن إسماعيل بن علية به نحوه . وقال مسلم أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضى الله عنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود رضى الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال لا ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير ؟ اغتيل ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل . حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال « أثنى داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن » قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوهم الزاد فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بكرة أو روثة علف لدوابكم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما طعام إخوانكم » ﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي حدثني يونس عن الزهري عن عبيد الله قال : إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون » ﴿ طريق أخرى ﴾ فيها إنه كان معه ليلة الجن ، قال ابن جرير رحمه الله حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمي عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان ابن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال : إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة « من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل » فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأبلى مكة خطلى برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أثنى فقال « ما فعل الرهط ؟ » قلت هم أولئك يارسول الله فأعطاهم عظما وروثا زادنا ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم . ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي زرعة ورواه ابن راشد عن يونس بن يزيد الأيلي به

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به ، وقد روى إسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكر نحوه ما تقدم . ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الحارث عن أبي اللؤلؤ عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكر نحوه أيضا . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال حدثنا عفان وعكرمة قال : حدثنا معتمر قال : قال أبي حدثني أبو تيمية عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالى يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : استبعتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لي خطأ فقال « كن بين ظهر هذه لا تخرج منها فانك إن خرجت منها هلكت » فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل ، قال فكيف كان ؟ فذكر الحديث وذكر أن النبي ﷺ خط عليه خطأ وقال « لا تبرح منها » فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله ﷺ فدعر ثلاث مرات حتى إذا كانت قريبا من الصبح أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أمت ! » فقلت لا والله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تفرعهم بعصاك تقول « اجلسوا » فقال صلى الله عليه وسلم « لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم » ثم قال صلى الله عليه وسلم « هل رأيت شيئا ؟ » قلت نعم رأيت رجلا سودا مستغفرا ثيابا بيضا^(١) قال صلى الله عليه وسلم « أولئك جن نصيبين سألوني اللئاع - واللئاع الزاد - فمتعتهم بكل عظم حائل أو بكرة أو روثة - فقلت يا رسول الله وما يعني ذلك عنهم فقال رسول الله ﷺ - إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل . ولا روثا إلا وجدوا فيها حبا يوم أكلت فلا يستقين أحد منكم إذا خرج من الحلاء بعظم ولا بكرة ولا روثة » . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا روح بن صلاح حدثنا موسى بن طلي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله ﷺ فقال « إن قرأ من الجن خمسة عشر بنى إخوة وبنى عم يأتونى الليلة أقرأ عليهم القرآن » فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطا وأجلسني فيه وقال لي « لا تخرج من هذا » فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحمرة فقال « إذا ذهبت إلى الحلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء » قال فلما أصبحت قلت لأعلن حيث كان رسول الله ﷺ قال فذهبت فرأيت موضع مبارك ستين بعيرا : ﴿ طريق أخرى ﴾ قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لي خطا ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وزدان أنا أرحلهم عنك فقال إني لن يجيرني من الله أحد ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبي فزارة العباسي حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ « أمعك ماء ، » قلت ليس معي ماء ولكن معي إداوة فيها نبيذ فقال النبي ﷺ « ثمرة طيبة وماء طهور » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن زيد به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق أخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الججاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال إنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن فقال رسول الله ﷺ « يا عبد الله أمعك ماء » قال معي نبيذ في إداوة قال صلى الله عليه وسلم « اصعب طلي » فتوضأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله شراب وطهور » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد أورده الدار قطن من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ما شأنك . قال « نعت إلى نفسي يا ابن مسعود » هكذا رأيته في السند مختصرا وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب حدثنا إسحق بن إبراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فتنفس فقلت مالك يا رسول الله . قال نعت إلى نفسي يا ابن مسعود « قلت استخلف قال « من » قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال « نعت إلى نفسي يا ابن مسعود » قلت استخلف قال « من . »

قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ما شأنك . قال « نعت إلى نفسي » قلت فاستخلف قال ﷺ « من » قلت : طي بن أبي طالب رضى الله عنه قال ﷺ « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين » وهو حديث غريب جدا وأحر به أن لا يكون محفوظا وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم إليه بالمدينة طي ما سنورده إن شاء الله تعالى فإن في ذلك الوقت كان في آخر الأمر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضا في دين الله أفواجا نزلت سورة (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وهي السورة التي نعت نفسه الكريمة فيها إليه كما نص طي ذلك ابن عباس رضى الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه وقد ورد في ذلك حديث سنورده إن شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم وقد رواه أبو نعيم أيضا عن الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن طي بن الحسين بن أبي بردة عن يحيى ابن سعيد الأسلمي عن حرب بن صبيح عن سعيد بن سلمة عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا إسناد غريب وسياق عجيب

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن طي بن زيد عن أبي رافع عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النحل وقال « لا تبرح مكانك فأقرهم كتاب الله » فلما رأى الرعى قال كأنهم هؤلاء وقال النبي ﷺ « أمعك ماء » قلت لا قال « أمعك نبيذ . » قلت نعم فتوضأ به (طريق أخرى مرسل) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبراني أخبرنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (وإذا صرفنا إليك نورا من الجن) قال هم اثنا عشر ألفا جاءوا من جزيرة الموصل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه « أنظرني حتى آتيك » وخط عليه خطا وقال « لا تبرح حتى آتيك » فلما خشيم ابن مسعود رضى الله عنه كاد أن يذهب فذكر قول رسول الله ﷺ فلم يبرح فقال له النبي ﷺ « لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة » .

(طريق أخرى مرسل أيضا) قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وإذا صرفنا إليك نورا من الجن يستمعون القرآن) قال ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى وأن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيسمكم يتبعني . » فأطرقوا ثم استتبهم فأطرقوا ثم استتبهم الثالثة فقال رجل يا رسول الله إن ذاك لندو ندبة فأتبعه ابن مسعود رضى الله عنه أخو هذيل قال فدخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط طي ابن مسعود رضى الله عنه خطا ليثبت به ذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النور تمشي في دفوفها وممعت لفظا شديدا حتى خفت طي نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما اللفظ الذي ممعت قال صلى الله عليه وسلم « اختصموا في قتل قفص بينهم بالحق » رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

فهذه الطرق كلها تدل على أنه ﷺ ذهب إلى الجن قصدا فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم طي لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت . وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما . ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود رضى الله عنه وأما ابن مسعود رضى الله عنه فإنه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم وإنما كان بعيدا منه ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال مخاطبته ، هذه طريقة البيهقي . وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضى الله عنه ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد وهي عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبي حاتم في تفسيره (قل أوحى إلى) من حديث ابن جرير قال : قال عبد العزيز بن عمر . أما الجن الذين لقوه بنحلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقي طي أنه يقول فبتنا بشر ليلة بات بها قوم طي غير ابن مسعود رضى الله عنه

من لم يعلم بخروجه ﷺ إلى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب حدثنا أبو بكر الإسماعيلي أخبرنا الحسن بن سفيان حدثني سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ بأداة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال «من هذا؟» قال أنا أبو هريرة قال ﷺ «اثنى بأحجار أستنج بها ولا تأتني بعظم ولا روثة» فأثبته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقلت يا رسول الله ما بال العظم والروثة؟ قال ﷺ «أتاني وقد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم إلا وجدوه طعاما» أخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريبا منه فهذا يدل مع ما تقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك. وسندكر إن شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك.

وقد روى عن ابن عباس غير ما روى عنه أولا من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني حدثنا النضر بن عيسى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم. فهذا يدل على أنه قد روى القصتين. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل ساه عن ابن جريج عن مجاهد (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسي وحسي ومنسي وساصر وناصر والأردويان والأختم وذكر أبو حمزة الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود إبليس

وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم أنهم كانوا خمسة عشر، وفي رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه أن اسم سيدهم وردان وقيل كانوا ثلثمائة وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفا فعمل هذا الاختلاف دليل على تكرار وفادتهم عليه ﷺ، ومما يدل على ذلك ما قاله البخاري في صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني عمر هو ابن محمد قال إن سالما حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه هكذا إلا كان كما يظن، بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، على بالرجل، فدعى له فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فاني أعزم عليك إلا ما أخبرني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنتيك قال بينما أنا يوم في السوق جاءتني أعرف فيها النزع فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسا ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وإحلاسها

قال عمر رضي الله عنه صدق بيننا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله قال فوثب القوم قتل لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فقامت فمناشبتنا أن قيل هذا نبي. هذا سياق البخاري، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يوم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم، وهذا الذي قاله البيهقي هو الوجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب، وقد ذكرت هذا مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه فمن أراد فليأخذه من ثم والله الحمد والمنة. وقال البيهقي: حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصماني قراءة عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه ثنا أبو بكر القصري

حدثنا محمد بن نواس السكوفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء رضى الله عنه قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال : أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب ؟ قال فقال له عمر رضى الله عنه إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئا عجيبا قال فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب قال : فقال له عمر رضى الله عنه ياسواد حدثنا بيدك إسلامك كيف كان قال سواد رضى الله عنه فاني كنت نازلا بالهند وكان لى رضى من الجن قال فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ جاءنى فى منامى ذلك قال قم فافهم واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب ثم أنشأ يقول .

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها تهوى إلى مكة تبغى الهدى
ما خير الجن كأنحاسها فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال ثم أنهى فأفرغنى وقال ياسواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبيا فانهض إليه تهتد وترشد فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلباها وشدها العيس بأقتابها تهوى إلى مكة تبغى الهدى
ليس قدأماها كأذناها فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى قابها

فلما كان فى الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها تهوى إلى مكة تبغى الهدى
ليس ذوو الشر كأخيارها فانهض إلى الصفوة من هاشم مأمونوا الجن ككفارها

قال : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع فى قلبى حب الاسلام من أمر رسول الله ﷺ ماشاء الله قال فانطلقت إلى رحلى فشددته على راحلتى فما حلت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله ﷺ فاذا هو بالمدينة يعنى مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رآنى النبى ﷺ قال « مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك » قال : قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه منى قال ﷺ « قل ياسواد » فقلت :

أتانى رضى بعد ليل وهجمة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك رسول من لؤى بن غالب فشمرت عن ساقى الازار ووسط فى الدغلب الوجناء بين السباب
فأشهد أن الله لارب غيره وأنت مأمون على كل غائب وأنت أدنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الأكرمين الأطايب فرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الدوائب

وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لى « أفلحت ياسواد » فقال له عمر رضى الله عنه هل يأتيك رثيك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن . ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين . ومما يدل على وفادتهم اليه ﷺ بعد ما هاجر الى المدينة الحديث الذى رواه الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة حدثنا سلمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدة المصيصي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية ابن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال أتيت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقلت له حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن . قال أجل ، قلت حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتركت فلم يأخذنى أحد منهم فربى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا ؟ » فقلت أنا ابن مسعود ، فقال ﷺ « ما أخذك أحد يعشيك ؟ » فقلت لا ، قال صلى الله عليه وسلم « فانطلق لعل أجدا لك شيئا » قال فانطلقنا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة أم سلمة رضى الله عنها فتركنى قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت يا ابن مسعود إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد ذلك عشاء فارجع إلى مضجعه . قال فرجعت إلى المسجد فجمعت حصاء المسجد فتوسدته والتفت بثوبي فلم ألبث إلا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجبر رسول الله فاتبعها وأنا أرجو العشاء حتى إذا بلغت مقامي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدرى فقال ﷺ « انطلق أنت معي حيث انطلقت » قلت ماشاء الله فأعادها على ثلاث مرات كل ذلك أقول ماشاء الله فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الغرقد فخط صلى الله عليه وسلم بعصاه خطا ثم قال « اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك » ثم انطلق عشي وأنا أنظر إليه خلال النخل حتى إذا كان من حيث لا أراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقلت ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أظن أن هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فأسعى إلى البيوت فأستغيث الناس فذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني أن لا أبرح مكان الذي أنا فيه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه ويقول « اجلسوا » فجلسوا حتى كاد يشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأتاني رسول الله ﷺ فقال « أمت بعدى ؟ » فقلت لا ولقد فرغت الفرقة الأولى حتى رأيت أن آتي البيوت فأستغيث الناس حتى ممعتك قرعهم بعصاك وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه فقال « لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك أن يختطفك بعضهم فهل رأيت من شيء منهم ؟ » فقلت رأيت رجلا سودا مستغفريا بثياب بيض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولئك وفد جن نصيبين أتوني فسألوني الزاد والمتاع فمتعهم بكل عظم حائل أوروثة أو برة » قلت فما يعني عنهم ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إنهم لا يجدون عظام إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها جبا الذي كان فيها يوم أكلت فلا يستنق أحد منكم بعظم ولا برة » وهذا إسناد غريب جدا ولكن فيه رجل مبهم لم يسم والله تعالى أعلم وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقة بن الوليد حديثي بن زيد القنبر حدثنا أبي حدثنا قحافة بن ربيعة حدثني الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال « أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة » فأسكت القوم ثلاثا فمررت بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز فإذا برجال طوال كأنهم الرماح مستغفرين بثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتي رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم

ومما يتعلق بوفود الجن ما رواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن جبان حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا الوليد بن بكير التميمي حدثنا حصين بن عمر أخبرني عبيد المكش عن إبراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا في بعض الطريق إذاهم بحية تنثني على الطريق أبيض ينفع منه ريح المسك فقلت لأصحابي امضوا فلست يبارح حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمر هذه الحية قال فعالمت أن ماتت فعمدت إلى خرقة يضاء قلففتها فيها ثم نحييتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي في التعشى . قال فوالله إنا لنعوذ إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرا ، قلنا ومن عمرو ، قالت أيكم دفن الحية ؟ قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن بنبينا وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام قال الرجال فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حاجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة » وهذا حديث غريب جدا والله أعلم ، قال أبو نعيم وقد روى الثوري عن أبي إسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه وروى عبد الله بن أحمد والظاهراني عن صفوان بن العطل — هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وأنهم قالوا إنه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن وروى أبو نعيم من حديث الليث ابن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة اللجشون عن عمه عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان ابن عفان رضى الله عنه فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين إني كنت بفلاة من الأرض فذكر أنه رأى ثعبانين اقتتلا ثم

قتل أحدهما الآخر قال فذهبت إلى المعتك فوجدت حيات كثيرة مقتولة وإذ ينفع من بعضها ريح المسك فجعلت أقمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة فلففتها في عمامتي ودفنتها ، فبينما أنا أمشي إذ ناداني مناد : يا عبد الله لقد هديت هذان حيوان من الجن بنو شعيبان وبنو قيس التثقا فكان من القتل ما رأيت واستشهد الذي دفتته وكان من الدين سمعوا الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال عثمان لذلك الرجل إن كنت صادقا فقد رأيت عجا وإني كنت كاذبا فعليك كذبك وقوله تبارك وتعالى (وإذ صرفنا إليك نورا من الجن) أى طائفة من الجن (يستمعون القرآن فلما حضروه نالوا أنصتوا) أى استمعوا وهذا أدب منهم وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالي أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا: ولا بشئ من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ورواه الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير ، كذا قال وقد رواه البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله وقوله عز وجل (فلما قضى) أى فرغ كقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) (فقصا من سموات في يومين) (فإذا قضيت مناسككم) (ولوا إلى قومهم منذرين) أى رجعوا إلى قومهم فأنذروهم بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا (ليتنزهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وقد استدلل بهذه الآية على أنه في الجن نذر وليس فيهم رسل ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا لقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) وقال عز وجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فكل نبى بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى أحدهما ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال غبرا عنهم (قالوا يا قومنا إنا معننا كتابا أنزل من بعد موسى) ولم يذكر موسى لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيات وقليل من التحليل والتحرير وهو في الحقيقة كالتميم للشرعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلماذا قالوا أنزل من بعد موسى ، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه ، عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال بخ بخ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى ياليتنى أكون فيها جذعا (مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله ، وقولهم (يهdy إلى الحق) أى في الاعتقاد والإخبار (وإلى طريق مستقيم) في الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخير صدق وطلبه عدل كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقال سبحانه وتعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح ، وهكذا قالت الجن (يهdy إلى الحق) في الاعتقادات (وإلى طريق مستقيم) أى في العمليات (يا قومنا أجيوا داعي الله) فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال (أجيوا داعي الله وآمنوا به) وقوله تعالى (بغفر لكم من ذنوبكم) قيل إن من ههنا زائدة وفيه نظر لأن زيادته في الإثبات قليل، وقيل إنها على بابها للتبعض (ويحرمكم من عذاب أليم) أى ويطيعكم من عذابه الأليم ، وقد استدلل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة وإنما جزاء صالحهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا

في هذا المقام وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أظنى من هذا لأوشك أن يذكره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لا يدخل مؤمنو الجنة الجنة لأنهم من ذرية إبليس ولا تدخل ذرية إبليس الجنة ، والحق أن مؤمنهم كثوفى الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف وقد استدلل بعضهم لهذا بقوله عز وجل (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان) وفي هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله جل وعلا (ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولى أبلغ من الإنس فقالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى لثمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضا فإنه إذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى . ومما يدل أيضا على ذلك عموم قوله تعالى (إن الدين آمنوا وعملوا الصالحا كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وما أشبه ذلك من الآيات . وقد أفردت هذه المسئلة في جزء على حدة والله الحمد والمنة وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا وما ذكره ههنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الأليم هو يستلزم دخول الجنة لأنه ليس فى الآخرة إلا الجنة أو النار فمن أجبر من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمنى الجن لا يدخلون الجنة وإن أجبروا من النار ولو صح لقننا به والله أعلم . وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) ولا خلاف أن مؤمنى قومه فى الجنة فكذلك هؤلاء . وقد حكى فمهم أقوال غريبة فمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنهم لا يدخلون بحوكة الجنة وإنما يكونون فى ربضها وحولها وفى أرجائها ومن الناس من زعم أنهم فى الجنة يرام بنو آدم ولا يرون بنى آدم بعكس ما كانوا عليه فى الدار الدنيا : ومن الناس من قال لا يأكلون فى الجنة ولا يشربون وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضا عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الأقوال فيها نظر ولا دليل عليها ، ثم قال مخبرا عنهم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) أى بل قدرة الله شاملة له ومحيطه به (وليس لهم من دونه أولياء) أى لا يجبرهم منه أحد (أولئك فى ضلال مبين) وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهذا نجح فى كثير منهم وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفودا وفودا كما تقدم بيانه والله الحمد والمنة والله أعلم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَمَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَلَ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾

يقول تعالى أو لم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد (أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن) أى ولم يكرمه خلقهن بل قال لها كونى فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة عجيبة خائفة وجللة أفليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟ كما قال عز وجل فى الآية الأخرى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ولهذا قال تعالى (بلى إنه على كل شئ قدير) . ثم قال جل جلاله متهددا ومتوعدا لمن كفر به (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) أى يقال لهم أما هذا حق أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ (قالوا بلى وربنا) أى لا يسمهم إلا الاعتراف (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ثم قال

تبارك وتعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أى على تكذيب قومهم لهم . وقد اختلفوا فى تعداد أولى العزم على أقوال وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم صلى الله عليه وسلم قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء فى آيتين من سورتي الأحزاب والشورى ، وقد يَحْتَمِلُ أن يكون المراد بأولى العزم جميع الرسل فتكون (من) فى قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرى حدثنا السرى بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجاهد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة رضى الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال « يا عائشة إن الدنيا لا تدبغى لمحمد ولا آل محمد يا عائشة إن الله تعالى لم يرص من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروها والصبر عن محبوبها لم يرص منى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة إلا بالله » (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى (فذرني والكَذِبِينَ أولى النعمة ومهلهم قليلا) وكقوله تعالى (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) كقوله جل وعلا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وكقوله عز وجل (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) الآية وقوله جل وعلا (بلاغ) قال ابن جرير يَحْتَمِلُ معنيين (أحدهما) أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ (والآخر) أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ . وقوله تعالى (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أى لا يهلك على الله إلا هالك ، وهذا من عدله عز وجل أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم . [آخر تفسير سورة الأحقاف والله الحمد واللثة وبه التوفيق والعصمة .]

﴿ تفسير سورة القتال وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾

يقول تعالى (الذين كفروا) أى بآيات الله (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله أضل أعمالهم) أى أبطلها وأذهبها ولم يحمل لها ثوبا ولا جزاء كقوله تعالى (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم قال جل وعلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط فى صحة الإيمان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى (وهو الحق من ربهم) جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى أمرهم وقال مجاهد : شأنهم وقال قتادة وابن زيد حالهم والكل متقارب وقد جاء فى حديث تميم العاطس « يهديكم الله ويصلح بالكم » ثم قال عز وجل (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) أى إنما أبطلنا أعمال الكفار . وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شئونهم لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل أى اختاروا الباطل على الحق (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أى يبين لهم مآل أفعالهم ، وما يصيرون إليه فى معادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَقَاتًا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْكُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا ﴾

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُصْلَ أَعْمَلَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿

يقول تعالى مرشدا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أى إذا واجهتموه فاحصدوهم حصدا بالسيف (حتى إذا اتخمتوهم) أى أهلكتموهم قتلا (فشدوا الوثاق) الأسارى الذين تأسروهم ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة يخبرون في أمرهم إن شئتم منتم عليهم فأطلقتم أسارهم مجانا وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه ، والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فإن الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال (ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية الخيرة بين مفاداة الأسير والى عليه منسوخة بقوله تعالى (فإذا انسحق الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الآية رواه العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وقال الآخرون وهم الأكترون ليست بمنسوخة ، ثم قال بعضهم إنما الإمام مخير بين اللين على الأسير ومفاداته فقط ولا يجوز له قتله وقال آخرون منهم بل له أن يقتله إن شاء لحديث قتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال إن تقتل تقتل ذا دم وإن تمنن تمنن على شاكر وإن كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت ، وزاد الشافعى رحمة الله عليه فقال الإمام مخير بين قتله أو اللين عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا وهذه المسألة محررة في علم الفروع وقد دللنا على ذلك في كتابنا الأحكام والله سبحانه وتعالى الحمد والله . وقوله عز وجل (حتى تضع الحرب أوزارها) قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم « لا تنزال طائفة من أمى ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال » . وقال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال إن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني سبيت الحيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت : لا قتال ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « الآن جاء القتال لا تنزال طائفة من أمى ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، ألا إن عقد دار المؤمنين بالشام والحيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السكونى به وقال أبو القاسم البغوى حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عن النواس ابن ميمعان رضى الله عنه قال لما فتح على رسول الله ﷺ فتح فقالوا يا رسول الله سبيت الحيل ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لا قتال قال « كذبوا الآن جاء القتال لا يزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم الله منهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وعقد دار المسلمين بالشام » وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى عن داود بن رشيد به ، والمحفوظ أنهم رأوا سلمة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوى القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب إلى أن لا يبق حرب وقال قتادة (حتى تضع الحرب أوزارها) حتى لا يبق شرك وهذا كقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أى أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل وقيل أوزار أهلها بأن يبدلوا الوسع في طاعة الله تعالى وقوله عز وجل (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) أى هذا ولو شاء الله لانتقم

من الكافرين بقوبة ونكال من عنده (ولكن ليلو بعضكم ببعض) أى ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم ويبلو أخباركم كاذر حكمته فى شرعية الجهاد فى سورتي آل عمران وبراءة فى قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

وقال تبارك وتعالى فى سورة براءة (قاتلوم يعذبهم الله بأيديكم ويغزىم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ثم لما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم) أى لن يذهبها بل يكثرها وينمىها ويضاعفها . ومنهم من يجرى عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا زيد بن يحيى الدمشقى حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامى - رجل كانت له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ « يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان » تفرد به أحمد رحمه الله

(حديث آخر) قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثنى إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خاله بن معدان عن القدام بن معد يكرب الكندى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للشهيد عند الله ست خصال : أن يغفر له فى أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ويحار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنسانا من أقرابه » وقد أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وعن أبي قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يغفر للشهيد كل شئ إلا الدين » وروى من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته » ورواه أبو داود والأحاديث فى فضل الشهيد كثيرة جدا . وقوله تبارك وتعالى (سهيهم) أى إلى الجنة كقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهدهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعم) . وقوله عز وجل (ويصلح بهم) أى أمرهم وحالمهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى عرفهم بها وهدهم إليها قال مجاهد يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومسكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا ، وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا ، وقال محمد بن كعب : يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة . وقال مقاتل ابن حيان بلغنا أن الملك الذى كان وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هوله فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى فى الجنة فإذا انتهى إلى أقصى منزله فى الجنة دخل إلى منزله وأزواجه وانصرف الملك عنه ، ذكره ابن أبى حاتم رحمه الله . وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضا رواه البخارى من حديث قتادة عن أبي التوكل الناجى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا وتقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أهدهم منه بمنزله الذى كان فى الدنيا » . ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كقوله عز وجل (ولينصرن الله من ينصره) فإن الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (ويثبت أقدامكم) كما جاء فى الحديث « من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة » ثم قال تبارك وتعالى (والذين كفروا فتعس لهم) عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس واتكس وإذا شيك فلا انتكش » أى فلا شفاه الله عز وجل . وقوله سبحانه وتعالى (وأضل أعمالهم) أى أحبطها وأبطلها ولهذا قال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى لا يريدونه ولا يحبونه (فأحبط أعمالهم)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ مُخْلِصًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ * وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

يقول تعالى (أفلم يسروا) يعنى المشركين بالله الكذابين لرسوله (فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أى عاقبتهم بتكذيبهم وكفرهم أى ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى (وللذين آمنوا وأمنوا) (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) ولهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا ، وأجابه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كذبت يا عدو الله بل أبقى الله تعالى لك ما يسوءك وإن الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان يوم الحطاب رضى الله عنه فقال كذبت يا عدو الله بل أبقى الله تعالى لك ما يسوءك وإن الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان يوم بدر والحرب سجال أما إنكم ستجدون مثله لم آمر بها ولم أنه عنها ثم ذهب يرتجز ويقول ثم * اعل هبل اعل هبل * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تحيونه ؟ » فقالوا يا رسول الله وما تقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم قولوا « الله أظلى وأجل » ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم « ألا تحيونه ؟ » قالوا وما تقول يا رسول الله قال قولوا « الله مولانا ولا مولى لكم » ثم قال سبحانه وتعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) أى يوم القيامة (والذين كفروا يمتعون ويأكلون كاتأكل الأنعام) أى فى دنياهم يمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام خضاً وقضاً ليس لهم همة إلا فى ذلك ولهذا ثبت فى الصحيح « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » ثم قال تعالى (والنار مثوى لهم) أى يوم جزائهم وقوله عز وجل (وكأين من قرية هيا أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة (أهلكناهم فلا ناصر لهم) وهذا تهديد شديد ووعد أكيد لأهل مكة فى تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء فإذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فإذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم فى الدنيا والأخرى ؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة فى الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فإن العذاب يوفى على الكافرين به فى معادهم (يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وقوله تعالى (من قريتك التى أخرجتك) أى الذين أخرجوك من بين أظهرهم وقال ابن أبى حاتم - كراى عن محمد بن عبد الأظلى عن العسر ابن سليمان عن أبيه عن حنث عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى النار وأتاه فالتفت إلى مكة وقال « أئت أحب بلاد الله إلى الله ، وأئت أحب بلاد الله إلى ، ولو لأن المشركين أخرجوني لم أخرج منك » فأعدي الأعداء من عدا على الله تعالى فى حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية فأنزله الله تعالى على نبيه ﷺ (وكأين من قرية هيا أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)

﴿ أَفَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَذِبَ زَيْنٍ لَّهُ سُوهُ هَمَلٍ وَأَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرِّيبِ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً

قَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ

يقول تعالى (أَقْمِنَ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) أَيْ عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَقِينُ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَدِينِهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَبِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِطْرَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ (كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ؟) أَيْ لَيْسَ هَذَا كَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى (أَقْمِنَ يَعْلَمُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَإِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى؟) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ (مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ) قَالَ عِكْرَمَةُ (مِثْلُ الْجَنَّةِ) أَيْ نَعْتَهَا (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ يَعْنِي غَيْرَ مُتَغَيِّرٍ وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءُ الْخِرَاسَانِيُّ غَيْرَ مُتَنَبِّئٍ وَالْعَرَبُ تَقُولُ أَسْنُ الْمَاءِ إِذَا تَغَيَّرَ رِيحُهُ، وَفِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ أَوْرَدَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ غَيْرُ آسِنٍ يَعْنِي الصَّافِي الَّذِي لَا كَدْرَ فِيهِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرَّةٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجُرُ مِنْ جَبَلٍ مِنْ مَسْكٍ (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) أَيْ بَلَّ فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ وَالْحَلَاوَةِ وَالْدُسُومَةِ وَفِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ «لَمْ يُخْرَجْ مِنْ ضُرُوعِ الْمَاشِيَةِ» (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) أَيْ لَيْسَتْ كَرِيهَةِ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ كَخَمْرِ الدُّنْيَا بَلَّ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ وَالْفِعْلُ (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) (لَا يَصْهَرُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ) (بَيَاضُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) وَفِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ «لَمْ يَصْرَهَا الرِّجَالُ بِأَقْدَامِهِمْ» (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مَعْصِيٍّ) أَيْ وَهُوَ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَحَسَنِ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّيْحِ وَفِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ «لَمْ يُخْرَجْ مِنْ بَطُونِ النَّحْلِ» وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا الْجَرِيرِيُّ عَنْ حَكِيمِ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ وَبَحْرُ الْمَاءِ وَبَحْرُ الْعَسَلِ وَبَحْرُ الْخَمْرِ ثُمَّ تَشْتَقِقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدَ» وَرواه التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْجَرِيرِيِّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْدَوَيْهِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حَضَمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّعْمَانِ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ أَبُو قَدَامَةَ الْيَادِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَشْخَبُ مِنْ جَنَّةٍ عَدْنٍ فِي جَوْبَةٍ ثُمَّ تَصْدَعُ بَعْدَ أَنْهَارِهَا» وَفِي الصَّحِيحِ «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تَفْجُرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ». وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ حَدَّثَنَا مَعْصُومُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ بْنِ حَمْزَةَ الزَّيْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّفَرِ السَّكْرِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَيْمَةِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيَّاشٍ عَنْ دَلْهِمِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ دَلْهُمُ وَحَدَّثَنِي أَيْضًا أَبُو الْأَسْوَدِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ لَقِيطٍ قَالَ إِنَّ لَقِيطَ بْنَ عَامِرٍ خَرَجَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَا نَطْلُعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «عَلَى أَنْهَارٍ عَسَلٍ مَعْصِيٍّ، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرِ مَا بِهَا صَدَاعٌ وَلَا نَدَامَةٌ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَفَاكِهَةٍ لَعْمَرٍ إِلَهْكَ مَا تَعْلَمُونَ وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَزْوَاجٌ مَطَهْرَةٌ» قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَا فِيهَا أَزْوَاجٌ مُصَلِّحَاتٌ؟ قَالَ «الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ تَلَذُّوْنَهُنَّ مِثْلَ لَذَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلَذُّوْنَكُمْ، غَيْرَ أَنَّ لَا تَوَالِدَ» وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ أَخْبَرَنِي الْجَرِيرِيُّ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَجْرِي فِي أَخْدُودٍ فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ إِنَّهَا لَتَجْرِي سَائِجَةً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَافَاتِهَا قَبَابُ اللَّؤْلُؤِ وَطِينُهَا الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ مَهْدِي بْنِ حَكِيمٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ عَنْ مَرْفُوعَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ) وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) أَيْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) أَيْ أَهْلُهَا الَّذِينَ ذَكَرْنَا مِنْهُمْ نَزَلَتْهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ؟ لَيْسَ هَؤُلَاءُ كَهَؤُلَاءِ، وَلَيْسَ مَنْ هُوَ فِي الدَّرَجَاتِ كَمَنْ هُوَ فِي الدَّرَكَاتِ (وَسَقْوَامَاءٌ حَمِيًّا) أَيْ حَارًّا شَدِيدًا الْحَرًّا لَا يَسْتَطَاعُ (قَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ) أَيْ قَطَعَ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنَ الْأَمْعَاءِ وَالْأَحْشَاءِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ -

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَآذَا قَالَ أَنفَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * قَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ * فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين في بلادهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئا فإذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضي الله عنهم (ماذا قال آنفا) أي الساعة . لا يقولون ما قال ولا يكثرثون له . قال الله تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح . ثم قال عز وجل (والذين اهتدوا زادهم هدى) أي والذين قصدوا الهداية وقهم الله تعالى لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها (وآتاهم تقواهم) أي ألهمهم رشدهم . وقوله تعالى (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي وهم غافلون عنها (فقد جاء أشراطها) أي أمارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى (هذا نذير من النذر الأولى أذفت الآزفة) وكقوله جلّت عظمته (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقوله جل وعلا (اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) فبغتة رسول الله ﷺ من أشرط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين . وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشرطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه . وقال الحسن البصري بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من أشرط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة ونبي اللحمة والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه والعاقب الذي ليس بعده نبي وقال البخاري حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا أبو رجاء حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعه هكذا بالوسطى والتي تليها « بعثت أنا والساعة كهاتين » ثم قال تعالى (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أي فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكري) . (وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) . وقوله عز وجل (فاعلم أنه لا إله إلا الله) هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمرا يعلم ذلك ولهذا عطف عليه قوله عز وجل (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي » . وفي الصحيح أنه كان يقول في آخر الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله إلا أنت » وفي الصحيح أنه قال « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فاني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الأحول قال سمعت عبد الله بن سرخس قال أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « ولك » فقلت أستغفر لك . فقال رسول الله ﷺ « نعم ولكم » وقرأ (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ثم نظرت إلى بعض كتفه الأيمن — أو كتفه الأيسر شعبة الذي شك — فإذا هو كهيئة الجمع عليه التأليل ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به ، وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلى حدثنا محمد بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نصر عن أبي رجاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منها فإن

إبليس قال إنما هلكت الناس بالنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون» وفي الأثر المروي « قال إبليس وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جدا وقوله تبارك وتعالى (والله يعلم متقبلكم ومثواكم) أى يعلم تصرفكم في نهركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) وهذا القول ذهب إليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير، وعن ابن عباس رضى الله عنهما متقبلكم فى الدنيا ومثواكم فى الآخرة ، وقال السدى متقبلكم فى الدنيا ومثواكم فى قبوركم ، والأولى أولى وأظهر والله أعلم .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب؟ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون شيئا) وقال عز وجل ههنا (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أى مشتملة على حكم القتال ولهذا قال (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) أى من فزعهم ورعبهم وجنبهم من لقاء الأعداء ، ثم قال مشجعا لهم (فأولى لهم طاعة وقول معروف) أى وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أى فى الحالة الراهنة (فإذا عزم الأمر) أى جد الحال ، وحضر القتال (فلو صدقوا الله) أى أخلصوا له النية (لكان خيرا لهم) وقوله سبحانه وتعالى (فهل عسيتم إن توليتم) أى عن الجهاد ونكلتم عنه (أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ؟) أى تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجاهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام ولهذا قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وهذا نهى عن الأسفاد فى الأرض عموما وعن قطع الأرحام خصوصا بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح فى الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب فى المقال والأفعال وبذل الأموال ، وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة ، قال البخارى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن حذثنى معاوية بن أبى مزرود عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوى الرحمن عز وجل فقال له فقالت هذا مقام العائد بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى قال فذلك لك » قال أبو هريرة رضى الله عنه أقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) ثم رواه البخارى من طريقين آخرين عن معاوية بن أبى مزرود به قال : قال رسول الله ﷺ : « أقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) » . ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبى مزرود به

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبى بكره رضى

عنه قال: قال رسول الله ﷺ « مامن ذنب أخرى أن يجعل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البقي وقطعة الرحم » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث إسماعيل هو ابن علي به وقال الترمذي هذا حديث صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المراني حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره النساء في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه » تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيح . وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لي ذوى أرحام : أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسئون أفأكفهم ؟ قال ﷺ « لا ، إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فإنه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك » تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر . وقال الإمام أحمد حدثنا يعلى حدثنا مطر عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخاري . وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « توضع الرحم يوم القيامة لها حجة كحجة الغزل تكلم بلسان طلق ذاق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي ﷺ قال « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء والرحم شحنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بته » وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به وهذا هو الذي يروى بتسلسل الأولية وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن إبراهيم بن عبد الله بن فارض أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو مريض فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه وصلتكم رحم إن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته - أو قال - من بها أبته » تفرد به أحمد من هذا الوجه ، ورواه أحمد أيضا من حديث الزهري عن أبي سلمة عن الرداد - أو أبي الرداد - عن عبد الرحمن بن عوف به ، ورواه أبو داود والترمذي من رواية أبي سلمة عن أبيه ، والأحاديث في هذا كثيرة جداً . وقال الظهري حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس عن الحجاج بن القرافصة عن أبي عمر البصري عن سليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبه قال رسول الله ﷺ « إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم » والأحاديث في هذا كثيرة والله أعلم .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾

يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهاها عن الإعراض عنه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

أى بل على قلوب أفعالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضى الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى فاستعان به . ثم قال تعالى (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أى فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أى زين لهم ذلك وحسنه (وأملى لهم) أى غرهم وخدعهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر) أى ما لؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرهم خلاف ما يظنون ولهذا قال الله عز وجل (والله يعلم إسرارهم) أى ما يسرون وما يخفون ، الله مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى (والله يكتب ما يبيتون) . ثم قال تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أى كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى (ولوترى إذيتوى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) الآية وقال تعالى (ولوترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم) أى بالضرب (أخرحوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) ولهذا قال ههنا (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ سِيسِمَهُمْ وَلَتَعْرَفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)

يقول تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟) أى أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة براءة فيبين فيها فضائعهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة . والأضغان جمع ضغن وهو مافى النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقاتلين بنصره ، وقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم) يقول عز وجل ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترامنه على خلقه وحملهم للأموال على ظاهر السلامة وردا للسرائر إلى عالمها (ولتعرفنهم في لحن القول) أى فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم للتكلم من أى الحزبين هو بمعنى كلامه وفجواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وقلنت لسانه . وفي الحديث « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » وقد ذكرنا ما يستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخارى بما أغنى عن إعادته ههنا . وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين . قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « إن منكم منافقين فمن ميت فليقم - ثم قال - قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان - حتى مى ستة وثلاثين رجلا ثم قال - إن فيكم أو منكم - منافقين فاتقوا الله » قال فر عمر رضى الله عنه برجل ممن مى مقنع قد كان يعرفه فقال مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال بعد ذلك سائر اليوم . وقوله عز وجل (ولنبلونكم) أى لنختبرنكم بالأوامر والنواهي (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ولنبلو أخباركم) وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما في مثل هذا : إلا لنعلم أى لنرى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْطِطُ أَعْمَلُهُمْ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَهْزِمَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿

يخبر تعالى عن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه برده مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية كما أن الحسنات يذهبن السيئات . وقد قال الإمام أحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل ، ثم روى من طريق عبد الله بن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع مشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ قلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجوا لمن لم يصبها : ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعته رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ولهذا قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) أى بالردة ، ولهذا قال بعدها (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل ثم ما تواوهم كفر فلن يغفر الله لهم) كقوله سبحانه وتعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعوا إلى السلم) أى المهادنة والسلمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) أى في حال علوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في المهادنة والعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك . وقوله جلت عظمته (والله معكم) فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء (ولن يترك أعمالكم) أى ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إياها بل يوفىكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا والله أعلم

﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنَكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا فِيخَفِيفُكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّلُوا أَمْ يَخْرُجُ أَصْفَنَكُمْ * هَآؤُنْ هُوَ لَآءُ تَدْعُونَ لِنَبْذِلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْذُلُ وَمَنْ يَبْذُلْ فَإِنَّمَا يَبْذُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾

يقول تعالى تحقيراً لأمر الدنيا وتهويناً لشأنها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) أى هو غنى عنكم لا يطلب منكم

شيء ، إنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لا خوائكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم . ويرجع ثوابه إليكم ثم قال جل جلاله (إن يسألكموها فيحلفكم بخلوا) أى يخرجكم بخلوا (ويخرج أضغانكم) قال قتادة . قد علم الله تعالى أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان وصدق قتادة فإن المال محبوب ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه . وقوله تعالى (ها أتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل) أى لا يجيب إلى ذلك (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما تقص نفسه من الأجر وإنما يعود وبال ذلك عليه (والله الغنى) أى عن كل ماسواه وكل شيء فقير إليه دائماً ، ولهذا قال تعالى (وأتم الفقراء) أى بالذات إليه ، فوصفه بالغنى وصف لازم له ، ووصف الخلق بالفقر وصف لا زملهم لا ينفكون عنه . وقوله تعالى (وإن تتولوا) أى عن طاعته واتباع شرعه (يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) أى ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره . وقال ابن أبي حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضى الله عنه ثم قال « هذا وقومه ولو كان الدين عندنا لثناؤه رجال من الفرس » تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم . آخر تفسير سورة القتال والله الحمد والمثنة

(تفسير سورة الفتح وهي مدنية)

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قررة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا أنى أكره أن يجتمع الناس عليا لحكيت قراءته ، أخرجاه من حديث شعبة به .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَفْرِغَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا)

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذى القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام فيقضى عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كما سيأتى تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى ، فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود رضى الله عنه وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية ، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضى الله عنه قال : تعدون أتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح ببيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فترخناها فلم تترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثأها بفلس على شفيرها ثم دعا ياناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا . وقال الإمام أحمد حدثنا نوح حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قال فسأته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد على ، قال فقلت في نفسى شككتك أمك يا ابن الخطاب ألححت ككررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك ؟

قال فركبت راحلتي فحركت بعيري فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء قال فإذا أنا بمناد يا عمر قال فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نزل على البارحة سورة هي أحب إلى من الدنيا وما فيها : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) » ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله ، وقال علي بن المديني هذا إسناد مدني جيد لم نجده إلا عندهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت على النبي ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) مرجعه من الحديثية قال النبي ﷺ « لقد أنزلت على الليلة آية أحب إلى مما على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا هنيئاً مريئاً يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فإذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم (ليدخل المؤمنون والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - حتى بلغ - فوزاً عظيماً) أخرجه في الصحيحين من رواية قتادة به . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال شهدنا الحديثية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس ؟ قالوا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نوجف فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) قال : قال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رسول الله أو فتح هو ؟ قال ﷺ « إي والدي نفس محمد بيده إنه لفتح » قسمت خير على أهل الحديثية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديثية فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهماً وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الرجل سهماً ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد بن عيسى عن مجمع بن يعقوب به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ حدثنا أبو يحيى حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : لما أقبلنا من الحديثية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ إلا والشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله ﷺ نائم قال : قفلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « افعلوا ما كنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسي » قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة فأثبته بها فركبها فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي قال وكان إذا أتاه الوحي اشتد عليه فلما سرى عنه أخبرنا أنه أنزل عليه (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وقد رواه أحمد وأبو داود والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زيد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبه يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه قفيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » أخرجه الجماعة إلا أبا داود من حديث زيد به وقال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً » أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عون الحارثي وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه - أو قال ساقاه - قفيل له أليس الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً » غريب من هذا الوجه فقوله (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) أي بيناً ظاهراً وللمراد به صلح الحديثية فانه حصل بسببه خير جليل ، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والإيمان وقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب

الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهو صلى الله عليه وسلم أكل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيته قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال ﷺ « والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم شيئاً يعظمون به حرمت الله إلا أجبتهم إليها » فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله تعالى له (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك) أى فى الدنيا والآخرة (ويهديك صراطاً مستقيماً) أى بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم (وينصرك الله نصراً عزيزاً) أى بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء فى الحديث الصحيح « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما عاقبت أحداً عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً * وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً ﴾

يقول تعالى (هو الذى أنزل السكينة) أى جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعنه الرحمة ، وقال قتادة الوقار فى قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضى الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله واتقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأن قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم ؟ وقد استدلل بها البخارى وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان فى القلوب ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لاتنصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى (ولله جنود السموات والأرض) أى ولو أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له فى ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة ولهذا قال جلست عظمتهم (وكان الله عليماً حكيماً) ثم قال عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) قد تقدم حديث أنس رضى الله عنه حين قالوا هنيئاً لك يا رسول الله هذا لك فما لنا ؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ما كثرين فيها أبداً (ويكفر عنهم سيئاتهم) أى خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر (وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً) كقوله جل وعلا (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الآية . وقوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظالمن بالله ظن السوء) أى يتهمون الله تعالى فى حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم أن يقتلوا ويذهبوا بالسكينة ولهذا قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) أى أبعدهم من رحمته (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً) ثم قال عز وجل مؤكداً قدرته على الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً)

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَمِيلًا * إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْوَرُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إنا أرسلناك شاهداً) أى على الخلق (ومبشراً) أى للمؤمنين (ونذيراً) أى للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد تعظموه (وتوقروه) من التوقير وهو الاحترام والالجلال والاعظام (وتسبحوه) أى تسبحون الله (بكرة وأصيلاً) أى أول النهار وآخره . ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) كقولهم جل وعلا (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يد الله فوق أيديهم) أى هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المابيع بواسطة رسول الله ﷺ كقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانباري حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من سأل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله » وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الحجر « والله ليعثن الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ولهذا قال تعالى ههنا (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) أى إنما يعود وبالدلك على الناكث والله غنى عنه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فمِثْوَرُهُ أَجْرًا عَظِيمًا) أى ثواباً جزيلاً وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة ممرة بالحديبية وكان الصحابة رضى الله عنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ قیل ألفاً وثلاثمائة ، وقیل وأربعمائة وقیل وخمسمائة والأوسط أصح

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في ذلك ﴾

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وأخرجاه أيضاً من حديث الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يومئذ ألفاً وأربعمائة ووضع يده في ذلك الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى رويوا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية وأن رسول الله ﷺ أعطاهم سهماً من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كففتهم فقبل لجابر رضى الله عنه كم كنتم يومئذ ؟ قال : كنا ألفاً وأربعمائة ولو كنا مائة ألف لكفانا ، وفي رواية في الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أنهم كانوا خمس عشرة مائة

وروى البخاري من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة ، قلت فإن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله : وهم ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة . قال البيهقي هذه الرواية تدل على أنه كان في القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة وروى العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذي رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذي رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس الدوري عن يحيى بن معين عن شبابة بن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة ، وكذلك هو الذي في رواية سلمة بن الأكوع ومعاقل بن يسار والبراء بن عازب رضى الله عنهم

وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير ، وقد أخرج صاحبنا الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول كان أصحاب الشجرة ألفا وأربعمائة وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين وروى محمد بن إسحاق في السيرة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . كذا قال ابن إسحاق وهو معدود من أوهامه فان المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر سبب هذه البيعة العظيمة ﴾

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعثه إلى مكة ليلبغ عنه أشراف قريش ماجأله فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه نبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظم الحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فأنطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماة قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل قال ابن إسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بآيهم رسول الله ﷺ على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بآيهم على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتلخف أحد من المسلمين حضرها إلا الجدي بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكانني أنظر إليه لاصقا بأبط ناقته قد صبا إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل ، وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قريبا من هذا السياق وزاد في سياقه أن قريشا بشوا وعندهم عثمان رضي الله عنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ فبينما هم عندهم إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلامهما وارتعن كل من الفريقين من عنده من الرسل ونادى منادى رسول الله ﷺ ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فصار المسلمون إلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا أبدا فأرعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا إلى المودعة والصلح وقال الحافظ أبو بكر البهقي أخبرنا علي بن أحمد ابن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا هشام حدثنا الحسن بن بشير حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم : « اللهم إن عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله » فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرا من أيديهم لأنفسهم . قال ابن هشام : حدثني من أثق به عن حدثه بأسناده عن ابن أبي مليكة عن ابن

عمر رضى الله عنهما قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال عبد الملك بن هشام النحوى فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : إن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان حدثنا ابن أبي خالد عن الشعبي قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدى فقال أبسط يدك أبايعك فقال النبي ﷺ « علام تباعى ؟ » فقال أبو سنان رضى الله عنه على ما فى نفسك ، هذا أبو سنان بن وهب الأسدى رضى الله عنه . وقال البخارى حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر ابن محمد يقول حدثنا صخر بن الربيع عن نافع رضى الله عنه قال إن الناس يتحدثون أن ابن عمر رضى الله عنهما أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر رضى الله عنه يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار أن يأتى به ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة وعمر رضى الله عنه لا يدري بذلك فبايعه عبد الله رضى الله عنه ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه يستلم للقتال فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر رضى الله عنهما . ثم قال البخارى وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمرو بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ قد تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر رضى الله عنه يا عبد الله انظر ماشأنا الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر رضى الله عنه فخرج فبايع . وقد أسنده البيهقى عن أبي عمرو الأديب . عن أبي بكر الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن دحيم حدثني الوليد بن مسلم فذكره ، وقال الليث عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضى الله عنه أخذ يده تحت الشجرة وهى ممرة وقال بامعناه على أن لا تفر ولم نبايعه على الموت . رواه مسلم عن قتبية عنه . وروى مسلم عن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال . لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها على رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر . وقال البخارى حدثنا المكى بن إبراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال يزيد قلت يا أبا مسلمة على أى شيء كنتم تباعون يومئذ ؟ قال على الموت وقال البخارى أيضا حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنحيت فقال صلى الله عليه وسلم « يا سلمة ألا تباعى ؟ » قلت قد بايعت ، قال ﷺ « أتبل فبايع » فدنوت فبايعته ، قلت علام بايعته يا سلمة ؟ قال على الموت . وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبي عبيد ، وكذا روى البخارى عن عباد بن عمار أنهم بايعوه على الموت . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار الجامي عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لاتروها فقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها يعنى الركي فاما دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا . قال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى البيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان فى وسط الناس قال صلى الله عليه وسلم « بايعى يا سلمة » قال قلت يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس قال صلى الله عليه وسلم « وأيضا » قال ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلا فأعطاني حبة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال ﷺ « ألا تباعى يا سلمة ؟ » قال : قلت يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم ، قال صلى الله عليه وسلم « وأيضا » فبايعته الثالثة ،

فقال رسول الله ﷺ « يا سلمة أين حجفتك أو درجتك التي أعطيتك ؟ » قال : قلت يا رسول الله لقيت عامر عزلا فأعطيتها إياه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « إنك كالذي قال الأول اللهم ابني حبيبا هو أحب إلى من نفسي » قال ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاصطلحنا قال وكنت خادما لطالحة بن عبيد الله رضى الله عنه أسقى فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وترك أهلى ومالى مهاجرا إلى الله ورسوله ، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا في بعض أتيت شجرة فكشحت شوكتها ثم اضطجعت في أصلها في ظلها فأتاني أربعة من مشركى أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم وتحولت إلى شجرة أخرى فعاثوا سلاحهم واضطجعوا فيها هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادى يالها جرير قتل ابن زيم فاخرطت سيفي فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثا في يدي ثم قلت والذى كرم وجهه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذى فيه عيناه ، قال ثم جثت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمى عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله ﷺ في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ وقال « دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قريبا منه

وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن السيب قال : كان أبى من بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فحفى علينا مكانها فان كان بينت لكم فأنتم أعلم ، وقال أبو بكر الحميدى حدثنا سفيان حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضى الله عنه قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة وجدنا رجلا منا يقال له الجذ بن قيس محتبنا تحت إبط بعيره ، رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به وقال الحميدى أيضا حدثنا سفيان عن عمرو أنه مع جابرا رضى الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتم خير أهل الأرض اليوم » قال جابر رضى الله عنه . لو كنت أبصر لأريكم موضع الشجرة ، قال سفيان إنهم اختلفوا في موضعها أخرجاه من حديث سفيان ، وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون الفلاس المحرمى حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثى حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خدش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر » قال فانطلقنا نبتدره فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيرى أحب إلى من أن أبايع وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قره عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من يصعد الثانية ثنية المرافقه يحط عنه ما حط عن بنى إسرائيل » فكان أول من صعد خيل بنى الحزرج ثم تبادر الناس بعد فقال النبي ﷺ « كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر » فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجذ ضالقي أحب إلى من أن يستغفر لى صاحبكم فإذا هو رجل ينشد ضالة ، رواه مسلم عن عبيد الله به وقال ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه مع جابرا رضى الله عنه يقول أخبرتنى أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضى الله عنها « لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد » قالت بلى يا رسول الله فاتهرها فقالت حفصة رضى الله عنها (وإن منكم إلا واردة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد قال الله تعالى (ثم نجى الدين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) رواه مسلم ، وفيه أيضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : إن عبد الحاطب بن أبى بلتعة جاء يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية » ولهذا قال تعالى في الشاء عليهم (إن الدين يبايعونك إنما يبايعون

الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) كما قال عز وجل في الآية الأخرى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَذِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سُوًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا * وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام فى أهلهم وشغلهم وتركوا السير مع رسول الله ﷺ فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ وذلك قول مهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والصناعة ولهذا قال تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً) أى لا يقدر أحد أن يرد ما أَراده الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وصنائركم وإن صانتمونا وناقضتمونا ولهذا قال تعالى (بل كان الله بما تعملون خيرا) ثم قال تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً) أى لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً) أى اعتقدتم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم خبر (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً) أى هلكى قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد ، وقال قتادة فاسدين ، وقيل هى لغة عمان . ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) أى من لم يخلص العمل فى الظاهر والباطن لله فان الله تعالى سيعذبه فى السعير وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه فى نفس الأمر . ثم بين تعالى أنه الحاكم الملاك للتصرف فى أهل السموات والأرض (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أى لمن تاب إليه وأتاب وخضع لديه

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا أُنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْ وَهَازِرُونَ أَنْ نَنْفَعَكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية إذ ذهب النبی ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم إلى خير يفتحونها أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى الغنم وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومحالبتهم ومصابرتهم فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يأذن لهم فى ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فان الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خير وهدم لا يشاركم فيها غيرهم من الأعراب التخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدرا ولهذا قال تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قال مجاهد وقتادة وجوير وهو الوعد الذى وعده أهل الحديبية واختاره ابن جرير ، وقال ابن زيد هو قوله تعالى (فان رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالعقد أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) وهذا الذى قاله ابن زيد فيه نظر لأن هذه الآية التى فى براءة نزلت فى غزوة تبوك وهى متأخرة عن عمرة

الحديبية وقال ابن جريج (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعنى بتشيطهم المسلمين عن الجهاد (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) أى وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم (فسيقولون بل تحسدونا) أى أن تشرركم فى الغنائم (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) أى ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم

﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَكَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

اختلف المفسرون فى هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم الذين هم أولو بأس شديد طى أقوال (أحدها) أنهم هوازن رواه شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعا ورواه هشيم عن أبى بشر عنهما وبه يقول قتادة فى رواية عنه (الثانى) ثقيف قاله الضحاك (الثالث) بنو حنيفة قاله جوير ورواه محمد بن إسحق عن الزهرى وروى مثله عن سعيد وعكرمة (الرابع) هم أهل فارس رواه طى بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة فى إحدى الروايات عنه وقال كعب الأجباز : هم الروم ، وعن ابن أبى ليلى وعطاء والحسن وقتادة : هم فارس والروم ، وعن مجاهد هم أهل الأوثان وعنه أيضا هم رجال أولو بأس شديد ولم يعين فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا الأشج حدثنا عبد الرحمن بن إسحق القواريرى عن معمر عن الزهرى فى قوله تعالى (سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال لم يأت أولئك بعدوحدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن ابن أبى خالد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى (سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال هم البارزون . قال وحدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما سفار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المحان المطرقة » قال سفيان : هم الترك ، قال ابن أبى عمر وجدت فى مكان آخر حدثنا ابن أبى خالده عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة رضى الله عنه ففسر قول رسول الله ﷺ « تقاتلوا قوما سفار الأعين ذلف الأنوف » قال هم البارزون يعنى الأكراد وقوله تعالى (تقاتلوهن أو يسلمن) يعنى شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصره عليهم أو يسلمون فيدخلون فى دينكم بلا قتال بل باختيار . ثم قال عز وجل (فان تطيعوا) أى تستجيبوا وتتفروا فى الجهاد وتؤدوا الذى عليكم فيه (يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تولوا كما توليتم من قبل) يعنى زمن الحديبية حيث دعيت فتخلفتم (يعذبكم عذابا أليما) . ثم ذكر تعالى الأعذار فى ترك الجهاد فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذى يطرأ أيا ما ثم يزول فهو فى حال مرضه ملحق بدوى الأعذار اللازمة حتى يبرأ . ثم قال تبارك وتعالى مرغبا فى الجهاد وطاعة الله ورسوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جناب تجرى من تحته الأنهار ومن يتول) أى ينكل عن الجهاد ويقبل طى العاصى (يعذب به عذابا أليما) فى الدنيا بالمذلة وفى الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

خبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفا وأربعمائة وأن الشجرة كانت صمرة بأرض الحديبية . قال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن

إسرائيل عن طارق أن عبد الرحمن رضى الله عنه قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأثبت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم تقدر عليها فقال سعيد إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم

وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) أى من الصدق والوفاء والسمع والطاعة (فأنزل السكينة) وهى الطمأنينة (عليهم) وأثابهم فتحا قريبا) وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة فى الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيد الله بن موسى يعنى ابن عبيدة حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال : بينا نحن قائلون إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس : البيعة البيعة نزل روح القدس ، قال ففرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة ممرة فبايعناه ، فذلك قول الله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال فبايع رسول الله ﷺ لعثمان رضى الله عنه باحدى يديه على الأخرى فقال الناس هنيئلا بن عفان يطوف بالبيت ونحن هنا فقال رسول الله ﷺ « لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف »

﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأُذُنَ بَرْتُمْ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَإِنَّ تَجْدِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَن أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

قال مجاهد فى قوله تعالى (وعدهم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هى جميع المغانم إلى اليوم (فعجل لكم هذه) يعنى فتح خير ، وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما (فعجل لكم هذه) يعنى صلح الحديبية (وكف أيدى الناس عنكم) أى لم ينلهم سوء مما كان أعداؤكم أضمره لكم من الحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدى الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم (ولتكون آية للمؤمنين) أى يعتبرون بذلك فان الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العالم بعواقب الأمور وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه فى الظاهر كما قال عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (ويهديكم صراطا مستقيما) أى بسبب إقيادكم لأمره واتباعكم طاعته وموافقكم رسوله ﷺ وقوله تبارك وتعالى (وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا) أى وغنيمة أخرى وفتح آخر معينا لم تكونوا تقدرُونَ عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فإنه تعالى يرزق عباده للتقنين له من حيث لا يحتسبون ، وقد اختلف المفسرون فى هذه الغنيمة ما المراد بها فقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هى خير وهذا على قوله فى قوله عز وجل (فعجل لكم هذه) إنها صلح الحديبية . وقاله الضحاك وابن إسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال قتادة هى مكة واختاره ابن جرير ، وقال ابن أبى ليلى والحسن البصرى : هى فارس والروم ، وقال مجاهد : هى كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة وقال أبو داود والطيالسى

حدثنا شعبة عن ممالك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها) قال هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يقول عز وجل مبشرا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولا نهزم جيش الكفر فادرا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر ورفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائهم من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم فقال « أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان : ففعا عنهم ونزلت هذه الآية (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طرق عن حماد بن سلمة به ، وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل الزبي رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلى أي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم ، اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب باسمك اللهم - وكتب - هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة » فأمسك سهيل ابن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله » فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فناروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأصابعهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ : « هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أمانا ؟ » فقالوا : لا ، فخلى سبيلهم فأنزله الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبي قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدى وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟ قال فبعث ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله فلما دنا من مكة منعه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينة أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه « يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الحيل » فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ مني سيف الله فقال يا رسول الله ابغضني أين شئت فبعثه على خيل فلقى عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزله الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

من بعد أن أظفروا عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبوا فيها كراهية أن تطأهم الحيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيح وهذا السياق فيه نظر فانه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لأن خالدا رضى الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسق عام الفتح هديا وإعسا جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم . وقال ابن إسحاق : حدثني من لاأنهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه قال : إن قريشا بشوا أربعين رجلا منهم أوحسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا من أصحابه أحدا فأخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلي سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زعيم اطلع على الثانية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأتوه باثني عشر من الكفار فقال لهم « هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ » قالوا : لا . فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ الْحُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالا هم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أى هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أى وأتم أحق به وأتم أهله في نفس الأمر (والهدى معكوفاً أن يبلغ محله) أى وصدوا الهدى أن يصل إلى محله وهذا من بغيم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كاسياتي يانعه إن شاء الله تعالى ، وقوله عز وجل (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أى بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكننا سلطانكم عليهم فقتلتموهم وأبديتم خضراءهم ولكن بين أنفائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى (لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة) أى إثم وغرامة (بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء) أى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين ويرجع كثير منهم إلى الاسلام ثم قال تبارك وتعالى (لوتزيلوا) أى لوتحيز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لسلطانكم عليهم فقتلتموهم قتلا ذريعا قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو الزناد روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد السكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بنى هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبيع يقول قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافرا وقاتلت به آخر النهار مسلما وفيما نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواء من طريق أخرى عن محمد بن عباد السكي به وقال فيه هن أبى جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ورواه ابن أبي حاتم من حديث جبر بن خلف به

وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (لوتزيلوا لعذبا الذين كفروا منهم عذابا أليما) يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلهم إياهم . وقوله عز وجل (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى) وهي قول لا إله إلا الله كما قال ابن جرير وعبد الله بن الإمام أحمد حدثنا الحسن بن قزعة أبو علي البصري حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن ثور عن أبيه عن الطفيل يعني ابن أبي ابن كعب عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (وألزمهم كلمة التقوى) قال « لا إله إلا الله » وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله عز وجل في كتابه وذكر قوما فقال (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال الله جل ثناؤه (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها الشركون يوم الحديبية فكانهم رسول الله ﷺ على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري والله أعلم . وقال مجاهد : كلمة التقوى الاخلاص ، وقال عطاء بن أبي رباح هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقاله يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي رضي الله عنه (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال : يقول شهادة أن لا إله إلا الله وهي رأس كل تقوى ، وقال سعيد بن جبير (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والجهاد في سبيله ، وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري (وألزمهم كلمة التقوى) قال بسم الله الرحمن الرحيم . وقال قتادة (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله (وكانوا أحق بها وأهلها) كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها (وكان الله بكل شيء علما) أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر وقد قال النسائي : حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن سوار عن أبي رزين عن عبد الله بن العلاء بن نوير عن بشر بن عبد الله عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ولو حتمت كاحموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأغلظ له فقال إنك لتعلم أني كنت أدخل على رسول الله ﷺ فيعلمني مما علمه الله تعالى ، فقال عمر رضي الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم بما علمك الله تعالى ورسوله

﴿ وهذا ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور ابن مخزومة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ الطافيل قد لبست جلود النمر يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم

قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فان أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الاسلام وهم واقرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فإذا تظن قريش فوالله لأزال أجاهدم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة » ثم أمر الناس فسلخوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية الرار والحديبية من أسفل مكة ، قال فسلكت بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قفرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية الرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس « انزلوا » قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قلب من تلك القلب ففرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بطن . فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقولك لبشر بن سفيان فرجموا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد صلى الله عليه وسلم إن محمدًا لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه فاتهموم . قال محمد بن إسحاق : قال الزهري وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم شيئاً كان بمكة فقالوا وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبداً علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا رجل غادر » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بنحو ما تكلم به مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكداني وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا من قوم يتألمون فابعثوا الهدى » فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك . فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي فقال يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم إلى والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتم بنفسي قالوا صدقت ما أنت عندنا بهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه فقال يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها إنما قريش قد خرجت معها العوذ للطايف قد لبسوا جلود النمرور يهاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وإيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً قال أبو بكر رضي الله عنه قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال : امصص بظر اللات أنهن ننشكف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « هذا ابن أبي قحافة » قال أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهائم تناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم واللعيبة بن شعبة رضي الله عنه واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد قال قفرع يده ثم قال أمسك يدك عن حية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل اليك قال ويحك ما أفظك وأغلظك فتبسم رسول الله ﷺ قال من هذا يا محمد ؟ قال ﷺ « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة » قال أغدر وهل غسلت سواك إلا بالأس ؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً قال فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه . ولا يصق جاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر

والنجاشي في ملكهما والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسمونه
 لشيء أبدا فروا رأيكم : قال وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة
 وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش حتى أتى
 رسول الله ﷺ فدعا عمر رضي الله عنه ليعثه إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس
 بها من بني عدى أحد يمنعني . وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعزمني بها
 عثمان بن عفان رضي الله عنه قال فدعا رسول الله ﷺ فبعثه يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد وإنما جاء زائرا لهذا
 البيت معظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة فلقية أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين
 يديه وأردفه خلفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظما
 قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه ان شئت ان تطوف بالبيت
 فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضي الله عنه قد قتل . قال محمد فحدثني الزهري ان قريشا بشوا سهيل بن
 عمرو وقالوا انت محمد فصالحه ولا تلن في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها
 علينا عنوة ابدا فاتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال « قد أراد القوم الصلح حين بشوا هذا الرجل » فلما
 انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلموا وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر
 ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أوليس برسول
 الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه
 الزم غرضه حيث كان فإنني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا رسول الله أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قال فعلام نعطي الدنية في
 ديننا ؟ فقال ﷺ « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » ثم قال عمر رضي الله عنه ما رلت
 أسوم وأصلى وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا قال
 ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم »
 فقال سهيل لأعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتب باسمك اللهم .
 هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقالة سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا
 ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشرين سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن
 بعض على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا بمن مع رسول
 الله ﷺ لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلال ولا أغلال . وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب :
 انه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه
 فتوالت خراعة فقالوا نحن في عقد رسول الله ﷺ وعهده وتوالت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم
 وأنت ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقت بها ثلاثا
 معك سلاح الرأكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن
 سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم خرجوا وهم لا يشككون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما من الصلح والرجوع
 وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا . فلما رأى
 سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال « صدقت » فقام
 إليه فأخذ بتلابيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يامعشر المسلمين أتردوني إلى أهل الشرك فيفتنون في ديني قال

فزاد الناس شراً إلى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً فأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عليه عهداً وإنا لن نتدر بهم » قال فوثب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجعل يمشى مع جندل إلى جنبه ويقول اصبراً يا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب قال ويدنى قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فغضب الرجل بأبيه ، قال ونفذت القضية فلما فرغاً من الكتاب وكان رسول الله ﷺ يصلى في الحرم وهو مضطرب في الحل قال ققام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس انحروا واحلقوا » قال فما قام أحد ، قال ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فقال « يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ » قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنساناً واعمدى إلى هديك حيث كان فانحروه واحلقوا فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال ققام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح ، هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه . وقد رواه أيضاً عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به نحوه وخالفه في أشياء وفيه إغراب وقد رواه البخارى رحمه الله في صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشروط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قال . خرج رسول الله ﷺ ومن الحديدية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال إن قريشا قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك وما نعوك فقال ﷺ « أشيروا أيها الناس على أتون أن نميل على عيالهم وذرائى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت » وفي لفظ « أتون أن نميل على ذرائى هؤلاء الذين أعانواهم فإن أتونا كان الله قد قطع عنقنا من المشركين والأتراكناهم محزونين » وفي لفظ « فان قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وإن نجوا يكن عنقنا قطعاً لله عز وجل أم أتون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، وفي لفظ فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله علم إنما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فروحوا إذن » وفي لفظ « فامضوا على اسم الله تعالى » حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن خالد ابن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به واحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل — ثم قال صلى الله عليه وسلم — والذي نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمت الله تعالى إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت فعذل عنهم حتى نزل بأقصى الحديدية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس حتى نزحوا وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانزع ﷺ من كنفاته سهماً ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عية نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا عداياه الحديدية معهم العوذ اللطافيل وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ « إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيها

دخل فيه الناس فعلوا والا فقد حموا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفى أو لينفذن الله أمره . قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا الرجل ومعهنا يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عروة ابن مسعود فقال أى قوم ألسنم بالوالد ؟ قالوا بلى ، قال أولست بالولد ؟ قالوا بلى ، قال فهل تهجونى قالوا : لا ، قال ألسنم تعلمون أنى استغفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جيشكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا بلى قال فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها ودعوى آتة قالوا آتة فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي ﷺ له نحوا من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك أى محمد أرايت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فانى والله لأرى وجوها وانى لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه قال من ذا قالوا أبو بكر فقال أما والذى نفسى بيده لولا يدلك عندى لم أجرك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته ﷺ والليرة بن شعبة رضى الله عنه قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه الغفر وكلما أهوى عروة يده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال آخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قال الليرة بن شعبة قال أى غدر ألسنم أسعى فى غدرتك ، وكان الليرة ابن شعبة رضى الله عنه صحب قوما فى الجاهلية يقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما الإسلام فاقبل ، وأما المال فلست منه فى شيء » ثم إن عروة جعل يرمى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له ﷺ فرجع عروة إلى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشى والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها فقال رجل منهم من بنى كنانة دعوى آتة فقالوا آتة فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم قال النبي ﷺ « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابشوها له » فبعثت له واستقبله الناس يلبنون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكر بن حفص ، فقال دعوى آتة فقالوا آتة فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم « هذا مكرز وهو رجل فاجر » فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلم إذ جاء سهيل بن عمرو . وقال معمر أخبرنى أيوب عن عكرمة أنه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ « قد سهل لكم من أمركم » . قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بهلى رضى الله عنه وقال « اكتب بسم الرحمن الرحيم » فقال سهيل ابن عمرو أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ « اكتب باسمك اللهم » ثم قال — هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ « والله انى لرسول الله وأن كذبتمونى ، اكتب محمد بن عبد الله » قال الزهرى وذلك لقوله « والله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمت الله تعالى الا أعطيتهم إياها » فقال له النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين

ههنا وقد أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به . ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والسور عن رجال من أصحاب النبي ﷺ بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سياق ابن إسحق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . وقال البخاري في التفسير حدثنا أحمد بن إسحق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر إلى الدين يدعون إلى كتاب الله فقال طي بن أبي طالب رضي الله عنه نعم فقال سهل بن حنيف اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركون ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر رضي الله عنه فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلام في النار ؟ فقال بلى قال فقيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا ؟ فقال ﷺ « يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا » فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزلت سورة الفتح . وقد رواه البخاري أيضا في مواضع آخر ومسلم والنسائي من طرق آخر عن أبي وائل سفيان بن سلمة عن سهل بن حنيف به ، وفي بعض ألفاظه يا أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددته ، وفي رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأها عليه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : إن قريشا صالحوا النبي ﷺ وفيهم سهل بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهل لا ندرى ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وسلم « اكتب من محمد رسول الله » قال لو تعلم أنك رسول الله لا تبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لم اكتب من محمد بن عبد الله » واشتروا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم نرده عليكم ومن جاءكم منارددتموه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني ممالك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما خرجت الجورمية اعتزلوا فمات لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح للمشركين فقال لعلي رضي الله عنه « اكتب يا طي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » قالوا نعم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امح يا طي اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا طي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، والله لرسول الله خير من طي وقد محاه نفسه ولم يكن محوه ذلك يحويه من النبوة أخرجت من هذه » قالوا نعم ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار الجامي بنحوه وروى الإمام أحمد عن يحيى ابن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأن جمل صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها

﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ مُحَلِّينَ رُءُوسَكُمْ وَمُعَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ ﴾

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك طي أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرت أنك تأتية عامك هذا » قال : لا ، قال النبي ﷺ « فانك آتية ومطوف به » وبهذا أجاب الصديق رضى الله عنه أيضا حذو القذة بالقذة ولهذا قال تبارك وتعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء وقوله عز وجل (آمنين) أى في حال دخولكم ، وقوله (محلقين رءوسكم ومقصرين) حال مقدرة لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وإنما كان هذا في ثاني الحال . كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله قال ﷺ « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال ﷺ « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله قال ﷺ « رحم الله المحلقين » في الثالثة أو الرابعة وقوله سبحانه وتعالى : (لا تخافون) حال مؤكدة في المعنى فأثبت لهم الأمن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد وهذا كان في عمرة القضاء في ذى القعدة سنة سبع فان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذى القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والحرم وخرج في صفر إلى خير ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهى اقليم عظيم كثير الخيل والزرع فاستخدم من فيها من اليهود عليها طي الشر وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدا أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبى طالب وأصحابه وأبو موسى الأشعرى وأصحابه رضى الله عنهم ولم يغب منهم أحد قال ابن زيد الأبا دجانة سمالك بن خرشة كما هو مقرر في موضعه ثم رجع إلى المدينة . فلما كان في ذى القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية فأحرم من ذى الحليفة وساق معه الهدى قيل كان ستين بدنة فلبى وسار أصحابه يلبون . فلما كان ﷺ قريبا من مر الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيال والسلاح أمامه . فلما رآه للشركون رعبوا رعبا شديدا وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذى بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فأخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله ﷺ فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسي والنبل والرماح إلى بطن يأجج وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قربها كما شارطهم عليه فلما كان في أثناء الطريق بعث قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض العهد ، فقال ﷺ « وما ذاك » قال دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح . فقال ﷺ « لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج . » فقال بهذا عرفناك بالبر والوفاء وخرجت رءوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه رضى الله عنهم غيظا وحنقا . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وطى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدى قد بعثه إلى ذى طوى وهو راكب ناقته القصواء التى كان راكبا يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الأنصارى أخذ بزمام ناقته رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول :

باسم الذى لا دين إلا دينه باسم الذى محمد رسول الله
اليوم نضربكم طى تأويله كما ضربناكم طى تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله قد أنزل الرحمن فى تنزيله فى صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل فى سبيله يارب إني مؤمن بقبيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال

لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحه رضى الله عنه أخذ بخطام ناقته وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سيبله إني شهيد أنه رسوله
خلوا فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمن بقبيله نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله وينذهل الخليل عن خليله

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحه رضى الله عنه بين يديه وفي رواية وابن رواحة أخذ بغرزه وهو رضى الله عنه يقول :

خلوا بني الكفار عن سيبله قد نزل الرحمن في تنزيله بأن خير القتل في سيبله
يارب إني مؤمن بقبيله نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
اليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله وينذهل الخليل عن خليله

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا إسماعيل بن زكريا عن عبد الله بن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مر الظهران في عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشا يقول ما يتبعون من العجب فقال أصحابه لو اتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة قال ﷺ لا تفعلوا ولكن اجمعوا إلى من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا وحشا كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطجع ﷺ بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غمزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود فقالت قريش ما ترضون بالمشى أما إنكم لتتفرون نهر الظاء ففعل ذلك ثلاثة أشواط فكانت سنة قال أبو الطفيل فأخبرني ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع . وقال أحمد أيضا حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوءا فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا وجلس المشركون من الناحية التي تلى الحجر فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالوا فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم قال فرملوا ثلاثة أشواط وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم فقال المشركون : أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا . أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به . وفي لفظ قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم صبيحة رابعة يعني من ذى القعدة فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد قدوه هنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم قال البخاري وزاد ابن سلمة يعني حماد بن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال ارملوا ليرى المشركين قوتهم والمشركون من قبله ففعلوا ، وحدثنا محمد بن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالصفا والروة ليرى المشركون قوته . ورواه في مواضع آخر ومسلم والفسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به : وقال أيضا حدثنا طي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع ابن أبي أوفى يقول لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انفراد به البخاري دون مسلم ، وقال البخاري أيضا : حدثنا محمد بن رافع حدثنا شريح بن

العمان حدثنا فليح وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم حدثنا أبي حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ خرج معتمرا فحال كفار قرشي بينه وبين البيت فنحرهديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا عليهم إلا سيوا ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فدخلها كما كانت . صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثا أمره أن يخرج فخرج ﷺ وهو في صحيح مسلم أيضا . وقال البخاري أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا تقرأ بهذا ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال صلى الله عليه وسلم « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « أمح رسول الله » قال رضي الله عنه لا والله لا أحرك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح إلا بالسيف في القرباب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها » فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادى ياعم ياعم فتناولها على رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها : دونك ابنة عمك فحملتها فاخصم فيها على وزيد وجعفر رضي الله عنهم فقال على رضي الله عنه أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر رضي الله عنه : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد رضي الله عنه : ابنة أخى قفص بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال « الحالة بمنزلة الأم » وقال لعلي رضي الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضي الله عنه « أشبهت خلقى وخلقى » وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » قال على رضي الله عنه ألا تزوج ابنة حمزة رضي الله عنه ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إنها ابنة أخى من الرضاة » تفرد به من هذا الوجه ، وقوله تعالى (فاعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أى فعلم الله عز وجل من الحيرة والصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أتم (فجعل من دون ذلك) أى قبل دخولكم الذى وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا وهو الصلح الذى كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين ، ثم قال تبارك وتعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه وعلى سائر أهل الأرض (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أى بالعلم النافع والعمل الصالح فان الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعى صحيح والعمل الشرعى مقبول فاخباراتها حق وإنشأتها عدل (ليظهره على الدين كله) أى على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين ومشركين (وكفى بالله شهيدا) أى أنه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يَقْتَفُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَمْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَتَزَارَهُ فاستَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقٍ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُخَيِّطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

يجبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال (محمد رسول الله) وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال عز وجل (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين) وهذه

صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار ، رحيا بر الأختار ، غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر » . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . وشبك ﷺ بين أصابعه ، كلا الحديثين في الصحيح

وقوله سبحانه وتعالى (تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال ووصفهم بالأخلاص فيها لله عز وجل والأحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتعلة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاء تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال وجل وعلا (ورضوان من الله أكبر) . وقوله جل جلاله (سيأهم في وجوههم من أثر السجود) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما سيأهم في وجوههم يعنى السمعت الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعنى الخشوع والتواضع . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا حسين الجعفى عن زائدة عن منصور عن مجاهد (سيأهم في وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع قلت ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه فقال ربما كان بين عيني من هو أقمى قلبا من فرعون . وقال السدى الصلاة تحسن وجوههم ، وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقد أسنده ابن ماجه في سننه عن إسماعيل بن محمد الصالحى عن ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » والصحيح أنه موقوف . وقال بعضهم إن للحسنة نورا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس . وقال أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وقللت لسانه ، والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه فالؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته . وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمود بن محمد المروزى حدثنا حامد بن آدم المروزى حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العزمى عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلي رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله تعالى رداها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » العزمى متروك . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان »

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النفيلي عن زهير بن عبد الصحابة رضى الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبوه في ممتهم وهديبهم . وقال مالك رضى الله عنه بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لمؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا في ذلك فان هذه الأمة معظمة في الكتب القديمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (ذلك مثلهم في التوراة) ثم قال (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) أى فراخه (فأزره) أى شده (فاستغلت) أى شب وطال (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) أى فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأيدوه ونصروه فهم مع كالشطء مع الزرع (ليغيب بهم الكفار) ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الرافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن فاط الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك

والأحاديث في فضل الصحابة رضى الله عنهم والنهي عن التعرض لهم بمساوهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . ثم قال تبارك وتعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من هذه لبيان الجنس (مغفرة) أى الذنوبهم (وأجر عظيم) أى ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اقتنى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل . قال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » . آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحجرات وهى مدنية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَفْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِئَلَّا يَلْتَقُوا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أى لا تسرعوا فى الأشياء بين يديه أى قبله بل كونوا تبعاً له فى جميع الأمور حتى يدخل فى عموم هذا الأدب الشرعى حديث معاذ رضى الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ « فان لم تجد ؟ » قال بسنة رسول الله ﷺ قال صلى الله عليه وآله وسلم « فان لم تجد » قال رضى الله عنه أجتهد رأيي ، فضرب فى صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » . وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه فالعرض منه أنه آخر رأيه ونظيره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولوقدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله .

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، وقال العوفي عنه : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضى الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك : لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم . وقال سفيان الثورى (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بقول ولا فعل ، وقال الحسن البصرى (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قال لا تدعوا قبل الإمام ، وقال قتادة ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون لو أنزل فى كذا كذا لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه (واتقوا الله) أى فيما أمركم به (إن الله شامع) أى لأقوالكم (عليم) بنياتكم . وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روى أنها نزلت فى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال البخارى حدثنا يسرة بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبى مليكة قال : كاد الحيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم فأشار أحدهما بالاقرب بن حابس رضى الله عنه أخى بنى مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر

لعمر رضى الله عنهما ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) قال ابن الزبير رضى الله عنهما لما كان عمر رضى الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر رضى الله عنه . انفرد به دون مسلم . ثم قال البخارى حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضى الله عنه أمر القعقاع بن معبد وقال عمر رضى الله عنه بل أمر الأقرع ابن حابس فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أردت إلا خلافي فقال عمر رضى الله عنه ما أردت خلافاً فتأرياً حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت الآية (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) الآية وهكذا رواه ههنا منفرداً به أيضاً وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا إسحق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن عمارق عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار . حصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفاً لكن قد روينا من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضى الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم . وقال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون أن أنس بن موسى بن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضى الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأناؤه فوجده في بيته منكساراً فقال له ما شأنك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأبى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال « اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة » تفرد به البخارى من هذا الوجه

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون) وكانت ثابت ابن قيس بن الشماس رافع الصوت فقال أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له تفقدك رسول الله ﷺ مالك ! قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ، بل هو من أهل الجنة » قال أنس رضى الله عنه فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفته فقال بشما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) إلى آخر الآية جلس ثابت رضى الله عنه في بيته قال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد ابن معاذ « يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى ؟ » فقال سعد رضى الله عنه إنه لجارى وما علمت له بشكوى قال فأناؤه سعد رضى الله عنه فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت رضى الله عنه أنزلت هذه الآية ولقد علمت أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد رضى الله عنه للنبي ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل هو من أهل الجنة » ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي عن حيان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضى الله عنه بنحوه وقال ليس فيه ذكر سعد

ابن معاذ رضى الله عنه حدثني هدية بن عبد الأعلى الأسدي حدثنا العتمر بن سليمان سمعت أبي يذكر عن أنس رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فاتقص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه وزاد : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة . فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه والصحيح أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رضى الله عنه موجوداً لأنه كان قد مات بعد بنى قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بنى تميم والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) قال قعد ثابت بن قيس رضى الله عنه في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدى من بنى العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدى رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشي فشدى على الضبة بمسار فضربه بمسار حتى إذا خرج عطفه وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله تعالى أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال « اذهب فادع لى » فجاء عاصم رضى الله عنه إلى المكان فلم يجد فاجاء إلى أهله فوجد فى بيت الفرش فقال له إن رسول الله ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجاً فأثاب النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا ثابت ؟ » فقال رضى الله عنه أنا صيت وأنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) فقال له النبي ﷺ « أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت بيشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتى أبداً على صوت رسول الله ﷺ قال وأنزل الله تعالى (إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) الآية . وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أتدريان أين أنا ؟ ثم قال من أين أنا ؟ قال من أهل الطائف فقال لو كننا من أهل المدينة لأوجعناكم ضرباً . وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وفى قبره ﷺ دائماً ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) كما قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)

وقوله عز وجل (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالاً يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض » ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال (إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً (لهم مغفرة وأجر عظيم) وقد قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهى العصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى العصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضى الله عنه إن الدين يشتهون العصية ولا يعملون بها (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنَ وراءِ الْحِجْرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال (أكثرهم لا يعقلون) ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أي لكان لهم في ذلك الحيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة. ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والإنابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التيمي رضى الله عنه فيما أورده غير واحد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضى الله عنه أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال «ذاك الله عز وجل» وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدي زين وذمي شين فقال صلى الله عليه وسلم «ذاك الله عز وجل» وهكذا ذكره الحسن البصري وقائدة مرسلًا. وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب وليد بن عطارد وليد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب وليد بن عطارد نزلت في قومك بنى تميم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك أن أسلموا) قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن طي الباهلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائفي يحدث عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يك ملكنا نعيش بجناحه قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا فجاءوا إلى حجرة النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال فأخذ رسول الله ﷺ بأذني فمدها فجعل يقول «لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد» ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فِتْنَتُهُمْ عَلَى مَا قَعَلْتُمْ * نَدِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ * وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

يأمر تعالى بالثبوت في خبر الفاسق ليحاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد ائتمى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لأننا إنما أمرنا بالثبوت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسئلة في كتاب العلم من شرح البخاري والله تعالى الحمد والمنة. وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعث رسول الله ﷺ على صدقات بنى المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بن

المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار والد جوربة بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه مع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضى الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع اليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته . وترسل إلى يا رسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأت به وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسرورات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أى خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم ؟ قالوا اليك . قال ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله . قال رضى الله عنه لا والله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بته ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال « منعت الزكاة وأردت قتل رسولى ؟ » قال لا والله بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ - الى قوله - حكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بنى المصطلق بعد الواقعة فسمع بذلك القوم فنلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بنى المصطلق قد منعونى صدقاتهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا فسرنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضى الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن بنى المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبا شديدا فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن ما رده كتاب جاء منك لنغضب غضبه علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم فى الكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية . وقال مجاهد

وقتادة أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم وأمره أن يثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدًا رضى الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله ﷺ يقول « التثبت من الله والعجلة من الشيطان » وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة والله أعلم .

وقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) أى اعلما أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتادبوا معه واتقوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم بين أن رأيهم سخيף بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال (لو طيعكم في كثير من الأمر لعنتم) أى لو أطاعكم في جميع ما غتارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وخرجكم كما قال سبحانه وتعالى (ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله عز وجل (ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) أى حبه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم

قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول « الإسلام علانية والإيمان في القلب » قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول — التقوى ههنا التقوى ههنا (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) أى وبنض إليكم الكفر والفسوق وهى الديوب الكبار والعصيان وهى جميع المعاصى وهذا تدرج لكمال النعمة ، وقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أى المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم . قال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكى عن أبي رفاعة الزرقى عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ « استوا حتى أتى على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفًا فقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم انى أسألك النعم القيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم أسألك النعم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم انى عائد بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعنا . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائى في اليوم واليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد ابن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به . وفي الحديث المرفوع « من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن » ثم قال (فضلا من الله ونعمة) أى هذا العطاء الذى منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه (والله عليم حكيم) أى عليم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ نَفَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

يقول تعالى أمرا بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسام مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدلل البخارى وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وأن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت في صحيح البخارى من حديث الحسن عن أبى بكرة رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن على رضى الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : « إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والوقائع المبهولة . وقوله تعالى (فأت بئت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفء إلى أمر الله) أى حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » قلت يارسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال ﷺ : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه »

وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبى يحدث أن أنسا رضى الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبى فأنطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وأنطلق المسلمون يمشون وهى أرض سبخة فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم إليه قال « اليك عنى فوالله لقد آذانى ريح حمارك » فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا أنه أنزلت فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ورواه البخارى فى الصلح عن مسدد ومسلم فى المغازى عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه . وذكر سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسيف والنعال فأنزله الله تعالى هذه الآية فامر بالصلح بينهما . وقال السدى كان رجل من الأنصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها فى علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها . وإن المرأة بشت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فدانعوا واجتلدوا بالنعال فزلت فيهم هذه الآية فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى . وقوله عز وجل (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المتقسطين) أى اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل (إن الله يحب المتقسطين) . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبى بكر القدسى حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قال « إن المتقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدى الرحمن عز وجل بما أقسطوا فى الدنيا » ورواه النسائى عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى به وهذا إسناد جيد قوى رجاله على شرط الصحيح وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون فى حكمهم وأهاليهم وما ولوا » ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به وقوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة) أى الجميع أخوة فى الدين كما قال رسول الله ﷺ « السلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » وفى الصحيح « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » وفى الصحيح أيضاً « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل » والأحاديث فى هذا كثيرة وفى الصحيح « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفى الصحيح أيضاً « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشك بين أصابعه ﷺ ، وقال أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنى أبو حازم قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه يحدث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس » تفرد به أحمد ولا بأس بإسناده . وقوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) يعنى الفتيين القتلتين (واتقوا الله) أى فى جميع أموركم (لعلكم ترحمون) وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكبر بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط الناس » والراد مرث ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب اليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) فنس على نهى الرجال وعطف بنهى النساء . وقوله تبارك وتعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا تلمزوا الناس . والهماز اللام من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى (ويل لكل همزة لمزة) والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل (هازموا أنفسكم) أى يحتقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشى بينهم بالنخيمة وهى اللمز بالمقال ولهذا قال ههنا (ولا تلمزوا أنفسكم) كما قال (ولا تقتلوا أنفسكم) أى لا يقتل بعضهم بعضا . قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة ومقاتل بن حيان (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يطعن بعضهم على بعض وقوله تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب) أى لا تدعوا بالألقاب وهى التى يسوء الشخص سمعاها . قال الأمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبي قال حدثنى أبو جبيرة بن الضحاك قال فىنا نزلت فى بنى سلمة (ولا تنابزوا بالألقاب) قال قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فىنا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يارسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت (ولا تنابزوا بالألقاب) ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهب عن داود به . وقوله جل وعلا (بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بشئ الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعد ما دخلتم فى الإسلام وعقلتموه (ومن لم يتب) أى من هذا (فأولئك هم الظالمون)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضا فليجتنب كثير منه احتياطا . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها فى الخير محملا . وقال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا أبو القاسم بن أبى ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصى حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى قيس النضرى حدثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول « ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده حرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا » تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه ، وقال مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا

ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن العتيبي عن مالك به . وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفيان بن عيينة به . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي حدثنا بكر بن عبد الوهاب اللذني حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث لازمت لأمتي : الطيرة والحسد وسوء الظن » فقال رجل وما يذهبن يا رسول الله عن هن فيه ؟ قال ﷺ « إذا حسدت فاستغفر الله ؛ وإذا ظننت فلا تحقق . وإذا تطيرت فامض » وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد رضي الله عنه قال آتى ابن مسعود رضي الله عنه برجل قيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضي الله عنه إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به . معناه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن إبراهيم بن نسيط الحولاني عن كعب بن علقمة عن أبي الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال : قلت لعقبة إن لنا جيرانا يشربون الخمر وأنادع لهم الشرط فيأخذونهم قال لا تفعل ولكن عظمهم وتهددهم قال ففعل فلم يبتوها . قال فجاءه دجين فقال إني قد نهيتهم فلم يبتوها وإني داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من ستر عورة مؤمنا فكأنما استحيا مودة من قبرها » ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه ، وقال سفيان الثوري عن راشد بن سعد عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت أن تفسدهم » فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية رضي الله عنه من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها ورواه أبو داود منفردا به من حديث الثوري به . وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو والحضرمي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معديكرب وأبي أمامة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « إن الأمير إذا ابتغى الريية في الناس أفسدهم » (ولا تجسسوا) أي طي بعضهم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس . وأما التجسس فيكون غالبا في الخير كما قال عز وجل إخبارا عن يعقوب أنه قال (يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لا تجسسوا ولا تحسبوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » وقال الأوزاعي : التجسس البحث عن الشيء . والتجسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم ، والتدابير : الصرم رواه ابن أبي حاتم عنه .

وقوله تعالى (ولا بغضب بعضهم بعضا) فيه نهى عن الغيبة وقد فسرهما الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا القعني حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال حسن صحيح ، ورواه ابن جرير عن بنادر عن غندر عن شعبة عن العلاء . وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو إسحق ومعاوية بن قرة . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني طي بن الأقرع عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا . قال غير مسدد تعنى قصيرة فقال ﷺ « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » قالت وحكيت له إنسانا فقال ﷺ « ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا » ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن

ابن مهدي ووكيع ثلاثهم عن سفيان الثوري عن علي بن الأقرع عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى النبي ﷺ أي أنها قصيرة فقال النبي ﷺ « اغتبتها » والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر « اتذنوا له بشي أخو العشرة » وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد وقد ورد فيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عز وجل (أيجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أي كما تكثرهون هذا طبعاً فأكروهوا ذلك شرعاً فإن عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته « كالكلب بقيء ثم يرجع في قيئه » وقد قال « ليس لنا مثل السوء » وثبت في الصحيح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع « إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » وقال أبو داود حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن خديج عن أبي بردة البلوي قال : قال رسول الله ﷺ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تقتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته » تفرد به أبو داود وقد روى من حديث البراء بن عازب . فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا إبراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبي إسحق السبيعي عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ حتى أجمع الموائق في بيوتها أو قال في خدورها فقال « يا معشر من آمن بلسانه لا تقتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته » (طريق أخرى) عن ابن عمر قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أوفي بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تقتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . قال أبو داود حدثنا حيوة بن شريح حدثنا فتيبة عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص بن زينة عن السور أنه حدثه أن النبي ﷺ قال « من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها في جهنم ، ومن كسا ثوباً برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله في جهنم ؛ ومن قام برجل مسلم مائة ورياء فإن الله تعالى يقوم به مقام مائة ورياء يوم القيامة » تفرد به أبو داود وحدثنا ابن مصفى حدثنا بقية وأبو الغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبيرة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لما عرج لي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » . تفرد به أبو داود وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي الغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا أبو عبد الصمد بن عبد العزيز العمي أخبرنا أبو هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال : قلنا

يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسرى بك ؟ قال ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجدون منه الجدة مثل النعل ثم يضعونها في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء هم الممازون للممازون أصحاب النيمة فيقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهوه وهو يكره على أكل لحمه هكذا أو رده هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان لله الحمد والمنة . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ظلمت منذ اليوم صائما فآذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله إن امرأتين من أهلك ظلمتا منذ اليوم صائمات فآذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد فقال رسول الله ﷺ « ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمات أن يستقيتا ففعلتا فقأت كل واحدة منهما علقة فأبى النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو صامتا وهما فيهما لأكلتهما النار » إسناده ضعيف ومتم غريب وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ههنا امرأتين صامتا وإنهما كادتا تموتان من العطش أراه قال بالمهاجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال : ادعهما . فجاءتا قال فجىء بقدح أو عس فقال لاحداهما : قيى . فقأت من قيى ودم وصديد حتى قأت نصف القدح ثم قال للآخرى : قيى فقأت قيحا ودمًا وصديدا ولحما ودمًا عيطا وغيره حتى ملأت القدح ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس . وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان بن صوغان التيمي به مثله أو نحوه ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أمروا بصيام فجاء رجل في نصف النهار فقال يا رسول الله : فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال « ادعهما » فجاءت بقدح أو قدح فقال لاحداهما : قيى . فقأت لحما ودمًا عيطا وقيحا وقال للآخرى مثل ذلك ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما . أتت إحداهما للآخرى فلم تزل تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا . قال البيهقي كذا قال عن سعد والأول وهو عبيد أصبح وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو ابن الضحاك بن مخلد حدثنا أبي ثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر (١) لأبي هريرة أن ما عزا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد زينت فأعرض عنه حتى قالها أربعًا فلما كان في الخامسة قال : زينتي ؟ قال نعم قال : وتدرى ما الزنا ؟ قال نعم أئيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال ما تريد إلى هذا القول ؟ قال أريد أن تطهرني قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الليل في الكحلة والرشا في البئر ؟ قال نعم يا رسول الله قال فأمر برجمه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلتا من جيفة هذا الحمار . قالوا غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : فما نلتنا من أخيكما آفأ أشد أكلامته ، والذي نفسي بيده إنه الآن لي أنهار الجنة ينغمس فيها . إسناده صحيح

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله

ﷺ « أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يفتابون الناس ؟ » (طريق أخرى) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا إبراهيم بن الأشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك بعث هذه الريح » وربما قال « فلذلك هاجت هذه الريح » وقال السدي في قوله تعالى (أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ؟ زعم أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما وأن سلمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان رضي الله عنه نائما لم يسر معهم فجعل صاحبه يكلمه فلم يجدها فضربا الحياء فقالا ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما أداما فانطلق فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثي أصحابي لتؤدبهم إن كان عندك قال ﷺ « ما يصنع أصحابك بالآدم ؟ قد اتدموا » فرجع سلمان رضي الله عنه يخبرهما بقول رسول الله ﷺ فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فقالا : والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول الله ﷺ « انكما قد اتدمتما بسلمان بقولكما » قال ونزلت (أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) انه كان نائما . وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهتئ لهما طعاما فقالا إن هذا لتؤم فاقظاه فقالا له أئت رسول الله ﷺ فقل له إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرئانك السلام ويستأذنانك فقال ﷺ « إنهما قد اتدمتا » فجاء فقالا يا رسول الله بأي شيء اتدمنا فقال صلى الله عليه وسلم « بلحم أخيكما والذي نفسي بيده اني لأرى لحمه بين ثناياكما » فقالا رضي الله عنهما استغفر لنا يا رسول الله فقال ﷺ « مراة فليستغفر لكما » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا — قال — فأكله ويكبح ويصيح » غريب جدا وقوله عز وجل (واتقوا الله) أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه (إن الله تواب رحيم) أي تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء طريق التتبع للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذي اغتابه وقال آخرون لا يشترط إن يتحلل فانه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه إذا أن يثنى عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقتة لتكون تلك بتلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد ابن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من حمى مؤمنا من منافق يفتابه بعث الله تعالى إليه ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنا بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه . وقال أبو داود أيضا حدثنا إسحاق بن الصباح حدثنا بن أبي مريم أخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله ﷺ « ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيها نصرته ، وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيها نصرته » تفرد به أبو داود .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَحَمَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

يقول تعالى مخبرا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل ، وبعد القبائل ، مراتب آخر كالفصائل والعشائر والعوائل والأفخاذ وغير ذلك ، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما أن الاسباط بطون بني إسرائيل وقد لحصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الأشباه لابي عمر بن عبد البر ، ومن كتاب ﴿القصص والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم﴾ لجمع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضها على تساويهم في البشرية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أى ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته ، وقال مجاهد في قوله عز وجل (لتعارفوا) كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أى من قبيلة كذا وكذا ، وقال سفيان الثوري كانت حمير ينتسبون إلى مغاليفها ، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها وقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي عن يزيد مولى للنبت عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم حبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالإحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ . قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد رضى الله عنه عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أى الناس أكرم ؟ قال « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا ليس عن هذا نسألك قال « فأكرم الناس يوسف نبى الله ، ابن نبى الله ، ابن نبى الله بن خليل الله » قالوا ليس عن هذا نسألك قال « فمن معادن العرب تسألوني » ؟ قالوا نعم قال « فخيركم في الجاهلية خاركم في الإسلام إذا قفوها » وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبدة بن سليمان ، ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمرى به . ﴿ حديث آخر ﴾ ، قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر رضى الله عنه قال إن النبى ﷺ قال له « انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضل بتقوى الله » تفرد به أحمد رحمه الله ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكرى حدثنا عبد الرحمن ابن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائى سمعت محمد بن حبيب بن خراش المصرى يحدث عن أبيه رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « المسلمون أخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعنى ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب وليتمن قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان » . ثم قال لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى ابن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال طاف رسول الله ﷺ

ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده فما وجد لها مناخا في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال فخرج بها إلى بطن السيل فأنيخت ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان رجل برتقى كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ، إن الله عز وجل يقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير — ثم قال صلى الله عليه وسلم — أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » هكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملثوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذبا غيلا فاحشا » . وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه : « الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملثوه إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سفيان عن عبد الله بن عمر زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب رضى الله عنها قالت : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « خير الناس أقرأهم وأنقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذوتقي ، تفرد به أحمد ، وقوله تعالى (إن الله عليم خبير) أي عليم بكم خير بأموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله ، وقد استدلل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك في (كتاب الأحكام) والله الحمد والمنة . وقد روى الطبراني عن عبد الرحمن أنه سمع رجلا من بني هاشم يقول أنا أولى الناس برسول الله ﷺ فقال غيره أنا أولى به منك ولي منه نسة

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِنْ أَسْلَمْتُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقد أستخدمنا

هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضى الله عنهما قال أعطى رسول الله ﷺ رجلاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً فقال سعد رضى الله تعالى عنه يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئاً وهو مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلم . حتى أعادها سعد رضى الله عنه ثلاثاً والنبي ﷺ يقول : أو مسلم ؟ ثم قال النبي ﷺ « إني لأعطي رجلاً وأدع من هو أحب إلي منهم فلم أعطه شيئاً مخافة أن يكبو في النار على وجوههم » أخرجه في الصحيحين من حديث الزهري به . فقد فرق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام وقد قررنا ذلك بأدلة في أول شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى والله الحمد والمنة . ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإمامهم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعي وقادة واختاره ابن جرير . وإنما قلنا هذا لأن البخارى رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك . وقد روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى (ولكن قولوا أسلمنا) أى استسلمنا خوف القتل والسبي . قال مجاهد نزلت في بني أسد بن خزيمه . وقال قتادة نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله ﷺ والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد . ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر النافقون في سورة براءة وإنما قيل لهؤلاء تأديباً (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) أى لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد . ثم قال تعالى (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئاً) أى لا ينقصكم من أجوركم شيئاً كقوله عز وجل (وما ألتناهم من عملهم من شيء) وقوله تعالى (إن الله غفور رحيم) أى لمن تاب إليه وأتاب . وقوله تعالى (إنما المؤمنون) أى إنما المؤمنون الكمل (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا ولا تنزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهى التصديق المحض (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم فى طاعة الله ورضوانه (أولئك هم الصادقون) أى فى قولهم إذا قالوا إنا هم مؤمنون لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثنا عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال إن النبي ﷺ قال « المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله . والذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . والذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل » وقوله سبحانه وتعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أخبرونه بما فى ضمائركم (والله يعلم ما السموات وما فى الأرض) أى لا يخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (والله بكل شيء عليم) ثم قال تعالى (يمينون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم) يعنى الأعراب الذين يمينون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى ردا عليهم (قل لا تمنوا على إسلامكم) فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم والله المنة عليكم فيه (بل الله يمين عليكم أن هذا كم للإيمان إن كنتم صادقين) أى فى دعواكم ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار يوم حنين « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمان . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم

مقاتلك فقال رسول الله ﷺ : إن فقههم قليل وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم . ونزلت هذه الآية (يمنون عليك أن أسلموا قل لا آمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) ثم قال لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث . ثم كرر الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال الخلق فقال (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) آخر تفسير سورة الحجرات والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة ق وهي مكية)

هذه السورة هي أول الحزب للفصل على الصحيح وقيل من الحجرات . وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضى الله عنهم المعتبرين فيما نعلم . والدلائل على أن هذه السورة هي أول الفصل ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قراب بن تمام ح حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالصة ثنا سليمان بن حبان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد حدثني أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الأحلاف على الغيرة بن شعبة رضى الله عنه وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك في قبة له قال مسدد وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائما على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام فأكثر ما يحدثنا صلى الله عليه وسلم مالقى من قومه قريش ثم يقول ﷺ « لا أساء وكنا مستضعفين مستذلين — قال مسدد بمكة — فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجلا بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عنا صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة قال صلى الله عليه وسلم « إنه طرأ على حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى آتمه » . قال أوس سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمسة وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة . وحزب الفصل وحده ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به . إذا علم هذا فاذا عدت ثمانيا وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق . بيانه ثلاث : البقرة وآل عمران والنساء . وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة . وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان . وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولهمان والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس . وثلاث عشرة : الصافات وص الزمر وغافر وحج السجدة وحج عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والفتح والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب للفصل كما قاله الصحابة رضى الله عنهم . فتعين أن أوله سورة ق وهو الذى قلنا والله الحمد والمنة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد قال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به وفي رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبد الله عن أبي واقد قال سألتني عمر رضى الله عنه فذكره (حديث آخر) وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي ثنا أبي إسحاق حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به . وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنه الحارث بن النعمان قالت ما حفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ

يخطب بها كل جمعة. قالت وكان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به ، والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في الجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتغالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَعَدَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾

(ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى (ص - ون - الم - وح - وطس) ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا ق جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم بما لا يصدق ولا يكذب ، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول الذي وقلة الحفاظ النقد فيهم وشربهم الخمر وتحريف علمائهم الكلام عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله « وحديثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوز العقل ، فلما فيما تحيله العقول وعيكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم . وقد أكثر كثير من السلف من التفسيرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحسكية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم والله الحمد والمنة حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد ههنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال حدثنا أبي قال حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف مماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة سموات قال وذلك قوله تعالى (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) فاسناد هذا الأثر فيه انقطاع ، والذي رواه طي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (ق) هو اسم من أسماء الله عز وجل والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى (ص - ن - حم - طس - الم) ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المراد قضى الأمر والله وأن قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر * قلت لها فني فقالت ق * وفي هذا التفسير نظر لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟ وقوله تعالى (والقرآن المجيد) أى الكريم العظيم الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) واختلفوا في جواب القسم ما هو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) وعندها كتاب حفيظ (وفي هذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقديره وتحقيقه وإن لم يكن القسم يتلقى لفظا وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله (ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) وهكذا قال ههنا (ق والقرآن المجيد لعجوا

أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (أى تعجبوا من ارسال رسول إليهم من البشر كقوله جل جلاله (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) أى وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس . ثم قال عز وجل مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه أنذامتنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد) أى يقولون أنذا متنا وبلىنا وتقطعت الأوصال منا وصرنا تراباً كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ؟ (ذلك رجع بعيد) أى بعيد الوقوع . والمعنى أنهم يعتقدون استحالة وعدم إمكانه قال الله تعالى راداً عليهم (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت (وعندنا كتاب حفيظ) أى حافظ لذلك العلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الأشياء مضبوطة قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ما تأكل من لحومهم وأبشارهم ، وعظامهم وأشعارهم ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ، ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس يبعد فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب) أى وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل ، والمريب: المختلف المضطرب للتلبس النكر خلاله كقوله تعالى (إنكم لفي قول مختلف يؤيك عنه من أفك)

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

يقول تعالى منها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبشرين لوقوعه (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) أى بالمصاييح (وما لها من فروج) قال مجاهد يعنى من شقوق وقال غيره فتوق ، وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) ثم ارجع البصر كرتين يتقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير (أى كليل عن أن يرى عيباً أو قصاً وقوله تبارك وتعالى (والأرض مددناها) أى وسعناها وفرشناها (وألقينا فيها رواسي) وهى الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فأنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أى من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقوله بهيج أى حسن للنظر (تبصرة وذكراً لى لكل عبد منيب) أى ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكراً لى لكل عبد منيب أى خاضع خائف وجل رجاع إلى الله عز وجل وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى نافعاً (فأنبطنا به جنات) أى حدائق من بساتين ونحوها (وحب الحصيد) وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره (والنخل باسقات) أى طوالاً شاهقات قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى وغيرهم الباسقات الطوال (لها طلع نضيد) أى منضود (رزقاً للعباد) أى للخلق (وأحيينا به بلدة ميتاً) وهى الأرض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أراهير وغير ذلك مما يحار الطرف فى حسنها وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والملاك كذلك يحيى الله الموتى وهذا الشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقوله تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلق

السموات والأرض ولم يمسى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى . بلى إنه على كل شيء قدير) وقال سبحانه وتعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ * وَقَوْمُ تُبَعِّعَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيَيْنَا بِالْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباهم ونظرائهم وأمثالهم من الكذابين قبلهم من النعمات والعذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح وماعذبهم الله تعالى به من الفرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان (وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط) وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم وعالفتهم الحق (وأصحاب الأيكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (وقوم تبع) وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما اغنى عن اعادته ههنا والله الحمد والشكر (كل كذب الرسل) أى كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم ومن كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا (كذبت قوم نوح المرسلين) وإنما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم (فحق وعيد) أى فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال ، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك وقوله تعالى (أفعيينا بالخلق الأول) أى أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الاعادة (بل هم في لبس من خلق جديد) والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة أسهل منه كما قال عز وجل (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال الله جل جلاله (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقد تقدم في الصحيح « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون على من اعادته »

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَقِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

خبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقول أو تعمل » وقوله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) يعنى ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ، ومن تأوله على العلم فأنما فرثا لا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فانه لم يقل : وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال (ونحن أقرب إليه من حبل والوريد) كما قال في المختصر (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) يعنى ملائكته وكما قال تبارك وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بأذن الله عز وجل وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بأقدار الله جل وعلا لهم على ذلك . فللملك لمة من

الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى ههنا (إذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى مترصد (ما يلفظ) أى ابن آدم (من قول) أى ما يتكلم بكلمة (إلا لديه رقيب عتيد) أى إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يفعلون ما تعملون) وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام . وهو قول الحسن وقتادة ، وإنما يكتب ما فيه نواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضى الله عنهما . على قولين وظاهر الآية الأول لعدم قوله تبارك وتعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليشككم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقيه ، وإن الرجل ليشككم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه سخطه إلى يوم يلقيه » فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وله شاهد في الصحيح وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبي كتبها . رواه ابن أبي حاتم وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسطت لك صحيفة و لكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الله عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا امت ماطويت صحتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى (وكل إنسان الزمناء طائفة في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى أنه يكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم الحjis عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائر ذلك قوله تعالى (يحسب الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه قبله عن طاوس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله . وقوله تبارك وتعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يقول عز وجل وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أى كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه (ذلك ما كنت منه تحيد) أى هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا تحيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص . وقد اختلف المفسرون في الخطاب بقوله (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فالصحيح أن الخطاب بذلك الإنسان من حيث هو وقيل للكافر وقيل غير ذلك . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال إن عائشة رضى الله عنها قالت حضرت أبى رضى الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فاخذته غشية فتمثلت بييت من الشعر :

من لا يزال دمه متقنا فانه لا بد مرة مدفوق

قالت فرقع رضى الله عنه رأسه فقال يا بنية ليس وكذلك لكن كما قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الحياط عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال لما أن ثقل أبو بكر رضى الله عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يعني التراء عن الفتى إذا حشرت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضى الله عنه ليس كذلك ولكن قولى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه

تحيد) . وقد أوردت لهذا الأثر طرفا كثيرة في سيرة الصديق رضى الله عنه عند ذكر وفاته ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تشاء الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول « سبحان الله إن الموت لسكرات » وفي قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) قولان (أحدهما) أن ما ههنا موصولة أى الذى كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناهى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك (والقول الثانى) أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه وقد قال الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن على الصائغ المكي حدثنا حمص عن ابن عمر الحدى حدثنا معاذ ابن محمد الهذلى عن يونس بن عبيد عن الحسن بن مرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثل الذى يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيا وأسهر دخل جحره وقالت له الأرض يا ثعلب ديبى فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات » ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا يحيد عن الأرض كذلك الإنسان لا يحيد له عن الموت ، وقوله تبارك وتعالى (ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد) قد تقدم الكلام على حديث النفخ فى الصور والنفخ والبث وذلك يوم القيامة وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « كيف أنعم وصاحب القرن قد التزم القرن وحى جهته وانتظر أن يؤذن له » قالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال ﷺ « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله . هذا هو الظاهر من الآية الكريمة . وهو اختيار ابن جرير ثم روى من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب فقرا هذه الآية (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقاعدة وابن زيد وقال مطرف عن أبى جعفر مولى أشجع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدى وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا . وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال فى المراد بهذا الخطاب فى قوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أحدها أن المراد بذلك الكافر رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان والثانى أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كالليقظة والدنيا كالنام وهذا اختيار ابن جرير وثقه عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، والثالث أن المخاطب بذلك النبي ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت فى غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله إليك فبصرك اليوم حديد والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) يعنى من هذا اليوم (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أى قوى لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى الكفار فى الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال الله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) وقال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبْدِلُ الْفَوَلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول (هذا ما لدى عتيد) أى معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذى وكلتني به قد أحضرته

وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) وقد اختلف النحاة في قوله (ألقيا) فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روى عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه وما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر * وإن تركاني أحمرضامنما

وقيل بل هي نون التأكيد سهلت إلى الألف وهذا بعيد لأن هذا إما يكون في الوقف والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرها الله تعالى بالقائه في نار جهنم وبئس الصير (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) أي كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند لا يحق معارضه بالباطل مع علمه بذلك (مناع الخير) أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا يرفيه ولا صلة ولا صدقة (معتد) أي فيما ينفعه ويصرفه يتجاوز فيه الحد . وقال قتادة معتد في منطقته وسيره وأمره (مريب) أي شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره (الذي جعل مع الله إلها آخر) أي أشرك بالله فعبد معه غيره (فألقياه في العذاب الشديد) وقد تقدم في الحديث أن عقابن النار يبرز للخالق فينادى بصوت يسمع الخلائق إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ؟ ومن جعل مع الله إلها آخر . وبالمصوريين ثم تنطوى عليهم قال الإمام أحمد حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتتطوى عليهم فتفذفهم في غمرات جهنم » (قال قرينه) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقنادة وغيرهم هو الشيطان الذي وكل به (ربنا ما أطينته) أي يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرا يثبرا منه شيطانه فيقول (ربنا ما أطينته) أي ما أضلته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي بل كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بصرخكم وما أتم بعصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) . وقوله تبارك وتعالى فيقول الانسى يارب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ويقول الشيطان (ربنا ما أطينته ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهذا (لا تختصموا لدي) أي عندي (وقد قدمت إليكم بالوعيد) أي قد أعددت إليكم على أسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين (ما يدل القول لدي) قال مجاهد يعني قد قضيت ما أنا فاض (وما أنا بظلام للعبيد) أي لست أعذب أحدا بذنب أحد ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يقول للجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقي وهي تقول هل من مزيد : أي هل بقي شيء تزيدوني ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث . قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي بن عمار حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلقي في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول : قط قط » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه ، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه (حديث آخر) قال البخارى حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميرى سعيد بن يحيى بن مهندى حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه وأكثرت ما كان يوقفه أبو سفيان : « يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط » . ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به (طريق أخرى) قال البخارى وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تحتاج الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين ، وقالت الجنة ما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشياء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهناك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا آخر »

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والتكبرون وقالت الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى وقال للنار إنما أنت عذابى أعذب بك من أشياء من عبادى ولكل واحد منكما ملؤها » انفرد به مسلم دون البخارى من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم : وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد رضى الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قال حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب يدخلنى الجبابرة والتكبرون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة أى رب يدخلنى الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابى أصيب بك من أشياء ، وقال للجنة أنت رحمتى وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد ، قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قدنى قدنى ، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقا ما يشاء » (حديث آخر) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا عقبه بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار بن القاسم عن عدى بن ثابت عن زبر بن حبيش عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « يعرفنى الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عفى ثم أمده مدحة يرضى بها عفى ثم يؤذن لى في الكلام ثم تمر أمقى على الصراط مضروب بين ظهراى جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها محبب وهو الأعمال ، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وأنا على الخوض » قيل وما الخوض يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إن شرا به أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج . وأطيب ريحا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظلم أبدا ولا يصرف فيروى أبدا » وهذا القول هو اختيار ابن جرير . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الحماد عن نصر الجزار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (يوم تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قال ما امتلأت قال تقول وهل في من مكان يزداد في ، وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة (وتقول هل من مزيد) وهل في مدخل واحد قدامتلت قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي مريم أنه سمع معاهدا يقول لا يزال يقذف فيها حتى تقول قدامتلت فتقول هل في مزيد ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

نحو هذا فعند هؤلاء أن قوله تعالى (هل امتلأت) إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتزوى وتقول حينئذ هل بقى في
 مزيد يسع شيئا ؟ قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة والله أعلم
 وقوله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) قال قتادة وأبو مالك والسدى (وأزلفت) أدنيت وقربت من
 المتقين (غير بعيد) وذلك يوم القيامة وليس بعيد لأنه واقع لاحالة وكل ما هو آت قريب (هذا ما توعدون لكل
 أبواب) أى رجاء تأيب مقلع (حفيظ) أى يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكته ، وقال عبيد بن عمير : الأبواب الحفيظ
 الذى لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل (من خشي الرحمن بالغيب) أى من خاف الله فى سره حيث
 لا يراه أحد إلا الله عز وجل كقوله ﷺ « ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » (وجاء بقلب منيب)
 أى ولقى الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم اليه خاضع لديه (ادخلوها) أى الجنة (بسلام) . قال قتادة
 سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله . وقوله سبحانه وتعالى (ذلك يوم الخلود) أى يخلدون فى الجنة
 فلا يموتون أبدا ولا يظنون أبدا ولا ييغون عنها حولا ، وقوله جلّت عظمتها (لهم ما يشاءون فيها) أى مهما اختاروا
 وجدوا من أى أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن عثمان حدثنا بقرعة عن
 يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال من الزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فأمرطه
 لكم ؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم ، قال كثير لئن أشهدنى الله تعالى ذلك لأقولن أمطرتنا جوارى مزيّنات
 وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال له « إنك لتشتهى الطير فى الجنة فيخبر
 بين يديك مشويا » وقال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن عامر الأحول عن أبى
 بكر الصديق رضى الله عنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 « إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان حمله ووضع وسنه فى ساعة واحدة » ورواه الترمذى وابن ماجه عن بندار عن
 معاذ بن هشام به وقال الترمذى حسن غريب وزاد : كما اشتهى وقوله تعالى (ولدينا مزيد) كقوله عز وجل (للذين أحسنوا
 الحسنى وزيادة) وقد تقدم فى صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومى أنها النظر إلى وجه الله الكريم . وقد روى
 البراز وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضى عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنس مالك رضى الله عنه فى قوله عز وجل
 (ولدينا مزيد) قال يظهر لهم الرب عز وجل فى كل جمعة ، وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعى مرفوعا فقال فى مسنده
 أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثنى موسى بن عبيدة حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير أنه
 مع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله ﷺ
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماهذه » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها
 تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو
 عندنا يوم المزيّد قال النبى ﷺ « يا جبريل وما يوم المزيّد » قال عليه السلام إن ربك تبارك وتعالى اتخذ فى
 الفردوس واديا أفيح فيه كتب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور
 عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من وراءهم
 على تلك الكتب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلونى أعطكم فيقولون ربنا نسألك
 رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيت ولدى مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك
 وتعالى من الخير وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة . هكذا أورده الامام
 الشافعى رحمه الله فى كتاب الجمعة من الأم وله طرق عن أنس بن مالك رضى الله عنه وقد أورد ابن جرير هذا
 الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضى الله عنه بأبسط من هذا وذكر ههنا أنرا مطولا عن أنس بن مالك
 رضى الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله

ﷺ قال « إن الرجل في الجنة ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين الشرق والغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من الزيد وإنه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين الشرق والغرب » وهكذا رواه عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾

يقول تعالى وكما أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين (من قرن هم أشد منهم بطشا) أى كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا (فتقربوا في البلاد هل من محيص) قال ابن عباس رضى الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد (فتقربوا في البلاد) ضربوا في الأرض وقال قتادة فساروا في البلاد أى ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفق بها ويقال لمن طوف في البلاد تقب فيها ، قال امرؤ القيس
لقد تقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنمة بالإياب

وقوله تعالى (هل من محيص) أى هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفهم ما جمعه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأتى أيضا لا مفر لكم ولا عيذ ولا مناص ولا محيص . وقوله عز وجل (إن في ذلك لذكرا) أى لبرة (لمن كان له قلب) أى لب يعى به . وقال مجاهد : عقل (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه ، وقال مجاهد (أو ألقى السمع) يعنى لا يحدث نفسه في هذا بقلب ، وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثوري وغير واحد وقوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فيه تقرير للسعاد لأن من قسدر على خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن قادر على أن يعى الموتى بطريق الأولى والأخرى ، وقال قتادة : قالت اليهود - عليهم لعائن الله - خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه (وما مسنا من لغوب) أى من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يعى الموتى بلى إنه على كل شئ قدير) وكما قال عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ؟)

وقوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) يعنى المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجرا جميلا (وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وكانت الصلاة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجبا على النبي ﷺ وعلى أمته حولا ثم نسخ في حق الأمة وجوبه . ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسماعيل بن أبي خاله عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر

فقال « أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ورواه البخارى ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به . وقوله تعالى (ومن الليل ففسحه) أى فصل له كقوله (ومن الليل فتهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (وأدبار السجود) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسييح بعد الصلاة . ويؤيد هذا ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : جاء قراء المهاجرين فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم اللقيم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « وماذا لك ؟ » قالوا يصلون كما نصلى . ويصومون كما نصوم . ويتصدقون ولا تصدق . ويعتقون ولا نعتق . قال ﷺ « أفلا أعلمكم شيئا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال : فقالوا يا رسول الله مع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال صلى الله عليه وسلم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والقول الثانى أن المراد بقوله تعالى (وأدبار السجود) هما الركعتان بعد المغرب وروى ذلك عن عمر وطى وابنه الحسن وابن عباس وأبى هريرة وأبى أمامة رضى الله عنهم . وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبى والنخعى والحسن وقتادة وغيرهم قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن طى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة . ورواه أبو داود والنسائى من حديث سفيان الثورى به زاد النسائى ومطرف عن أبى إسحاق به وقال ابن أبى حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الحمداى حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس « ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم . وركعتين بعد المغرب إدبار السجود » ورواه الترمذى عن هشام الرافعى عن محمد بن فضيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضى الله عنهما وأنه بات فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة . ثابت فى الصحيحين وغيرهما . فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم

﴿ يَا سَمِيعُ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَخْنُ نُخْصِي وَنُحْيِي وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

يقول تعالى (واسمع) يا محمد (يوم ينادى المناد من مكان قريب) قال قتادة : قال كعب الأحبار يأمر الله تعالى ملكا أن ينسأدى طى صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والواصل المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعنى النفخة فى الصور التى تأتى بالحق الذى كان أكثرهم فيه يمترون (ذلك يوم الخروج) أى من الأجداث (إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير) أى هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلائق كلهم فيجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر . وقوله تعالى (يوم تمشق الأرض عنهم سراعا) وذلك أن الله عز وجل ينزل مطرا من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها فى قبورها كما ينبت الحب فى الترى بالماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور وقد أودعت الأرواح فى قبورها فى الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح توهج بين السماء والأرض فيقول الله عز وجل : وعزنى وجلالى لترجعن كل روح إلى الجسد

الذي كانت تعمه فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في اللدغ وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراحا مبادرين إلى أمر الله عز وجل (مطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) وقال الله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول من تنشق عنه الأرض»، وقوله عز وجل (ذلك حشر علينا يسير) أي تلك إعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال سبحانه وتعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله صميع بصير). وقوله جل وعلا (نحن أعلم بما يقولون) أي نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولك ذلك كقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين). وقوله تبارك وتعالى (وما أنت عليهم بجبار) أي ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى وليس لك مما كلفت به وقال مجاهد وقتادة والضحاك (وما أنت عليهم بجبار) أي لا تجبر عليهم والقول الأول أولى ولو أراد ما قالوه لقال ولا تكن جبارا عليهم وإنما قال (وما أنت عليهم بجبار) بمعنى وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ، قاله الفراء: سمعت العرب تقول جبر فلان على كذا بمعنى أجبره ثم قال عز وجل (فذكر بالقرآن من يخاف وعيده) أي بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله جل جلاله (فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر). (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ولهذا قال تعالى ههنا (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيده) كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يابار يارحيم. آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(تفسير سورة الذاريات وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالَّذِينَ رَبَّتْ ذُرُوءًا * فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا * فَالْجُرَيْتِ يَسْرًا * قَالَهُمْ سَمَتْ أُمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَأَنفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * قُتِلَ الْخَرِصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِه تَسْتَعْجِلُونَ)

قال شعبه بن الحجاج عن ممالك عن خالد بن خاله بن عرعة أنه سمع عليا رضي الله عنه وشعبة أيضا عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع عليا رضي الله عنه، وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه صعد منبر الكوفة فقال: لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك، فقام إليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ماعنى قوله تعالى (والذاريات ذروا)، قال على رضي الله عنه: الريح، قال (فالحمالات وقرأ) قال رضي الله عنه: السحاب، قال (فالجاريات يسرا) قال رضي الله عنه: السفن، قال (فالقسبات أُمرا) قال رضي الله عنه: اللائكة

وقد روى في ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن هانيء حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السيب قال جاء صبيغ التيمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا آتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فأخبرني عن القسبات أُمرا قال رضي الله عنه هي اللائكة ولولا آتى سمعت

رسول الله ﷺ يقول ما قلته ، قال فأخبرني عن الجاريات يسرا قال رضى الله عنه هي السفن ولولا آتى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته ثم أمر بضربه ف ضرب مائة وجعل في بيت فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب في أبي موسى الأشعري رضى الله عنه امنع الناس من مجالسته فلم يزل كذلك حتى آتى أبا موسى رضى الله عنه فحلف باليمان للعلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئا فكتب في ذلك إلى عمر رضى الله عنه فكتب عمر ما إخاله الا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس قال أبو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة لين وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفته وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضى الله عنه فان قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضى الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تحتنا وعنادا والله أعلم . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرهما ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك ، وقد قيل ان المراد بتذاريات الريح كما تقدم وبالحاملات وقرأ السحاب كما تقدم لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له الزمن تحمل عذبا زلالا

فأما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم أنها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أفلاكها ليكون ذلك ترقيا من الأدنى الى الأعلى الى ما هو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وتويع العباد ولهذا قال تعالى (إنما تعدون لصادق) أى لحبر صدق (وإن الدين) وهو الحساب (لواقع) أى لكائن لاحالة :

ثم قال تعالى (والسماء ذات الحجب) قال ابن عباس رضى الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والريبع بن أنس وغيرهم وقد الضحاك والنهال بن عمرو وغيرهما مثل نجعد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحجب قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن من ورائكم الكذاب للضل وإن رأسه من ورائه حبكا حبكا » يعنى بالحجب الجعودة . وعن أبي صالح ذات الحجب الشدة وقال خفيف ذات الحجب ذات الصفاقة . وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحجب حبكت بالنجوم . وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو الكافى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما (والسماء ذات الحجب) يعنى السماء السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التى فيها الكواكب الثابتة وهى عند كثير من علماء الهيئة فى الفلك الثامن الذى فوق السابع والله أعلم . وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فانها من حسنها مرتفعة شفاقة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء مكلفة بالنجوم التوايت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب المزاهرات . وتوله تعالى (إنكم لفي قول مختلف) أى إنكم أيها المشركون الكذوبون للرسول لفي قول مختلف مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع وقال قتادة إنكم لفي قول مختلف ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به . (يؤفك عنك من أفك) أى إنما يروج على من هو ضال في نفسه لأنه قول باطل إنما يتقادله ويضل بسببه ويؤفك عنه بن هو مأفوك ضال غمر لا فهم له كما قال تعالى (فإنكم وما تعبدون ما أتم عليه بغاتين) إلا من هو سال الجحيم قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدي (يؤفك عنه من أفك) يضل عنه من ضل وقال مجاهد (يؤفك عنه من أفك) يؤفن عنه من أفن ، وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به . وقوله تعالى (قتل الحراصون) قال مجاهد الكذابون قال وهى مثل التى فى عبس (قتل الإنسان ما أ كفره) والحراصون الذين يقولون لا نبث ولا يوقنون . وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (قتل الحراصون) أى لعن المرتابون . وهكذا كان معاذ رضى الله عنه يقول فى خطبته : هلك المرتابون .

وقال قتادة : الحراصون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى (الذين هم في غمرة ساهون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد في الكفر والشك غافلون لا هون (يسألون أيا يوم الدين) وإنما يقولون هذا تكديبا وعنادا وشكا واستبعادا قال الله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون قال مجاهد: كما يفتن الذهب على النار ، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري يفتنون يحرقون (ذوقوا فتنتكم) قال مجاهد: حريقكم وقال غيره عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أى يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا والله أعلم

﴿ إِنَّا الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَلْقٌ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المتقين لله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحرق والأغلال . وقوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال ابن جرير أى عاملين بما آتاهم الله من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضا ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) قبل الفرائض يعملون ، وهذا الإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضى الله عنهما

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره ، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنان والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أى من النعم والسرور والقبطة ، وقوله عز وجل (إنهم كانوا قبل ذلك) أى في الدار الدنيا (محسنين) كقوله جل جلاله (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل فقال جل وعلا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اختلف المفسرون في ذلك على قولين أحدهما أن ما نافية تقديره كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تكن تمضى عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا ؛ وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله قل ليلة تأتى عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل إما من أولها ومن أوسطها وقال مجاهد قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك رضى الله عنه وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء . وقال أبو جعفر الباقر كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة ، والقول الثانى ان ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم ، واختاره ابن جرير ، وقال الحسن البصرى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر ، وقال قتادة: قال الأخنف بن قيس (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كانوا لا ينامون إلا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية . وقال الحسن البصرى كان الأخنف ابن قيس يقول عرضت على عمل أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونا بعيدا إذا قوم لا تبلغ أعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وعرضت على عمل أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبي رضي الله عنه طوبى لمن رقد إذا نعى واتقى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لمن هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام » وقال معمر في قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهري والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم النخعي (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتداء فقال (من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون) وهذا القول إليه بعد وتعتسف

وقوله عز وجل (وبالأسحارهم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالأسحار) فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن . وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى اخبارا عن يعقوب أنه قال لبيته (سوف أستغفر لكم ربي) قالوا آخرهم إلى وقت السحر وقوله تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفي أموالهم حق) أي جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعرفة وهو الذي يبتدىء بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به . ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم يعني لاسهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل بالجماعة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وسعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح : المحروم المحارف وقال قتادة والزهري المحروم الذي لا يسأل الناس شيئا . قال الزهري وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذي يجي وقد قسم النعم فبرضخ له . وقال محمد بن إسحق حدثني بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فاتزع عمر رضي الله عنه كنف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبي أعيانى أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذي لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بأفة أو نحوه . وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد

رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاهد قوم لم يشهدوا الغنمة فنزلت هذه الآية (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضى أن هذه مدينة وليس كذلك بل هى مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل (وفي الأرض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة . ثم قال تعالى (وفي السماء رزقكم) يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثوري قرأ واصل الأحذب هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة فكث ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان فى اليوم الثالث إذا هو بدخولة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دواخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرقا بينهما الموت . وقوله تعالى (فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كالأ تشكوا فى نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضى الله عنه إذا حدث بالشئ يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسل

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ شَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَعةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

هذه القصة قد تقدمت فى سورة هود والحجر أيضا فقلوه (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم الكرمين) أى الدين أرسد لهم الكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للزيت وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال (قوم منكرون) . وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أى انسل خفية فى سرعة (فجاء بعجل شمين) أى من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيد) أى مشوى على الرضف (قربه إليهم) أى أدناه من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيد) أى مشوى على الرضف (قربه إليهم) أى أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلتطف فى العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أو لا فقال تأتيتكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وآتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى شمين مشوى قربه إليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون ؟) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتصدق فافعل . وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة) هذا محال على ما تقدم فى القصة فى السورة الأخرى وهى قوله

تعالى (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت) أى استبشرت بهلاكهم لفردهم وعتوهم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها للملائكة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب (قالت يا ويلتا أأله وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا (وبشروه بفلان علم) فالبشارة له هى بشاره لها . لأن الولد منهما فكل منهما بشر به . وقوله تعالى (فأقبلت امرأته فى صرة) أى فى صرخة عظيمة وورنة ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثورى والسدى وهى قولها (يا ويلتا) (فصكت وجهها) أى ضربت يدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما لطمت أى تعجبا كما تعجب النساء من الأمر الغريب (وقالت عجوز عقيم) أى كيف أله وأنا عجوز وقد كنت فى حال الصبا عقيلا لا أحبل ؟ (قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) أى علم بما تستحقون من الكرامة حكيم فى أقواله وأفعاله .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

قال الله تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام (فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشيرة بمجاد لنا فى قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود وقال ههنا (قال فما خطبكم أيها المرسلون ؟) أى ما شأنكم وفيهم جثم (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسمومة) أى معلقة (عند ربك للسرفين) أى مكتوبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال فى سورة العنكبوت (قال إن فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) وقال تعالى ههنا (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) احتج بهذه من ذهب إلى رأى المعتزلة بمن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فانفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك فى كل حال ، وقوله تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) أى جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، فى ذلك عبرة للمؤمنين (الذين يخافون العذاب الأليم)

﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَجِرٌ أَوْ يَخْفُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ * وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَمَتَّعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا أَصْبَرُوا مِن قِيَامِهِ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِذْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

يقول تعالى (وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسطان مبين) أى بدليل باهر وحجة قاطعة (فتولى بركنه) أى فأعرض فرعون عما جاء به موسى من الحق البين استكبارا وعنادا . وقال مجاهد تميز بأصحابه ، وقال قتادة غلب

عدو الله على قومه ، وقال ابن زيد (فتولى بركنه) أى بجموعه التى معه ثم قرأ (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) والمعنى الأول قوى كقوله تعالى (ثانى عطفه لفضل عن سبيل الله) أى معرض عن الحق مستكبر (وقال ساحر أو مجنون) أى لا يخلو أمره فيما جئتنى به من أن تكون ساحرا أو مجنونا قال الله تعالى (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) أى ألقيناهم (فى اليم) وهو البحر (وهو ملهم) أى وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند ثم قال عز وجل (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى الفسدة التى لا تنتج شيئا . قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى (ما تذر من شيء أنت عليه) أى مما تفسده الريح (إلا جعلته كالرميم) أى كالشيء المهلك البالى وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى عبد الله بن وهب حدثنى عبد الله يعنى ابن عياش القسائى حدثنى عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة من الثانية - يعنى من الأرض الثانية - ، فلما أراد الله تعالى أن يهلك بماذا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال أى رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فى الذى قال الله عز وجل فى كتابه (ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم) » هذا الحديث رفعه منكرو والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم قال سعيد بن المسيب وغيره فى قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) قالوا هى الجنوب . وقد ثبت فى الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور » (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) قال ابن جرير يعنى إلى وقت فناء آجالكم . والظاهر أن هذه كقوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا لعمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) وهكذا قال ههنا (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * ففتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار (فما استطاعوا من قيام) أى من هرب ولا نهوض (وما كانوا منتصرين) أى لا يقدرين على أن ينتصروا محاسنهم فيه ، وقوله عز وجل (وقوم نوح من قبل) أى من وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء (إنهم كانوا قوما فاسقين) وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطه فى أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمَوْسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيِّدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى منها على خلق العالم العلوى والسفلى (والسما بانيها) أى جعلناها سقفا محفوظا رفيعا (بأيدى) أى بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد (وإنا لموسعون) أى قد وسعنا أرجاءها وفرقناها بغير عمد حتى استقلت كما هى (والأرض فرشناها) أى جعلناها فراشا للمخلوقات (فنعلم الماهدون) أى وجعلناها مهيدا لأهلها (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أى جميع المخلوقات أزواج السماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى (لعلكم تذكرون) أى لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له (ففروا إلى الله) أى الجأوا إليه واعتمدوا فى أموركم عليه (إنى لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أى لا تشركوا به شيئا (إنى لكم منه نذير مبين)

﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ * اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾

فَقَوْلُ غَنَمٍ فَمَا أَنْتَ بِمَكْلُومٍ * وَذَكَرْتَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيهُنَا أَنْ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿

يقول تعالى مسلينا لنبيه صلى الله عليه وسلم وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسولهم (كذلك ما أتى الدين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله عز وجل (أتواصوا به ؟) أى أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة ؟ (بل هم قوم طاغون) أى لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى (فأعرض عنهم يا محمد (فما أنت بملوم) يعنى فما نلومك على ذلك (وذكر فإن الله كرى تنفع للمؤمنين) أى إيمان تنفع بها القلوب المؤمنة ثم قال جل جلاله (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أى إيمان خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إلا ليعبدون) أى إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها . وهذا اختيار ابن جرير . وقال ابن جريج إلا ليعرفون ؟ وقال الربيع بن أنس (إلا ليعبدون) أى إلا للعبادة وقال السدى من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) هذا منهم عبادة وليس يفهمهم مع الشرك . وقال الضحاك : المراد بذلك المؤمنون . وقوله تعالى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أقرأت رسول الله ﷺ (إنى أنا الرزاق ذو القوة المتين) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث إسرائيل وقال الترمذى حسن صحيح ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وعده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء . ومن عصاه عذبه أشد العذاب . وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم . فهو خالقهم ورزاقهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران - يعنى ابن زائدة بن نسيطة عن أبي خالده - هو الوالى - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - يعنى قال الله تعالى - « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد قفرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد قفرك » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذى حسن غريب ، وقد روى الإمام أحمد عن وكيع وأبى معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا أو يبنى بناء ، وقال أبو معاوية يصلح شيئا فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال « لا تياسا من الرزق ما تهزرت رءوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه » . وقد ورد فى بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب . وتكفلت برزقك فلا تتعب . فاطلبنى تعبدنى فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء . وقوله تعالى (فان للذين ظلموا ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) أى فلا يستعجلون ذلك فانه واقع لا محالة (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة آخر تفسير الداريات والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الطور وهى مكية)

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه أخرجاه من طريق مالك وقالت البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة قالت شكوت إلى رسول الله ﷺ أنى أشكى فقال « طوفى من وراء الناس وأنت راكبة » فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يصلى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ * أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه وأنه لا دافع لهم ، فالطور هو الجبل الذي يكون فيها أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى ، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورا إنما يقال له جبل (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارا ولهاذا قال (في رق منشور * والبيت المعمور) ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة « ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم » يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم ، كذلك ذاك البيت للمعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فيتنفض انفضاضه يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يؤتوا البيت للمعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة » هذا حديث غريب جدا تفرد به روح بن جناح هذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم قال الحاكم لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا الزهري وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعة أن رجلا قال لعلي ما البيت للمعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصل في كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا ، وكذا رواه شعبه وسفيان الثوري عن سماك ، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا عن البيت للمعمور قال مسجد في السماء يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا . ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بن علقمة . وقال العوفي عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش تعمده الملائكة يصل في كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه . وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه « هل تدرون ما البيت للمعمور ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لوخر لحر عليها يصل في كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال

لهم الجن من قبيلة إبليس فآله أعلم . وقوله تعالى (والسقف الرفوع) قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك عن خاله بن عريرة عن علي (والسقف الرفوع) يعني السماء قال سفيان ثم تلا (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير ، وقال الربيع ابن أنس هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور . وقوله تعالى (والبحر المسجور) قال الربيع بن أنس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحياه الأجساد في قبورها يوم معادها ، وقال الجمهور : هو هذا البحر ، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد أنه يوقد يوم القيامة نارا كقوله (وإذا البحار سجرت) أي أضربت فتصير نارا تتأجج محيطا بأهل الموقف . ورواه سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب . وروى عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهم . وقال العلاء بن بدر إنما سمى البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة . كذا رواه عنه ابن أبي حاتم . وعن سعيد بن جبير (والبحر المسجور) يعني المرسل . وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقدا اليوم فهو مملوء . وقيل المراد به الفارغ

قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذى الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (والبحر المسجور) قال الفارغ . خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت إن الحوض مسجور يعني فارغا . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء . وقيل المراد بالمسجور المنوع المكفوف عن الأرض ثلاثين عاما فيغرق أهلها . قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدي وغيره وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده فانه قال حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت أباصالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل »

وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثنا الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هارون عن العوام ابن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لمحرس لي يخرج أحد من الحرس غيرة فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيّل إلى أن البحر يشرف يحاذي رؤوس الجبال فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فلقيت أباصالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال « مامن ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل » فيه رجل مبهم لم يسم

وقوله تعالى (إن عذاب ربك لواقع) هذا هو القسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى (ماله من دافع) أي ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك . قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي قال خرج عمر يس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فواقفه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ (والطور - حتى بلغ - إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) قال قسم ورب الكعبة حق ، فنزل عن حمارة واستند إلى حائط فمكث مليا ثم رجع إلى منزله فمكث شهرا يعود الناس لا يدرون ما مرضه رضى الله عنه وقال الامام أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن أن عمر قرأ (إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوما . وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكا . وعن ابن عباس هو تشققها وقال مجاهد : تدور دورا . وقال الضحاك : استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض . وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة . قال وأنشد أبو عبيدة معمر بن اللثمي بيت الأعشى فقال :

كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

(وتسير الجبال سيرا) أي تنهب فتصير هباء منبثا وتنسف نسفا (فويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم (الذين هم في خوض يلعبون) أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم

هزوا ولعبا (يوم يدفعون) أى يدفعون ويساقون (إلى نار جهنم دعا) وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدى والثورى يدفعون فيها دفعا (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى تقول لهم الزبانية ذلك تقريرا وتوبيخا (أفسح هذا أم أتم لا تبصرون * اصلوها) أى ادخلوها دخول من تعمده من جميع جهاته (فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم) أى سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تبصروا لا يحيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها) وإنما تجزون ما كنتم تعملون (أى ولا يظلم الله أحدا بل يجازى كلا بعمله

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال (إن المتقين فى جنات ونعيم) وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى يتفكحون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف اللذات من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) أى وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التى فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) كقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) أى هذا بذاك تفضلا منه واحسانا وقوله تعالى (متكئين على سرر مصفوفة) قال الثورى عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر فى الجبال ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الهيثم عن حماد بن عمار أنه سمع الهيثم بن مالك الطائى يقول إن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليتكوى التكاوى مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يملك يديه ما شتهت نفسه ولدت عينه » وحدثنا أبى أخبرنا هذبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا أن الرجل ليتكوى فى الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رءاهن قبل ذلك فيقلن قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا ، ومعنى (مصفوفة) أى وجوه بعضهم إلى بعض كقوله (على سرر متقابلين) (وزوجناهم بحور عِين) أى وجعلناهم قرينات صالحات وزوجات حسانا من الحور العين ، وقال مجاهد (وزوجناهم) أنكحناهم بحور عِين وقد تقدم وصفهن فى غير موضع بما أغنى عن إعادته هنا

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا تَلْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِمُ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلْفًا لَهُمْ مَا كَانُوا يَكُونُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَقَدْ كُنَّا عَذَابَ السُّمُورِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم فى الإيمان يلحقهم بآبائهم فى المنزلة وإن لم يلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم فى منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزله للتساوى بينه وبين ذلك ولهذا قال (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال الثورى عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقربهم عنه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى به ، وكذا رواه ابن جرير من حديث

يتسائلون) أى أقبلوا يتحدثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرايهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أى كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) أى فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف (إنا كنا من قبل ندعوه) أى تضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا (إنه هو البر الرحيم)

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجىء سرير هذا حتى يجاذى سرير هذا فيتحدثان فيتسكىء هذا ويتسكىء هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان تدرى أى يوم غفر الله لنا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا » ثم قال البزار لا نعرفه يرى إلا بهذا الإسناد قلت وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم هو مجهول وشيخة الربيع ابن صبيح وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو ابن عبد الله الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) فقالت اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش في الصلاة ؟ قال نعم

﴿ قَدْ كَرِهَ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَتَرَبَّصَ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى أمراً رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفي عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) أى لست بحمد الله بكاهن كما تقولوه الجهلة من كفار قريش والكاهن الذى يأتية الرئى من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء (ولا مجنون) وهو الذى يتخطبه الشيطان من المس . ثم قال تعالى منكرها عليهم فى قولهم فى الرسول صلى الله عليه وسلم (أم يقولون شاعر ترَبَّصُ به ريب المنون ؟) أى قوارع الدهر ، والمنون الموت ، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتية الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى (قل ترَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ) أى انتظروا فإنى منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة . قال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيع عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما إن قريشاً لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبي ﷺ قال قائل منهم احتبسوه فى وثاق وترَبَّصُوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابعة إنما هو كأحدهم فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم (أم يقولون شاعر ترَبَّصُ به ريب المنون ؟) . ثم قال تعالى (أم تأمرهم أخلامهم بهذا) أى عقولهم تأمرهم بهذا الذى يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التى يعلمون فى أنفسهم أنها كذب وزور (أم هم قوم طاغون) أى ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون فهذا هو الذى يحلمهم على ما قالوه فيك . وقوله تعالى (أم يقولون تقوله ؟) أى اختلقه واقتراه من عند نفسه يعنون القرآن قال الله تعالى (بل لا يؤمنون) أى كفرهم هو الذى يحلمهم على هذه المقالة (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) أى إن كانوا صادقين فى قولهم تقوله واقتراه فليأتوا بمثله ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله ولا بشر سور من مثله ولا بسورة من مثله

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصْطَرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَا تُمْسِتُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ؟) أى أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ، أى لا هذا ولا هذا بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم جد أن لم يكونوا شيئا مذكورا قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان قال حدثنى عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ؟ أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ ؟) كاد قلبى أن يطير ، وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طرق عن الزهرى به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبى ﷺ بعد وقعة بدر فى فداء الأسارى وكان إذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على على الدخول فى الإسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) أى أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ وهذا إنكار عليهم فى شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم إيمانهم هو الذى يحملهم على ذلك (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ ؟) أى أَمْ يَتَصَرَّفُونَ فى الملك ويبدع مفااتيح الخزائن أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ ، أى المحاسنون للخلائق ، ليس الأمر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف فى المال لما يريد . وقوله تعالى (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أى مرفاة إلى الملا الأعلى (فَلَيَا تُمْسِتُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أى قليات التى يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من العمل والقال أى وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا هم داليل ثم قال مسكرا عليهم فيما نسبوه إليه من الذات وحملهم الملائكة إناثا واختيارهم لأنفسهم الذكور على الاناث بحيث إذا شر أحدكم بالأشئ ظل وجهه مسودا وهو كظم . هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ) وهذا تهديد شديد ووعد أ كيد (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) أى أجرته على إبلاغك بإياهم رسالة الله ، أى لست تسألهم على ذلك شيئا (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشقى عليهم (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) أى ليس الأمر كذلك فانه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا . فالذين كفروا هم المكيدون) يقول تعالى أَمْ يريد هؤلاء بقولهم هذا فى الرسول وفى الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم إما يرجع وبالله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهذا إنكار شديد على الشركين فى عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله ، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون وشركون فقال (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرْنُهُمْ حَتَّىٰ يَلْقَوُا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَضْرِبْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والكابرة للمحسوس (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا) أى عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أى متراكم وهذا كقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يمرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) . وقال الله تعالى (فذرهم) أى دعهم يا محمد (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وذلك يوم القيامة (يوم لا ينفع عنهم كيدهم شيئا) أى لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذى استعملوه فى الدنيا لا يجزى عنهم يوم القيامة شيئا (ولا هم ينصرون) . ثم قال تعالى (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) أى قبل ذلك فى الدار الدنيا كقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) ولهذا قال تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى نذيقهم فى الدنيا ونبتلهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء فى بعض الأحاديث « إن النفاق إذا مرض وعوفى مثله فى ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلاه ولا فيما أرسلوه » وفى الأثر الإلهى : كم أعصيك ولا تاقبني ؟ قال الله تعالى يا عبدى كم أعافيك وأنت لا تدري ؟ . وقوله تعالى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) أى اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمراى مناوتحت كلاءتنا والله يصمك من الناس . وقوله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال الضحاك أى إلى الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وروى مسلم فى صحيحه عن عمر أنه كان يقول هذا فى ابتداء الصلاة ، ورواه أحمد وأهل السنن عن أنس سعيد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك . وقال أبو الجوزاء (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني حدثني جنادة بن أبي أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفرلى — أو قال ثم دعا — استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته » وأخرجه البخارى فى صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال من كل مجلس ، وقال الثورى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقى حدثنا محمد بن شعيب أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له ، وقد قال عبد الرزاق فى جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن أبي عثمان الفقير أن جبريل علم النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . قال معمر ومممت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوى بعضها بعضها بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » . رواه الترمذى وهذا لفظه والنسائى فى اليوم واليلة من حديث ابن جريج ، وقال الترمذى حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال إسناده على شرط مسلم إلا أن البخارى علله قلت علله الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطنى وغيرهم ، ونسبوا الهم فيه إلى ابن جريج على أن أباداود قد رواه فى سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ورواه أبو داود واللفظ له والنسائى والحاكم فى المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن

هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة الأسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل يا رسول الله إنك تقول قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى قال « كفارة لما يكون في المجلس » وقد روى مرسلًا عن أبي العالية قاله أعلم . وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وروى مرسلًا أيضًا قاله أعلم ، وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال « كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبو بكر الاسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ وقد أفردت لذلك جزءا على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلمه وما يتعلق بها والله الحمد والمنة . وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي اذكره واعبد به بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى (ومن الليل فسبحه بانه نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) . وقوله تعالى (وإدبار النجوم) قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فانهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيوب . وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعا « لاتدعوهما وإن طردتكم الخيل » يعني ركعتي الفجر رواه أبو داود ، ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب أحمد القول بوجودهما وهو ضعيف لحديث « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال هل على غيرها قال « لا إلا أن تطوع » . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » . آخر تفسير سورة الطور والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة النجم وهي مكية)

قال البخاري حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد — يعني الزبيدي — حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيتُه بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف ، وقد رواه البخاري أيضا في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به ، وقوله في المتن إنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل فانه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والخلق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ، رواه ابن أبي حاتم . واختلف المفسرون في معنى قوله (والنجم إذا هوى) فقال ابن أبي نجيع عن مجاهد يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر وكذا روى عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير ، وزعم السدي أنها الزهرة وقال الضحاك (والنجم إذا هوى) إذا رمى به الشياطين وهذا القول له اتجاه . وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى (والنجم إذا هوى) يعني القرآن إذا نزل ، وهذه الآية كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لوتعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين) وقوله تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى) هذا هو القسم عليه ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ، فتره الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود . وهي علم الشيء وكتامنه والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه

عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى (وما ينطق على الهوى)
 أى ما يقول قولاً عن هوى وغرض (إن هو إلا وحي يوحى) أى إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً
 من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أنس بن مالك
 أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ليدخل الجنة بشفاعتي رجل ليس بنبي مثل الحيين - أو مثل أحد الحيين -
 ربيعة ومضر » فقال رجل يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر قال « إنما أقول ما أقول » . وقال الإمام أحمد حدثنا
 يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الأحنس أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت
 أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهت قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب فأمسكت عن الكتاب
 فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق » ورواه أبو داود عن
 مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد
 ابن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي
 ﷺ قال « ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه » ثم قال لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد
 حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أقول إلا
 حقاً » قال بعض أصحابه فانك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال « إني لا أقول إلا حقاً »

﴿ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
 أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ
 رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَفْئَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ
 وَمَا طَفَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس (شديد القوى) وهو
 جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين)
 وقال ههنا (ذو مرة) أى ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر حسن وقال قتادة : ذو خلق
 طويل حسن . ولا منافاة بين القولين فإنه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة . وقد ورد في الحديث الصحيح من
 رواية ابن عمر وأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تحل الصدقة لغني ولا لشيء مرة سوى »
 وقوله تعالى (فاستوى) يعنى جبريل عليه السلام . قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس (وهو بالأفق الأعلى)
 يعنى جبريل استوى في الأفق الأعلى . قاله عكرمة وغير واحد . قاله عكرمة : والأفق الأعلى الذي يأتي منه الصبح
 وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذي يأتي منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 أبو زرعة حدثنا مصرف بن عمرو واليامي أبو القاسم حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف حدثني أبي عن الوليد
 هو ابن قيس عن إسحق بن أبي الكهيلة أنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته ففسد الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه
 حيث صعد فذلك قوله (وهو بالأفق الأعلى) وقد قال ابن جرير ههنا قولاً لم أره لغيره ولا حكاة هو عن أحد
 وحاصله أنه ذهب إلى أن اللغني فاستوى أى هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى أى استويا
 جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء كذا قال ولم يوافق أحد على ذلك . ثم شرع يوجه ما قاله من حيث

العريية فقال وهو كقولاه (أئذا كنا ترابا وأبائونا) فعطف بالأباء على السكنى في كنان من غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو ، قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده :

ألم تر أن النبع يصلب عوده * ولا يستوى والخروج المتقصف

وهذا الذي قاله من جهة العريية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره المنتهى يعني ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ ثم فتر الوحي فترده ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليردى من رؤوس الجبال فكلماهم بذلك باداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكاته عند خلقه الذي بعثه إليه . فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حيث قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقممت إلى شجرة فيها كوكري الطيز فقعده في أحدهما وقعدت في الآخر . فسمت وارتفعت حتى سدت الحافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست فالتفت إلى جبريل كأنه جلس لاطىء فعرفت فضل علمه بالله على . وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرقة الدر والياقوت . وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » ثم قال البزار لا يرويه إلا الحارث بن عبيد وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة (قلت) الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الأيادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشيء وقال الإمام أحمد مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقاً عجيباً وله من علم وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله أنه قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم . انفرد به أحمد وقال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعاه ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعد فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدة . انفرد به أحمد وقد رواه ابن عساکر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الأسود قال كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لأنطلقن إلى محمد ولأذنيه في ربه سبحانه وتعالى فأنطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالذي دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال يا بني ما قلت له ؟ فذكر له ما قاله فقال فما قال لك قال : قال « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك » قال يا بني والله ما آمن عليك دعاءه فسرنا حتى نزلنا إبراهيم وهي في سدة ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب يا معشر العرب : ما أنزلكم هذه البلاد فأنها يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سني وحق وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ، ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد

تقبض فوثب وثبة فاذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزيمة ففسخ رأسه ، فقال أبو لهب : قد عرفت أنه لا يتغلب عن دعوة محمد وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أى فاقرب جبريل إلى عند لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أى بقدرها إذا ما قاله مجاهد وقناة ، وقد قيل إن المراد بذلك بعدما بين وتر القوس إلى كبدها . وقوله تعالى (أو أدنى) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات الخبر عنه ونفى ما زاد عليه كقوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) أى ما هي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) أى ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق للسخر به لاشك ولا تردد فإن هذا يتمتع هنا وهكذا هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) وهذا الذى قلناه من أن هذا للمقرب الذى صلى الله عليه وسلم إنما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله تعالى . وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحدهما وجاء في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس في حديث الإسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى لأنها تفسر لهذه الآية فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض ليلية الإسراء ولهذا قال بعده (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض

وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جبريل له ستمائة جناح »

وقال ابن وهب حدثنا ابن لميعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى في منامه جبريل بأجساد ثم إنه خرج ليقضى حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا فلم ير أحدا ثلاثاً ثم رفع بصره فاذا هونان إحدى رجله مع الأخرى على أفق السماء فقال يا محمد جبريل يسكنه فهرب النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل في الناس فنظر فلم ير شيئا ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه قد دخل في الناس فلم ير شيئا ثم خرج فنظر فرآه فقال قول الله عز وجل (والنجم إذا هوى - إلى قوله - ثم دنا فتدلى) يعنى جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام (فكان قاب قوسين أو أدنى) ويقولون : القاب نصف اصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به وفي حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر شاهد لهذا . وروى البخارى عن طلق بن غنم عن زائدة عن الشيباني قال سألت زراً عن قوله (فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال حدثنا عبد الله أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح . وقال ابن جرير حدثني ابن بزيع البغدادي حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حللتا رفرق قد ملأ ما بين السماء والأرض ، فعلى ما ذكرناه يكون قوله (فأوحى إلى عبده ما أوحى) معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى ، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل ؛ وكلا المعنيين صحيح . وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال أوحى الله إليه (ألم أجذكيتبا - ورفعنا لك ذكرك) وقال غيره أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمثك . وقوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتبارونه على ما يرى) قال مسلم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس (ما كذب الفؤاد ما رأى) (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه مسلك

عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما إنه رآه بفؤاده مرتين وقد خالعه ابن مسعود وغيره وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فانه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم ، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم .

وقال الترمذي حدثنا محمد بن عمرو بن النبال بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير الغنبري عن سلمة بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين . ثم قال حسن غريب وقال أيضا حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم فقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري فقلت رويدا ثم قرأت (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كنتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل ؛ لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدره المنتهى ومرة في أجياد وله ستائة جناح قد سد الأنق . وقال النسائي حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أعجبون أن تكون الحلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال « نوراني أراه » وفي رواية « رأيت نورا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : قالوا يا رسول الله رأيت ربك ، قال « رأيت بفؤادي مرتين » ثم قرأ (ما كذب الفؤاد ما رأى) ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك ، قال « لم أره بعيني ورأيت بفؤادي مرتين » ثم تلا (ثم دنا فتدلى)

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرني عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه ، قلت نعم قال قد رآه ، ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداه . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر العقدي أخبرنا أبو خلدة عن أبي العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ، قال « رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غيره » وذلك غريب جدا ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي عز وجل » فانه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملائكة الأعلى قال قلت لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نحري - فقلت ما في السموات وما في الأرض ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ، قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات ، قال قلت المكث في المساجد بعد الصلوات ، والشئ على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء في السكاه ، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال قل يا محمد إذا صليت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون ، قال والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام . والصلاة بالليل والناس نيام » وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه . وقد رواه ابن جرير من

وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التميمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زريق عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت لا يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت ما في السموات والأرض فقلت يا رب في الدرجات والكفارات ، وتقل الأقدام إلى الجمعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فقلت يا رب إنك اتخذت إبراهيم خيلا وكنيت موسى تكليبا وقلت وقلت فقال ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أقبل بك ألم أقبل بك ؟ قال فأفضى إلى بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال فذاك قوله في كتابه (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذاب الفؤاد ما رأى) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي » إسناده ضعيف . وقد ذكر الحافظان عساكر بسنده إلى حبار بن الأسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة اعلوا أني كافر بالذي دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال سيرسل الله عليه كلبا من كلابه قال حبار فكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد قال فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشم ردوس القوم واحدا واحدا حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم . وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل بالسراة وأنه خاف ليلئله وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه لعنه الله . وقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى) هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته هنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زريق جيش عن ابن مسعود في هذه الآية (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت » وهذا إسناد جيد قوي . وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق : يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم . إسناده حسن أيضا . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح » سألت عاصم عن الأجنحة فأبى أن يخبرني قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح مابين المشرق والمغرب وهذا أيضا إسناد جيد وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثني عاصم بن بهدلة حدثني شقيق ابن سلمة قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل عليه السلام في حصر معلق به الدر » إسناده جيد أيضا . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن إسماعيل حدثنا طاهر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الآية ومن أخبرك أن محمدا قد كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال « إنما ذاك

جبريل» لم يره في صورته التي خلق عليها الامرتين رآه منهبطا من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به

(رواية أبي ذر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله قال وما كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه عز وجل فقال إني قد سأله فقال «قد رأيته نورا أتى أراه» هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال «نوراني أراه». وقال حدثنا محمد بن بشر حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله فقال عن أي شيء كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر قد سأله فقال «رأيت نورا» وقد حكى الحلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال ما زلت منكرا له وما أدري ما وجهه.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عون الواسطي أخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه، وحاول ابن خزيمة أن يدعى انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر وأما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذر لعنه سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فأجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات وهذا ضعيف جدا فان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية ومن قال إنه خاطبها على قدر عقولها أو حاول تخطئها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد فإنه هو المخطئ، والله أعلم وقال النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر قال: رأيت رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن علي بن مسهر عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى جبريل عليه السلام

وقال مجاهد في قوله (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذا قال قتادة والريبع بن أنس وغيرهم. وقوله تعالى (إذ ينشى السدرة ما ينشى) قد تقدم في أحاديث الاسراء أنه غشيها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيها ألوان ما أدري ماهي؟ وقال الإمام أحمد حدثنا مالك بن مغول حدثنا الزبير بن عدى عن طلحة عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود قال لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى في السماء السابعة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إذ ينشى السدرة ما ينشى) قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا: أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمتة القحطات. انفرد به مسلم وقال أبو جعفر الرازى عن الريبع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى لسدرة فقبل له إن هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (إذ ينشى السدرة ما ينشى) قال كان أعصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا فرآها محمد ﷺ ورأى ربه بقلبه، وقال ابن زيد قيل يا رسول الله أى شيء رأيت ينشى تلك السدرة؟ قال «رأيت ينشأها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل» وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما ذهب عينا ولا شمالا (وما طغى) ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فانه ما فعل الا ما أمر به ولا سال فوق ما أعطى، وما أحسن ما قال الناطم: رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لناها

وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) كقوله (لنريه من آياتنا) أى الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين

الآيتين استدلل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك وقال ذلك للناس ؛ وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان . وقد قال الإمام أحمد حدث أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن إسحق بن أبي الكهيلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود أنه قال إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما مرة فانه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأفق ، وأما الأخرى فانه صعد معه حين صعد به ، وقوله (وهو بالأفق الأعلى) ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) فلما أخبر جبريل ربه عز وجل عاد في صورته وسجد فقوله (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال خلق جبريل عليه السلام هكذا رواه الإمام أحمد وهو غريب

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَقْنَمُ وَبَاوُكُم مَّا أُنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ * أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ * وَكَمِ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾

يقول تعالى مقررا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (أفرايتم اللات) وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يمتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يبنون مؤتة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رحلا يلت للحجيج في الجاهلية السوق فلما مات عكفوا على قبره فعبده وقال البخاري حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله (اللات والعزى) قال كان اللات رجلا يلت السوق سوق الحاج ، قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخله وهى بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق » فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية ، كما قال النسائي أخبرنا أحمد بن بكر حدثنا عبد الحميد بن محمد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن يوسف عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لى أصحابي بش ما قلت يونس عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لى أصحابي بش ما قلت قلت هجرا فأثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال « قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانث عن شماك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد » وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها الحج إلى الكعبة ، وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بحجرة العرب وغيرها وطواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها . قال ابن إسحق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة

وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحدر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام مسجده فكانت لقريش ولبنى كنانة العزى بنخلة وكان سديتها وحجابها بنى شيان من سليم حلفاء بنى هاشم قلت بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول: يا عزي كفرانك لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي أخبرنا علي بن النضر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأثامها خالد وكانت على ثلاث سمرة قطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع خالد فلما أبصرته السدة وهم حجبتها معنوا في الحيل وهم يقولون: يا عزي، يا عزي فأثامها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « تلك العزى » قال ابن إسحق وكانت اللات لتقيف بالطائف وكان سديتها وحجابها بنى معتب « قلت » وقد بعث إليها رسول الله ﷺ الغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها وجعل مكانها مسجدا بالطائف قال ابن إسحق وكانت مائة للآوس والحزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال على بن أبي طالب قال وكانت ذو الحليفة لدوس وخشم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بقبيلة « قلت » وكان يقال لها الكعبة الجمانية والكعبة التي بمكة الكعبة الشامية فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه قال وكانت قيس لطي ومن يليها بجبل طى بين سلمى وأجا ، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه على بن أبي طالب فهدمه واصطفي منه سيفين الرسوب والخزم فنقله إليهما رسول الله ﷺ فهما سيفان على قال ابن إسحق وكان لحجير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر أنه كان به كلب أسود وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت قال ابن إسحق وكانت رضاء يتيالبي ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن عيم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن هدمها في الإسلام ولقد شددت على رضاء شدة * فتركها قفرا بقاع أمصحا

قال ابن هشام إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القاض

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا * مائة حدثها بعدها مائتان لي وعمرت من عدد الشهور سنينا * هل ما بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يمر ليلة تحدونا قال ابن إسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتقلب ابني وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة بين الحورنق والسدير وبارق * والبيت ذو الكعبات من سنداد

ولهذا قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى؟) ثم قال تعالى (الكم الذكر وله الأنثى؟) أي أتجمعون له ولدا وتجمعون ولده أنثى وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم أتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت (قسمة ضيزى) أي جورا باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها ، ثم قال تعالى منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة (إن هي إلا أسماء سميتوها أتم وآباؤكم) أي من تلقاء أنفسكم (ما أنزل الله بها من سلطان) أي من حجة (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) أي ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين ملكوا هذا السلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق للنير والهدى القاطمة ومع هذا ما اتبعوا ما جاءهم به ولا اتقوا له

ثم قال تعالى (أم للانسان ما تمنى) أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له (ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب) ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له. قال الإمام أحمد حدثنا إسحق حدثنا أبو عوانة عن عمر ابن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدرى

ما يكتب له من أمنيته » تفرد به أحمد . وقوله (فله الآخرة والأولى) أى إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا والآخرة فهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (ولا تنفع الشفاعة منده إلا لمن أذن له) فإذا كان هذا فى حق الملائكة القربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله وأنزل بالنهى عن ذلك جميع كتبه ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنِي مِنَ الْخَلْقِ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) ولهذا قال تعالى (وما لهم به من علم) أى ليس لهم علم صحيح صدق ما قالوه بل هو كذب وزور واقتراء وكفر شنيع (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) أى لا يجدى شيئا ولا يقوم أبدا مقام الحق ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وقوله تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أى أعرض عن الذى أعرض عن الحق واهجره . وقوله (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أى وإنما أكثر هم ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غاية ما لا خير فيه ولهذا قال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أى طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا اليه . وقد روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وفى الدعاء المأثور « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عبادته وهو الذى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذى لا يجوز أبدا لاقى شرعه ولا فى قدره

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه القى هما سواء الحاكم فى خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق (ليجزى الدين أساءوا بما عملوا ويجزى الدين أحسنوا بالحسنى) أى يجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ثم فسر الحسين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، أى لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال فى الآية الأخرى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقال ههنا (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللعَم) وهذا استثناء منقطع لأن اللعَم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن أروطة عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللعَم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى كتب

على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لاحالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال : زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللهم وكذا قال مسروق والشعبي . وقال عبد الرحمن بن نافع الذي قاله ابن لباية الطائي قال سألت أبا هريرة عن قول الله (إلا اللهم) قال القبلة والعمزة والنظرة والمباشرة فإذا مس الحتان الحتان فقد وجب الفسل وهو الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا اللهم) إلا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم . وقال ابن جرير حدثنا ابن المنذر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية (إلا اللهم) قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قول الله تعالى (إلا اللهم) قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال : قال رسول الله ﷺ

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما ؟

وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق وكذا قال البرازي لانه يروى متصلا بإمام هذا الوجه وسأله ابن أبي حاتم والبخاري من حديث أبي عاصم النبيل وإنما ذكره البخاري في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر . ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن زريع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أراه رفعه في (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال الله من الزنا ثم يتوب ولا يعود . والله من السرقة ثم يتوب ولا يعود والله من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الإثم . وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال الله من الزنا وأو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود . وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول الله (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون هو الرجل يصيب الله من الزنا والله من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها . وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس (إلا اللهم) يلم بها في الحين قلت : الزنا قال : الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اللهم ، الذي يلم للمرة . وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن الله قتل هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم حكاه البخاري . وروى ابن جرير من طريق الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير ابن شبيب أن عبد الله بن عمرو قال اللهم مادون الشرك ، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير (إلا اللهم) قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (إلا اللهم) كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللهم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك . وقوله تعالى (إن ربك واسع الغفرة) أي رحمة وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم

لا تفتنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وقوله تعالى (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) أى هو بصير بكم بعلم بأحوالكم وأفعالكم وأقولكم التى تستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أبائكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الدر ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله (وإذا أنتم أجنت فى بطون أمهاتكم) قد كتب الملك الذى يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ؟ قال مكحول كنا أجنت فى بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقى ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا شبانا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا شيوخا لا أبالك فإدا بعد هذا تنتظر ؟ روى ابن أبى حاتم عنه . وقوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) أى تمد حوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم (هو أعلم بمن اتقى) كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون شيئا) . وقال مسلم فى صحيحه حدثنا عمرو والناسد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتى برة فقالت لى زينب بنت أبى سلمة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا به نسمةا قال « مموها زينب » وقد ثبت أيضا فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال مدح رجل رجلا عند النبي ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وبلك قطعت عنق صاحبك - مرارا - إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لأحالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أركى على الله أحدا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك » ثم روى عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا روى البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام بن الحارث قال جاء رجل إلى عثمان فأنشأ عليه فى وجهه قال فجعل القداد بن الأسود يحثو فى وجهه التراب ويقول أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا السداحين أن نخثو فى وجوههم التراب . ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثورى عن منصور به

﴿ أفرأيت الذى تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم يلبأ بما فى صُحف موسى * وإبراهيم الذى وفى * ألا نزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسن إلا ما سقى * وأن سمعه سوف يرى * ثم يجزئه الجزاء الأوفى ﴾

يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) (وأعطى قليلا وأكدى) قال ابن عباس أطاع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا فيجدون فى أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أ كدنا ويتركون العمل وقوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى ؟) أى أعنده هذا الذى قد أمسك يده خشية الاتفاق وقطع معرفه أعنده علم الغيب أنه سيفدما فى يده حتى قد أمسك عن معرفه فهو يرى ذلك عيانا ؟ أى ليس الأمر كذلك . وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلما ، ولهذا جاء فى الحديث « أشق بلايا ، ولا تخش من ذى العرش إقلاقا » وقد قال الله تعالى (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) . وقوله تعالى (أم لبأ بما فى صُحف موسى * وإبراهيم الذى وفى ؟) قال سعيد بن جبير والثورى أى بلغ جميع ما أمر به ، وقال ابن عباس (وفى) الله بالبلاغ ، وقال سعيد بن جبير (وفى) ما أمر به ، وقال قتادة (وفى) طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذى قبله ويشهد له قوله تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس

إماما يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال ابن حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني حدثنا حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (وإبراهيم الذي وفى) قال « أتدرى ما وفى ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار » ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف . وقال الترمذي في جامعه حدثنا أبو جعفر السمعاني حدثنا أبو مسهر حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال « ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » قال ابن أبي حاتم رحمه الله وحدثنا أبي حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ألا أخبركم لم مى الله تعالى إبراهيم خليله الذى وفى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) « حتى ختم الآية . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن رشدين بن سعد عن زبان بن ، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال (أن لاتزر وازرة وزر أخرى) أى كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فأنما عليها وزرها لا يحملها عنها أحد كما قال (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) أى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى اللوتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء فأما الدعاء والصدقة فذلك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذى رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة في الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه » والصدقة الجارية كالوَقَف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى (إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) الآية والعلم الذى نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا » . وقوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أى يوم القيامة كقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهكذا قال ههنا (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) أى الأوفر

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّعْرَىٰ * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ * وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَفَجَشَّهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾

يقول تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) أى العايد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا

مسلم بن خالد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الأودي قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بني أوداني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم تعلمون أن العباد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وأن إلى ربك المنتهى) قال لا فكرة في الرب قال البغوي وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة » وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ ، وإنما الذي في الصحيح « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستد بالله ولينته » وفي الحديث الآخر الذي في السنن « تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فإن الله تعالى خلق ملكا ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة » أو كما قال وقوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وما مختلفان (وأنه هو أمات وأحيا) كقوله (الذي خلق الموت والحياة) (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى) كقوله (يحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مئى مئى ١ * ثم كان علقة فيخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) وقوله تعالى (وأن عليه النشأة الآخرة) أي كما خلق البداء هو قادر على الاعادة وهي النشأة الآخرة يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي ملك عباده للال وجعله لهم قنية مقبلا عندهم لا يحتاجون إلى يعه فهذا تمام النعمة عليهم ، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما ، وعن مجاهد (أغنى) مول (وأقنى) أخذم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا (أغنى) أعطى (وأقنى) رضى وقيل معناه أغنى نفسه وأقفر الخلق إليه قاله الخضرى بن لاحق وقيل أغنى من شاء من خلقه وأقنى أى أقفر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاهما ابن جرير ومهما بعيدان من حيث اللفظ وقوله (وأنه هو الرب الشعري) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه (وأنه أهلك عاد الأولى) وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن إرم بن سام بن نوح كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ؟) فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله (بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى متتابعة

وقوله تعالى (وتعود فما أبقى) أى دمرهم فلم يبق منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أى من قبل هؤلاء (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) أى أشد تمردا من الذين من بعدهم (والمؤتفة أهوى) يعنى مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فتشاهها ما غشى يعنى من الحجارة التى أرسلها عليهم (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر النذر) قال قتادة كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف إنسان فأنصرم عليهم الوادى شيئا من نار ونفط وقطران كفهم الأنون . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خليفه عنه به وهو غريب جدا (فبأى آلاء ربك تتبارى ؟) أى فى أى نعم الله عليكم أيها الإنسان تمتري ؟ قاله قتادة وقال ابن جرير (فبأى آلاء ربك تتبارى ؟) يا محمد والأول أولى وهو اختيار ابن جرير

(هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ * أَرَفَتِ الْآزِفَةَ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَنِ هَذَا الْخُدِيثِ تَعَجَّبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَكِينُونَ * فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا)

(هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الأولى) أى من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) (أرفت الآزفة) أى اقتربت القرية وهى القيامة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى لا يدفعها إذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواء والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذى يغشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال (إني أنذركم بين يدي عذاب شديد) وفى الحديث « أنا النذير العريان » أى الذى أعجله شدة ما عاين

من الشر عن أن يلبس عليه شيئا بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانا مسرعا وهو مناسب لقوله (أزفت الآزقة) أى اقتربت القرية يعنى يوم القيامة كما قال فى أول السورة التى بعدها (اقتربت الساعة) وقال الإمام أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنى أبو حاتم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « يا كم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بيطن واد فجاء ذا يعود وجاء ذا يعود حتى أنفضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » وقال أبو حازم : قال رسول الله ﷺ قال أبو نضرة لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال « مثلى ومثل الساعة كهاتين » وفرق بين اصبعيه الوسطى والى تلى الابهام ثم قال « مثلى ومثل الساعة كمثل فرس رهان » ثم قال « مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه أتيتهم أتيتهم » ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا ذلك » وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان ثم قال تعالى منكرا على المشركين فى استماعهم القرآن واعاراضهم عنه وتلميحهم (تعجبون) من أن يكون صحيحا (ونضحكون) منه استهزاء وسخرية (ولاتبكون) أى كما يفعل اللوقنون به كما أخبر عنهم (ويخرجون للأذان يكونون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (وأنتم سامدون) قال سفيان الثورى عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء هى يمانية اسد لنا غن لنا وكذا قال عكرمة ، وفى رواية عن ابن عباس (سامدون) معرضون ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن خافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وفى رواية عن ابن عباس تستكبرون وبه يقول السدى ، ثم قال تعالى آمرا لعباده بالسجود له والعبادة التابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والاخلاص (فاسجدوا لله واعبدوا) أى فاخلصوا له وأخلصوا ووحده قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . انفرد به دون مسلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب ابن أبى وداعة عن أبيه قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسى فأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها إلا سجد معه . وقد رواه النسائى فى الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به . آخر تفسير سورة النجم والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة اقتربت الساعة وهى مكة)

قد تقدم فى حديث أبى واقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة فى الأضحى والفطر وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار لاشتغالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته والتوحيد وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتِرٌ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَعْتِرٌ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ)

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) وقد وردت الأحاديث بذلك قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عيسى وعمر بن على قالا حدثنا خلف بن موسى حدثنى أبى عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال « والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيا مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيا مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيرا » (قلت) هذا حديث مداره على خلف

ابن موسى بن خلف العمى عن أبيه وقد ذكره ابن جبان في الثقات وقال ربما أخطأ ﴿ حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره ﴾ قال الامام أحمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا شريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس على قعقعة من بعد العصر فقال « ما أعماركم في أعماركم من مضى إلا كما بقي من النهار فها مضى » وقال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا محمد بن مطرف عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بعثت أنا والساعة هكذا » وأشار بأصبعه السبابة والوسطى . أخرجه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الأعمش عن أبي خالد عن وهب السوائي قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقني » وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأزاعي حدثني إسماعيل بن عبيد الله قال قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أتم والساعة كهاتين » تفرد به أحمد رحمه الله وشاهد ذلك أيضا في الصحيح في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله ﷺ قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت خذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء يتصاها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فاتقوا منها بغير ما يحضرنكم فانه قد ذكر لنا أن الحجير يلقي من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما ما يدرك لها قفرا ، والله لئلا تملؤنه أفعجتكم والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعى الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كطيظ من الزحام » وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم وقال أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال زلنا للدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال : ألا إن الله يقول (اقربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقربت ألا وإن القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضار وغدا السباق فقلت لأبي أيسبق الناس غدا ؟ فقال يا بني إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال ، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال : ألا إن الله عز وجل يقول (اقربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضار وغدا السباق ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة وقوله تعالى (وانشق القمر) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث للتواتر بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال « خمس قدميين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر » وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات ﴿ ذكر الأحاديث الواردة في ذلك ﴾

﴿ رواية ألس بن مالك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال سألت أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال (اقربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم عن محمد ابن رافع عن عبد الرزاق وقال البخاري حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن الفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يرهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبي داود الطيالسي ويحيى القطان وغيرها عن شعبة عن قتادة به ﴿ رواية جبير بن مطعم رضى الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا

سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . ورواه البيهقي أيضا من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره (رواية عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما) قال البخارى حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله . وقال ابن جرير حدثنا ابن مثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا ، وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد ابن شكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كشف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر - إلى قوله - مستمر) (رواية عبد الله بن عمر) قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس ابن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقين فلقه من دون الجبل وفلقه من خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم اشهد » وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد به ، قال مسلم كراوية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح (رواية عبد الله ابن مسعود) قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشهدوا » وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وأخرجاه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عبد الله ابن سحيرة عن ابن مسعود به وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى حدثنا عمي يحيى بن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن رجل عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا اشهدوا » قال البخارى : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمد لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحرهم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحرهم به قال فسل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا : رأينا ، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليه أخبرنا أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقول لقد انشق القمر وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمار حدثنا عمرو بن حماد حدثنا أسباط عن ممالك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق . ورواه الامام أحمد عن مؤمل عن إسرائيل عن سالك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجى القمر

وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال النبي ﷺ لأبي بكر «اشهد يا أبا بكر» فقال للشركون سحر القمر حتى انشق وقوله تعالى (وإن يروا آية) أى دليلا وحجة وبرهانا (يرضوا) أى لا يتقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم (ويقولوا سحر مستمر) أى ويقولون هذا الذى شاهدناه من الحجب سحر سحرنا به ومعنى (مستمر) أى ذاهب قاله مجاهد وقناة وغيرهما أى باطل مضمحل لا دوام له (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أى كذبوا بالحق إذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم . وقوله (وكل أمر مستقر) قال قناة معناه أن الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر ، وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد (وكل أمر مستقر) أى يوم القيامة وقال السدى مستقر أى واقع ، وقوله تعالى (ولقد جاءهم من الأنباء) أى من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسول وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن (ما فيه مزدجر) أى ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتماذى على التكذيب . وقوله تعالى (حكمة بالغة) أى في هدايته تعالى لمن هدها واضلاله لمن أضله (فما تنفى النذر) يعنى أى شيء تنفى النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه ؟ فمن الذى يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالى (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) وكذا قوله تعالى (تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ * خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾

يقول تعالى فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكير أى إلى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأحوال (خشعا أبصارهم) أى ذليلة أبصارهم (يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كأنهم جراد منتشر) أى كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعى جراد منتشر فى الآفاق ، ولهذا قال (مهطعين) أى مسرعين (إلى الداعى) لا يخالفون ولا يتأخرون (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أى يوم شديد المول عبوس قطير (فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَقَدَرَبَهُ أَنَّى مَغْلُوبٌ فَاتَّصَرَ * ففَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِي كَرِهَ فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ ﴾

يقول تعالى (كذبت) أى قبل قومك يا محمد (قوم نوح فكذبوا عبدنا) أى صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون (وقالوا مجنون وازدجر) قال مجاهد وازدجر أى استطير جنونا ، وقيل وازدجر أى اتهموه وزجروه وتواعدوه لأن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن (فدعاه ربه أنى مغلوب فاتصَرَ) أى أنى ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فاتصَرَ أنت لديك قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) قال السدى وهو الكثير (وفجّرنا الأرض عيونا) أى نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التناير التى هى محال النيران نبعت عيونا (فالتقى الماء) أى من السماء والأرض (على أمر قد قدر) أى أمر مقدر

قال ابن جريج عن ابن عباس (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، ففتح أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم ، فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وروى ابن أبي حاتم

أن ابن الكواء سأل علياً عن المجرة فقال هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهجر (وحملاه على ذات ألواح ودر) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقتادة وابن زيد هي السامير واختاره ابن جرير قال وواحد لها دسار ويقال دسركا يقال حيك وجاك والجمع جبك ، وقال مجاهد الدسر أضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذي يضرب به الموج . وقال الضحاك الدسر طرفاها وأصلها وقال العوفي عن ابن عباس هو كل كلبها أي صدرها . وقوله (تجرى بأعيننا) أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا (جزاء لمن كان كفر) أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام . وقوله تعالى (ولقد تركناها آية) قال قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة ونعمها آذن واعية) ولهذا قال ههنا (فهل من مذكر) أي فهل من يتذكر ويتعظ . قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود عن ابن مسعود قال أقرأني رسول الله ﷺ (فهل من مذكر) وهكذا رواه البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال قرأت على النبي ﷺ (فهل من مذكر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (فهل من مذكر) وروى البخاري أيضا من حديث شعبة عن أبي إسحق عن الأسود عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ (فهل من مذكر) . وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحق أنه سمع رجلا سأل الأسود فهل من مذكر أو مذكر قال سمعت عبد الله يقرأ فهل من مذكر ؟ وقال سمعت رسول الله ﷺ يقرأها فهل من مذكر . دالا . وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحق . وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراد أن يتذكر الناس كما قال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) وقال تعالى (فإعنا يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) قال مجاهد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) يعني هونا قراءته وقال السدي يسرنا تلاوته على الألسن وقال الضحاك عن ابن عباس لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل ، قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة ، وقوله (فهل من مذكر) أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسره الله حفظه ومعناه ؟ وقال محمد بن كعب القرظي فهل من منجز عن المعاصي ؟ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق في قوله تعالى (فهل من مذكر) هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروى عن قتادة مثله .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِيلُ عَذَابِي * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضا كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل (عليهم ريحا صرصرا) وهي الباردة الشديدة البرد (في يوم نحس) أي عليهم ، قاله الضحاك وقتادة والسدي (مستمر) عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الديني بالأخروي وقوله تعالى (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تنفيه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض فتشلق رأسه

فيبقى جثة بلا رأس ولهذا قال (كانهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَأَلْقَى اللَّهُ كُرًّا عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ * إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبَهُمْ وَأَصْطَبِرْ * وَنَبَّيْنَاهُمْ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

وهذا اخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحا (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر) يقولون لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا . ثم تعجبوا من القاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا (بل هو كذاب أشير) أي متجاوز في حد الكذب قال الله تعالى (سيعلمون غدا من الكذب الأشير) وهذا تهديد لهم شديد ووعد أكيد . ثم قال تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنه لهم) أي اختبارا لهم ، أخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء طبق ماسألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام . فيما جاءهم به ثم قال تعالى آمرا لعبده ورسوله صالح (فارتبهم واصطبر) أي انتظر ما يؤول اليه أمرهم واصبر عليهم فإن العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة (ونبيهم أن الماء قسمة بينهم) أي يوم لهم ويوم للناقة كقوله (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وقوله تعالى (كل شرب محتضر) قال مجاهد إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن ثم قال تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) قال المفسرون هو عافر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله (إذ انبعث أشقاها) (فتعاطى) أي حسر (فعقر * فكيف كان عذابي ونذر) أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم بقية وحمدوا وحمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات قاله غير واحد من المفسرين ، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء حين يبيس ويحترق وتسفيه الريح وقال ابن زيد كانت العرب يجعلون حظرا على الإبل والمواشي من يبيس الشوك فهو المراد من قوله (كهشيم المحتظر) وقال سعيد بن جبير هشيم المحتظر هو التراب التناثر من الحائط وهذا قول غريب والأول أقوى والله أعلم .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا أهلكهم الله هلاكهم أمة من الأمم فانه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبع بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا (إنا أرسلنا عليهم حاصبا) وهي الحجارة (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) أي خرجوا من آخر الليل فنجوا بما

أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسه سوء ولهذا قال تعالى (كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا) أى ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتمازوا به (ولقد راودوه عن ضيفه) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل في صور شباب مرد حسان محنة من الله بهم فاضافهم لوط عليه السلام وبعث امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان فأغلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول لهم (هؤلاء بناتي) يعنى نسائهم (إن كنتم فاعلين * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) أى ليس لنا فيهن أرب (وإنك لتعلم ما نريد) فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال إنها غارت من وجوههم وقيل إنه لم تبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أديبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطا عليه السلام إلى الصباح . قال الله تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أى لا عجد لهم عنه ولا انفسكاك لهم منه (فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بِرَأْيَةِ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ)

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالشارة إن آمنوا والنذارة إن كفروا وأيدها بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أى فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر . ثم قال تعالى (أكفاركم) أى أيها المشركون من كفار قريش (خير من أولئك) يعنى من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب أتتم خير من أولئك ؟ (أم لكم براءة في الزبر) أى أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال تعالى مخبرا عنهم (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضا وأن جمعهم يغنى عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أى سيتفرق شملهم ويغلبون . قال البخارى حدثنا إسحاق حدثنا خالد عن خالد وقال أيضا حدثنا محمد بن عفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر « أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبدا » فأخذ أبو بكر رضي الله عنه يديه وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يشب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وكذا رواه البخارى والنسائي في غير موضع من حديث خالد وهو ابن مهران الخداع به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن ايوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر أى جمع يهزم ؟ أى جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع وهو يقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ

وقال البخارى حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج اخبرهم اخبرني يوسف بن ماهك قال انى عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد ﷺ بمكة وإنى لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) هكذا رواه هنا مختصرا ، ورواه في فضائل القرآن مطولا ولم يخرجهم مسلم

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ قَهْلًا مِنْ مَدَّ كِرٍ * وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُتَّقَدِرٍ)

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسعر بما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي كما كانوا في سر وشك وتردد أورثهم ذلك النار وكما كانوا ضللا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ويقال لهم تقريرا وتوبيخا (ذوقوا مس سقر) . وقوله تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) كقوله (وخلق كل شيء قفدره تقديرًا) وكقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقهم وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتة على الفرقة القدسية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وماورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري رحمه الله ولندكرهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة . قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن إسماعيل السهمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش الى النبي ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر) وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به . وقال البرار حدثنا عمرو بن علي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال ما نزلت هذه الآيات (إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر) الا في أهل القدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن صالح الانطاكي حدثني قرة بن حبيب عن كنانة حدثني جرير بن حازم عن سعيد بن عمرو بن جمدة عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية (ذوقوا مس سقره * إنا كل شيء خلقناه بقدر) قال « نزلت في أناس من أمي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله » . وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال أوقد فعلوها قلت : نعم ، قال فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم (ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر) أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضام ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحدا منهم فقات عينيه بأصبعي هاتين . وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو الفيرة حدثنا الأوزاعي عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد الله عن عبد الله بن عباس قال قيل له ان رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو أعشى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس قال والذي بيده لئن استمكننت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه . ولئن وقعت رقبتني في يدي لأدقها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « كأي بفساء بنى فهر يظفن بالخروج تصطفق ألياتهن مشركات ، هذا أول شرك هذه الأمة والذي نفسي بيده ليتبين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا » ثم رواه أحمد عن أبي الفيرة عن الأوزاعي عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن أبي أيوب حدثني أبو صخر عن نافع قال : كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكتب اليه عبد الله بن عمر إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فإياك أن تكتب إلى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيكون في أمي

أقوام يكذبون بالقدر» ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به . وقال أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمقى الدين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوم ، وإن ماتوا فلا تشهدوم » لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون في هذه الأمة مسح ألا وذلك في المكذبين بالقدر والزندقية » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به وقال الترمذى حسن صحيح غريب . وقال الامام أحمد حدثنا إسحاق ابن الطباع أخبرني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال سمعت ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ورواه مسلم منفردا به من حديث مالك

وفي الحديث الصحيح « استعن بالله ولا تعجز فان أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو آتى فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان » . وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الأنلام وطويت الصحف » وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض آنحاي في الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال أجلسوني فلما أجلسوه قال يا بني إنك لم تطعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ماخير القدر وشره ؟ قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى البلخي عن أبي داود الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد ابن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب . وقال سفيان الثوري عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وآتى رسول الله بعثي بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا رواه الترمذى من حديث النضر بن سميل عن شعبة عن منصور به ، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن علي فذكره وقال هذا عندي أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربعي عن علي به وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » زاد ابن وهب (وكان عرشه على الماء) ورواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب

وقوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم فقال (وما أمرنا إلا واحدة) أى إنما نأمر بالشئ مرة واحدة لاحتياج إلى تأكيد ثنائية فيكون ذلك الذى نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين ، وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذا ما أراد الله أمرًا فأنما يقول له كن فاقول فيكون

وقوله تعالى (ولقد أهلكنا أشياكم) يعنى أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول (فهل من مدكر) أى فهل من معظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياهم من قبل) . وقوله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) أى مكتوب عليهم في الكتب التى « .. » عليهم السلام (وكل صغير وكبير) أى من أعمالهم (مستطر) أى مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يعاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن بانك سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير حدثني

عوف بن الحارث وهو ابن أخى عائشة لأُمها عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم . وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر . ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي ويحك يا سعيد بن مسلم لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستغفره فأتاه أت في منامه فقال له يا سليمان :

لا تحقرن من الذنوب صغيرا	إن الصغير غدا يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقدم عهده	عند الله مسطر تسطيرا
فأزجره واللعنة لا تكن	صعب القياد وثمرن تشميرا
إن الحب إذا أحب إلهه	طار الفؤاد وألهم التفكيرا
فأسأل هدايتك الله بنية	فكفي بربك هاديا ونصيرا

وقوله تعالى (إن المتقين في جنات ونهر) أى بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد . وقوله تعالى (في مقعد صدق) أى في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه (عند ملك مقتدر) أى عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها . وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله آخر تفسير سورة اقتربت والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة الرحمن وهي مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن ؟ فقال كل القرآن قد قرأت قال إني لأقرأ للفصل في ركعة واحدة فقال : أهذا كهذا الشعر لا أبالك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول الفصل وكان أول مفصل ابن مسعود (الرحمن) وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن النكدر عن جابر قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد « قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم ، وعن عبد الله بن أحمد بن شويه عن هشام ابن عمار كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد ابن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قال حدثنا يحيى بن سليم عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ » قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « ما أتيت على قول الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) إلا قالت الجن لا شيء من نعم ربنا نكذب » ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * مَجْسَبَانِ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ

يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَكَيْهٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) قال الحسن يعني النطق ، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر وقول الحسن هنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الخلق واللسان والشفيتين على اختلاف مخارجها وأنواعها وقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وعن عكرمة أنه قال لجعل الله نور جميع أبصار الانس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجابا واحداً من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها . ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر . فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً ، رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق فروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني من النبات وكذا قال سعيد بن جبير والسدى وسفيان الثوري . وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد : النجم الذى فى السماء . وكذا قال الحسن وقتادة وهذا القول هو الأظهر والله أعلم لقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) الآية وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعنى العدل كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وهكذا قال هنا (ألا تطغوا فى الميزان) أى خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل . ولهذا قال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أى لا تبخسوا الوزن بل وزنوا بالحق والقسط كما قال تعالى (وزنوا بالقسطان المستقيمين) وقوله تعالى (والأرض وضعها للأنام) أى كما رفع السماء وضع الأرض ومهدا وأرساها بالجبال الراسيات الشاغات لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم فى سائر أقطارها وأرجائها

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد : الأنام الخلق (فيها فاكهه) أى مختلفة الألوان والطعوم والروائح (والنخل ذات الأكمام) أفردته بالذكر لشرفه ونفعه رطباً وإيساء الأكل قال ابن جريج عن ابن عباس : هى أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذى يطلع فيه القنوط ثم ينشق عن العنقود فيكون بسراهم رطباً ثم ينضج ويتناهى بفضه واستوائه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن طي الصيرفى حدثنا أبو قتيبة حدثنا يونس بن الحارث الطائفى عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : أخبرك أن رسلنا أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تنبع فتضج فتكون كأطيب فالزوج أكل ثم تبيض فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلنا صدقتنى فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر بن الخطاب : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم

إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتنا الله على مريم حين نfst بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فأ (ن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقيل الاكمام رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة (والحب ذو العصف والريحان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (والحب ذو العصف) يعني التبن . وقال العوفي عن ابن عباس العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رموسه فهو يسمى العصف إذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك عصفه تبنه ، وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعني الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ، ومعنى هذا والله أعلم أن الحب كالقمح والشعير ونحوها له في حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق للثقف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلالريحان الورق يعني إذا أوجن وانعد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة :

وقولا له من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رايا

ويخرج منه حبه في رموسه * ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أي فبأى الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان ؟ قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده أي النعم ظاهرة عليكم وأتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا ججودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيا يارب أي لا نكذب بشيء منها ، قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لميعة عن أبي الأسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدق بما يؤمر وللشركون يستمعون (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالخفار وخلق الجن من مارج من نار وهو طرف لها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) تقدم تفسيره (رب الشريقين ورب الغريقين) يعني مشرق الصيف والشتاء ومغرب الصيف والشتاء وقال في الآية الأخرى (فلا أقسم برب الشارق والغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس وقال في الآية الأخرى (رب الشرق والغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلا) وهذا المراد منه جنس الشارق والغارب ولما كان في اختلاف هذه الشارق والغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ؟ وقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان) قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله (يلتقيان)

قال ابن زيد أى منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالحو هذه الأنهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج * وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض ، وهو مروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبى قال ابن جرير لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض وهذا وإن كان هكذا لکن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه فإنه لا يساعده اللفظ فإنه تعالى قد قال (بينهما برزخ لا يبغيان) أى وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الأرض للابغى هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التى هى مقصودة منه وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا وقوله تعالى (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) أى من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كنى كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ؟) والرسل إنما كانوا فى الإنس خاصة دون الجن وقد صرح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروى عن على ، وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه ابن أبى حاتم عن الربيع ابن أنس وحكاه السدى عن حدثه عن ابن عباس وروى مثله عن على ومجاهد أيضا ومرة المحدثان وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون . قال السدى عن أبى مالك عن مسروق عن عبد الله قال : المرجان الخرز الأحمر قال السدى وهو الكسد بالفارسية ، وأما قوله (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) فاللحم من كل من الأجاج والمذب والحلية إنما هى من المالح دون العذب . قال ابن عباس ما سقطت قط قطرة من السماء فى البحر فوقعت فى صدفة إلا صار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فإذا لم تقع فى صدفة نبتت بها عنبرة ، وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف فى البحر أفواهاها فما وقع فيها يبنى من قطر فهو اللؤلؤ . إسناده صحيح ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض امتن بها عليهم فقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) . وقوله تعالى (وله الجوار المنشآت) يعنى السفن التى تجرى (فى البحر) قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهى منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت ، وقال قتادة المنشآت يعنى الخلوقات ، وقال غيره للمنشآت بكسر الشين يعنى البادئات (كالأعلام) أى كالجبال فى كبرها وما فيها من التاجر والكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم مما فيه صلاح للناس فى جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن حمزة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) والذى أنشأها تجرى فى بحوره ما قتلت عثمان ولا مالت على قتله

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَىٰٓ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ﴾
﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَىٰٓ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحى الذى لا يموت أبدا قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان . وفى الدعاء المأثور : يا حى يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك . وقال الشعي إذا قرأت (كل من

عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وهذه الآية كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والاكرام أى هو أهل أن يحل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وكقوله إخبارا عن المتصدقين (إنما نطعمكم لوجه الله) قال ابن عباس ذو الجلال والاكرام ذو العظمة والكبرياء ، ولما أخبر تعالى عن تساوى أهل الأرض كلهم في الوفاة وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والاكرام بحكمه العدل قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ، وقوله تعالى (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلق إليه في جميع الآفات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقلمهم وأنه كل يوم هو في شأن قال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير (كل يوم هو في شأن) قال من شأنه أن يجب داعيا أو يعطى سائلا ، أو يفك عانيا أو يشفي سقيا

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجب داعيا ويكشف كربا ويجب مضطرا ؛ ويفتر ذنبا ، وقال قتادة لا يستغنى عنه أهل السموات والأرض يحيى حيا ويميت ميتا ، ويربى صغيرا ويفك أسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجمان الحمصي حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزاري قال إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقبا ، ويعطى رغباً ، ويقسم عقابا

وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثني عمرو ابن بكر السكسكي حدثنا الحارث بن عتبة بن رباح النسائي عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (كل يوم في شأن) فقلنا يا رسول الله وما ذلك الشأن قال « أن يفتر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار وسليمان ابن أحمد الواسطي قالا : حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة ابن حليس يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل (كل يوم هو في شأن) - قال من شأنه أن يفتر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقد رواه ابن عساکر من طرق متعددة عن هشام ابن عمار به ، ثم ساقه من حديث أبي الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح قال ورد فيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ فذكره قال والصحيح الأول يعنى إسناذه الأول (قلت) وقد روى موقوفا كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام أبي الدرداء فانه أعلم . وقال البزار حدثنا محمد ابن الثني حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ كل يوم هو في شأن قال « يفتر ذنبا ، ويكشف كربا » ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله ابن موسى عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قله نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيى ويميت ويعز وينذل ويفعل ما يشاء

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَمْشُرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظُ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ ، وكذا قال الضحاك هذا وعيد ، وقال قتادة قد دنا من الله فراغ خلقه ، وقال ابن جريج (سنفرغ

لكم) أى ستفضى لكم وقال البخارى سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف فى كلام العرب يقال لأتفرغن لك وما به شغل يقول لأخذتك على غرتك وقوله تعالى (أيهما الثقلان) الثقلان: الانس والجن كما جاء فى الصحيح « يسمعه كل شيء إلا الثقلين » وفى رواية « إلا الانس والجن » وفى حديث الصور « الثقلان الانس والجن » فبأى آلاء ربكما تكذبان ، . ثم قال تعالى (يامعشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنذون إلا بسلطان) أى لا تستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدر أن تتخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم . وهذا فى مقام الحشر ؛ اللائكة محذرة باللائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إلا بسلطان) أى إلا بأمر الله (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) كلالا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) . وقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كما تأمنا أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلم أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا قال تعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان وقال مجاهد هو اللهب الأخضر المنقطع وقال أبو صالح الشواظ هو اللهب الذى فوق النار ودون الدخان . وقال الضحاك (شواظ من النار) سيل من نار . وقوله تعالى (ونحاس) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ونحاس) دخان النار ، وروى مثله عن أبى صالح وسعيد بن جبيرة وأبى سنان وقال ابن جرير والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراء مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول ناجة جملة :

يضىء كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعنى دخانا هكذا قال . وقد روى الطبرانى من طريق جوير عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذى لا دخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فأنشده بيت أمية بن أبى الصلت فى حسان :

ألا من مبلغ حسان عني مغفلة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا فى الحفاظ

يماننا يظل يشد كيرا وينفخ دابها لهب الشواظ

قال صدقت لما النحاس ؟ قال هو الدخان الذى لا لهب له ، قال فهل تعرفه العرب ؟ قال نعم أما سمعت ناجة بنى ذبيان^(١) يقول :

يضىء كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر يذاب فيصب على رءوسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس ، والمعنى على كل قول لو ذهبتم هارين يوم القامة لردتكم اللائكة والزبانية بأرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال (فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

(فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْمِعُنَ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

يقول تعالى (فإذا انشقت السماء) يوم القامة كما دلت عليه هذه الآيات مع ما شاكلها من الآيات الواردة فى معناها

(١) كذا بالأصول وهو مخالف لا ذكره أولا من أنه ناجة بنى جملة .

كقوله تعالى (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) وقوله (ويوم تشقق السماء بالنعام ونزل الملائكة تزيلاً) وقوله (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) . وقوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) أى تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلي حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم » قال الجوهري الطش المطر الضعيف ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (وردة كالدهان) قال هو الأديم الأحمر وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (فكانت وردة كالدهان) كالفرس الورد ، وقال العوفي عن ابن عباس تغير لونها . وقال أبو صالح كالبزدون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد تغير لونها ، وقال الحسن البصري تكون ألوانا وقال السدى تكون كلون البغلة الوردية وتكون كالمهل كدردي الزيت ، وقال مجاهد (كالدهان) كألوان الدهان وقال عطاء الخراساني كلون دهن الورد في الصفرة وقال قتادة هي اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذى ألوان وقال أبو الجوزاء في صفاء الدهن وقال ابن جريج تصير السماء كالدهان الدائب وذلك حين يصيبها حرجهم . وقوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) وهذه كقوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فهذا في حال وثم في حال يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم قال الله تعالى (فو ربك لتسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولهذا قال قتادة (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قال قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ، فهذا قول ثان . وقال مجاهد في هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم ، وهذا قول ثالث ، وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) أى بعلامات تظهر عليهم وقال الحسن وقاتة يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون (قلت) وهذا كما يعرف المؤمنون بالفرقة والتجليل من آثار الوضوء . وقوله تعالى (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك ، وقال الأعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصرته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور ، وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره ، وقال السدى يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نوبة الريع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعنى جده أخبرني عبد الرحمن حدثني رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها وبينى وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة ؟ قالت نعم لقد سألت عن هذا وأنا وهو في شمار واحد قال « نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي - أوقال يوحى - وعند الجسر حين يستحد ويستحرق » فقالت وما يستحد وما يستحرق ؟ قال - يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف ويستحرق حتى يكون مثل الحمرة فأما المؤمن فيجوز له لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوى يديه إلى قدميه - قالت فهل رأيت من يسمى حافيا فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فاتها كذلك يهوى يديه ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه فتدقده في جهنم فيهوى فيها مقدار خمسين عاما - قلت ما ثقل الرجل ؟ قالت - ثقل عشر خلقات سبأن فيؤمئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام . هذا حديث غريب جدا وفيه ألفاظ منكروا في الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقوله تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) أى هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها هاهي حاضرة تشاهدونها عيانا ، يقال لهم ذلك تهرما وتويخا وتصغيرا وتحقيرا . وقوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) أى

تارة يعذبون في الجحيم وتارة يستقون من الحميم وهو الشراب الذي هو كالتحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء وهذه كقوله تعالى (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) وقوله تعالى (آن) أى حار قد بلغ النفاية في الحرارة لا يستطيع من شدة ذلك ، قال ابن عباس في قوله (يطوفون بينها وبين حميم آن) أى قد انتهى غلبه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك والحسن والثوري والسدي وقال قتادة قد آن طبعه منذ خلق الله السموات والأرض ، وقال محمد بن كعب القرظي يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتى يقول الله تعالى (في الحميم ثم في النار يسجرون) والحميم الآن بمعنى الحار ، وعن القرظي رواية أخرى (حميم آن) أى حاضر وهو قول ابن زيد أيضاً والحاضر لا ينافى ما روى عن القرظي أولاً أنه الحار كقوله تعالى (تسقى من عين آية) أى حاضرة شديدة الحر لا يستطيع وكقوله (غير ناظرين إناؤه) أى استواءه ونضجه فقوله (حميم آن) أى حميم حار جداً . ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتنا بذلك على بريته (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ۚ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ۚ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ۚ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ۚ ﴾

قال ابن شوفب وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) في أبي بكر الصديق ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) نزلت في الذي قال أحرقتوني بالنار على أضل الله قال تاب يوما وليلة ، بعد أن تكلم بهذا قبل الله منه وأدخله الجنة ، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى (ولمن خاف مقام ربه) بين يدي الله عز وجل يوم القيامة (ونهى النفس عن الهوى) ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « جنتان من فضة آيتيهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتيهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به ، وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفته في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي قوله (ومن دونهما جنتان) جنتان من ذهب للقرين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين . وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان القرني حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرمة عن عطاء بن يسار أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ فقال « وإن رغم أنف أبي الدرداء » ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حمزة به ، ورواه النسائي أيضاً عن مؤمل بن هشام عن اسماعيل عن الجريري عن موسى عن محمد بن سعد ابن أبي وقاص عن أبي الدرداء به ، وقد روى موقوفاً على أبي الدرداء ، وروى عنه أنه قال : إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . وهذه الآية عامة في الانس والجن فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واثقوا ولهذا آمن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم نعت هاتين الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أى أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائضة (فبأى آلاء

ربكما تكذبان ؟) هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة أن الأذنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن طي حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن النعمان ممعت عكرمة يقول (دواتا أفنان) يقول ظل الأغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة * تدعو طي فتن النصوص حماما
تدعو أبا فرخين صادف طاويا * ذا غلبين من الصقور قطاما

وحكى البغوى عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكبي أنه العنصن المستقيم وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد السلام ابن حرب حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروى عن سعيد ابن جبير والحسن والسدى وخصيف والنضر بن عربي وابن سنان مثل ذلك ، ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من اللاد واختاره ابن جرير وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة ، وقال الربيع بن أنس (ذواتا أفنان) واسعنا الفناء وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم ، وقال قتادة ذواتا أفنان يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت ممعت رسول الله ﷺ وذكر سدره المنتهى فقال « يسير في ظل الفنون منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل في ظل الفنون منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن عمرها القلال » ورواه الترمذى من حديث يونس بن بكريه وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي قوله (ومن دونهما جنتان) قال جنتان من ذهب للمقرين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين (فيهما عينان تجريان) أى تسرحان لسقى تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال الحسن البصرى إحداهما يقال لها تسنيم والأخرى السلسيل . وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا (فيهما من كل فاكهة زوان) أى من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) . قال إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مافى الدنيا ثمره حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء يعنى أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا فى التفاضل

﴿ مُتَكَبِّينَ عَلَىٰ أُرُشٍ بَطَلَتْهُنَّ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَبِئْسَ الْأَطْرَافُ لِمَ يَظْمَرُشُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالزَّيْرَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يقول تعالى (متكئين) يعنى أهل الجنة والمراد بالانكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التربع (على فرش بطائنها من إستبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال عكرمة والضحاك وقتادة وقال أبو عمران الجوني هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى قال أبو إسحاق عن هيرة ابن مريم عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لورأيت الظواهر . وقال مالك بن دينار بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور ، وقال سفيان الثوري أو شريك بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد وقال القاسم بن محمد بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ، وقال ابن شاذب عن أبي عبد الله الشامي ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ما تحت المحابس الا الله تعالى ، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله (وجنى الجنتين دان) أى ثمرهما قريب اليهم متى شاءوا تناولوه على أى صفة كانوا كما قال تعالى (قطوفها

دانية) وقال (ودانية عليهم ظلالها وذلت قطوفها تذللا) أى لا تمتنع من تناولها بل تنحط إليهم من أغصانها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك (فيهن) أى فى الفرش (قاصرات الطرف) أى غضضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئا فى الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراسانى وابن زيد وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلمها والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، ولا فى الجنة شيئا أحب إلى منك فالحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان) أى بل هن أبكار عرب أتراب لم يطمئن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمنى الجن الجنة قال أرطاة بن اللندر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة ؟ قال نعم وينكحون ، للجن جنيات وللانس انسيات ، وذلك قوله (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) . ثم قال ينعتهن للخطاب (كأنهن الياقوت والمرجان) قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فى صفاء الياقوت وياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ . وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودى عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى عجزها » وذلك قول الله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت من ورائه وهكذا رواه الترمذى من حديث عبيدة بن حميد وأبى الأحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقفا ثم قال وهو أصح . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه . وقد روى مسلم حديث إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أو لم يقل أبو القاسم ﷺ « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والى ثيابها على ضوء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث هام بن منبه وأبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لقدوة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه - يعنى سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ورواه البخارى من حديث أبى إسحق عن حميد عن أنس بنحوه ، وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أى لا لمن أحسن العمل فى الدنيا إلا الإحسان إليه فى الآخرة كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال البغوى حدثنا أبو سعيد الشريعى حدثنا أبو إسحق الثعلبى أخبرنى ابن قنجويه حدثنا ابن شعبة حدثنا إسحق بن إبراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف الكتب حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وقال « هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ولما كان فى الذى ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد فضل وامتنان قال بعد ذلك كله (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) وما يتعلق بقوله تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان) ما رواه الترمذى والبغوى من حديث أبى النضر بن هاشم بن القاسم عن أبى عقيل الثقفى عن أبى فروة يزيد بن سنان الراوى عن بكر بن فيروز عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى النضر ، وروى البغوى من حديث على بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن محمد ابن أبى حرملة مولى حوطب بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ

يقص على النبر وهو يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال «وإن رغم أنف أبي الدرداء» .

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ مُدْهَمَمَتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِلَامِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ لَمْ يَطْمِشْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ مُتَكَبِّرِينَ ۚ وَلَمْ يَخْفَ فَوْقَهُنَّ فَجَرٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾

هاتان الجنتان دون القتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى (ومن دونهما جنتان) وقد تقدم في الحديث : جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والآخران لأصحاب اليمين وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وقال ابن عباس (ومن دونهما جنتان) من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل . والدليل على الأولين على الآخرين وجوه (أحدها) أنه نعت الأولين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال (ومن دونهما جنتان) وهذا ظاهر في شرف التقديم وعلوه على الثاني وقال هناك (ذوات أفنان) وهى الأغصان أو الفنون في الملاذ وقال ههنا (مدهماتان) أى سوداوان من شدة الرى من الماء قال ابن عباس في قوله (مدهماتان) قد اسودتا من الحضرة من شدة الرى من الماء وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مدهماتان قال خضراوان وروى عن أبى أيوب الأنصارى وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبى أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفى والحسن البصرى ويحيى بن رافع وسفيان الثورى نحو ذلك ، وقال محمد بن كعب (مدهماتان) تمثلتان من الحضرة وقال قتادة خضراوان من الرى ناعمتان ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار للشبهة بعضها في بعض وقال هناك (فيهما عينان تجريان) وقال ههنا (نضاختان) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى فياصتان والجري أقوى من النضج وقال الضحاك (نضاختان) أى تمثلتان ولا تنقطعان وقال هناك (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقال ههنا (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة وهى نكرة في سياق الإثبات لاتم ولهذا ليس قوله (ونخل ورمان) من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخارى وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما ، قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا غارق عن طارق بن سهل عن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أى الجنة فاكهة ؟ قال «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا أفيا كلون كما يأكلون في الدنيا ؟ «قال نعم وأضاف» قالوا فيقصون الخواشي قال «لا ولكنهم يمرقون ويرشون فيذهب الله ما فى بطونهم من أذى» وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سبعة أكسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكرها (١) ذهب أحمر وجدوعها زمرد أخضر ، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم ، وحدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبى هارون عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير للقتب» ثم قال (فيهن خيرات حسان) قيل (١) كذا في الأصل ، وفي البغوى : وورقها .

المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة ، وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه
قاله الجمهور ، وروى مرفوعا عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور
العين يغنين : نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ، ولهذا قرأ بعضهم (فيهن خيرات) بالتشديد (حسان فبأي آلاء
ربكما تكذبان) ثم قال (حور مقصورات في الخيام) وهناك قال (فيهن قاصرات الطرف) ولا شك أن التي قد قصرت
طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات ، قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع
عن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي يزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة
ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات
ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنها بيض مكنون ، وقوله تعالى (في الخيام) قال البخاري حدثنا محمد
ابن الثني حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله
ﷺ قال « إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين
يطوف عليهم المؤمنون » ورواه أيضا من حديث أبي عمران به وقال ثلاثون ميلا ، وأخرجه مسلم من حديث
أبي عمران به ولفظه « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم
المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
قتادة أخبرني خليلد المصري عن أبي الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در ، وحدثنا أبي حدثنا عيسى
ابن أبي فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن الثني عن ابن عباس في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام) قال
خيام اللؤلؤ وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ في أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وقال
عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ ووزير جرد
وياقوت كما بين الجابية ومنعاء » ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به . وقوله تعالى (لم يطمئنون لمنس
قبلهم ولا جان) قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله (كأنهن الياقوت والرجان فبأي آلاء
ربكما تكذبان) وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس
الرفرف المحابس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم هي المحابس ، وقال العلاء بن زيد
الرفرف على السرير كهيئة المحابس للتدلى ، وقال عاصم الجحدري (متكئين على رفرف خضر) يعني الوسائد وهو
قول الحسن البصري في رواية عنه ، وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى
(متكئين على رفرف خضر) قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى (وعبقري حسان) قال ابن عباس وقاتدة
والضحاك والسدي : العبقري الزرابي ، وقال سعيد بن جبير هي عناق الزرابي يعني جياها ، وقال مجاهد العبقري
الديباج وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى (وعبقري حسان) فقال هي بسط أهل الجنة لا أبالك فاطلبوها ،
وعن الحسن رواية أنها المرافق ، وقال زيد بن أسلم العبقري أحمر وأصفر وأخضر ، وسئل العلاء بن زيد عن العبقري
فقال البسط أسفل من ذلك . وقال أبو حنيفة يعقوب بن مجاهد : العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد ، وقال
أبو العالية العبقري الطنافس المحملة إلى الرقة ما هي ، وقال القيس كل ثوب موشى عند العرب عبقري ، وقال أبو عبيدة
هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي ، وقال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب
عبقريا ومنه قول النبي ﷺ في عمر « فلم أر عبقريا يفري فريه » وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل
الجنة الأولين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) فتمت بطائنها
فرشهم وسكت عن ظواهرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتام الخاتمة أنه قال بعد الصفات
التقدمة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث

جبريل لما سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فهذه عديدة في تفضيل الجنتين الأولين على هاتين الأخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأولين . ثم قال (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) أى هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، وقال ابن عباس (ذى الجلال والإكرام) ذى العظمة والكبرياء . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هاني عن أبي العذراء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجعلوا الله يغفر لكم » وفي الحديث الآخر « إن من إجلال الله إكرام ذى الشبهة السلم ، وذى السلطان ، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجاني عنه » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحربى حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أظفوا يا ذا الجلال والإكرام » وكذا رواه الترمذى عن محمود ابن غيلان عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان القدسى عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أظفوا بذى الجلال والإكرام » ورواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك به ، وقال الجوهري أظف فلان بفلان إذا لزمه ، وقول ابن مسعود أظفوا يا ذا الجلال والإكرام أى الزموا يقال الإظاظ هو الإلحاح ﴿ قلت ﴾ وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو للدائمة وال لزوم والإلحاح . وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لا يقعد يعنى بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » . آخر تفسير سورة الرحمن وثله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الواقعة وهى مكية)

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو بكر يارسول الله قد شئت أن تسمى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » رواه الترمذى وقال حسن غريب قال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصرى حدثنا السرى بن يحيى النشيانى عن أبي شجاع عن أبي ظبية قال مرض عبد الله مرضه الذى توفى فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ما تشكى ؟ قال ذنوبى قال فأتشهى ؟ قال رحمة ربى قال ألا آمر لك بطبيب ؟ قال الطبيب أمرضى قال ألا آمر لك بعطاء ؟ قال لا حاجة لى فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال آخضى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب عن السرى . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى السرى بن يحيى أن شجاعا حدثه عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » فكان أبو ظبية لا يدعها وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن منيب عن السرى بن يحيى عن شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود به . ثم رواه عن إسحاق بن أبي إسرائيل عن محمد بن منيب العدنى عن السرى بن يحيى عن أبي ظبية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » لم يذكر فى مسنده شجاعا قال وقد أمرت بناتى أن يقرأنها كل ليلة . وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان ابن أبي العيمان عن السرى بن يحيى عن شجاع عن أبي فاطمة قال مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده فذكر الحديث بطوله ، قال عثمان بن العيمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلى بن أبي طالب . وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن ممالك بن حرب أنه سمع جابر بن ممرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الصلوات كنحو من صلاتكم التى تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان

يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها كما قال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة) وقوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال (استجيئوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) وقال (سأل سائل عذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وقال تعالى (ويوم يقول كن فيكون) قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير . ومعنى (كاذبة) كما قال محمد بن كعب لا بد أن تكون ، وقال قتادة ليس فيها مثوية ولا ارتداد ولا رجعة . قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية . وقوله تعالى (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وان كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم القيم وان كانوا في الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقاتدة وغيرهما . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب الغنى حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن أبيه عن صمالك عن عكرمة عن ابن عباس (خافضة رافعة) تخفض أقواما وترفع آخرين وقال عبيد الله العتكي عن عثمان ابن سراقه ابن خالة عمر بن الخطاب (خافضة رافعة) قال الساعة خففت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفضين ، وقال السدي خففت للتكبرين ورفعت للتواضعين ، وقال العوفي عن ابن عباس (خافضة رافعة) أضعفت القريب والبعيد ، وقال عكرمة خففت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى وكذا قال الضحاك وقاتدة

وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة وغير واحد في قوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت زلزلا وقال الريح بن أنس ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه وهذا كقوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وقال تعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتنت فثقلها قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتدة وغيرهم ، وقال ابن زيد صارت الجبال كما قال الله تعالى (كشيئا مهيلا)

وقوله تعالى (فكانت هباء منبثا) قال أبو إسحاق عن الحارث عن طي رضى الله عنه : هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فكانت هباء منبثا) الهباء الذى يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئا ، وقال عكرمة : اللبث الذى قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة (هباء منبثا) كيبس الشجر الذى تذروه الرياح . وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أما كونها يوم القيامة وزهاها وتسيرها ونسفها أى قلعها وصيرورتها كالعين المنفوش . وقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمنهم ويؤخذهم ذات اليمين قال السدي وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عياذاً بالله من صنعهم - وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحلى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى (فأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * وأصحاب الشامة ما أصحاب الشامة * والسابقون السابقون) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت

احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ياذن الله) الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه ، قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال هي التي في سورة الملائكة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) . وقال ابن جريج عن ابن عباس هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة ، وقال يزيد الرقاشي سألت ابن عباس عن قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد (وكنتم أزواجا ثلاثة) يعني فرقاً ثلاثة . وقال ميمون بن مهران : أفواجا ثلاثة ، وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقه بن خالة عمر بن الخطاب (وكنتم أزواجا ثلاثة) اثنان في الجنة وواحد في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن ممالك عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ (وإذا النفوس زوجت) قال الضرباء كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله تعالى يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون) قال هم الضرباء .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى حدثنا البراء الغنوي حدثنا الحسن بن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . . . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فقبض يده قبضتين فقال « هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي » وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتدرون من السابقون إلى ظلم الله يوم القيامة ؟ - قالوا الله ورسوله أعلم قال - الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لأنفسهم » وقال محمد بن كعب وأبو حرزة يعقوب بن مجاهد (والسابقون السابقون) هم الأنبياء عليهم السلام وقال السدي هم أهل عليين ، وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال يوشع ابن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وطلح بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ .
رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن هارون الفلاس عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزار عن سفيان بن الضحاک المدائني عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجیح به . وقال ابن أبي حاتم وذكر عن محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين (والسابقون السابقون) الذين صلوا إلى القبلتين . ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة (والسابقون السابقون) أي من كل أمة ، وقال الأوزاعي عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ثم قال أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله ، وهذه الأقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) وقال تعالى (مسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخيرات كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكانت دين تدان ، ولهذا قال تعالى (أولئك المقربون في جنات النعيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمر قال : قالت الملائكة يارب جعلت لبي آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فأجعل لنا الآخرة فقال لا أفعل فراجعوا ثلاثاً فقال لا أجعل من خلقت يدي كمن قلت له كن فكان . ثم قرأ عبد الله (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) وقدرى هذا الأمر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولفظه : فقال الله عز وجل : لن أجعل صالح ذرية من خلقت يدي كمن قلت له كن فكان .

(ثُمَّ مَنْ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ)

إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم كذلك هو محتاج إلى القاعين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها والفضل للمتقدم ، وكذلك الزرع هو محتاج إلى اللطير الأول وإلى اللطير الثاني ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه أكد فانه لولاه مابنت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال عليه السلام « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة » وفي لفظ « حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك » والفرس أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ « مع كل ألف سبعون ألفا - وفي آخر - مع كل واحد سبعون ألفا » وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن يزيد الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عيسى حدثني أبي حدثني ضمضم يعني ابن زرة عن شريح هو ابن عبيد عن أبي مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أما والذي نفسي بيده ليعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام » وحسن أن يذكر ههنا عند قوله تعالى (ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين) الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا جعفر بن محمد بن السلف الفريابي حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرج الحراني حدثنا سليمان ابن عطاء القرشي الحراني عن مسلم بن عبد الله الجعفي عن عمه أبي مشجعة بن ربيع عن أبي زمل الجعفي رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثمان رجله « سبحان الله وبحمده استغفر الله إن الله كان توابا » سبعين مرة ثم يقول « سبعين بسبعائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعائة » ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول « هل رأى أحد منكم شيئا ؟ » قال أبو زمل قلت أنا يا رسول الله فقال « خير تلقاه ، وشر توقاه ، وخير لنا ، وشر على أعدائنا الحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك » فقلت رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فينيهم كذلك إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم ترعيني مثله برف رفيفا يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلال قال وكانوا بالرحلة الأولى حين أشفوا على المرج كبوا ثم أكبوا رواحهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا قال فكأنني أنظر اليهم منطلقين : ثم جاءت الرحلة الثانية وهم أكثر منهم أضعاقا فلما أشفوا على المرج كبوا ثم أكبوا رواحهم في الطريق فمنهم للرتع ومنهم الآخذ الضفت ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما أشفوا على المرج كبوا وقالوا هذا خير للنزل كأنني أنظر اليهم يميلون يمينا وشمالا ، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتني أقصى المرج ، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة ، وإذا عن يمينك رجل آدم مثل أقي إذا هو تكلم يسمو فيقرع الرجال طولا ، وإذا عن يسارك رجل ربة باز كثير خيلان الوجه كأنما حم شعره بالماء إذا هو تكلم أصغيت إكراما له ، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تأمونه تريدونه وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف ، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعها قال فامتنع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سرى عنه ، وقال رسول الله ﷺ « أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذلك ما حملتكم عليه من الهدى وأتم عليه ، وأما المرج الذي رأيت فالله الدنيا وغدارة عيشها مضيت أنا وأصحابي لم تتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نرد لها ولم تردنا ، ثم جاءت الرحلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعاقا فمنهم للرتع ومنهم الآخذ الضفت ونجوا على ذلك ، ثم جاء عظم الناس فقالوا في المرج يمينا وشمالا فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني ، وأما للنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالله الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وأما الرجل الذي رأيت على يميني آدم الشلل فذلك موسى عليه السلام إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه ، والذي رأيت عن يساري الباز الربة الكثير خيلان الوجه كأنما حم

شعره بالماء فذلك عيسى بن مريم نكرمه لإكرام الله إياه ، وأما الشيخ الذي رأيت أشبهه الناس بي خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه وقتدى به ، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا تقوم لانبي بعدي ولا أمة بعد أمي » قال لما سأله رسول الله ﷺ عن رؤيا بعده هذا إلا أن يحيى الرجل فيحدثه بها متبرعا وقوله تعالى (على سرر موضونة) قال ابن عباس أى مرمولة بالذهب يعنى منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره ، وقال السدى مرمولة بالذهب واللؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت ، وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعل بمعنى مفعول لأنه مضفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللالء

وقوله تعالى (متكئين عليها متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مخلدون على صفة واحدة لا يتكبرون عنها ولا يشيرون ولا يتغيرون (بأكواب وأباريق وكأس من معين) أما الأكواب فهي الكيزان التي لاخرائط لها ولا أذان ، والأباريق التي جمعت الوصفين والكثوس المنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة وقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الخمر أربع خصال السكر ؛ والصداع ، والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال . وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدى (لا يصدعون عنها) يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا في قوله (ولا ينزفون) أى لا تذهب بعقولهم وقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون) أى ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيير لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الوصلى رحمه الله في مسنده حدثنا العباس بن الوليد الترسي حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سومة حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال : بعثني مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى قال « من الرجل ؟ » قلت عكراش بن ذؤيب ، قال « ارفع في النسب » فالتصبت له إلى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله ﷺ وقال « هذه إبل قومي هذه صدقات قومي » ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم إليها ثم أخذ بيدي فأنطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال « هل من طعام ؟ » فأتيينا بجفنة كالفصصة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال يا عكراش : كل من موضع واحد فانه طعام واحد . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق وقال يا عكراش : كل من حيث شئت فانه غير لون واحد . ثم أتينا بماء ففصل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال : يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار . وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديثه وقال الإمام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيان قالوا حدثنا سلمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا فرما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أتني عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان ابن فلان فسمت اثني عشر رجلا كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجاء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم قليل اذهبوا بهم إلى نهر اليبسخ أو اليبسخ قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسر ما شاءوا فما يقبلونها من وجهه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء

البشير من تلك السرية فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عدائى عشر رجلا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : قصى رؤياك . فقصتها وجملت تقول فجيء بفلان وفلان كما قال . هذا لفظ أبى يعلى قال الحافظ الضياء وهذا على شرط مسلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا معاذ بن اللثي حدثنا طى بن المدينى حدثنا ربحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » . وقوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) قال الإمام أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر ابن سليمان الضبعى حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى فى شجر الجنة » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة فقال « آكلها أنعم منها - قالها لثان - وإنى لأرجو أن تكون بمنى يأكل منها » انفرده أحمد من هذا الوجه . وروى الحافظ أبو عبد الله القندسى فى كتابه صفة الجنة من حديث إسماعيل بن طى الحطيمى عن أحمد بن طى الحيوطى عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى ؟ » قال الله ورسوله أعلم قال « طوبى شجرة فى الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أعطانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هناك لطيرا ناعما ؟ قال « أنعم منه منى يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى » وقال قتادة فى قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وذكر لنا أن أبا بكر قال يا رسول الله إنى أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون ، قال « منى يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت وإنى لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر » . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال « نهر أعطانيه رنى عز وجل فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعنى كأعناق الجزر » فقال عمر إنها لناعمة ، قال رسول الله ﷺ « آكلها أنعم منها » وكذا رواه الترمذى عن عبد ابن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه : وقال حسن عن أنس . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا طى بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن الوليد الوصافى عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « إن فى الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صفحة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعنى لونا أبيض من اللبن والين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير » هذا حديث غريب جدا والوصافى وشيخه ضعيفان ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى الليث حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أبى حازم عن عطاء عن كعب قال : إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطفقن له فإذا اشتهى منها شيئا أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء ؛ صحيح إلى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبيد الله بن مسعود قال : قال لى رسول الله ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا ، وقوله تعالى (وحوور عين كأمثال اللؤلؤ الكون) قرأ بعضهم بالرفع وتقديره ولم فيها حور عين وقراءة الجبر تحتل معنيين أحدهما أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله كقوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصعدون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحوور عين) كما قال تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم) وكما قال تعالى (عليهم ثياب من سندس خضر وإستبرق) والاحتمال الثانى أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك فى القصور لا بين بعضهم بعضا ، بل فى الحيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين والله أعلم . وقوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ الكون) أى كأنهن اللؤلؤ الرطب فى بياضه وصفاته كما تقدم فى سورة الصفات (كأنهن بيض مكنون) وقد تقدم فى سورة

الرحمن وصفهم أيضا ولهذا قال (جزاء بما كانوا يعملون) أى هذا الذى آخفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل
ثم قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قילה سلا سلا) أى لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا أى عبثا
خاليا عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال (لا تسمع فيها لاغية) أى كلمة لاغية (ولا تأثيما) أى ولا
كلاما فيه قبح (إلا قילה سلا سلا) أى إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى (تحيتهم فيها سلام) وكلامهم
أيضا سالم من اللغو والاثم

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلِّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ
مَّسْكُوبٍ * وَكَيْفَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفَرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم القربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار كما قال ميمون بن مهران
أصحاب اليمين منزلتهم دون القربين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أى أى شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف
مآلهم . ثم فسر ذلك فقال تعالى (فى سدر مخضود) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الأحوص وقسامة بن
زهير والسفر بن قيس والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وأبو حرزة وغيرهم هو الذى لا شوك فيه ، وعن
ابن عباس هو اللوقر بالتمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضا كونا نحدث أنه اللوقر الذى لا شوك
فيه ، والظاهر أن المراد هذا وهذا فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل التمر وفى الآخرة على العكس من هذا لا شوك
فيه وفيه التمر الكثير الذى قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سنان النجار حدثنا عبد الله بن محمد هو
البنوى حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم
ابن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومساألهم قال أقبل أعرابي
يوما فقال يا رسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله ﷺ « وما هى ؟ » قال
السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول (فى سدر مخضود) خضد الله شوكه
فجعل مكان كل شوكه ثمرة فانها لتنبت ثمرا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه
الآخر . » (طريق آخر) قال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن الصفي حدثنا محمد بن المبارك حدثني يحيى بن حمزة
حدثني ثور بن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلى قال : كنت جالسا مع رسول الله ﷺ
فجاء أعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أ أكثر شوكا منها يعنى الطلح فقال رسول الله
ﷺ « إن الله يجعل مكان كل شوكه منها ثمرة مثل خصوة التيس للبلود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر »
وقوله (وطلح منضود) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر الغضاء واحدته طلحة وهو شجر كثير
السوك وانشد ابن جرير لبعض الحداة

بشرها دليلها وقالا * غدا تمرين الطلح والجبالا

وقال مجاهد (منضود) أى متراكم التمر يذكر بذلك قريشا لأنهم كانوا يعجبون من وج وطلاله من طلع وسدر
وقال السدى منضود مصفود قال ابن عباس يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمرة أحلى من العسل ، قال الجوهري والطلح لغة
فى الطلح (قلت) وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت عليا يقول هذا
الحرف فى طلع منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه منضود وهو الذى لا شوك
له وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمرة والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن إدريس
عن جعفر بن إياس عن أبى نضرة عن أبى سعيد (وطلح منضود) قال الموز ، قال وروى عن ابن عباس وأبى هريرة والحسن

وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حذرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون اللوز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول وقوله تعالى (وظل ممدود) قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها انقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » ورواه مسلم من حديث الأعرج به . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة : قال قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام انقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » وكذا رواه مسلم من حديث الأعرج به وكذا رواه البخاري عن محمد بن سفيان عن فليح به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة وكذا رواه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة والليث بن سعد عن سعيد القبري عن أبيه عن أبي هريرة وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالوا حدثنا شعبة ممثت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وانقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » إسناده جيد ولم يخرجوه وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبدة وعبد الرحيم والبخاري كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذي من حديث عبد الرحيم بن سليمان به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام انقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هрма إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أنفأها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن منهل الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع ، وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيد وثقة رجاله ، وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، قال أبو صالح أتكذب أبا هريرة ؟ قال ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك أنت فشق ذلك على انقرءوا يومئذ . قلت فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعته إلى رسول الله ﷺ . وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » ثم قال حسن غريب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل للممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قد رما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال فيشتمى بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك

تلك الشجرة بكل لمو في الدنيا . هذا أثر غريب وإسناده جيد قوى حسن : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن بمان حدثنا أبو سفيان حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى (وظل ممدود) قال سبعون ألف سنة وكذا رواه ابن جرير عن بدار عن ابن مهيدي عن سفيان مثله ، ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي أسحاق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة ألف سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا حصين بن نافع عن الحسن في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغني أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبي حاتم ، وقال الضحاك والسدي وأبو حزره في قوله تعالى (وظل ممدود) لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر ، وقال ابن مسعود الجنة سبج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى (وندخلهم ظلا ظليلا) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (في ظلال وعيون) إلى غير ذلك من الآيات . وقوله تعالى (وماء مسكوب) قال الثوري يجري في غير أخدود وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) الآية بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) أي يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم ، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر ، وفيها أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة ، وفيه قالوا يا رسول الله رأينا لك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت قال إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما كنت تصنعه قال : « انه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبي يحيى بن أبي كثير عن عامر ابن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الخوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة . قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى . قال فذكر شيئا لا أدرى ما هو قال أي شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئا من شجر أرضك ؟ فقال النبي ﷺ : أتيت الشام ؟ قال لا قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرض أعلاها . قال ما عظم العنقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتقر . قال وعظم أصلها ؟ قال : لو مارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما . قال فيها عنب ؟ قال : نعم قال فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قطع عليها قال نعم ، قال : فسليخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذى لنا منه دلوا . قال نعم قال الأعرابي فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال : نعم وعامة عشيرتك . وقوله تعالى (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرته الله شيء وقال قتادة لا يجمعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم في الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى . وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) أي عالية وطيبة ناهمة قال النسائي وأبو عسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن

أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ورشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية ورشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن ورشدين به

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمر بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله ورواه الإمام أحمد عن حسن عن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا يوم معاوية عن جوير عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن (وفرش مرفوعة) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة . وقوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) فجعلناهن أبكارا عربا أترابا * لأصحاب اليمين) جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دلل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى (إذ عرض عليه بالشئ الصافنات الجياد فقال أنى احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس على المشهور من قولى الفسرين وقال الاخفش في قوله تعالى (إنا أنشأناهن) أضرهن ولم يذكرن قبل ذلك وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى (وحوور عين) كأمثال اللؤلؤ المكنون) فقوله تعالى (إنا أنشأناهن) أى أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجايز رمصاصرن أبكارا عربا أى بعد الثبوبة عدن أبكارا عربا متحبيات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم عربا أى غنجات قال موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أنشأناهن إنشاء قال نساء عجايز كن في الدنيا عجماء رمصا » رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى يزيد ضعيفان وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم يعني ابن أبي إياس حدثنا شيدان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال « بأمر فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز » قال فقلت تبكى قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا) وهكذا رواه الترمذي في الثمائل عن عبد بن حميد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل الديلمى حدثنا عمرو بن هاشم البيروني أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى (حور عين) قال « حوربيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت أخبرني عن قوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) قال « صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي » قلت أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) قال « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » قلت أخبرني عن قوله (كأنهن يفيض مكنون) قال « رقهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو النرقىء » قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله (عربا أترابا) قال « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجايز رمصا فمما خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محبيات أترابا على ميلاد واحد » قلت يا رسول الله أنشاء الدنيا أفضل أم الحور العين » قال بل نساء لدينا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت يا رسول الله وم ذلك ا قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل . ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير . يفيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب : يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان

لنا « قلت يا رسول الله المرأة منا تزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يارب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بغير الدنيا والآخرة » وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذي بعثني بالحق ما أتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثنيتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعنى وكبدها له مرآة فيبينها هو عندها لا يملها ولا تمل ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتد ذكره ولا يشتكى قلبها إلا أنه لا مني ولا منية فيبينها هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في في الجنة شيء أحب إلى منك . وقال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له أنطأ في الجنة ؟ قال نعم : والذي نفسي بيده دحما دحما فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرأ » وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا علي بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي التوكل عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا » وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله ويطلق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب : وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله هل نصل إلى نساءنا في الجنة قال « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم . وقوله (عرباً) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني متحبات إلى أزواجهن ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك ، وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشي لأزواجهن وأزواجهن لمن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقال ثور بن يزيد عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله (عرباً) قال هي الملقاة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة هي الغنجة : وقال الأجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة ، وقال صالح بن حسان عن عبد الله بن بريدة في قوله (عرباً) قال الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة ، وقال تميم بن حذلم هي حسن التبعل . وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن : العرب حسنات الكلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « عرباً - قال - كلامهن عربي » وقوله (أتراباً) قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد : الأتراب المستويات ، وفي رواية عنه الأمثال ؛ وقال عطية الأقران وقال السدي (أتراباً) أي في الأخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف عن الحسن ومحمد (عرباً أتراباً) قالا المستويات الأسنان يأتلفن جميعاً ويلعبن جميعاً وقد روى أبو عيسى الترمذي عن أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لاجتماعاً للحوار العين يرفع أصواتهم تسمع الخلاق بمثلها - قال - يقلن نحن الخالدات فلا نبئ ، ونحن الناعمات فلا نبأس

ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » ثم قال هذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان عبدالله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام » قلت إسماعيل بن عمر هذا هو أبو النذر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبدالرحيم بن إبراهيم الملقب بدحم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبدالله بن رافع عن ابن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الحور العين يغنين في الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لأزواج كرام » وقوله تعالى (لأصحاب اليمين) أى خلقنا لأصحاب اليمين أو اذخرن لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر أنه متعلق بقوله (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير

وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديدا فجعلت أدعويده واحدة فأخذتني عيني ففهمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهى تقول يا أباسليمان أدعويده واحدة وأنا أغذى لك في النعم منذ خمسمائة سنة . قلت ويحتمل أن يكون قوله (لأصحاب اليمين) متعلقا بما قبله وهو قوله (أترابا لأصحاب اليمين) أى في أنسناهم ، كما جاء في الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درى في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخضون أمشاطهم الذهب وورشحهم المسك ومجاوهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة آدم ستون ذراعا في السماء » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة . وروى الطبرانى واللفظه من حديث حماد بن سلمة عن طى بن زيد بن جدهان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا أيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع » . وروى الترمذى من حديث أبي داود الطيالسى عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا مكحلين بنى ثلاث وثلاثين سنة » ثم قال حسن غريب . وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار » ورواه الترمذى عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث به . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا القاسم ابن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الأوزاعى عن هارون بن ذئب عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ! على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون » وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الأوزاعى عن هارون بن ذئب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين . ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » . وقوله تعالى (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا النضر بن شاذان حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران ابن حصين عن عبد الله بن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرهنا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال « عرضت على الأنبياء وأتباعها بأمرهم فيمروا على النبي والنبي في العصابة والنبي في الثلاثة

والنبي وليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية (أليس منكم رجل رشيد) قال - حتى مرطى موسى بن عمران في كبكة من بني إسرائيل قال : قلت ربى من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل ! قال قلت رب فأين أمي ؟ قال انظر عن يمينك في الضراب قال فإذا وجوه الرجال قال : قال أرضيت ؟ قال قلت قد رضيت رب . قال انظر إلى الأفق عن يسارك فإذا وجوه الرجال قال : أرضيت ؟ قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيد وكان بدريا قال يابني الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : فقال « اللهم اجعله منهم » قال أنشأ رجل أخو قال يابني الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال : فقال رسول الله ﷺ فان استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا وإلا فكونوا من أصحاب الضراب وإلا فكونوا من أصحاب الأفق فاني قد رأيت ناسا كثيرا قد ناشبوا أحوالهم - ثم قال - إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال فكبرنا قال « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال فقلنا بيننا من هؤلاء السبعين ألفا فقلناهم الدين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا قال فبلغه ذلك فقال « بل هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتكفلون » وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين) قال : قال رسول الله ﷺ « هما جميعا من أمي »

﴿ وَأَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ * فِي مَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَجْمُوعُونَ * أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُسَكِّدُونَ * لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّومٍ * فَمَا لَتَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ * فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ * هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال ؟ ثم فسر ذلك فقال (في موموم) وهو الهواء الحار (وحميم) وهو الماء الحار (وظل من يحموم) قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم وهذه كقوله تعالى (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جملة صفر * ويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال ههنا (وظل من يحموم) وهو الدخان الأسود (لأبارد ولا كريم) أي ليس طيب المصوب ولا حسن النظر كما قال الحسن وقتادة (ولا كريم) أي ولا كريم النظر وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب فليس بكريم

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم . وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلبون على ما جاءتهم به الرسل (وكانوا يصرون) أي يقيمون ولا ينوون توبة (على الحنث العظيم) وهو

الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أربابا من دون الله . قال ابن عباس الحنت العظيم : الشرك . وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ، وقال الشعبي هو اليمين النعموس (وكانوا يقولون أننا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟) يعنى أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبدين لوقوعه قال الله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أى أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بنى آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحد كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) ولهذا قال ههنا (المجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أى هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم * فالثون منها البطون) وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم (فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم) وهى الابل العطاش واحدها هيم والأشئ هياء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة : الهيم الابل العطاش الظماء . وعن عكرمة أنه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى : وقال السدي الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت كذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدا . وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) أى هذا الذى وصفنا هو ضياقتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى فى حق المؤمنين (إن الدين آمنوا وعمالوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أى منيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مقرررا للمعاد . ورادا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد . من الدين قالوا (أننا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون ؟) وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد . فقال تعالى (نحن خلقناكم) أى نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الأولى والأخرى ؟ ولهذا قال (فلولا تصدقون ؟) أى فهلا تصدقون بالبعث اثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله (أفرايتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟) أى أأنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) أى صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والأرض (وما نحن بمسبوقين) أى وما نحن بعاجزين (على أن نبدل أمثالكم) أى تغير خلقكم يوم القيامة (وننشئكم فيما لا تعلمون) أى من الصفات والأحوال . ثم قال تعالى (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أى قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة وهى البداءة قادر على النشأة الأخرى وهى الاعادة بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحيىها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (أو لم يك نطفة من منى يعنى ؟ ثم كان علقة فخلق سوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟)

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ *) أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ *
إِنَّا لَمَعْرِضُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَمْ نَجْعَلُ مِنْ الْمِزْنِ أَمْ نَحْنُ
الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا
أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَفَتْحًا لِلْعُقُومِينَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

يقول تعالى (أفرايتم ما تحرثون ؟) وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها (أنتم تزرعونوه ؟) أي تنبتونه في الأرض
(أم نحن الزارعون :) أي بل نحن الذي نقره قراره وتنبت في الأرض . قال ابن : وقد جرير حدثني أحمد بن الوليد
القرشي حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول
الله ﷺ « لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت » قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قوله تعالى (أفرايتم
ما تحرثون أنتم تزرعونوه أم نحن الزارعون ؟) ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمي به وقال ابن
أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن عطاء عن أبي عبد الرحمن : لا تقولوا زرعنا ولكن
قولوا حرثنا . وروى عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ (أنتم تزرعونوه أم نحن الزارعون) وأمثالها يقول بل
أنت يارب . وقوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاما) أي نحن أنبتناه باطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم
و لو نشاء لجعلناه حطاما أي لأيسئناه قبل استوائه واستحصاده (فظلمت تفكهن) ثم فسر ذلك بقوله
(إنا لمعمون * بل نحن محرومون) أي لو جعلناه حطاما لظلمت تفكهن في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة
إنا لمعمون أي للمقون وقال مجاهد وعكرمة إنا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة تقولون بل نحن محرومون . وقال
مجاهد أيضا إنا لمعمون ملقون للشر أي بل نحن محارفون قاله قتادة أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد
بل نحن محرومون أي مجدودون يعني لا حظ لنا وقال ابن عباس ومجاهد (فظلمت تفكهن) تعجبون وقال مجاهد أيضا
فظلمت تفكهن تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع إلى الأول وهو التعجب من السبب الذي
من أجله أصيبوا في ما لهم وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة فظلمت تفكهن تلاومون وقال الحسن وقتادة
والسدي فظلمت تفكهن تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائي تفكهن الأضداد
تقول العرب تفككت بمعنى تنعمت وتفككت بمعنى حزنت . ثم قال تعالى (أفرايتم الماء الذي تشربون * أنتم
انزله من الزن) يعني السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد (أم نحن المنزلون) يقول بل نحن المنزلون (لو نشاء
جعلناه أجاجا) أي زعاقا مرا لا يصلح لشرب ولا زرع (فلولا تشكرون) أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في
إنزاله المطر عليكم عذابا زلالا (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون * ينبت لكم به الزرع والثبتون والنخيل
والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عثمان بن سعيد
ابن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال « الحمد لله الذي سقانا
عذابا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » : ثم قال (أفرايتم النار التي تورون) أي تقدحون من
الزناد وتستخرجونها من أصلها (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها
وللعرب شجرتان (إحداهما) الرخ (والأخرى) العفار إذا أخذ منها غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من
بينهما شرر النار . وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد وقتادة أي تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر
لنا أن رسول الله ﷺ قال « يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » قالوا يا رسول الله ان
كانت لكافية : قال « إنها قد ضربت بالبحر ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها » وهذا الذي أرسله

قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » وقال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار بنى آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال « إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة به وفي لفظ « والذي نفسى بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » وقد قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الحلال حدثنا إبراهيم بن النضر الحزامي حدثنا معن بن عيسى التراز عن مالك عن حماد بن عيسى عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لمى أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » قال الضياء المقدسي وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح . وقوله تعالى (ومتاعا للقيوم) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي يعني بالقيوم المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم أقوت النار إذا رحل أهلها وقال غيره التي والقيوم القفر الخالي البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القوي ههنا الجائع وقال ليث ابن أبي سليم عن مجاهد ومتاعا للقيوم للحاضر والسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفي عن مجاهد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله للقيوم يعني المستمعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غنى وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والاضاءة وغير ذلك من النافع ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن السافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصلطى بها واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدش حبان بن زيد الشرعي الشامي عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء في ثلاثة : النار والكلاء والماء » وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يمنعن : الماء والكلاء والنار » وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة وثمنه ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم وقوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحاً أجاباً كالبحار الملوحة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجراً لهم في المعاد

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلُ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

قال جوييز عن الضحاك : إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين لاهبها زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه (إنه لقُرْآنٌ كَرِيمٌ) وقال آخرون ليست لازائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها : لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وهكذا ههنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم

ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم . وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله (فلا أقسم) فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل أقسم . واختلفوا في معنى قوله (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبير من سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفزقا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) نجوم القرآن ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حمزة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارفها . وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها . وعن الحسن أيضا أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة وقال الضحاك (فلا أقسم بمواقع النجوم) يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا . وقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمتها لعظمت القسم به عليه (إنه لقرآن كريم) أي إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم (في كتاب مكنون) أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن جرير حدثني موسى بن إسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) قال الكتاب الذي في السماء . وقال العوفي عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) يعني الملائكة ، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن نور حدثنا معمر عن قتادة (لا يمسه إلا المطهرون) قال لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوس النجس ، والمناقق الرجس ، وقال وهو في قراءة ابن مسعود ما يمسه إلا المطهرون وقال أبو العالية (لا يمسه إلا المطهرون) ليس أتم أتم أصحاب الذنوب وقال ابن زيد زعمت كفار قريش أن هذا القرآن نزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به . وقال آخرون (لا يمسه إلا المطهرون) أي من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم أن لا يمسه القرآن إلا طاهر . وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يمسه القرآن إلا طاهر » وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا ينبغي الأخذ به وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاصم وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم : وقوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مزية فيه وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى (أفبهذا الحديث أتم مدهنون) قال العوفي عن ابن عباس أي مكذبون غير مصدقين ، وكذا قال الضحاك وأبو حمزة والسدي ، وقال مجاهد (مدهنون) أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركوا اليهم (وتعملون رزقكم أنكم تكذبون) قال بعضهم معنى وتعملون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون أي تكذبون بدل الشكر ، وقد روى عن علي وابن عباس أنهما قرآها (وتعملون شكركم أنكم تكذبون) كما سيأتي ، وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة أزد شنومة ما رزق فلان بمعنى شكر فلان : وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي بن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم « وتعملون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا » وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخول بن إبراهيم الهذلي وابن جرير عن محمد بن النعمان عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن أبي بكير ثلاثهم عن إسرائيل بن مرفوعا، وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو اللوزي به وقال حسن غريب وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى ولم يرفعه . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس (وتعملون شكركم أنكم تكذبون) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وقال مالك في الوطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر مماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال : « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافري ومؤمن بالكوكب » أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به . وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا » انفرد به مسلم من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يعسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد معنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يستقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم أبقى من نوء الثريا فقال العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سباعا قال فما مضت ساعة حتى مطروا وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بازال المطر لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزل المطر فان هذا هو المنهى عن اعتقاده وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال « كذبت بل هو رزق الله » . ثم قال ابن جرير حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين - ثم قال - (وتعملون رزقكم أنكم تكذبون) يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا » . وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا « لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدع » . وقال مجاهد (وتعملون رزقكم أنكم تكذبون) قال قولهم في الأنواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بشئ ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب فعنى قول الحسن هذا وتعملون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله (أفبهذا الحديث أتم مدعونكم * وتعملون رزقكم أنكم تكذبون)

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ * وَلَكِنْ لَا تَنْبَصِرُونَ * ﴾

﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى (فلولا إذا بلغت الخلقوم) أى الروح (الخلقوم) أى الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى (كلا إذا

بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق) ولهذا قال ههنا (وأتم حينئذ تنظرون) أى إلى المختصر وما يكابده من سكرات الموت (ونحن أقرب إليه منكم) أى بملائكتنا (ولكن لا تبصرون) أى ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الأخرى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله تعالى (فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعنى محاسبين وروى عن مجاهد وعكرمة والحسن وقادة والضحاك والسدى وأبى حمزة مثله

وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى (فلو لا إن كنتم غير مدينين) غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس وعن مجاهد (غير مدينين) غير موقنين وقال ميمون بن مهران غير معذنين مقهورين

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ * إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ولهذا قال تعالى (فأما إن كان) أى المختصر (من المقربين) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض الباحات (فروح وريحان وجنة نعيم) أى فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء إن ملائكة الرحمة تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان . قال طي بن أبى طلحة عن ابن عباس (فروح) يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد : إن الروح الاستراحة وقال أبو حمزة الراحة من الدنيا وقال سعيد بن جبير والسدى الروح الفرح وعن مجاهد (فروح وريحان) جنة ورخاء وقال قتادة فروح فرحة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (وجنة نعيم) وقال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين حتى يوثق بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه وقال محمد بن كعب لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم أهل النار ، وقد قدمنا أحاديث الاختصار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت) ولو كتبت ههنا لكان حسنا ، وأجلها حديث تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى فلان فانتبه به فإنه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، اثنتى فلاريحه ، - قال - فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان - أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك » وذكر عام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية

قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (فروح وريحان) برفع الراء وكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث هارون وهو ابن موسى الأعور به وقال الترمذى لا نعرفه إلا من حديثه وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقر فقرأوا (فروح وريحان) بفتح الراء

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع مرة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ أتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يكون النسم طيرا يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » . هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى يعلق يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضا ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » . وهذا إسناد عظيم ومتن قوي وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » الحديث وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيئا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعت يقول حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله » قال فأكب القوم فيكون فقال ما يبكيكم ؟ فقالوا إنا نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه إذا احتضر (فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم) فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل للقاءه أحب (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقاءه أكره ، هكذا رواه الإمام أحمد ، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها شاهد لعنه . وقوله تعالى (وأما إن كان من أصحاب اليمين) أى وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى تبشرهم بالملائكة بذلك تقول لأحدهم سلام لك أى لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزله عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم) وقال البخاري (فسلام لك) أى مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت إن بقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إنى مسافر عن قليل وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه والله أعلم . وقوله تعالى (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) أى وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى (فنزل) أى فضيافة (من حميم) وهو اللذاب الذى يصهر به مافى بطونهم والجلود (وتصلية جحيم) أى وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته : ثم قال تعالى (إن هذا لهُو حق اليقين) أى إن هذا الخبر لهُو حق اليقين الذى لا مرية فيه ولا عيب لأحد عنه (فسبح باسم ربك العظيم) . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقي حدثني إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسبح باسم ربك العظيم) قال « اجعلوها فى ركوعكم » ولما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ « اجعلوها فى سجودكم » وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به ، وقال روح بن عباد حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » هكذا رواه الترمذي من حديث روح ورواه هو والنسائي أيضا من حديث حماد ابن سلمة من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم به وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير وقال البخاري فى آخر كتابه حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ورواه تميمية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله

آخر تفسير سورة الواقعة لله الحمد والمئة .

(تفسير سورة الحديد وهي مدنية)

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقة بن الوليد حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرياض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ السجرات قبل أن يرقد وقال « إن فيهن آية أفضل من ألف آية وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقة به وقال الترمذي حسن غريب ورواه النسائي عن ابن أبي السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ يذكره مرسلًا لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) كما سيأتي بيانه قريبًا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي من الحيوانات والنباتات كما قال في الآية الأخرى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً) وقوله تعالى (وهو العزيز) أي الذي قد خضع له كل شيء (الحكيم) في خلقه وأمره وشرعه (له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) أي هو المالك للتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء (وهو على كل شيء قدير) أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية أنها أفضل من ألف آية ، وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري؟ قال ما هو؟ قلت والله لا أتكلم به قال : فقال لي أئسي من شك؟ قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك) الآية قال وقال لي إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً . وقال البخاري قال يحيى : الظاهر على كل شيء علماً والباطن على كل شيء علماً وقال شيخنا الحافظ اللزى يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن ليس دونك شيء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر . وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وقد روى الحافظ أبو يعلى اللوصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبه حدثنا يونس حدثنا السري بن إسماعيل

عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم خمس ما يدرى ما يقول فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فائق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر » . السرى بن إسماعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جدا والله أعلم . وقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد لمعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونهم . ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف . ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإن فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع سموات - ما بين كل سماء من سماء السحاب والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين ، ثم قال هل تدرون ما الذي تحتم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما الذي تحت ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإن تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع أرضين - بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ثم قال الترمذى هذا حديث غريب من هذا الوجه وروى عن أيوب ويونس يعنى ابن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه انتهى كلامه . وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن شرح عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وعنده وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبع مائة عام وقال : لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ورواه ابن أبي حاتم والبخاري عن حديث أبي جعفر الرازى عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره وهو قوله لو دليتم بحبل وإنما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقال البخاري لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة ورواه ابن جرير عن بشر بن يزيد عن سعيد عن قتادة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ مر عليهم سحاب فقال : هل تدرون ما هذا . وذكر الحديث مثل سياق الترمذى سواء إلا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روى من حديث أبي ذر الغفارى رضى الله عنه وأرضاه رواه البخاري في مسنده والبيهقى في كتاب الأسماء والصفات ولكن في إسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض من أين جئتم قال أحدهم أرسلنى ربى عز وجل من السماء السابعة وتركته ، ثم قال الآخر أرسلنى ربى عز وجل من الأرض السابعة وتركته ، ثم قال الآخر أرسلنى ربى من المشرق وتركته ، ثم قال الآخر أرسلنى ربى من المغرب وتركته . وهذا حديث غريب جدا وقد يكون الحديث الأول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهاها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يعلم ما يلج في الأرض) أى يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر (وما يخرج منها) من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) أى من الأمطار ، والثلوج والبرد والاقطار . والاحكام مع الملائكة الكرام . وقد تقدم فى سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى المكان الذى يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى وقوله تعالى (وما يعرج فيها) أى من الملائكة والأعمال كما جاء فى الصحيح « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » وقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القمار الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره ومعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى (ألا إنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) فلا إله غيره ولا رب سواه ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وروى الحافظ أبو بكر الاسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة ابن جنادة بن حفص بن علقمة حدثني أبي عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عامر قال : قال عمر جابر رجل إلى النبي ﷺ فقال زدنى حكمة أعيش بها فقال « استمع الله كما تستحي رجلا من صالحى عشيرتك لا يفارئك » هذا حديث غريب وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن علوية العامري مرفوعا « ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان إن عبد الله وحده وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام ولم يعط الهرمة ولا الرذية ولا الشرطة اللثيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه » وقال رجل يارسول الله ماتزكية المرء نفسه فقال « يعلم أن الله معه حيث كان » . وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » غريب وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يفتش هذين البيتين :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) أى هو المالك للدينا والآخرة كما قال تعالى (وإن لنا الآخرة والأولى) وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة) وقال تعالى (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) فجميع ما فى السموات والأرض ملك له وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا) ولهذا قال (وإلى الله

ترجع الأمور) أى إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذى لا يحور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدكم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها (ويؤت من لده أجرًا عظيمًا) وكما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . وقوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى هو المتصرف في الخلق يقبّل الليل والنهار ويقدرها بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به بخلقهم (وهو عليهم بقدرات الصدور) أى يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت

﴿ ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَاَنْفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِ فَاَلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَاَنْفَقُوْا لَهُمْ اُجْرٌ كَرِيْمٌ * وَمَا اَسْكُمُ لَا تُوْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ لِتُوْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيْثَقَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ * ذُو الَّذِيْ يُنَزِّلُ حَتٰى عَبْدِهِ ءَايٰتٍ بَيِّنٰتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ وَاِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ * وَمَا لَكُمْ اَلَّا تُنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلِلّٰهِ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا يَسْتَوِيْ مِنْكُمْ مَّنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ اُولٰٓئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِيْنَ اَنْفَقُوْا مِنْۢ بَعْدُ وَقَتْلًا وَكَلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحَسَنٰى وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ * مَّنْ ذَا الَّذِيْ يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهٗ لَهُ وَلَهٗ اُجْرٌ كَرِيْمٌ ﴾

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته فان يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لترحمهم الواجبات فيه ، وقوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه إشارة إلى أنه سيكون خلفاً عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أوعصى الله فيه فتكون قد سبعت في معاوته على الأثم والعدوان . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال أتته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فألبست أو تصدقت فأفمضت ؟ » ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد « وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس » وقوله تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ؟) أى وأى شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقدرونا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه « أى المؤمنين أعجب إليكم إيماناً - قالوا الللائكة قال - وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ - قالوا فالأنبياء : قال : وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم - قالوا فنحن قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يحبون بعدكم يحدون صحفاً يؤمنون بما فيها وقد ذكرنا طرفاً من هذه في أول سورة البقرة عند قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلمتم معنواً أطمعنا) ويعنى بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذى أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد فالله أعلم وقوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات) أى حججا واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى

واليقين والإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أى فى انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالإيمان والانفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانع حثهم أيضا على الانفاق فقال (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله والله ميراث السموات والأرض ؟) أى أنفقوا ولا تخشوا فقرا وإقلا فان الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والأرض ويده مقاليدهما وعنده خزائنها وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال (ما عندكم ينفدوما عند الله باق) فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى العرش إقلا وعلم أن الله سيخلفه عليه وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ودخل الناس فى دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيعون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « دعوا لى أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا مابلغتم أعمالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد اللواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه الشجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلا يقولون : صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذى فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا من هم يا رسول الله أقريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا » قلنا أم خير منا يا رسول الله ؟ قال : « لو كانت لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفة إلا أن هذا فضل ما بيننا وبين الناس (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خير) وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد الخمار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا من هم يا رسول الله قريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوبا » وأشار يده إلى اليمن فقال « هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » قلنا يا رسول الله هم خير منا ؟ قال : « والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خصره وقال « ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده كما فى قوله تعالى فى سورة الزمل وهى مكة من أوائل ما نزل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية فهى بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى المنفقين قبل الفتح

النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبَيْتُ الْمَصِيرِ

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسمى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (يسمي نورهم بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يعمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقدم مرة ويطلق مرة ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعا فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه » وقال سفيان الثوري عن حصين عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية قال إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ (يسمي نورهم بين أيديهم) وقال الضحاك ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة فإذا اتهموا إلى الصراط طفيء نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفيء نور المنافقين فقالوا ربنا أقم لنا نورنا ، وقال الحسن (يسمي نورهم بين أيديهم) يعني على الصراط . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب أخبرنا عمي عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم » فقال له رجل يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك ؟ فقال : أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيامهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم وأعرفهم بنورهم يسمي بين أيديهم .

وقوله (وبأيمانهم) قال الضحاك أي وبأيامهم كتبهم كما قال (فمن أوتي كتابه يمينه) وقوله (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي يقال لهم بشراكم اليوم جنات أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار (خالدون فيها) أي ما كثرين فيها أبدا (ذلك هو الفوز العظيم) وقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأحوال المزعجة . والزلازل العظيمة ، والأمور الفظيعة وإنه لا يتجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو أمامة : أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تفتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن ، نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا ، وهو المثل الذي ضرب به الله تعالى في كتابه فقال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير ، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انظروا لنا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال (يخادعون الله وهو خادعهم) فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا ارطاة بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج

عن أبي أمامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون (انظرونا تفتبس من نوركم) وقال العوفي والضحاك وغيرها عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ (انظرونا تفتبس من نوركم) فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا ورائكم) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن علويه العطار حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسماهم سترًا منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطى كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فإذا استوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا تفتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا »

وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى (وبينهما حجاب) وهكذا روى عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح (باطنه فيه الرحمة) أى الجنة وما فيها (وظاهره من قبله العذاب) أى النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما ، قال ابن جرير وقد قيل إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادى جهنم . ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول إن السور الذى ذكره الله فى القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقى باطنه للمسجد وما يليه وظاهره وادى جهنم . ثم روى عن عبادة بن الصامت وكعب الأحرار وعلى بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك ، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لا أن هذا هو الذى أريد من القرآن هذا الجدار العيين ونفس المسجد وما وراءه من الوادى المعروف بوادى جهنم فإن الجنة فى السموات فى أعلى عليين والنار فى الدركات أسفل سافلين ، وقول كعب الأحرار إن الباب المذكور فى القرآن هو باب الرحمة الذى هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته ، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه فإذا استكملوا دخولهم أعلق الباب وبقي المنافقون من ورائه فى الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا فى الدار الدنيا فى كفر وجهل وشك وحيرة (ينادونهم ألم نكن معكم أى ينادى المنافقون المؤمنين أما كننا معكم فى الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلى معكم الجماعات ، وقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ونؤدى معكم سائر الواجبات ؟) (قالوا بلى) أى فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى) قال بعض السلف أى فتنتم أنفسكم بالذات والمعاصى والشهوات وتربصتم أى أخرتم التوبة من وقت إلى وقت . وقال قتادة (تربصتم) بالحق وأهله (وارتبتم) أى بالبعث بعد الموت (وغرتكم الأمانى) أى قلتم سيففر لنا وقيل غرتكم الدنيا (حتى جاء أمر الله) أى ما زلتم فى هذا حتى جاءكم الموت (وغرتكم بالله الغرور) أى الشيطان ، قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قدفهم الله فى النار : ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا أى بأبدان لانية لها ولا قلوب معها وإنما كنتم فى حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تدكرون الله إلا قليلا ، قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء ينادونهم ويعشونهم ويعاشرهم وكانوا معهم أمواتا يعطون النور جميعا يوم القيامة ، وبطناً النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ . وهذا القول من المؤمنين لانيافى قولهم الذى أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) فى جنات يتساءلون * عن الجرمين * ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخافضين * وكنا نكذب

يوم الدين * حتى أتانا اليقين) فهذا إنما خرج منهم على وجه التفرع لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) كما قال ههنا (فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أى لوجاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى (ما أوتاكم النار) أى هى مصيركم وإليها منقلبكم ، وقوله تعالى (هى مولاكم) أى هى أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتبا بكم وبش المصير

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلَافٍ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ * أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْتَ لَكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والوعظة وسماع القرآن فتفهمه وتتقاه له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين الروزى عن ابن المبارك به . ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن هلال يعنى الليثى عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية إلا أربع سنين كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب ، وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأبلج عن ابن وهب به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعى عن أبي حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار فى مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبي حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره وقال سفيان الثورى عن المسعودى عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) وقال قتادة (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع » . وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم واشتروا به تمنا قليلا وبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المتضكة ، وقلدوا الرجال فى دين الله واتخذوا أجماعهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد (وكثير منهم فاسقون) أى فى الأعمال قلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى (فيها تعضضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) أى فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيته تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التى أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم فى شئ من الأمور الأصلية والفرعية

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور ابن العتمر عن الربيع بن أبي عميلة الفزارى قال حدثنا عبد الله بن مسعود حدثنا ما سمعت أعجب إلى منه إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوت قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهوراتهم

فقالوا تمالوا ندع بنى إسرائيل إلى كتابنا هذا فمن تابنا عليه تركناه ومن كره أن يتابنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل في بنى إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه إن تابعكم فسيتابكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه ، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أتؤمن بما في كتابنا هذا ؟ قال وما فيه ؟ اعرضوه على فرسوه عليه إلى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا ؟ قال نعم آمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذى القرن « قال ابن مسعود وإنكم أوشتكم إن بقيتم أوبق من بقي منكم أن تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره . وروى أبو جعفر الطبرى حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ، إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوت قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثنوديه فلما قيل له أتؤمن بهذا ؟ قال آمنت به ويوحى إلى القرنين ثنوديه ، ومالى لا أومن بهذا الكتاب ؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن . وقوله تعالى (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهذى الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكرب بعد شدتها فكما يحيى الأرض الميتة المحدبة الهامدة بالنيث الهتان الوابل كذلك يهذى القلوب القاسية يراهم القرآن والدلائل ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الضلال ، واللصل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل فى جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال

(إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)

يخبر تعالى عما يشيب به الصديقين والصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والسكنة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال (بضاعف لهم) أى يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك (ولهم أجر كريم) أى ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ، قال العوفى عن ابن عباس قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصلة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) وقال أبو الضحى (أولئك هم الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال هم ثلاثة أصناف : يعنى الصديقين والصدقين والشهداء ، كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن

الصدیق اعلیٰ مقاماً من الشہید كما رواہ الإمام مالک بن انس رحمہ اللہ فی کتابہ الموطأ عن صفوان بن سلیم عن عطاء بن یسار عن أبی سعید الخدری أن رسول اللہ ﷺ قال « إن أهل الجنة لیتراءون أهل الغرف من فوقہم كما تتراءون الکوکب الدری الغابر فی الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بینہم » قال یا رسول اللہ تلك منازل الأنبیاء لا یبلغها غیرہم قال « بلی والذی نفسی بیده رجال آمنوا باللہ وصدقوا المرسلین » اتفق البخاری ومسلم علی إخراجہ من حدیث مالک بہ ، وقال آخرون بل المراد من قوله تعالیٰ (أولئك هم الصدیقون والشہداء عند ربہم) فأخبر (١) عن المؤمنین باللہ ورسولہ بأنہم صدیقون وشہداء حکاہ ابن جریر عن مجاہد ثم قال ابن جریر حدثنی صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعیل بن یحییٰ حدثنا ابن عجلان عن زید بن أسلم عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول اللہ ﷺ یقول « مؤمنو أمی شہداء » قال ثم تلا النبی ﷺ هذه الآیة (والذین آمنوا باللہ ورسولہ أولئك هم الصدیقون والشہداء عند ربہم) هذا حدیث غریب . . وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون فی قوله تعالیٰ (والذین آمنوا باللہ ورسولہ أولئك هم الصدیقون والشہداء عند ربہم لهم أجرهم ونورهم) قال یجیئون یوم القیامة معاً کالصابعین . وقوله تعالیٰ (والشہداء عند ربہم) أى فی جنات النعیم كما جاء فی الصحیحین « إن أرواح الشہداء فی حواصل طیر خضر تسرح فی الجنة حیث شاءت ثم تأوی إلى تلك القنادیل فاطلع علیہم ربک اطلاعة فقال ماذا تريدون ؟ فقالوا نحب أن تردنا إلى الدار الدنیا فنقاتل فبک فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال إنی قد قضیت أنہم إليها لا یرجعون » : وقوله تعالیٰ (لهم أجرهم ونورهم) أى لهم عند اللہ أجر جزیل ونور عظیم یسعی بین أیدیہم وہم فی ذلك یتفاوتون بحسب ما كانوا فی الدار الدنیا من الأعمال كما قال الإمام أحمد حدثنا یحییٰ بن إسحاق حدثنا ابن لہیعۃ عن عطاء بن دینار عن أبی یزید الخولانی قال سمعت فضالة بن عبید یقول سمعت عمر بن الخطاب یقول سمعت رسول اللہ ﷺ یقول « الشہداء أربعة رجل مؤمن جید الإیمان لقی العدو فصدق اللہ فقتل فذاك الذی ینظر الناس إلیہ ہکذا » ورفع رأسہ حتی سقطت قلنسوة رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وقلنسوة عمر « والثانی مؤمن لقی العدو فکانما یضرب ظہرہ بشوک الطلح جاءہ سهم غرب فقتلہ فذاك فی الدرجة الثانیة ، والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سئواً لقی العدو فصدق اللہ حتی قتل فذاك فی الدرجة الثالث ، والرابع رجل مؤمن أسرف علی نفسه إسرافاً کثیراً لقی العدو فصدق اللہ حتی قتل فذاك فی الدرجة الرابعۃ » وھکذا رواہ علی بن المدینی عن أبی داود الطیالسی عن ابن المبارک عن ابن لہیعۃ ، وقال هذا إسناد مصری صالح ، ورواہ الترمذی من حدیث ابن لہیعۃ وقال حسن غریب ، وقوله تعالیٰ (والذین کفروا وکذبوا بآیاتنا أولئك أصحاب الجحیم) لما ذکر السعداء وما لہم عطف بذکر الأشقیاء و بین حالہم

﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

یقول تعالیٰ موہنا أمر الحیاة الدنیا وعقرها لہا (إنما الحیاة الدنیا لعب ولہو وزینۃ وتفاحر بینکم وتکاثر فی الأموال والأولاد) أى إنما حاصل أمرہا عند أهلہا هذا ، كما قال تعالیٰ (زین للناس حب الشهوات من النساء والبنین والقناطیر المقنطرة من ذهب والفضۃ والحیل المسومة والأنعام والحرت ذلك متاع الحیاة الدنیا واللہ عنده حسن المآب) ثم ضرب تعالیٰ مثل الحیاة الدنیا فی أنها زہرة فانیة ونعمۃ زائلة فقال (کمثل غیث) وهو المطر الذی یأتی

(١) قوله : فأخبر ، ہکذا فی النسخ ولعل فی البارہ تحریفاً . والصواب الإخبار ، أو أن یخبر .

بعد قنوط الناس كما قال تعالى (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)
 وقوله تعالى (أعجب الكفار نباته) أى يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك
 تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرم من شئ عليها وأميل الناس إليها (ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) أى
 يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرًا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله حطاما أى يصير يبسا متحطما هكذا
 الحياة الدنيا تكون أو لا شابة ثم تكتمل ثم تكون عجوزا شوهاء ، والإنسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان
 شبابه غضا طريا لين الأعطاف ، بهى النظر ثم إنه يشرع فى السكولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا
 كبيرا ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشئ اليسير كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
 قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها
 وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيها من الخير فقال (وفى الآخرة عذاب شديد
 ومغفرة من الله ورضوان * وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا :
 إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان . وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى هى متاع فان غار لمن
 ركن إليه فانه يفتربها وتعجه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .
 قال ابن جرير حدثنا على بن حرب اللوصلى حدثنا المحاربى حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا (وما الحياة الدنيا إلا
 متاع الغرور) » وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير
 ووكيع كلاهما عن الأعمشى عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك
 نعله والنار مثل ذلك » انقرد بإخراجه البخارى فى الرقاق من حديث الثورى عن الأعمش به . ففى هذا الحديث دليل
 على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل
 الطاعات وترك المحرمات التى تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى (ساقبوا إلى مغفرة
 من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى فى الآية الأخرى
 (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وقال ههنا (أعدت للذين آمنوا
 بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى هذا الذى أهلهم الله له هو من فضله ومنه
 عليهم وإحسانه إليهم كما قدمنا فى الصحيح أن قراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور
 بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال « وما ذاك . » قالوا يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا تصدق
 ويعتقون ولا نعتق قال « أفلا أدلكم على شئ إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من
 صنع مثل ما صنعتم . تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال فرجعوا فقالوا سمعنا وأطعنا
 أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي بَاءَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ ﴾

يخبر تعالى عن قدره السابق فى خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم)
 أى فى الآفاق وفى نفوسكم (إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الخليفة ونبرأ النسمة وقال بعضهم
 من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على اللصية والأحسن عوده على الخليفة والبرية لدلالة الكلام عليها

كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) فسأله عنها فقال سبحانه الله ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النفسمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة في الأرض قال هي السنون يعني الجذب (ولا في أنفسكم) يقول الأوجاع والأمراض ، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا يذهب وما يفواكه عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرة نفاة العلم السابق - فبحمهم الله - وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا أبو هانيء الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قدر الله القادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » . ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثهم عن أبي هانيء به وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله تعالى (إن ذلك على الله يسير) أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعلمناكم بتقديم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي جاءكم ، وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلها متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن ذلك ليس ببعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا . ثم قال تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) أي يفعلون النكر ويحضون الناس عليه (ومن يتول) أي عن أمر الله وطاعته (فإن الله هو الغني الحميد) كما قال موسى عليه السلام (إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد) .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات (وأنزلنا معهم الكتاب) وهو النقل الصدق (والميزان) وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة للمستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى (أئمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وقال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وقال تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) ولهذا قال في هذه الآية (ليقوم الناس بالقسط) أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الأوامر والنواهي ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات ، والنازل العاليات ، والسرر الصفوفات (الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . وقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وطاعه بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور للكية وكلها جدال مع المشركين ويان وإيضاح للتوحيد وبيانات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهوام لمن خالف القرآن

وكذب به وطأه . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي الليث الجرشى الشامي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولهذا قال تعالى (فيه بأس شديد) يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها (ومنافع للناس) أي في معاشهم كالسكة والفاس والتدوم والنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . قال علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان واليقعة يعني الطريقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله (إن الله قوي عزيز) أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليلو بعضكم بعضا

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْلَهُ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه منذ بث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالة كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل) وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) وهم الحواريون (رأفة) أي رقة وهي الحشية (ورحمة) بالخلق ، وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أي ابتدعها أمة النصارى (ما كتبناها عليهم) أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم . وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة ﴿ والآخر ﴾ ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ؟ وقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أي فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله ﴿ والثاني ﴾ في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرهم إلى الله عز وجل . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي حدثنا السري بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن مسعود » قلت لبيك يا رسول الله قال « هل علمت أن بني إسرائيل ائتمروا على اثنين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحق بالجبالات فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا داود بن المخبر حدثنا الصعق

ابن حزن حدثنا عقيل الجعدي عن أبي إسحاق الهمداني عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجما منهم ثلاث وهالك سائرهم » وذكر نحو ما تقدم وفيه « فأتينا الذين آمنوا منهم أجمعهم » هم الذين آمنوا بي وصدقوني (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين كذبوني وخالفوني « ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المخبر فانه أحد الوضاعين للحديث ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق ابن حزن به مثل ذلك فقوى الحديث من هذا الوجه وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له أخبرنا الحسين ابن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل فقبل للموكلهم ما نجد شيئا أشد من شتم يشتمونه هؤلاء إناهم يقرءون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) هذه الآيات مع ما يعيروننا به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما قرأوا وليؤمنوا كما آمنوا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقاتلوا ما يريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في القيافي ونحتفر الآبار ونحرق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) والآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان وتتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لاعلم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديريه فأمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) أجرين بإيمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والإنجيل وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال (ويجعل لكم نورا تمشون به) القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال (لئلا يعلم أهل الكتاب) الذين يتشبهون بكم (أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) هذا السياق فيه غرابة وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى اللوصلي حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثنا أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو يصلي صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته ؟ قال إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئا سهوت عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فذلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعا فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار ؟ قال ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكم البغي والحسد إن الحسد يطفيء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . وقال الإمام أحمد حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمى عن أبي إياس عن إياس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل » ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله » . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا عياض يعني إسماعيل عن الحجاج بن هارون الكلاعي وعقيل بن مدرك السلي عن أبي سعيد الحدرى رضي الله عنه أن رجلا جاءه فقال أوصني فقال سألت عما سألت عنه

رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك في السماء وذكرك في الأرض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَّا يَلْمِ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَيُّدِيَّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمنى أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » أخرجه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير ، وقال سعيد ابن جبيرة ما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين (أى ضعفين) (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يعنى هدى يتصربه من العمى والجهالة ويغفر لكم ، ففضلهم بالنور والغفرة رواه ابن جرير عنه . وهذه الآية كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ويفكر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبرا من أجبار يهود أفضل ماضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل (يؤتكم كفلين من رحمته) قال سعيد والكفلان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير . ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعلت اليهود ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعلت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأتتم الذين علمتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عمالا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا ؟ قالوا لا ، قال فأنما هو فضلى أوتيته من أشياء » قال أحمد وحدثنا مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفراد البخاري فرواه عن سلمان بن حرب عن حماد عن نافع به ، وعن قتبية عن الليث عن نافع بمثله . وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وماعملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكلوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكلوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر . قالوا ماعملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال أكلوا بقية عملكم فأنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا . فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » انفراد به البخاري ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أى ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله (وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) قال ابن جرير (لئلا يعلم أهل الكتاب) أى يعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لكي يعلم

وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير : قال ابن جرير لأن العرب تجعل لاصلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (مامنعك ألا تسجد) (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون) آخر تفسير سورة الحديد والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المجادلة مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

قال الإمام طي أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تسكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به . وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت تبارك الذي أوعى ممعه كل شيء . إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي طي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي وشرت له بطني حتى إذا كبرت سني واطقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك قالت فما برحت حتى أنزل جبريل بهذه الآية (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) قالت وزوجها أوس بن الصامت ، وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرءا به لم فكان إذا أخذه لمة واشتد به يظهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئا فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله فأنزل الله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لم فذكر مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجلات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدرى من هذه ؟ قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصلها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا النذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال للمرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التي أنزل الله فيها (ولا تكثرها فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنَّ أَهْمَتُهُمْ إِنْ أَهْمَتُهُمْ إِلَّا إِلَىٰ وَلَدَتِهِمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسًا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

قال الإمام أحمد حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قال حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه قالت فدخل على يومئذ فراجعت به شيء فغضب فقال أنت على كظهم أمة . قالت ثم خرج فجلس في نادى قومه ساعة ثم دخل على فإذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فوائبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به للمرأة الضعيف فألميته عنى قالت ثم خرجت إلى بعض جارأتى فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتق الله فيه » قالت فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاها ثم سرى عنه فقال لي « يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً - ثم قرأ على - قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله مميع بصير - إلى قوله تعالى - وللكاferين عذاب أليم) » قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « مريه فليحقق رقة » قالت فقلت يارسول ما عنده ما يفتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله إنه لشيخ كبير مابه من صيام قال « فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر » قالت فقلت والله يارسول الله ماذا عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانا سنعيه بفرق من تمر » قالت فقلت يارسول الله وأنا سأعيه بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسن فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيراً » قالت ففعلت . ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال لها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم بهذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الإطعام ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الأنصاري قال كنت امرأة قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتناج في ذلك إلى أن يدركني التهار وأنا لا أقدر أن أنزع فينأى هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمرى ، فقالوا لا والله لا تفعل تتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبق علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذلك » فقلت أنا بذلك فقال « أنت بذلك » فقلت أنا بذلك قال « أنت بذلك » قلت نعم ها أناذا فأمض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال « أعتق رقة » قال ففصرت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » قلت يارسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام قال « فتصدق » فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا ما لنا عشاء قال « اذهب إلى صاحب صدقة بني رزق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً من تمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وطي عيالك » قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقكم فادفعوها إلي فدفعوها إلي ، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد

التأمل قال خفيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوساً ظاهر مني وأنا إن افترقنا هلكنا وقد ثرت بطنى منه وقدمت صحبته وهى تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول الذى تجادلك فى زوجها وتشكى إلى الله - إلى قوله تعالى - وللـكافـرين عذاب أليم) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتقدر على رقبة تعتقها » قال لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عتقه ثم راجع أهله ورواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثر إلى ما قلناه والله أعلم بقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ثم فى الشرع كان الظهار فى سائر الأعضاء قياساً على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه فى جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية أنت على كظهر أمى حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر فى الاسلام أوس وكان تحتها ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط فى يديه ، وقال ما أراك إلا قد حرمت على وقالت له مثل ذلك قال فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عند ماشطة تمشط رأسه فقال « ياخويلة » ما أمرنا فى أمرك بشيء ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال « ياخويلة أبشري » قالت خيراً فقرأ عليها (قد سمع الله قول الذى تجادلك فى زوجها وتشكى إلى الله والله يسمع تحاوركما - إلى قوله تعالى - والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يناسا) قالت وأى رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيرى قال (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) قالت والله لولا أنه يشرب فى اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً) قالت من أين ما هى إلا أكلة إلى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعاً والوسق ستون صاعاً فقال : ليطعم ستين مسكيناً وليراجعكم . وهذا إسناد جيد قوى وسياق غريب ، وقد روى عن أبي العالية نحو هذا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن المروى حدثنا على بن العاصم عن دوداد بن أبي هند عن أبي العالية قال : كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار وكان ضرير البصر فقيرا سيء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت على كظهر أمى وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوماً فى شيء فقال أنت على كظهر أمى فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت عائشة وعائشه تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيلها فقالت يا رسول الله إن زوجى ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق وإنى نازعته فى شيء فغضب فقال أنت على كظهر أمى ولم يرد به الطلاق ولى منه عيل أو عيلان فقال « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأباصيتى قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يا رسول الله زوجى ضرير البصر فقير سيء الخلق وإن لى منه عيلاً أو عيلين وإنى نازعته فى شيء فغضب وقال أنت على كظهر أمى ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلى رأسه وقال « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأباصيتى قال ورأت عائشة وجه النبي صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها ورائك ورائك فتنحت فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غشيان ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحي قال يا عائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهبي فأنتى بزوجك » فانطلقت تسعى فجاءت به فإذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أستعذ بالله السميع العليم) بسم الله الرحمن الرحيم » قد سمع الله قول الذى تجادلك فى زوجها - إلى قوله - والذين يظاهرون من نسائهم . ثم يعودون لما قالوا) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها » قال لا قال « أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال والذى بعثك بالحق إنى إذا لم أكمل المرتين

والثلاث يكاد أن يشو بصرى قال « أفستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ » قال لا إلا أن تعينى قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أطعم ستين مسكينا » قال وحول الله الطلاق فجعله ظهارا ورواه ابن جرير عن ابن اللثي عن عبد الأعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق ، وقال سعيد بن جبيرة كان الأيلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الأيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة رواه ابن أبي حاتم نحوه وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله (من نسائهم) على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب وقوله تعالى (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم) أى لا تصير المرأة بقول الرجل أنت على كائى أو مثل أمى أو كظهر أمى وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك إنما أمه التى ولدته ولهذا قال تعالى (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى كلاما قاحشا باطلا (وإن الله لعفو غفور) أى مما كان منكم في حال الجاهلية ، وهكذا أيضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه التكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته يا أختي فقال « أختك هي ؟ » فهذا إنكار ولكن لم يجرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعممة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والقراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعي هو أن يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق ، وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحمل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الامساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فمضى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريرا لا يرفعه إلا الكفارة وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبيرة (ثم يعودون لما قالوا) يعنى يريدون أن يعودوا في الجماع الذى حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصري يعنى التشيان في الفرج وكان لا يرى بأسا أن ينشئ نيا دون الفرج قبل أن يكفر ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يتأسا) والى النكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له أن يقبلها ولا يمسا حتى يكفر . وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إنى ظهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال « ما حملك على ذلك يرحمك الله » قال رأيت خلخالها في ضوء القمر قال « فلا تقر بها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل » وقال الترمذى حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسل قال النسائي وهو أولى بالصواب وقوله تعالى (فتحرير رقبة) أى فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتأسا فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلقه هنا على ما قيد هناك لاتحاد الوجوب وهو عتق الرقبة واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعتقها فإنها مؤمنة » وقد رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن مسلم بن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال إنى ظهرت من امرأتى ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتأسا » قال أعجبتنى ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة وقوله تعالى (ذلكم توعظون به) أى تزجرون به (والله بما تعملون خير) أى خير بما يصلحكم علم بأحوالكم

وقوله تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يماس فن لم يستطيع فاطعام ستين مسكينا) قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي عماره فلا تنتهكوها وقوله تعالى (وللكافرين عذاب أليم) أي الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كازعموا بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنُوا كَمَا لَعَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه (كتبوا كما كتب الذين من قبلهم) أي أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم بمن قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (وللكافرين عذاب مهين) أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والالتقياد له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد (فينبئهم بما عملوا) أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أي ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ، ثم قال تعالى يخبر عن إحاطة علمه بخلقه وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) أي من سر ثلاثة (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وحممه له كما قال تعالى (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) وقال تعالى (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ؟ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن معية أيضا مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال تعالى (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) قال الإمام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

قال ابن أبي نجیح عن مجاهد (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال اليهود، وكذا قال مقاتل ابن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود مودة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيم فترك طريقه عليهم فهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم يبتها وعادوا إلى النجوى فأنزله الله تعالى (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدوله حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى ؟ ألم تنهوا عن النجوى ؟ » قلنا تبنا إلى الله يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟ » قلنا بلى يا رسول الله ! قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل » هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء . وقوله تعالى (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم (والعدوان) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة : وعليكم السام قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » قلت ألا تسمعنهم يقولون السام عليك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو ما سمعت أقول وعليكم ؟ » فأنزله الله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » وقال ابن جرير : حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما قال ؟ » قالوا سلم يا رسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم » قال نعم فقال رسول الله ﷺ « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك » أي عليك ما قلت ، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وإنما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرهم فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يماجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفائتهم في الدار الآخرة (يصلونها فبئس المصير) ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (إسناد حسن ولم يخرجوه) وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجهمية

من كفره أهل الكتاب ومن مألهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون)
أى فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التى قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها ، قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا
همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت أخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يدين المؤمن
فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب
كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أن قد هلك قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم
يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »
أخرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون) أى إنما النجوى وهى السارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءا (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) يعنى إنما
يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه (ليحزن الذين آمنوا) أى ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئا
إلا بإذن الله ومن أحس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شيء بإذن الله

وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون فى ذلك تأذى على مؤمن كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع
وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه » أخرجاه من حديث الأعمش . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر
عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بأذنه
فان ذلك يحزنه » انفرد بأخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أُشْرُوا
فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وأمرالم أن يحسن بعضهم إلى بعض فى المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم
تفسحوا فى المجالس) وقرىء (فى المجلس) (فافسحوا يفسح الله لكم) وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء فى
الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » وفى الحديث الآخر « ومن يسر على معسر يسر الله
عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا
يفسح الله لكم) قال قتادة نزلت هذه الآية فى مجالس الله كرو ذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند
رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة
وكان رسول الله ﷺ يومئذ فى الصفة وفى المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس
من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن
يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر « قم يا فلان وأنت يا فلان » فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم
قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقام من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم
الكراهة فى وجوههم فقال المنافقون ألسنتم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأينا قبل عدل على
هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « رحم الله رجلا يفسح لأخيه » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لآخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به . وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » على شرط السنن ولم يخرجوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن مصعب عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به ولفظه « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد . وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث « قوموا إلى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاج في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي ﷺ حاكيا في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين « قوموا إلى سيدكم » وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يملكون من كراهته لذلك .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلس عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلى لأنهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول : « ليلى منكم أولو الأرحام والنهي ثم الدين يلوهم » ثم الدين يلوهم وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الدين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدرين أولا يأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الأفاضل إلى الامام وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان رسول الله ﷺ يمسح منا كبتنا في الصلاة ويقول « استوتوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلى منكم أولو الأرحام والنهي ثم الدين يلوهم ثم الدين يلوهم » قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافا ، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به وإذا كان هذا أمرهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف وحاذوا بين الناس كبوسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تدرجوا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفئدة الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث « ليلى منكم أولو الأرحام والنهي » وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولتقتصر على هذا المقدار من الامتزاج المتعلق بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الوضع وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدير الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخبر الثلاثة ، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد اللبي به وحسنه الترمذي. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أي إذا دعيت إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيت إلى الصلاة فارفعوا إليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك قصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي خير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث قفى عمر بن الخطاب بسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضى الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري والله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ ءَأَنْ تُقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰتِكُمْ صَدَقَتْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فإن لم تجدوا) أي إلامن عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أأشفقتم) أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال ابن أبي نجیح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي رضى الله عنه : آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة (الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن طي بن علقمة الأنماري عن طي رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لا يطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبي ﷺ « إنك لزهيد » قال فزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال طي : فبي خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن عثمان ابن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن طي بن علقمة الأنماري عن طي بن أبي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لي النبي ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعنى وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) - إلى - فان الله غفور رحيم (كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) نسخها الآية التي بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال على ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَالِسُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لامعهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) يعنى اليهود الذين كان المنافقون يماثلونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال تعالى (ما هم منكم ولا منهم) أى هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى الناقضين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيها حلفوا وهى اليقين العموس ولا سبأ في مثل حالهم اللعين عيادا بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الدين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيها حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم في آياتهم وشهادتهم لذلك . ثم قال تعالى (أعد الله لهم عذابا شديدا لمنهم ساء ما كانوا يعملون) أى أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهى موالات الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالإيمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاعتربهم فحصل بهذا صدق سبيل الله لبعض الناس (فلهم عذاب مهين) أى في مقابلة ما امتنعوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحاشية ثم قال تعالى (لن تقى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جمعا) أى يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا ينادر منهم أحدا (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء) أى يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لأن من عاش على شيء مات عليه ويثبت عليه ويستقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون أنهم على شيء) أى حلفهم ذلك لربهم عز وجل . ثم قال تعالى منكرا عليهم حسابهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا ابن نفيلا حدثنا زهير عن ممالك بن حرب حدثني سعيد بن جبيرة أن ابن عباس حدثنا أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجراته وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال « علام تشتنى أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه قال فانزل الله عز وجل (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون)

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن ممالك به ورواه ابن جرير عن محمد بن محمد بن المنثري عن غندر عن شعبة عن ممالك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن ممالك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وصل عنهم ما كانوا يفترون) ثم قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله) أى استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنسأهم أن يذكروا الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فمليك بالجماعة فائما يأكل الدب القاصية » قال زائدة قال السائب يعنى الصلاة في الجماعة . ثم قال تعالى (أولئك حزب الشيطان) يعنى الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله . ثم قال تعالى (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوْا آدُوْنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

﴿الْأَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين للمهادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي بجانبون للحق مشاقون لهم في ناحية والهدى في ناحية (أولئك في الأذلين) أي في الأشقياء البعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبذل بأن النصر له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة (وأن العاقبة للمتقين) كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال ههنا (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) أي كتب القوى العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبين أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أي لا يوادون المهادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم فقهة ويحذرهم الله نفسه) الآية وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته . وقيل في قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) في الصديق ثم يومئذ قتل ابنه عبد الرحمن (أو إخوانهم) في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ (أو عشيرتهم) في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وطى وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فآله أعلم

﴿قلت﴾ ومن هذا القليل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم السليين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للسليين وهم بنو النضير والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر لا أرى ما رأى يا رسول الله هل تمكنى من فلان قريب لعمرك فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا مادة للشركين القصة بكمالها وقوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) أي من انصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي (كتب في قلوبهم الإيمان) جعل في قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس (وأيدهم بروح منه) أي قواهم وقوله تعالى (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفي قوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والمشاكر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل المقيم . وقوله تعالى (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى (ألا إن حزب الله هم المفلحون) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الديال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : أعلم أن الجاه جاهان جاء يحريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وانهم الحامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله

عليه وسلم «إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعو، قلوبهم مصايح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة» فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال . قال رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فاني وجدت فيا أوحيتها إلى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) » قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواء أبو أحمد العسكري . آخر تفسير سورة المجادلة والله الحمد وللمنة

(تفسير سورة الحشر وهي مدنية)

(وكان ابن عباس يقول : سورة بني النضير)

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ، قال أنزلت في بني النضير ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال سورة بني النضير

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغُلَاءَ لَعَذَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات والأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقده ويصلى له ويوحده كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى منيع الجنباب (الحكيم) فى قدره وشرعه وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) بنى يهود بنى النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهرى وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذى لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذى لا يصد فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التى ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئا وجاءهم من الله ما لم يكن يالهم وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذربعات من أعالي الشام وهى أرض الحشر والنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خير ، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم فكانوا يخرجون ما فى بيوتهم من اللقوات التى يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى (يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) أى تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزى له فى الدنيا وما يدخره له فى الآخرة من العذاب الأليم ، قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبى ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة

قبل رجعة بدر إنكم أدنيتهم صاحبنا وإنا نقسم بالله لثقاتلنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى تقتل مقاتلتكم ونسي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم يهجم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه وسلم أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمننا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فحصرهم فقال لهم « إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاقدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتاب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يهادوه فهادوه فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتاب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى (وما آفأ الله على رسوله منهم فإ أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) تقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوى حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة ، ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب الغازي والسير أنه لما قتل أصحاب بدر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه وكانوا سبعين وأقلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكانت معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد قتلت رجلين لأديهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذيك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيا . قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذيك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيها حدثي زيد بن رومان وكانت بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذيك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجددوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن رجل يلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحننا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضى الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الصدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيق لحربهم والمسير إليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعييه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الحزرج منهم عبد الله بن أبي سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد

وداعس قد بشوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلّمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم
فترصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم
ويكف عن دماهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به
الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار
إلى الشام وخالوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء قسمها
على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجاجة - ممالك بن خرشة - ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش
وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاهما . قال ابن إسحاق وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليامين « ألم تر ما قبضت من ابن عمك وما هم به من شائي » فجعل يامين بن عمرو لرجل جعل على
أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون . قال ابن إسحاق ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا
روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنصر ما تقدم فقوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب)
يعني بني النضير (من ديارهم لأول الحشر) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي
سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال : من شك في أن أرض الحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذي
أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا »
قالوا إلى أين قال « إلى أرض الحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما
أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قال « هذا أول الحشر وأناطى الأثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن
ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى (ما ظننتم أن يخرجوا) أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها
ولهذا قال تعالى (وظنوا أنهم ما نهتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن
لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

وقوله تعالى (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم
الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قد تقدم
تفسير ابن إسحاق لذلك وهو تقض ما استحسنوه من سقوطهم وأبوابهم وتحملها على الإبل وكذلك قال عروة بن الزبير
وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر
على درب أودار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود إذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أودار تقبوا من
أدبارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) . وقوله (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء
لنذهب في الدنيا) أي لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر
من القتل والسبي ونحو ذلك قاله الزهري عن عروة والسدي وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار
الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب
الليث حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من
اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم في آتى من التوراة وكانوا من سبط لم يصيبهم الجلاء قبل ما سلب
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزل الله فيهم (سبح لله ما في السموات وما في الأرض - إلى قوله - وليخزي

(الفاسقين) وقال عكرمة : الجلاء القتل وفي رواية عنه الفناء ، وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد وقال الضحاك أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بغيرا وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعيد العوفي حدثني أبي عن عمي حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بغيرا وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى (ولهم في الآخرة عذاب النار) أي حتم لازم لا بد لهم منه . وقوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده للؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسوله المتقدمين في البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) . وقوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) الذين نوع من التمر وهو جيد . قال أبو عبيدة وهو ماخلف العجوة والبرني من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين : اللينة ألوان التمر سوى العجوة . قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقاتل بن حيان أنهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع يأذنه ومشيتته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم . وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا إنما هي مغنم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وإنما قطعه وتركه يأذنه ، وقد روى نحو هذا مرفوعا فقال النسائي أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) قال يستزولونهم من حصونهم وأمرهم بقطع النخل فحالك في صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله (ما قطعتم من لينة) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وعن أبي الزبير عن جابر قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عز وجل (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخيل بني النضير وحرق ، وأخرجه صاحب الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم وبنى قريظة وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالبي ﷺ فأمهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود بالمدينة ، ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخيل بني النضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله عز وجل فيه (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين)

وللبخارى رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

وهان على سرة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير ستعلم أينا منها بنزه وتعلم أى أرضينا لنضير كذا روى البخارى ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير

وقتل ابن الأشرف

لقد خزيت بشدتها الجبور	كذلك الدهر ذو صرف يدور	وذلك أنهم كفروا برب
عظيم أمره أمر كبير	وقد أوتوا معا فهما وعلموا	وجاءهمو من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا	وآيات مينة تنير	فقالوا ما أوتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير	فقال بلى لقد أديت حقا	بصدقى به الفهم الخير
فمن يتبعه يهد لكل رشد	ومن يكفر به يجز الكفور	فلما أشربوا غدرا وكفرا
وجد بهم عن الحق النفور	أرى الله النبي برأى صدق	وكان الله يحكم لايجور
فأيده وسلطه عليهم	وكان نصيره نعم النصير	فتودر منهمو كعب صريحا
فذلت بعد مصرعه النضير	على الكفين ثم وقد علته	بأيدينا مشهرة ذكورا
بأمر محمد إذ دس ليلا	إلى كعب أخا كعب يسير	فما كره فأنزله بمكر
ومحمود أخو ثقة جسور	فتلك بنو النضير بدار سوء	أبادهمو بما اجترم البير
غداة أتاهم في الزحف زهوا	رسول الله وهو بهم بصير	وغسان الحماة موازروه
على الأعداء وهو لهم وزير	فقال السلم ويحكمو فصدوا	وحالف أمرهم كذب وزور

فذاقوا غب أمرهمو وبالا لكل ثلاثة منهم بغير

وأجلوا عامدين لقيتقاع وغودر منهمونخل ودور

قال وكان مما قيل من الأشعار في بنى النضير قول ابن القيم العيسى ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعي :

أهلى فداء لامرئ غير هالك	أجلى اليهود بالحصى للزئم	يقولون في جمر العضاء وبدلوا
أهضب عودا بالودى للكمم	فان يك ظنى صادقا بمحمد	يروا خيله بين الصلاوير مرم
يؤم بها عمرو بن بهثة لإنهم	عدو وما حى صديق كمجرم	عليهن أبطال مساعير في الوغى
يهزون أطراف الوشيج للقوم	وكل رقيق الشفرتين مهند	تورث من أزمان عاد وجرم
فمن مبلغ عنى قريشا رسالة	فهل بعدهم في الجحد من متكرم	بأن أخاكم فاعلمن محمدا
تليد الندى بين الحجون وزمزم	فدينوا له بالحق تحسم أموركم	وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبي تلافته من الله رحمة	ولا تسألوه أمر غيب مرجم	فقد كان في بدر لعمرى عبرة
لكم يا قريش والقلب للملم	غداة آتى في الحزرجية عامدا	إليكم مطيما للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه	رسولا من الرحمن حقا بعلم	رسولا من الرحمن يتلو كتابه
فلما أنار الحق لم يتلعم	أرى أمره يزدداد في كل موطن	علوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه والله الحمد ولله . قال أبو إسحاق كانت وقعة بنى النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخارى عن الزهري عن عروة أنه قال كانت وقعة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنِيَ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَكْمُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتُوا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿

يقول تعالى مبينا ما النية وما صفته وما حكمه فالنبي كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاب خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجب للمسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أى لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمساولة بل نزل أولئك من الرعب الذى ألقى الله في قلوبهم من هبة رسول الله ﷺ فأفاء الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والصالح التى ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى من بني النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يعنى الابل (ولكن الله يسلم رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير) أى هو قدير لا يغال ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء ثم قال تعالى (ما أفاء على رسوله من أهل القرى) أى جميع البلدان التى تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى (فله وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) إلى آخرها والتى بعدها فهذه مصارف أموال النية ووجوهه . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمرو عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب للمسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقى جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل هكذا أخرجه أحمد هنا مختصرا ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به وقد رويناه مطولا . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن علي وعمر بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر بن عمر الزهرانى حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تعالى النهار فبحثه فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مال إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم ، قلت لو أمرت غيري بذلك فقال خذه فجاهد يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن سرف والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلى قال نعم ، فأذن لهما فدخلوا فقال العباس يا أمير المؤمنين : اقض بيني وبين هذا يعنى عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك بن أوس خيل إلى أنهما قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضى الله عنه ائتمنتم على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ثم أقبل على علي والعباس فقال أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فقالا نعم فقال إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحدا من الناس فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلم رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير) فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير فواقه ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقى اسوة للمال ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك؟ قالوا نعم ثم أقبل على العباس

فقال أنشد كما بالله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قال نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبحثت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليا أبو بكر ، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن ألها فبحثت أنت وهذا وأنتا جميع وأمر كما واحد فسألتها فقلت إن شئت فانا أدفعها إليك على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها فأخذتها مني على ذلك ثم جئتني لأقضي بينكما بغير ذلك والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزت عما عنها فرداها إلي ، أخرجوه من حديث الزهري به . قال الإمام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك ، قال وإن أهلي امرؤي أن آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنق وجعلت تقول كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكن وقد أعطانيهن أو كما قالت فقال نبي الله ﷺ « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال ويقول لك كذا وكذا قال حتى أعطاهما حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله أو كما قال رواه البخاري ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس التسمية وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد وقوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي جعلنا هذه المصارف لئلا يبقى ما كلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أن مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما أمر بخير وإنما ينهى عن شر قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة شيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتي الصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال فما وجدت فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فاني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة ، قالت فلعله في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والتفلجات للحسن ، الثغرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت ، قال مالي لا ألين من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى ، فقالت إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأته فقد وجدته أنا قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى ؟ قال فان رسول الله ﷺ ينهى عنه قالت إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت ما رأيت شيئا قال لو كان كذا لم تجا معنا . أخرجه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، وقد ثبت في الصحيحين أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » وقال النسائي أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حبان عن سعيد بن جبير عن عمرو بن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحتم والنقير والزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أى اتقوه فى امتثال أوامره وترك زواجره فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وار تكب ما عنه زجره ونهاه

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال النىء أنهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أى هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحاً لأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أى سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئتهم رواء البخارى ههنا أيضا . قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم) أى من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يا رسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال « لا ما أئتميت عليهم ودعوتم الله لهم » لم أره فى الكتب من هذا الوجه

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لآخواننا من المهاجرين منها قال « إما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم أثره » تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) أى ولا يجدون فى أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من اللزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة . قال الحسن البصرى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) يعنى الحسد (مما أوتوا) قال قتادة يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد وما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه يده الشمال فلما كان القدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لأحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثا ن رأيت أن تؤوبنى إليك

حتى تمضي فقلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تمار قلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحترق عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ا قال ما هو إلا ما رأيته ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيته غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تنطق ، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس فأنه أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) يعني مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك » قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يا رسول الله . وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعني حاجة أي يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أقيت لأهلك ؟ » فقال رضي الله عنه أقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أوج ما يكون إلى الماء فرداه الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم . وقال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يضيف هذا الليلة لرحمة الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخرية شيئا فقالت والله ما عندي إلا قوت الصبية قال فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم وتعالى فأطعم السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد عجب الله عز وجل - أضحك - من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعني عن داود بن قيس به .

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقر عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن المهدي عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا السعدي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وما ذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبش الشيء البخل . وقال سفيان الثوري عن طارق ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قني شح نفسي . لا يزيد علي ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني محمد بن إسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائة . وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق قراؤهم من مال التيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم التابعون لأنصارهم الحسنة وأوصافهم الجيلة الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أي قائلين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي بغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافض الذي يسب الصحابة ليس له في مال التيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبواهم ثم قرأت هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية وقال إسماعيل بن علي عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسبواهم . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تنذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البخاري ، وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال عمر رضي الله عنه (وما أفاء الله على رسوله منهم فإا أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهري : قال عمر رضي الله عنه : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عريضة وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . قال أيوب - أو قال حذ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع . وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة

ابن خالده عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين - حتى بلغ -
عليه حكم) ثم قال هذه لمؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى) الآية ثم قال
هذه لمؤلاء ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى - حتى بلغ - للفقراء - والذين
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه للمسلمين عامة وليس أحد إلا وله
فيها حق ثم قال : لئن عشت لياتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَتُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ
مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ * لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ
رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَتَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال
تعالى (ألم تر إلى الذين ناقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لننصرنكم) قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به إيمانهم
قالوا لهم قولا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم)
أي لا يقاتلون معهم (ولئن نصرهم) أي قاتلوا معهم (ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) وهذه بشارة مستقلة بنفسها ،
ثم قال تعالى (لئن أشد رهبة في صدورهم من الله) أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى (إذا
فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ثم قال تعالى
(لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) يعني أنهم من جنهم وهلمهم لا يقدرول على مواجهة
جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال
تعالى (بأسهم بينهم شديد) أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) ولهذا قال تعالى
(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال إبراهيم النخعي
يعني أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) . ثم قال تعالى (كتل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال
أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان يعني كتل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس
كتل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحق وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني
قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا . وقوله تعالى (كتل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني
بريء منك) يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتهم لننصرنكم
ثم لما حقت الحقائق وجدهم الحصار والقتال غلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثلهم في هذا كتل الشيطان إذ سول للانسان
- والعياذ بالله - الكفر فإذا دخل فيها سوله له تبرأ منه وتصل وقال (إني أخاف الله رب العالمين) . وقد ذكر بعضهم

هنا قصة لبعض عباد بنى إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله بن نهيك قال سمعت علياً رضى الله عنه يقول إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراد أن يأخذه فعمد إلى امرأة فأجها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبه فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعيتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجيك مما صنعت بك فاسجد لى سجدة فسجد له فلما سجد له قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين)

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن إبراهيم السعوى حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين) قال كانت امرأة ترمى الغنم وكان لها أربعة إخوة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقلها ثم ادفعها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأخكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ؟ قالوا فواتها ما هذا إلا لشيء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقى الشيطان فقال إني أنا الذى أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيا فأنه أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريحا اتهمته امرأة بغى بنفسها وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولى الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول ما لكم ما لكم . قالوا يا عبد الله فملت بهذه المرأة كذا وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال يا غلام من أبوك . قال أبى الراعى وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) أى فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرها إلى نار جهنم خالدين فيها (وذلك جزاء الظالمين) أى جزاء كل ظالم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَحْصَىٰ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن النضر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاء قوم حفاة عراة محتابى النار أو الباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة - إلى آخر الآية وقرأ الآية التى فى الحشر - ولتنظر نفس ما قدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمره » قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تابع الناس حتى رأيت كوميين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله ﷺ يهلك وجهه كأنه

مذهبة فقال رسول الله ﷺ « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينفسر من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » انقرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر

وقوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثان (إن الله خير بما تعملون) أي اعلوا أنه عالم بجميع أعمالكم واحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير . وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أي لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة الله المالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نعمة قال كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أما تعلمون أنكم تعدون وتروحون لأجل معلوم . فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو في عمل الله عزوجل فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عزوجل ، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عزوجل أن تكونوا أمثالهم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلو بالشقوة والسعادة أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط . قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تنفى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أتى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لها خاشعين) لا خير في قول لا يراد به وجهه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله . ولا خير فيمن يقلب جهله حله ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم . هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نعمة لا أعرفه بنى ولا إثبات غير أن أبا داود السجستاني قد حكى بأن شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه آخر والله أعلم . وقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أي لا يستوى هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا السيء قليلا ماتذكرون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض . أم نجعل المتقين كالفجار) . في آيات أخر دلالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا (أصحاب الجنة هم الفائزون) أي الناجون المسلمون من عذاب الله عزوجل

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

يقول تعالى معظما لأمر القرآن ومبيننا علو قدره وأنه ينبغي أن نخضع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من

الوعد الحق والوعيد الأكيد (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) أى فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبروا فيه لخشع وتصنع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لاتلين قلوبكم وتخضع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً) إلى آخرها يقول لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكذا قال قتادة وابن جرير . وقد ثبت في الحديث للتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له النبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع النبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو النبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إirاده فأتم أحق أن تشاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لومعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد معتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض أو كلم به الموتى) الآية وقد تقدم أن معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواء وكل ما يعبد من دونه فباطل وأنه عالم الغيب والشهادة أى يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وخفي وصغير وكبير حتى القدر في الظلمات وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن إعادته هنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى (ورحمى وسعت كل شيء) وقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) أى الملك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى (القدوس) قال وهب بن منبه أى الطاهر . وقال مجاهد وقاتدة أى المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام (السلام) أى من جميع العيوب والنقائص لكأله في ذاته وصفاته وأفعاله . وقوله تعالى (المؤمن) قال الضحاك عن ابن عباس أى آمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة آمن بقوله أنه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به وقوله تعالى (المهيمن) قال ابن عباس وغير واحد أى الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله (والله على كل شيء شهيد) وقوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) وقوله (أئمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الآية وقوله تعالى (العزيز) أى الذى قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنباه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى (الجبار التكبر) أى الذى لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم في الصحيح « العظمة إزارى والكبرياء رداى فمن نازعنى واحدا منها عذبتة » وقال قتادة الجبار الذى جبر خلقه على ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار الصالح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم . وقال قتادة التكبر يعنى عن كل سوء ثم قال تعالى (سبحان الله عما يشركون) وقوله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور) الخلق التقدير والبرء هو القرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبه * من القوم يخلق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والقرى التنفيذ ومنه يقال

قدر الجلال ثم فرى أى قطع على ما قدره بحسب ما يريد ، وقوله تعالى (الخالق البارئ المصور) أى الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التى يريد والصورة التى يختار كقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) ولهذا قال المصور أى الذى ينفذ ما يريد بإيجاده على الصفة التى يريد ، وقوله تعالى (له الأسماء الحسنى) قد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الاعراف . ونذكر الحديث للروى فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذى وابن ماجه له عن أبى هريرة أيضا وزاد بعد قوله : « وهو وتر يحب الوتر » . واللفظ للترمذى : « هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، اللتين ، الولي ، الحميد ، المحصى ، البديء ، اللئى ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، القدر ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، للتعلى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط الجامع ، الغنى ، للغنى ، المعطى ، النافع ، الضار ، النافع ، النور المهادى البديع . الباقى . الوارث الرشيد الصبور . وسياق ابن ماجه بزيادة وتقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يسبح له ما فى السموات والأرض) كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فىهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى فلا يرام جنبه (الحكيم) فى شرعه وقدره . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبى أحمد الزبيرى به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . آخر تفسير سورة الحشر والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ أَلْحَقُ بِفِرْعَوْنَ أَرْسُولَ وَإِنَّا نَكُنْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَتَّقُوا لَكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

كان سبب نزول هذه السورة الكريمة فسه حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما تقص أهلها العهد فأمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال

« اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ليتخذ بذلك عندهم يدا فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته . قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمه أخبرني حسن بن محمد بن علي أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه مع عليا رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والقدراد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب ، قالت مامعي كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « يا حاطب ما هذا ؟ » قال لا تعجل علي إني كنت امرأة ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قربات يحمون أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ « إنه صدقكم » فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخاري في كتاب المغازي فأنزل الله السورة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) وقال في كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) وقال لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو قال البخاري قال علي بن أبي حمزة قال سفيان في هذا نزلت (لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) فقال سفيان هذا في حديث الناس حفظته من عمرو ما تركت منه حرفا ولا أرى أحدا حفظه غيري . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ قلنا الكتاب ؟ فقالت مامعي كتاب فأغناها فالتمسنا فلم نركنا فقلنا ما كذب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لتجردنك فلما رأته الجدة أهوت إلى حوزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا أضرب عنقه فقال النبي ﷺ « ما حملك على ما صنعت ! » قال حاطب والله ما لي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال « صدق لا تقولوا له إلا خيرا » فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا أضرب عنقه فقال « أليس من أهل بدر ! » فقال — لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة — أو قد غفرت لكم — « فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ، هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر . وقد روي من وجه آخر عن علي قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن المسنجان حدثنا عبيد بن يعيث حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن أبي سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الحملي عن أبي إسحاق البحري الطائي عن الحارث عن علي قال لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسر إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة وأقضى في الناس أنه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يريدكم فأخبر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال فبعثني رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال « اتبوا روضة خاخ فانكم ستلقون بها امرأة معها كتاب

فخذوه منها » فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها هات الكتاب فقالت مامعي كتاب فوضنا متاعها وفتشناها فلم نجد في متاعها فقال أبو مرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لنرينك ، فقالت أما تتقون الله ! ألسنتم مسلمين ! قلنا لتخرجنه أو لنرينك قال عمرو بن مرة فأخرجته من حجزتها وقال حبيب بن أبي ثابت أخرجته من قبلها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة فقام عمر فقال يا رسول الله خذ الله ورسوله فائذن لي فلا ضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس قد شهد بدرا ؟ » قالوا بلى ، قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « فاعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما كنتم تنى بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال « يا حاطب ما حملك على ما صنعت ؟ » فقال يا رسول الله إني كنت امرأ مخلصاً في قريش وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك إليهم ووالله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً » قال حبيب بن أبي ثابت فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده مثله . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ للسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبي عبد المطلب وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريش فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب كتاباً إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا لهم من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليفة حليفة بني أحمد فاستنزلاها بالخليفة فالتصا في رحلها فلم يجدا شيئاً فقال لها على بن أبي طالب إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أولئك كشفنك فلما رأت الجدة منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » فقال يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلا ضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما كنتم تعملون فقد غفرت لكم » فأنزل الله عز وجل في حاطب (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) — إلى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا نبرآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) إلى آخر القصة ، وروى معمر بن الزهري عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بني هاشم وأنه أعطاه عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنعنو ما تقدم ، وعن السدي قريباً منه وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فقولته تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعني للشركيين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهذا تهديد شديد ووعد أكيد وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين آمنوا من قبلهم الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ؟) وقال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم فتاة ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقرش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبي مسلم عن ربي ابن حراش سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثالا وترك سائرهما قال « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل نجس وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العباد لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لم يكن لكم عندكم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما تمسوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) . وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى) أى إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلى باغين لمرضاى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتهم وما أعلمتم) أى تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضاير والظواهر (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) * إن يشفقوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء) أى لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمال والفعال (وودوا لو تكفروا) أى ويحرسون على أن لا تنالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهيج على عداوتهم أيضا وقوله تعالى (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أى قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سواء ونفعهم لا يصل اليكم إذا أرضيتهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيه فقد خاب وخسر وذل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا إلى نبي من الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبى قال « فى النار » فلما قفى دعاه فقال « إن أبى وأباك فى النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَافْرِغْنَا لِنَارِنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذي معه) أى وأتباعه الذين آمنوا معه (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم) أى تبرأنا منكم (وما تعبدون من دون الله كافرين) أى بدينكم وطريقكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) يعنى وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمت على كفركم فنحن أبدا تبرأ منكم ونبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أى إلى أن توحيدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد . وقوله تعالى (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أى لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) . وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذي معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم - إلى قوله تعالى - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) أى ليس لكم في ذلك أسوة أى في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد . ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه (فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) أى توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير أى المصير في الدار الآخرة (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد : معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعباد من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا ، وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه واختاره ابن جرير ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، وقوله تعالى (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك (إنك أنت العزيز) أى الذى لا يضام من لاذ بجناحك (الحكيم) فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرتك ثم قال تعالى (لقد كان لكم فيها أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ماتقدم أيضا لأن هذه الأسوة الثابتة ههنا هى الأولى بعينها ، وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) تهيج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والعماد ، وقوله تعالى (ومن يتول) أى عما أمر الله به (فإن الله هو الغنى الحميد) كقوله تعالى (إن تكفروا أأنتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله الغنى حميد) وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الغنى الذى قد كل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنبى إلا له ليس له كفاء وليس كمثلته شيء سبحانه الله الواحد القهار والحمد المستحمد إلى خلقه أى هو المحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قديرٌ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ *
لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعبادة الكافرين (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) أى عجة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أى على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة

والثبانية والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى تمتنا على الأنصار (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجِدكم ضلّالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ » وقال الله تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) ، وفي الحديث « أحب حبيبك هونا ما نفسى أن يكون بغضك يوماً ما وأبغض بغضك هونا ما نفسى أن يكون حبيبك يوماً ما » وقال الشاعر :

وقد يجمع الله الشيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى (والله غفور رحيم) أى يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أى ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه ، وفي هذا الذى قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال قرئ على محمد بن عزيز حديثى سلامة حديثى عقيل حديثى ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الحمار مرتداً فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن أنزل الله فيه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) الآية . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن ، قال « نعم » قال تأمرنى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل للمسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية نجعله كاتباً بين يديك ، قال « نعم » قال وعندى أحسن للعرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها — الحديث — وقد تقدم الكلام عليه . وقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ولم يظاهروا أى يعاونوا على إخراجكم أى لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) أى تحسنوا إليهم (وتقسطوا إليهم) أى تعدلوا (إن الله يحب المقسطين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا فأتيبت التى ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمى قدمت وهى راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلى أمك » أخرجه وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيبة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وممن وهى مشركة فأبى أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبى ﷺ ، فأنزل الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفى رواية لأحمد وابن جرير قتيبة بنت عبد العزى بن سعد من بنى مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم فى اللدة التى كانت بين قريش ورسول الله ﷺ وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو قتادة العدوى عن ابن أخى الزهرى عن الزهرى عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهى مشركة فى المدينة التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهى راغبة أفصلها ، قال « نعم فصلها » ثم قال وهذا الحديث لا نعلم يروى عن الزهرى عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه (قلت) وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هى أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها فى هذه الأحاديث المتقدمة والله أعلم ؛ وقوله تعالى (إن الله يحب المقسطين) قد تقدم تفسير ذلك فى سورة الحجرات ؛ وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ؛ الذين يعدلون فى حكمهم وأهالهم وما ولوا »

وقوله تعالى (إنما ينهاكم الله عن الدين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) أي إنما ينهاكم عن موالات هؤلاء الدين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم) إن الله لا يهدي القوم الظالمين)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِعْمَنِهنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لهنَّ وَلَا لَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ لهنَّ وَأَنفُسُهُمْ مَا أَفْعَلُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَفْعَلْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْتَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا قَبْلُكُمْ فَنَاقُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَفْعَلُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَتَمَّ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

تقدم في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وفي رواية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية غصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فإن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا من حل لهم ولا من يحلون لهن ، وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم عن محمد بن يحيى الذهلي عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن جعفر بن يعقوب عن حنين بن أبي أبانة عن عبد الله بن أبي أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة فخرج أخوها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما فيها أن يرداها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر الأسدي قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء ، قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بطن زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله ، ثم رواء من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به ، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له عمر بن الخطاب ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن) كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد (فامتنوهن) فاسألوهن عما جاء بهن فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطه أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله (فامتنوهن) وقال قتادة كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى (لا من حل لهم

ولام يحلون لمن) هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك للمؤمنة ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمرها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداق ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا ابن إسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداق ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بستين وقال الترمذي ليس بإسناده بأس ولا يعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين ، وصحت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرقطة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرقطة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه . وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هي بالخيار إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهرى وغير واحد وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أى تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفي الصحيح عن الزهرى عن عروة عن السور ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات — إلى قوله — ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احدهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية . وقال ابن ثور عن معمر عن الزهرى : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده اليهم فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وإماما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى طلق عمر يومئذ قريية^(١) بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعية وهى أم عبدالله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة ابن غاتم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص . وقوله تعالى (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين وقوله تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) أى في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه (والله

عليه حكيم) أى علم بما يصلح عباده حكيم فى ذلك ثم قال تعالى (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا) قال مجاهد وقتادة هذا فى الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الداهية إليهم مثل نفقته عليها ، وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن الزهري قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نساءهم وأبى المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أتم به مؤمنون) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العقب الذى بأيديهم الذى أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقى لهم ، والعقب ما كان بقى من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفي عن ابن عباس فى هذه الآية ، يعنى إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطى مثل ما أنفق من النسيئة ، وهكذا قال مجاهد (فعاقبتهم) أصبتم غنيمة من قریش أو غيرهم (فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا) يعنى مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضا . وهذا لا ينافى الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتى تؤخذ من أيدي الكفار ، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير والله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيَهُتَانٍ يَقْرِئُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ وَلَا بَعْضُهُنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك — إلى قوله — غفور رحيم) قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد بايعتك » كلاما ، ولا والله ما مست يدها امرأة فى المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخارى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء لنبايعه فأخذ علينا ما فى القرآن أن لا نشرك بالله شيئا الآية وقال « فبايستن وأطقتن » قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال « إني لأصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة » هذا إسناد صحيح وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائى أيضا من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به وقال الترمذى حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصافح منا امرأة ، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبى جعفر الرازى عن محمد بن المنكدر حدثني أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى فى ذكره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثني سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بنى عدى بن النجار قالت جثت رسول الله صلى الله

عليه وسلم نبايعه في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان فتريته بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال « ولا تعششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عشت أزواجنا؟ قال فسلته فقال : « تأخذ ماله فتجاني به غيره » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن حاطب حدثني أبي عن أمه عائشة بنت قدامة يعني ابن مظعون قالت أنا مع أمي رائلة ابنة سفيان الخزاعية والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزني ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين بهتان فتريته بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف - قلن نعم - فبايعنا فقلن « فكن يقلن وأقول معهن وأمى تقول لى أى بنية نعم فكنك أقول كما يقلن وقال البخارى حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ققرأ علينا (ولا تشركن بالله شيئا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفي رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سلم ابنة ملحان وللبخارى عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا تنوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصلها قبل الخطبة ثم غطب بعد فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إليه حين يجلس الرجال يده ثم أقبل يشقه حتى أتى النساء مع بلال فقال (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزني ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أنتن على ذلك ؟ » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدرى حسن من هى قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبأيه على الإسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقى ولا تزني ولا تقتلى ولدىك ولا تأتى بهتان فتريته بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عبادة ابن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال (تبأيعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التى أخذت على النساء إذا جاءك المؤمنات - فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجاه في الصحيحين .

وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله الزنى عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا تشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان فتريته بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف وقال « فان وقيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبي حاتم ، وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لمن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التى شقت بطن حمزة متكررة في النساء فقالت إني إن أنكلم يعرفني وإن عرفني قتلني وإنما تكررت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهى متتكرة كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر « قل لمن ولا يسرقن » قالت هند والله إنى لأصيب من أبي سفيان المنات ما أدرى أعلمهن لى أم لا قال أبو سفيان ما أصبت من شيء مضى أو قد بقى فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فمادت به فقال « أنت هند ؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزنى امرأة حرة قال « لا والله ما تزنى الحرة - قال - ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهن يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال (ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال (ولا يصينكن فى معروف) قال ممنعن أن ينحن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفى بعضه نكارة والله أعلم ، فان أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الأمر من جانبه عليه السلام لهما . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيقته كما تقدم وزاد : فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت هند ربيناهم صفاراً قتلتموهم كباراً فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن أبي حاتم حدثني أبي حدثنا نصر بن علي حدثني أم عطية بنت سليمان حدثني عمى عن جدى عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر إلى يدها فقال « اذهبي فغيرى يدك » فذهبت فغيرتها بخفاء ثم جاءت فقال « أبايك على أن لا تشركي بالله شيئا » فبايعته وفى يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول فى هذين السوارين فقال « جمرتان من نار جهنم »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وفى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعتهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن فقلعهن تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أى من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصرا فى نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بى فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذى من ماله بالمعروف ما يكفىك ويكفى بى » أخرجه فى الصحيحين ، وقوله تعالى (ولا يزنين) كقوله تعالى (ولا تقرّبوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) وفى حديث مرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم فى نار الجحيم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها (أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصى بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعتهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن ، وقوله تعالى (ولا يقتلن أولادهن) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق وبمع قتله وهو جنين كما قد يفعل بعض الجبهة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض قاسد أو ما أشبهه

وقوله تعالى (ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال ابن عباس يعنى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذى رواه أبو داود ، حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو

يعني ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبدالله بن يونس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين » وقوله تعالى (ولا يصينك في معروف) يعني فيما أمرتهم به من معروف ونهيتهن عنه من منكر . قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولا يصينك في معروف) قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء . وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لبيبه إلا في المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف . وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضا . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلا منكن محرما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله إن لنا أضيافا وإنا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أولئك عنيت ، ليس أولئك عنيت » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى القراء أخبرنا ابن أبي زائدة حدثني مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمضي بين فخذيه . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الأنصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف حين بايعناه أن لا نوح فقالت امرأة من بني فلان إن بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيمهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضى الله عنها . وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ الققات حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال : أدركت عجوزا لنا كانت قيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لأبأيه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تحن فقالت عجوز يا رسول الله إن ناسا قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابني وإنهم قد أصابهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقى فكافئهم » فانطلقت فكافئتهم ثم إنها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذي قال الله عز وجل (ولا يصينك في معروف) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا الضبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البزار عن امرأة من البايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نصيه في معروف أن لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعوا وبلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عتبة أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددنا أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن فقالت قلنا : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، فقال تباعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ، قالت : قلنا نعم ، قالت فد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد ، قالت وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل فسألت جدتي عن قوله تعالى (ولا يصينك في معروف) قالت النياحة

وفي الصحيحين من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفي الصحيحين أيضا عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برى من الصالحة والحالقة والشاقة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هبة

ابن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدا حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن : الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت - وقال - النائحة إذا لم تقب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم في صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد الطار به وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة رواه أبو داود . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر ابن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قوله الله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف تولونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل . وقوله تعالى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قرباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بشئ ولا نشورا فقد انقطع رجائهم منهم فيما يعتقدونه . قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) إلى آخر السورة يعني من مات من الدين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل ، وقال الحسن البصري (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات ، وقال قتادة كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواه ابن جرير ، والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعان ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله . آخر تفسير سورة المتحنة والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الصف وهي مدنية ﴾

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء ابن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله فلم يبق أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا رجلا رجلا فجمعنا ققرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها ، هكذا رواه الإمام أحمد وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرثد البيروقي قراءة قال أخبرني أبي سمعت الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني عبد الله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب إليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك نفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبد الله بن سلام ققرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها . قال أبو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها قال الأوزاعي وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها قال أبي وقرأها علينا الأوزاعي كلها ، وقدرناه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي

حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا قفلنا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الأوزاعي قال عبد الله فقرأها علينا ابن كثير ، ثم قال الترمذى وقد خولف محمد بن كثير فى إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي فروى ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الإمام أحمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذى وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحوه رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرنى بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو النجاء عبد الله بن عمر بن اللقي أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الهادي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندي . أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي فذكر بإسناده مثله وتسلسل لقراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أميا وضايق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرنى الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبي أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا أبو النجاء بن اللقي فذكره بإسناده وتسلسل إلى من طريقه وقرأها على بكاملها والله الحمد والمنة .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوعُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته : وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولاً لا يفي به ولهذا استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم للموعد أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان » . وفى الحديث الآخر فى الصحيح « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نقاق حتى يدعها » فذكر منهن اختلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين فى أول شرح البخارى والله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال ، أئانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمى يا عبد الله تعالى أعطك فقال لها رسول الله ﷺ « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت نمرا فقال « أما إنك لو لم تفعلنى كتبت عليك كذبة » وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الوعد وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك على كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه مادام كذلك لأنه تعلق به حق آدمى وهو مبنى على المضائق وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكحل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب فل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا * أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ؟ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر الغشى عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معها كما قال طي بن أنى طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون ؟) وهذا اختيار ابن جرير . وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) فبين لهم فابتوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) وقال : أحبكم إلى من قاتل في سبيلي . ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم (لم تقولوا مالا تفعلون ؟) قال الجهاد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (لم تقولوا مالا تفعلون - إلى قوله - كأنهم بنيان مرصوص) فما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا أبرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المعراء حدثنا طي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلى عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليهم فقرأ القرآن فقال أتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال كنا نقرأ سورة كننا نשבها بأحدى السبجات فأنسيناها غير آتى قد حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ولهذا قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهم لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر العالى على سائر الأديان

قال الإمام أحمد حدثنا طي بن عبد الله حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الأسود يعنى ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلعن عن أبي ذر حديث كنت أشتى لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلعن عنك حديث فكنت أشتى لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فها ت فقلت كان يبلعن عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟ قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسبا مجاهدا فلقى العدو فقتل وأتم تجمده في كتاب الله للنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وذكر الحديث هكذا أوردهذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذى والنسائى من حديث شعبة عن منصور بن العتير عن ربعي بن حراش عن زيد بن غلبان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه

في موضع آخر والله الحمد . وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « عبدي التوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولاه بمكة وهجرته بطابة وملكه الشام وأمه الحماذون يحمدون الله على كل حال ، وفي كل منزلة لهم دوى كدوى النحل في جو السماء بالسحر ، يوضون أطرافهم ويأتزرون على انصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة » ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث ادرتهم ولو على ظهر دابة . رواه ابن أبي حاتم . وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصفهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) أى ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه إلى بعض وقال ابن عباس (كأنهم بنيان مرصوص) مثبت لا يزول ملتصق بعضه ببعض . وقال قتادة (كأنهم بنيان مرصوص) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه . فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره وإن الله صفا المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذه ، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي عن أبي بكرة قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عز وجل (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان أبو بكرة يقول : إذا رأيتموني التفت في الصف فجؤا في الحى

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمٍ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكنيته موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه (لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) أى لم توصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدق فيما جئتكم به من الرسالة . وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى : لقد أودى بأكثر من هذا فصر » وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) وقوله تعالى (فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم) أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاع الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولهذا قال تعالى في هذه الآية (والله لا يهدي القوم الفاسقين) . وقوله تعالى (وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) يعنى التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملائكة بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة ، وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه حدثنا أبو الجمان حدثنا شبيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني لي

أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا السعدي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة والتوبة واللحمة » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به ، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية ، وقال تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه . وقال محمد بن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إني عند الله لحاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » ، وقال أحمد أيضاً حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان ابن عامر قال سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك . قال « دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » ، وقال أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابشراهما عن يمينه وعن شماله ثم قال له إن قرأ من بيني عمنا زلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم قال بهم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك . قال إننا لنسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك . قال إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو بن العاص : فأنهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه . قال تقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشر ولم يعترضها ولد ، قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال يا معشر الحبشة والقيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي تقول فيه ما يشاوي هذا مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نحمد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم أنزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأنتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصود أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تتمتع وتحميه في كتبها على أممها وتأممهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال « دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت » أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك ، والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قال ابن جرير وابن جرير (فلما جاءهم) أحمد أي البشر به في الأعصار المتقدمة

النور بذكره في القرون السالفة . لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون (هذا سحر مبين)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى لأحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) ثم قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس فيه وكأن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره للشركون) وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية ، والله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضى الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل لفيعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا هل أذنكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور ، التي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى من تجارة الدنيا والكدها والتصدى لها وحدها ثم قال تعالى (يغفر لكم ذنوبكم) أى إن فعلتم ما أمرتكم به ودلتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمسكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) ثم قال تعالى (وأخرى تحبونها) أى وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى (نصر من الله وفتح قريب) أى إذا قاتلتم في سبيله ونصرتكم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقوله تعالى (وفتح قريب) أى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى (وبشر المؤمنين)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَثَابَتَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ورسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصارى إلى الله) أى من معينى فى الدعوة إلى الله عز وجل ؛ (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازرك على ذلك ، لهذا بعثهم دعاة إلى الناس فى بلاد الشام فى الإسرائيليين واليونانيين ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول فى أيام الحج « من رجل يؤوبنى حتى أبلغ رسالة ربى فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى » حتى قبض الله عز وجل له الأوس والحزرج من أهل المدينة فباعوه ووازره وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى (فأمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) أى لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة واقتروا فرقا وشيعا فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله ، وكل هذه الأقوال مفصلة فى سورة النساء

وقوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى نصرناهم على من عاداهم من فرق المصارى (فأصبحوا ظاهرين) أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن النبال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بى ، قال ثم قال أيسمى بى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى : قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال : نعم أنت ذاك . قال فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روضة فى البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفروا به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمنوا به فنفروا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوية . وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على السلسلة فقتلوه فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فأمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة ، وهكذا رواه النسائى عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبى كريب عن محمد بن العلاء عن أبى معاوية بمثله سواء فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم النجاش مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم . آخر تفسير سورة الصف والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الجمعة وهى مدنية)

عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم فى صحيحه

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَدَّسُونَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالٍ مُبِينٍ *
وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ثم قال تعالى (الملك القدوس) أى هو مالك السموات والأرض للتصرف فيها بحكمه وهو القدوس أى التزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال (العزيز الحكيم) تقدم تفسيرهما غير مرة . وقوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم) الأميون هم العرب كما قال تعالى (وقل للذين أتوا الكتاب والأمينين أسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عدمهم ولكن اللنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى فى قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى (وأنذر عشيرتک الأقربين) وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وقوله (لأنذرکم به ومن بلغ) وقوله تعالى إخباراً عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة والله الحمد والمنة

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أى نذرا يسيراً ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام قبلدوه وغيروه وقلوبه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والتهى عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع ، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين فصولات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، وقوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) قال الإمام أبو عبد الله البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كننا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قالوا من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً وفيما سلمان الفارسى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال « لو كانت الإيمان عند الثريا لئلا رجال - أو رجل - من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الدبلى عن سالم أبى الغيث عن أبي هريرة به ، وفى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى (وآخرين منهم) بفارس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ولهذا قال محامد وغير واحد فى قوله تعالى

(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال هم الأعاجم وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » ثم قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره ، وقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني ما أعطاه الله محمدًا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به أمة من بعثه ﷺ إليهم .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنْ أَلَمْتُ الَّذِي تُقَرِّوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْتَغِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى ذامًا لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدرى ما فيها فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدرى ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمار لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن خزيمة عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » ثم قال تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ عَلَى هَدْيٍ وَأَنْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلَى ضَلَالَةٍ فَادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى الضَّالِّينَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَيِ فَمَا تَزْعُمُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ) أَيِ بِمَا يَعْمَلُونَ لَهُمُ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَبَاهِلَةِ لِلْيَهُودِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدِهِمْ لَوْ يَعْلَمُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمُرَ اللَّهُ بِصِيرَ بِمَا يَعْمَلُونَ) وَقَدْ أَسْلَفْنَا الْكَلَامَ هُنَاكَ وَبَيْنَا أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ يَدْعُوا عَلَى الضَّلَالِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ خُصُومِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ مَبَاهِلَةُ النَّصَارَى فِي آلِ عِمْرَانَ (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَعْبُدْ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ فَتَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) وَمَبَاهِلَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا) . وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ الزُّرْقِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ حَدَّثَنَا فَرَاتٌ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مَالِكٍ الْجَزَرِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطْلَأَ عَلَى عُنُقِهِ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْ فَعَلَ لِأَخَذْتَهُ اللَّائِكَةُ عِيَانًا وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يَبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِرَجْعِهِمْ لَا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَالَ الْبُخَارِيُّ وَتَبِعَهُ عَمْرُو بْنُ

خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبي عن عبيد الله ابن عمرو الرقي به أم

وقوله تعالى (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) كقوله تعالى في سورة النساء (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهذلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا « مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيأ وانهر دخل جحره فقالت له الأرض يا ثعلب ديني فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرئع الضبي حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم عليه السلام « يا سلمان ما يوم الجمعة ؟ » قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم - أو أبوكم - » وقد روى عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالحق أعلم ، وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلو عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكل الله فيه الخليفة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فأناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها ، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرأنها (فامضوا إلى ذكر الله) فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجهما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا » لفظ البخاري وعن أبي قتادة قال : بينا نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال « ماشأنكم ؟ » قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال « فلا تفعلوا : إذا أتممت الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا » أخرجهما وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن اتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا » . رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد

ابن زريع عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بثله ، قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة في قوله (فاسعوا إلى ذكر الله) يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها وكان يتأول قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) أي المشي معه ، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحوه ذلك

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولهما عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائي وابن حبان . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجاه . ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله » وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الأنصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي للمسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » . وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب الخمار فقال « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته » رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فانه كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم هو ابن أبي إلياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عندهم الشراء والبيع إذا نوى به ، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمرضى وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع

وقوله تعالى (وذرّوا البيع) أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى ، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجيبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم . وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) وقوله تعالى (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى فى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة ، ولهذا جاء فى الحديث « من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة وماعنه ألف ألف سيئة » وقال مجاهد : لا يكون العبد من الداركين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْلَهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت للمدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) أى على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة ، ورعى مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال قدمت عبرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) أخرجاه فى الصحيحين من حديث سالم به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عبرة إلى المدينة فابتدعها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا » ونزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) وقال كان فى الأثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفى قوله تعالى (وتركوك قائما) دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شيء ينبغى أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود فى كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعنى فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير

وقوله تعالى (قل ما عند الله) أى الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة (خير من الله ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لمن توكل عليه وطلب الرزق فى وقته . آخر تفسير سورة الجمعة والله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المنافقين وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴾ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَاتَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُنْسَدَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ فأما فى باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أى إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال (والله يعلم إنك لرسوله) . ثم قال تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أى فيما أخبروا به وإن كان مطابقا للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم . وقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى اتقوا الناس بالأيان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فافتر بهم من لا يعرف جليلة أمرهم فاعتقدو أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا فى الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى (فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم جنة) أى تصديقهم الظاهر جنة أى تقية يتقون به القتل ، والجمهور يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أى إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أى فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تمى ولا تهتدى

وقوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أى وكانوا أشكالا حسنة وذوى فصاحة وألسنة وإذا معهم السامع يصفى إلى قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخور والملح والجزع والجنين ولهذا قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) أى كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كمال قال تعالى (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معانى ، ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحى عن إسحاق بن بكير بن أبى الفرات عن سعيد بن أبى سعيد القبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة وطعامهم نهبية وغنيمة غلول ولا يقربون للمساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يألقون ولا يؤلقون ، خشب بالليل صخب بالنهار » وقال يزيد بن مرة : صخب بالنهار

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم (إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم نستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هناك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني قال : قال سفيان (لووا رؤوسهم) قال ابن أبي عمير حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شرا ثم قال هو هذا . وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبدالله بن أبي بن سلول كما سنورده قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد قال محمد بن إسحق في السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعني مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه وامعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله لست لك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بجرا أن أقت أشدد أمره فلقية رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال قت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبوني ويعنفوني لكأنا قلت بجرا أن أقت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال والله ما أبتى أن يستغفر لي ، وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وذلك أن علاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويترأ من ذلك وأقبلت الأنصار على ذلك السلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه أي لست فاعلا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الريع الزهراني حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصل في فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال ليخرجن الأعز منها الأذل فأرتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبي ات النبي ﷺ حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير ، وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة اليرسيق وهي غزوة بني المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة

في قصة بني المصطلق فبينما رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن إسحق فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال الجهجاه يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي فلما معها قال قد ثاورونا في بلادنا والله مامثلنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال القائل : ممن كلبك يا كلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ما صنعت بآنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم أما والله لو كففت عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضى الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال غمر رضى الله عنه : يا رسول الله مر عباد ابن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم : « فكيف إذا تحدث الناس يا غمر أن محمدا يقتل أصحابه لا ، ولكن ناد يا عمر الرجل » فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ، ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أو هم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم مهجرا في ساعة كان لا يروح فيها فلقية أسيد بن الحضير رضى الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل » قال فأنت يا رسول الله العزيز وهو الدليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الحز لتتوجه فانه ليرى أن قد سلبت له ملكا فسار رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصارى يا للأنيصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبي ابن سلول وقد فعلوها : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال جابر وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ « دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه » ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه : وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأنيت النبي ﷺ فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك قال فلأمنى قومي وقالوا ما أردت إلى هذا ؟ قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فأرسل إلى نبي الله ﷺ فقال « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك » قال فزلت هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - حتى بلغ - لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبي زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبي ليلى عن زيد عن النبي ﷺ ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضا من حديث شعبة به . (طريق أخرى عن زيد) قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالنا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكر عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه فخلفوا

بأنه ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبنى مثله قط وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ! قال حتى أنزل الله (إذا جاءك المنافقون) قال فبعث إلى رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ على ثم قال « إن الله قد صدقك » . ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أنه مع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله وقال لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا : كذب زيد يا رسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي (إذا جاءك المنافقون) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلما رءوسهم

وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقدره البخارى ومسلم والنسائى من حديث زهير ورواه البخارى أيضا والترمذى من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد بن أسلم . (طريق أخرى عن زيد) قال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدى عن أبي سعد الأزدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليلاً الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخصي زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فأنزع حجراً ففاض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشبهه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لانتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا من حوله .
يعنى الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه : إذا انقضوا من عند محمد فأتوا محمداً بالطعام فليأكل كل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعت إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمى ، قال فسمعت عبيد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمى فأنطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف ووجد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبى ، قال فجاء إلى عمى فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبتك والمسلمون قال فوقع على من النعم ما لم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد حقت برأسى من الهم إذ أتانى رسول الله ﷺ فعرك أذنى وضحك فى وجهى فما كان يسرنى أن لى بها الخلد فى الدنيا ثم إن أبا بكر لحقنى وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذنى وضحك فى وجهى فقال أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر ، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انشرد بأخراجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله - حتى بلغ- هم الذين يقولون لانتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا - حتى بلغ - ليخرجن الأعز منها الأذل)

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلنا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الأيلي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فكسر مناة فاقتل رجلا من بني النضير في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز ، وهم

حلفاء الأنصار فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي يامعشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجري يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي بن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلايب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلايب فقال عبد الله بن أبي عدوا لله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أقتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحديني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أقتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضرب بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فصار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ « أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبرا وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - إلى قوله تعالى - يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لاتوجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمري به فأنأحمِل اليك رأسه فوالله لقد علمت الحزرج ما كان لها من رجل أبرو الله مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل ترفق به ونحسن صحبتته ما بقى معنا » وذكر عكرمة وابن زيد وغيرها أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يعرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك: فقال مالك ويملك ؟ فقال والله لاتجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الدليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقا فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبوهارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه والله لاتدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، قال وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بئسك بالحق ما تأملت وجهه قط هية له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فاني أكره أن أرى قاتل أبي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنْ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿

يقول تعالى أمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك وعبراهم بأنه من النهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ثم حثهم على الاتفاق في طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفراط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعقب ويستدرك ما فاتته وهيبات ، كان ما كان أوتي ما هوأت ؛ وكل بحسب تفریطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتتبع الرسل ألم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون) أى لا ينظر أحدا بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا في قوله وسؤاله بمن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال ينفقه حج بيت ربه أو يجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سألتوا عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؛ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ؛ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن أبي حية وهو أبو جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح ، وضعف أبا جناب الكلبي ﴿ قلت ﴾ ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن ثعلبة حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهني عن عمه يعنى أبا مشجعة بن ربيع عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية سالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره » . آخر تفسير سورة المنافقين والله الحمد واللثة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهي مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبراني حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الحلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٠﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى (له الملك وله الحمد) أى هو المتصرف فى جميع الكائنات الممودة على جميع ما يخلقه ويقدره وقوله تعالى (وهو على كل شىء قدير) أى مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزئهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون بصير) ثم قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) أى بالعدل والحكمة (وصوركم فأحسن صوركم) أى أحسن أشكالكم كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) (وكتوبه تعالى) (الله الذى جعل لكم الأرض قرار والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات) الآية وقوله تعالى (والله بصير) أى المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السائية والأرضية والنفسية فقال تعالى (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأمم للماضين وما حل بهم من العذاب والنكال فى مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أى خبرهم وما كان من أمرهم (فذاقوا وبال أمرهم) أى وخيم تكذيبهم وردى أفعالهم وهو ما حل بهم فى الدنيا من العقوبة والحزى (ولهم عذاب أليم) أى فى الدار الآخرة مضاف إلى هذا النبوى ثم علل ذلك فقال (ذلك بأنه كانت تأتيتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدونا) أى استبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر وأن يكون هدايتهم على يد بشر مثلهم (فكفروا وتولوا) أى كذبوا بالحق ونكلاوا عن العمل (واستغنى الله) أى عنهم (والله غنى حميد)

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّفَاقُيَاتِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار والمشركين والملاحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون (قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها (وذلك على الله يسير) أى بعثكم ومجازاةكم وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالأولى فى سورة يونس (ويستنبؤنك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أتم بمعجزين) والثانية فى سورة سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) الآية والثالثة هى هذه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى

لتعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير)
ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) يعنى القرآن (والله بما تعملون خبير) أى فلا تخفى عليه
من أعمالكم خافية وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامةسمى بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرين
في صعيد واحد يسمعون الداعى وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجوع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل
إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)

وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن) قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يغيبون أهل النار
وكذا قال قتادة ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان لاغبى أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار
قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس
المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا بما أخبر به في سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) قال ابن عباس بأمر الله
يعنى عن قدره ومشيطته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) أى ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله
وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاتته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد
يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه . قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يهد قلبه
لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الأعمش عن أبى ظبيان قال كنا عند علقمة تقرئ عنده هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فستل عن ذلك
فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم في تفسيرها ، وقال
سميد بن جبير ومقاتل بن حيان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يسترجع يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون)
وفي الحديث المتفق عليه « عجا للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له
وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا
الحارث بن يزيد عن طى بن رباح أنه سمع جنادة بن أبى أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلا أتى رسول
الله ﷺ فقال يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله » قال أريد أهون من
هذا يا رسول الله . قال « لا تنهم الله في شيء قضى لك به » لم يخرجوه

وقوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنته نهى وزجر
ثم قال تعالى (فان توليتم فإنا على رسولنا البلاغ المبين) أى إن نكلتم عن العمل فإنا عليه ما حمل من البلاغ وعليكم
ما حملتم من السمع والطاعة . قال الزهري : من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم
ثم قال تعالى مخبرا أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو على الله فليتكلم المؤمنون)
فالأول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أى وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى (رب
المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَتِمُّوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنْ تَقَرَّبُوا اللَّهَ قَرَّبًا حَسَنًا يَضَعِفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتصق به عن العمل الصالح كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا قال تعالى ههنا (فاحذروهم) قال ابن زيد يعني على دينكم ، وقال مجاهد (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف الصيدلاني حدثنا الفريابي حدثنا إسرائيل حدثنا سفيان بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه فلبسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد قفوه في الدين فهموا أن يعاقبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به وروى من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى إنما الأموال والأولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقهم ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، وقوله تعالى (والله عنده) أي يوم القيامة (أجر عظيم) كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والحيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدنيا الحياة والله عنده حسن المآب) والقي بعدها ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به ، وقال الترمذي حسن غريب إنما نعرفه من حديثه ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجاهد عن الشعبي حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي « هل لك من ولد ؟ » قلت : غلام ولد لي في عرجي إليك من ابنة حمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم فقال « لا تقولن ذلك فإن فيهم قرعة عين وأجرا إذا قبضوا » ثم قال « ولئن قلت ذلك إنهم لحبنة محزنة » تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسى عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الولد ثمرة القلوب وإنهم محبنة مبخلة محزنة » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد ، وقال الطبراني حدثنا هاشم ابن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزا لك وإن قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكك يمينك »

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » . وقد قال بعض التفسيرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (اتقوا الله حتى تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الأولى وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى (واسمعوا وأطيعوا) أى كونوا متقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تعيدوا عنه عينة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا يتخلفوا عما به أمروهم ولا تركبوا ما عنه زجرهم وقوله تعالى (وأنفقوا خيرا لأنفسكم) أى وابدلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة ، وقوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) أى مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاءه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (ويغفر لكم) أى ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى (والله شكور) أى يجزى على القليل بالكثير (حلیم) أى يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) تقدم تفسيره غير مرة آخر تفسير سورة التغابن والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الطلاق وهى مدنية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)

خطب النبي ﷺ أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الأمة تبعا فقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) وقال ابن أبي حاتم محمد بن ثواب بن سعيد الهباري ثنا أسباط بن محمد عن سعيد بن قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فقيل له راجعها فانها صوامة قوامه وهى من أزواجك ونسائك في الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد بن قتادة فذكره مرسلا وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها

وقال البخارى ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهى حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ليراجعها ثم يسكنها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بداله أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسه فتلك العدة التى أمر بها الله عز وجل » هكذا رواه البخارى ههنا وقد رواه فى مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الأحكام وأمس لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم فى صحيحة من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ، كيف ترى فى الرجل يطلق امرأته حائضا؟ فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها - فردها وقال - إذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن) وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال الطهر من غير جماع، وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر وقد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) العدة الطهر والقراء الحيضة أن يطلقها حبلى مستتبها حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلى هي أم لا، ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (وأحصوا العدة) أى احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمنع من الأزواج (واتقوا الله ربكم) أى في ذلك . وقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أى في مدة العدة لما حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقة لحق الزوج أيضاً وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أى شرائع ومخارم (ومن يتعد حدود الله) أى يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأمر بها (فقد ظلم نفسه) أى بفعل ذلك . وقوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) أى إنما بقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل ، قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) قالت هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للبتوة أى المقطوعة وكذا التوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو ابن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيه بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأنت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكنى » وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك » الحديث . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال : قدمت المدينة فأنتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رسول الله ﷺ في سرية قالت : فقال لي أخوه أخرجني من الدار فقلت إن لي نفقة وسكنى حتى يحل الأجل قال : لا ، قالت فأنتيت رسول الله ﷺ فقلت إن فلانا طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له « مالك ولا بنة آل قيس ؟ » قال يا رسول الله إن أخى طلقها ثلاثاً جميعاً قالت : فقال رسول الله ﷺ « انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى أخرجني فانزلي على فلانة » ثم قال إنه يتحدث إليها « انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك » وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو ابن حفص بن المغيرة الخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاق فسألت أوليائه النفقة على والسكنى فقالوا ما أرسل البنا في ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى بطلاق فسألت أوليائه السكنى والنفقة على فقال أوليائه لم يرسل البنا في ذلك بشيء فقال رسول الله ﷺ « إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى » وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الأحمسي البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي هو شيخ يروي عنه

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

يقول تعالى فإذا بلغت العتدات أجلهن أى شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) أى محسنا إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أى من غير مقابحة ولا مشامة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

وقوله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أى على الرجعة إذا عزم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران ابن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلق لغير سنة ورجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر .

وقوله تعالى (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى هذا الذى أمرناكم به من الاشهاد وإقامة الشهادة إنما يأمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعى في أحد قوله إلى وجوب الاشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الاشهاد عليها . وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى من جهة لا تخطر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد أنا كهس بن الحسن ثنا أبو السليل عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) حتى فرغ من الآية ثم قال « يا أباذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » قال فجعل يتلوها ويردها على حتى نعت ثم قال « يا أباذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال « كيف تصنع إذا أخرجت من مكة ؟ » قال : قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة ، قال « وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام » قلت إذا والذى بشك بالحق أضع سيفي على عاتقى ، قال « أواخر من ذلك » قلت أواخر من ذلك ؟ قال تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا »

وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا على بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول إن أجمع آية في القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكبر آية في القرآن فرجا

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وفي السند حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن طي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وقال طي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يقول ينجي من كل كرب في الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال الربيع بن خيثم (يجعل له مخرجا) أي من كل شيء ضاق على الناس ، وقال عكرمة من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا ، وكذا روى عن ابن عباس والضحاك ، وقال ابن مسعود ومسروق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع (من حيث لا يحتسب) أي من حيث لا يدري . وقال قتادة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أي من شبهات الأمور والكرب عند الموت (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من حيث يرجو ولا يأمل ، وقال السدي (ومن يتق الله) يطلق للسنة ، ويراجع للسنة ، وزعم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو اليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له « إن الله سيجعل لك فرجا » فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا أن انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه بغنم قد أصابه من اللغم فنزلت فيه هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به . وقال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسرابي عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرسل اليه أن رسول الله يأمر أن تكسر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » وكانوا قد شدوه بالقدر فسقط القدر عنه فخرج فاذا هو بناقاة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم ينجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة فقالت أمه : واسوأته وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القدر فاستبقا الباب والخدام فاذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقصر على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع بهما ما أحببت وما كنت صانما بمالك » ونزل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن طي بن الحسن بن سفيان ثنا إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الهباء » . وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال الامام أحمد حدثنا يونس ثنا ليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن أبي شيبة به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قننا أن لا تسهل حاجته ، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل ، أو يموت آجل » ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار

أبي حمزة ثم قال وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى (إن الله بالغ أمره) أى منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاءه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) كقوله تعالى (وكل شئ عنده بمقدار)

﴿ وَاللّٰى يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِّسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللّٰى لَمْ يَحِيضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾

يقول تعالى مبينا لسدة الآية وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآية ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى (واللاتي لم يحضن) ، وقوله تعالى (إن ارتبتم) فيه قولان (أحدهما) وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري وابن زيد أى إن رأين دما وشككن في كونه حيضا أو استحاضة وارتبتم فيه (والقول الثاني) إن ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروى عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وأبي السائب قال ثنا ابن ادريس انا مطرف عن عمرو ابن سالم قال قال أبي بن كعب يارسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال فأزل الله عز وجل (واللاتي يتسن من الحيض من نساكن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، ورواه ابن أبي حاتم بأسط من هذا السياق فقال : ثنا أبي ثنا يحيى بن المغيرة أنا جرير عن مطرف عن عمر بن سالم عن أبي بن كعب قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأنزله في النساء القصرى (واللاتي يتسن من الحيض من نساكن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن) ، وقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعها ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية ، وقد روى عن طي وابن عباس رضي الله عنهما أنهما ذهبا في التوفي عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة وقال البخاري ثنا سعيد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال أفتنى في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الأجلين قلت أنا (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي - يعنى أباسلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كرييا إلى أم سلمة يسألها فقالت . قلت زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها ، هكذا أورد البخاري هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الإمام أحمد : ثنا حماد بن أسامة أنا هشام عن أبيه عن السور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلا ليالى حتى وضعت فلما تلعت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثني أبو الطاهر أنا ابن وهب حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله بن عتبة ان سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها

بعد وفاته فلما تعلمت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بكك فقال لها مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بنا كح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأنتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالزواج إن بدلي ، هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية ، وقال أبو سلمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سبعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة قال فضمنا إلى بعض أصحابه قال محمد ففطنت له فقلت له إني لجرىء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستجيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سبعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها التخليط ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصص بعد الطولي (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علي عن أيوب به مختصرا ، ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره . وقال ابن جرير : حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شبرمة الكوفي عن إبراهيم عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاعتته ما نزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) إلا بعد آية التوفى عنها زوجها ، قال : وإذا وضعت التوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية التوفى عنها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به ، ثم قال ابن جرير : ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد بن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين فقال من شاء قامته بالله إن هذه الآية التي في النساء القصص نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما في بطنها . وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضي الله عنه يقول آخر الأجلين فقال من شاء لاعتته إن التي في النساء القصص نزلت بعد البقرة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأعمش

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن أبي بكر الملقم أنا عبد الوهاب الثقفي حدثني الثني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي ﷺ (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) للطلقت ثلاثا أو للتوفى عنها زوجها ، فقال : هي المطلقة ثلاثا والتوفى عنها . هذا حديث غريب جدا بل منكر لأن في إسناده الثني بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السهمي ثنا عمرو بن خالد يعني الحارثي ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أم مشتركة أم مبهمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أية آية ؟ » قال (أجلهن أن يضعن حملهن) للتوفى عنها والمطلقة ، قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن إسماعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي الحارث أنه حدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبا ، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل له أمره ويسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله إليكم) أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) أي يذهب عنه المحذور ويجزله له الثواب على العمل اليسير

﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِأُضْيَتِهَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ

الآن فتفتح التور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم ، قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ «لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحننا إلى يوم القيامة»

وقال في موضع آخر ثنا أبو عامر ثنا أبو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها إلى التنور فسجرتها ثم قالت اللهم ارزقنا ، فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدى شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحي فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «أما إنه لو لم ترفعها لم تنزل تنور إلى يوم القيامة»

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نَكِرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أى تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا نظيما (فذوقت وبال أمرها) أى غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم (وكان عاقبة أمرها خسرا) * أعد الله لهم عذابا شديدا (أى فى الدار الآخرة مع ما محل لهم من العذاب فى الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء (فاتقوا الله يا أولى الأبواب) أى الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الأبواب (الذين آمنوا) أى صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله إليكم ذكرا) يعنى القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم: رسولا منصوب على أنه بدل اشتغال وملابسة لأن الرسول هو الذى بلغ الذكر . وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعنى تفسيره ولهذا قال تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) أى فى حال كونها بينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وقد سمى الله تعالى الوحى الذى أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَعَلَّكُمْ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم (الله الذي خلق سبع سموات) كقوله تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) . وقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أى سبعا أيضا كما ثبت في الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » وفي صحيح البخارى « خسف به إلى سبع أرضين » وقد ذكرت طرقة وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض وثمة الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزغ وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع وبعد ما بينهن وكشافة كل واحدة منهن خمسمائة عام ، وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا في الحديث الآخر « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي وكيع ثنا الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتهم ، وكفركم تكذيبكم بها ، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري عن جعفر بن أبي الغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك إن أخبرتك بها فكفر . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قال : ثنا محمد ابن حعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال عمرو قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى في حديثه في كل سماء إبراهيم ، وروى البيهقي في كتاب الأسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعي أنا علي بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس أنه قال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى . ثم رواه البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام ثم قال البيهقي إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرّة لأعلم لأبي الضحى عليه متابا والله أعلم . قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكير والاعتبار حدثني إسحاق بن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها يابضها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط » قالوا فأين الشيطان عنهم ؟ قال « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا أمن ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » وهذا حديث مرسل وهو منكرد جدا وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك . آخر تفسير سورة الطلاق وثمة الحمد والمنة .

﴿ تفسیر سورة التحريم وهي مدنیة ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ

لَكُمْ تَحِلَّةٌ أَيْمَنَ كُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَزِينُ لِنَفْسِكُنَّ فَتُؤْتِيَنَّهُنَّ الْوَسِيلَ وَالْوَسِيلُ مَتَّعٌ مِنْهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٠٠﴾

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبغى مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى آخر الآية . وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت : أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي ! فجعلها عليه حراما فقالت : أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ! فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال زيد بن أسلم فقله أنت على حرام وكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لها « أنت على حرام والله لا أطوك » وقال سفيان الثوري وابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من الرأتان ! قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يابني الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها » قالت بلى فحرمها وقال لها « لا تذكرى ذلك لأحد » فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) تبغى مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال النبي ﷺ لحفصة « لا تخبري أحدا وإن أم إبراهيم على حرام » فقالت أتحمم ما أحل الله لك اقال « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره ، الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج . وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) يعني أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) - إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصير الحرام يمينا . ورواه البخاري

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن طي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إني جعلت امرأتى على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني: ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الطهراني أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أنيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغاير إني أجد منك ريح مغاير . قال « لا ولكن كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (تبتغي مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والنذور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير فدخل على أحدهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له » فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) - إلى قوله تعالى - إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال المغاير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغاير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون للمغفور أيضا للعشر والشم والسم والطلع قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاء ينضح للمغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي الغراء ثنا طي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الخلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ففرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقلبي أكلت مغاير فانه سيقول لك لا فقلولي له ما هذه الريح التي أجدها فانه سيقول لك سقتي حفصة شربة عسل فقلولي جرت نخله العرفط وسأقول ذلك ، وقلولي له أنت يا صفة ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فراقا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغاير؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التي أجدها

منك ؟ قال « مقتنى حفصة شربة عسل » قالت جرت نخله العرفط فلما دار إلى قلت نحو ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال « لا حاجة لي فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمناء قلت لها اسكتي ، هذا لفظ البخاري . وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله ﷺ يشد عليه أن يوجد منه الريح ، يعني الريح الحبيثة ولهذا قلن له أكلت مغاير لأن ريحها فيه شيء ، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جرت نخله العرفط أي رعت نخله شجر العرفط الذي صنعه للمغاير فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربه قال الجوهري جرت النخل العرفط تجرس إذا أكلته ومنه قيل للنخل جوارس قال الشاعر * تظل على الثراء منها جوارس * وقال الجرس والجرس الصوت الحفي ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله ، وفي الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرس طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلى فقال : خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا والعرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وإن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه قاله أعلم . وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد في ذلك إلا أن كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم وما يدل على أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن الرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) حتى حج عمر وحجبت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يدي فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين : من للرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) فقال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكنه قال هي عائشة وحفصة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نقلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساءهم قال : وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي ، قال فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت سم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل قالت : نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها غضب رسوله فاذا هي قد هلكت لا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسليني من مالي ما بذاك ولا يفرنك أن كانت جارتك هي أوسم - أي أجمل - وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك - يريد عائشة - قال وكان لي جار من الأنصار وكنا تتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فأتيتني بخبر الوحي وغيره وآتية بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء ففصر بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان ، قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري هو هذا معزل في هذه الشربة ، فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلى فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت للنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجده فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال فقد ذكرتك له فصمت ، فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجده فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له ، فصمت ، فوليت

مدبراً فإذا السلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمال حصير - قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب بن حذاف قال قال رمال حصير - وقد أثر في جنبه قلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال « لا » قلت الله أكبر ولو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطلق نساؤنا يتعلمن من نسايتهم فغضبت على امرأتى يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ماتتكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة قلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أو سم أو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى قلت أستأنس يا رسول الله . قال « نعم » فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهب مقامة قلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال « أفي شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قوم عجبت لهم طيبتهم في الحياة الدنيا » قلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل . وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به ، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبه له حتى خرج حاجاً فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم . هذا لفظ البخاري ولمسلم : من الرأتان اللتان قال الله تعالى (وإن تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره . وقال مسلم أيضاً حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن عمار بن عمار بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتفون بالخصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب قلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباب غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة الشربة فنادت قلت يا رباب استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم - إلى أن قال - قلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخير (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن) وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) قلت أطلقتهن . قال « لا » فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ، وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (وصالح المؤمنين) قال علي بن أبي طالب .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وصالح المؤمنين) قال « هو علي بن أبي طالب » إسناده ضعيف وهو منكر جداً وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال : قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه قلت لمن (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن) فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن في أما كن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الأنصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرت عليهن أقول : لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليئدله الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن . فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبتت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصماني ثنا إسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) قال ، دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخبري ، عائشة حتى أبشرك ببشارة ، إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت » فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنباك هذا ؟ قال (نبأني العليم الخبير) فقالت عائشة لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) إسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريعات ، ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (سائحات) أي صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقائدة والضحاك والريبع بن أنس والسدي وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (السائحات) في سورة براءة ونلفظه « سياحة هذه الأمة الصيام » وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (سائحات) أي مهاجرات وتلاعبد الرحمن (السائحات) أي المهاجرون والقول الأل أولى والله أعلم

وقوله تعالى (ثيبات وأبكارا) أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى إلى النفس فإن التنوع يبسط النفس ولهذا قال (ثيبات وأبكارا) . وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه (ثيبات وأبكارا) قال وعده الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالأبكار مريم بنت عمران . وذكر الحفاظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فرت خديجة فقال : إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لانصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم . ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال « يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئين مني السلام » فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي . قال « لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلتم أخت موسى » ضعيف أيضا ، وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عريرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شعيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « أعلنت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلتم أخت موسى وآسية امرأة فرعون » فقلت هيثا لك يا رسول الله ، وهذا أيضا ضعيف وروى مرسلا عن ابن أبي داود

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾

قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول أدبواهم
وعلمواهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله
وأمروا أهليكم بالله كبريائكم الله من النار ، وقال مجاهد (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم
بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنههم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا
رأيت الله معصية قدعته عنها وزجرتهم عنها ، وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإيمانه
وعبيده ما فرض الله عليهم وماتهم الله عنه . وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث
عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع
سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من
حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم
ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله للوفق
وقوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) وقودها أي حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم (والحجارة) قيل المراد
بها الأصنام التي تعبد لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر
الباقر والسدي : هي حجارة من كبريت ، زاد مجاهد : أتت من الجيفة ، وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي
ثنا عبد الرحمن بن سنان النخعي ثنا عبد العزيز — يعني ابن أبي رواد — قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وعنده بعض أصحابه وفيهم
شيخ فقال الشيخ : يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والدي نفسي بيده لصخرة
من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده
فإذا هو حي فباداه قال « يا شيخ قل لا إله إلا الله » فقالها فبشره بالجنة قال : فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا ؟ قال
« نعم يقول الله تعالى (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) » هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى (عليها ملائكة
غلاظ شداد) أي طباعهم غليظة قد نزع من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله (شداد) أي تركيهم في غاية الشدة
والكثافة والنظر المزعج. كما قال ابن حاتم ثنا أبي ثنا سلمة بن شبيب ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة
أنه قال إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربع مائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كاللثة أنيابهم قد
نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين
قبل أن يبلغ منكب الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهونون من باب
إلى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى يتنوها إلى آخرها ، وقوله (لا يصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أي مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على
فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء الزبانية — عياذ بالله منهم — وقوله (يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم إنما تجزون
ما كنتم تعملون) أي يقال للكفرة يوم القيامة لاتعتذروا فإنه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون
اليوم بأعمالكم ، ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا إلى الله توبة نصوحا) أي توبة صادقة جازمة تحوماقبلها من السيئات ،
وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدنات

قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سالك بن حرب سمعت الزهري بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يقول (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه ، وقال الثوري عن سمالك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أولاً لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الأحوص وغيره عن سمالك عن النعمان مثل عمر عن التوبة النصوح فقال : أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً . وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله (توبة نصوحاً) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روى هذا مرفوعاً فقال الامام أحمد ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ، ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ماسلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لأدنى رده إليه بطريقه . قال الامام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن مغفل قال دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي ﷺ يقول « الندم توبة ؟ » قال نعم وقال مرة : نعم سمعته يقول « الندم توبة » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو جناد عن عبد الله بن محمد العبدي عن أبي سنان البصري عن أبي قلابة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك محارم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك محارم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك محارم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً ، قال زر : قلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً » . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن علي ثنا عباد بن عمرو ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح : « الاسلام يجب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها » . وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى المات - كما تقدم في الحديث وفي الأثر - ثم لا يعود فيه أبداً . أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ما قبلها ؟ » وللاول أن يحتاج بما ثبت في الصحيح أيضاً « من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخر » فإذا كان هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم

وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) وعسى من الله موجبة (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة (نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمانهم) كما تقدم في سورة الحديد (يقولون ربنا آتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفيء . وقال الامام أحمد ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعت يقول « اللهم لا تخزني يوم القيامة » وقال محمد بن نصر المروزي : ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أباذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمي من بين الأمم وأنظر عن يميني فأعرف أمي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم » فقال رجل يا رسول الله : وكيف تعرف أمك من بين الأمم ؟ قال « غر محجلون

من آثار الظهور ولا يكون أحدهم كذاك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسياهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم »

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾

يقول تعالى أمارسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء بأقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) أى فى الدنيا (وماوهم جهنم وبئس المصير) أى فى الآخرة ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أى فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلا فى قلوبهم ثم ذكر المثل فقال (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) أى نبين رسولين عندهما فى صحبتها ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويصاحبانهما ويصاحبانهما أشد العشرة والاختلاط (فخانتاهما) أى فى الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما فى الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أى لكفرهما (وقيل) أى للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد بقوله (فخانتاهما) فى فاحشة بل فى الدين فان نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا فى سورة النور ، قال سفيان الثوري عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية (فخانتاهما) قال ما زلت ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفي عن ابن عباس قال كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرته به أهل المدينة بمن يعمل السوء . وقال الضحاك عن ابن عباس ما بعت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها فى الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى بأثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ فى المنام فقال : يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكنى الآن أقوله .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا فَتْحٌ مِّنَ الْقَنَاتِ ﴾

وهذا مثل ضرب به الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون أعق أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضرا امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربهما ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه . وقال ابن جرير : ثنا إسماعيل بن حفص الإيلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبى عثمان النهدي عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تمذب فى الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد الحارثى عن أسباط بن محمد عن سلمان التيمي به . ثم قال ابن جرير

حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علي عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتى ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها واتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها (رب ابن لى عندك بيتا في الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع (ونجى من فرعون وعمله) أى خلصنى منه فأتى أبرأ إليك من عمله (ونجى من القوم الظالمين) وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم رضى الله عنها . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبى ؟ قالت ربي ورب أبيك ورب كل شيء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين ربا غيرى ؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد ، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك فأتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتبهة فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعلى فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها بشرى يأمره فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال وممعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف النطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لا امرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا وقيتنا وتصدقا فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال لللاء ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها فقال لهم إنها تعبد غيرى فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لى عندك بيتا في الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحك حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إننا نضربها وهى تضحك ، فقبض الله روحها في الجنة رضى الله عنها . وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) أى حفظته وصانته ، والاحصان : هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أى بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينفع بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أى بقدره وشرعه (وكانت من القانتين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا (البداية والنهاية) والله الحمد والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من أنها تكون هى وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله (نيات وأبكارا) آخر تفسير سورة التحريم ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الملك وهى مكية)

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالوا : حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشمى عن أبي هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشى النيسابورى القرى الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخارى ومسلم لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه فى مذهب أبى عبيد بن حريويه وخلق سوام ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن رجلا من كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك فلما وضع فى حفرته أتاه الملك فنارت السورة فى وجهه فقال لها إنك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك وإنى لا أملك لك ولاه ولا لنفسى ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقى إلى الرب تبارك وتعالى فاشغى له فتتعلق إلى الرب فتقول يارب ان فلانا عمد إلى من بين كتابك فتعلمنى وتلانى أفتحرقة أنت بالدار وتعذبه وأنا فى جوفه ؟ فان كنت فاعلا ذلك به فامحى من كتابك ، فيقول ألا أراك غضبت ، فتقول وحق لى أن أغضب فيقول اذهبى فقد وهبته لك وشفعتك فيه - قال - فتجئى فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه شيء - قال - فتجئى فتضع فاهاطى فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلانى ومرحبا بهذا الصدر فربما وعانى ومرحبا بها تين القدمين فربما قامتا بى وتؤنس فى قبره مخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها ومماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية .

﴿ قلت ﴾ وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو حاتم والدارقطنى وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهرى من قوله مختصرا وروى البيهقى فى كتاب إثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا ما يشهد لهذا وقد كتبه فى كتاب الجنائز ﴿ من الأحكام الكبرى ﴾ والله الحمد والمنة ، وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة فى القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذى بيده الملك » وقال الترمذى حدثه محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا إنسان يقرأ سورة الملك : تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى اللانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفى الباب عن أبى هريرة ، ثم روى الترمذى أيضا من طريق ليث بن أبى سليم عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل ، وتبارك الذى بيده الملك ، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة .

وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهانى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى » يعنى تبارك الذى بيده الملك ، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله فى سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد فى مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا أعفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلوك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى » .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ *
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿

يُجَدُّ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ وَيُخْبِرُ أَنَّهُ يَبْدُو الْمَلِكُ أَيْ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْخُلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا
يَفْعَلُ لِقَهْرِهِ وَحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) وَاسْتَدَلَّ
بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ وَجُودِي لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ لِيَلُومَ أَيْ
يُخْتَبِرُهُمْ أَهْمُ أَحْسَنَ عَمَلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ) فَسَمِيَ الْحَالُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْعَدَمُ
مَوْتًا وَهِيَ هَذِهِ النَّشْأَةُ حَيَاةً وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ
حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ حَدَّثَنَا خَلِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« إِنَّ اللَّهَ أَذَلَّ بَنِي آدَمَ بِالْمَوْتِ وَجَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ حَيَاةٍ ثُمَّ دَارَ مَوْتٍ وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ جَزَاءٍ ثُمَّ دَارَ بَقَاءٍ » وَرواه معمر
عَنْ قَتَادَةَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (لِيَلُومَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا) أَيْ خَيْرَ عَمَلًا كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ وَلَمْ يَقُلْ أَكْثَرَ عَمَلًا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى
(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) أَيْ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَظِيمُ النَّبِيْعُ الْجَنَابُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ بَعْدَ مَا عَصَاهُ وَخَالَفَ
أَمْرَهُ وَإِنْ كَانَ تَعَالَى عَزِيزًا هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ وَيَصْفَحُ وَيَتَجَاوَزُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا)
أَيْ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ وَهَلْ هُنَّ مُتَوَاصِلَاتٌ بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ عُلُوبَاتٌ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُتَفَاصِلَاتٌ بَيْنَهُنَّ خَلَاءٌ ، فِيهِ قَوْلَانِ
أَمَحَبَهُمَا الثَّانِي كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَغَيْرُهُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ) أَيْ بَلْ هُوَ مُصْطَحِبٌ
مُسْتَوِلِيْسٌ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَافُرٌ وَلَا مُخَالَفَةٌ وَلَا تَقْصُ وَلَا عَيْبٌ وَلَا خِلَلٌ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ
فُطُورٍ) أَيْ انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَأْمَلْهَا هَلْ تَرَى فِيهَا عِيًّا أَوْ نَقْصًا أَوْ خِلَالَ أَوْ فُطُورًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ
وَالثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) أَيْ شَقُوقٍ وَقَالَ السُّدِّيُّ (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) أَيْ
مِنْ خُرُوقٍ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ (مِنْ فُطُورٍ) أَيْ مِنْ وَهَاءٍ ، وَقَالَ قَتَادَةُ (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) أَيْ هَلْ تَرَى خِلَالَ
يَا ابْنَ آدَمَ ؟ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) قَالَ قَتَادَةُ مَرَّتَيْنِ (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَلِيلًا ؟
وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ صَاحِرًا (وَهُوَ حَسِيرٌ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْنِي وَهُوَ كَلِيلٌ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ : الْحَسِيرُ الْمُنْقَطِعُ
مِنَ الْإِعْيَاءِ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ إِنَّكَ لَوْ كَرَرْتَ الْبَصَرَ مَهْمَا كَرَرْتَ لَا تَقْلُبُ إِلَيْكَ أَيْ لِرَجْعِ إِلَيْكَ الْبَصَرِ (خَاسِئًا) عَنْ أَنْ يَرَى
عِيًّا أَوْ خِلَالَ (وَهُوَ حَسِيرٌ) أَيْ كَلِيلٌ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ الْإِعْيَاءِ مِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَرِ وَلَا يَرَى نَقْصًا ، وَلَمَّا نَفَى عَنْهَا فِي خَلْقِهَا
النَّقْصَ بَيْنَ كَمَالِهَا وَزِينَتِهَا فَقَالَ (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الَّتِي وَضَعَتْ فِيهَا مِنَ السِّيَّارَاتِ
وَالثَّوَابِتِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) عَادَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ وَجَعَلْنَاهَا عَلَى جِنْسِ الْمَصَابِيحِ لَا عَلَى عَيْنِهَا
لَأَنَّهُ لَا يَرَى بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ بَلْ بِشَبِّهِ مِنْ دُونِهَا وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَمِدَّةً مِنْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابَ السَّعِيرِ) أَيْ جَعَلْنَا لِلشَّيَاطِينِ هَذَا الْحَزَى فِي الدُّنْيَا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ
الصَّافَّاتِ (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرَدٌ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) قَالَ قَتَادَةُ إِنَّمَا خَلَقَتْ هَذِهِ النُّجُومُ
لثَلَاثِ خِصَالٍ خَلَقَهَا اللَّهُ زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَعِلَامَاتٌ يَهْتَدِي بِهَا . فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِهِ
وَأَخْطَأَ حَظَّهُ وَأَضَاعَ نَفْسِيَّهِ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ . رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُنْفُتُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ *
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿

يقول تعالى (و) اعتدنا (للذين كفروا ببرهم عذاب جهنم وبئس المصير) أى بشس المال والنقلب (إذا ألغوا فيها سمعوا لها شهيقا) قال ابن جرير يعنى الصياح (وهى تغور) قال الثورى تغلى بهم كما يغلى الحب القليل فى الماء الكثير. وقوله تعالى (تسكاد تميز من الفيظ) أى تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحقها بهم (كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) يذكر تعالى عدله فى خلقه وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهكذا عادوا على أنفسهم باللامامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كانت لنا عقول نتفحص بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتقار به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الجحتر الطائى قال أخبرنى من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » وفى حديث آخر « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فيتكف عن المعاصى ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أى تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلمهم الله تعالى فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر منهم رجلا دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . وقال الحافظ أبو بكر البرار فى مسنده حدثنا طلوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال : قالوا يا رسول الله : إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتك كنا على غيره قال « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا الله ربنا فى السر والعلانية ، قال « ليس ذلكم النفاق » لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فى ما نعلمه ، ثم قال تعالى منها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) أى بما يخطر فى القلوب (ألا يعلم من خلق ؟) أى ألا يعلم الخالق ، وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله (وهو اللطيف الخبير) ، ثم ذكر نعمته على خلقه فى تسخيرهم لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميم ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيا فيها من النافع ومواقع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها) أى فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكلوا من

رزقه) فالسعي في السبب، لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هيرة يقول إنه سمع أبا سهم الحبشاني يقول إنه سمع عمر بن الخطاب يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خفافاً وتروح بطاناً » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هيرة وقال الترمذي حسن صحيح ، فأثبت لها رواها وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو السخر المسير السبب (وإليه النشور) أى الرجوع يوم القيامة . قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقادة : مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها ، وقال ابن عباس وقادة أيضاً : مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشوا في مناكبها) فقال لأُم ولد له : إن عفت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال هي الجبال

﴿ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٌ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يعلم ويصفح ويؤجل ولا يجعل كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) وقال ههنا (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أى تذهب وتجيء وتضطرب (أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) أى ريحاً فيها حباء تدمغكم كما قال تعالى (فأأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) وهكذا اتوعدهم ههنا بقوله (فستعلمون كيف نذير) أى كيف يكون إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به . ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من الأمم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتهم لهم ، أى عظيماً شديداً أليماً . ثم قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٌ وَيَقْبِضْنَ) أى تارة يصفقن أجنتهن في الهواء وتارة تجمع جناحاً وتنتشر جناحاً (ما يمسكهن) أى في الجو (إلا الرحمن) أى بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه (إنه بكل شيء بصير) أى بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله * إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون)

﴿ أَمِنَ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُفْدٌ لَّكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمِنَ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾

يقول تعالى للشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه ومخبراً لهم أنه

لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أي ليس لكم من دونه من ولي ولا وافي ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى (إن الكافرون إلا في غرور) . ثم قال تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أي لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى (بل لجوا) أي استمروا في طغيانهم وإفسادهم (في عتو ونفور) أي في معاندة واستكبار ونفور على إبدارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ، ثم قال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه أي يمشى منحيا لا مستويا على وجهه أي لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهدى أهدى (أمن يمشى سويا) أي منتصب القامة (على صراط مستقيم) أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يمشى يمشى سويا على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فانه يمشى يمشى على وجهه إلى نار جهنم (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) الآيات أزواجهم أشباههم قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن قبيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يمشى الناس على وجوههم فقال « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق (١) وقوله تعالى (قل هو الذي أنشأكم) أي ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا من كورا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي العقول والادراك (قليلا ما تشكرون) أي قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجه (قل هو الذي ذرأكم في الأرض) أي بشم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف السنتكم في لغاتكم وألوانكم ، وحلاكم وأشكالكم وصوركم (وإليه تحشرون) أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم . ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار النكرين للعداء المستبدين وقوعه (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أي متى يقع هذا الذي نخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق (قل إنما العلم عند الله) أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه (وإنما أنا نذير مبين) أي وإنما على البلاغ وقد أدبته إليكم قال الله تعالى (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريبا لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب (وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وبداهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا يقال لهم على وجه التقرع والتوبيخ (هذا الذي كنتم به تدعون) أي تستعجلون

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه (أرايتم إن أهلكني الله ومن معي أورشنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي خلصوا أنفسكم فانه لا معقل لكم من الله إلا التوبة والالابة والرجوع إلى دينه

(١) هنا بيان بالأصول ، والحديث في صحيح البخاري في كتاب التفسير في سورة الفرقان من أنس بن مالك أيضا .

ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والشكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم . ثم قال تعالى (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أى آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا فى جميع أمورنا كما قال تعالى (فاعبدوه وتوكل عليه) ولهذا قال تعالى (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) أى منا ومنكم ولما تكون العاقبة فى الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى إظهاراً للرحمة فى خلقه (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً) أى ذاهباً فى الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد ، والفائر عكس النابغ ولهذا قال تعالى (فمن يأتىكم بماء معين) أى نابغ سائح جار على وجه الأرض ، أى لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبج لكم المياه وأجراها فى سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد والمنة . آخر تفسير سورة الملك الحمد .

(تفسير سورة رن وهى مكبة)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ تَمْنُونَ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمْ الْمُنْتَوُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص ، ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور وتحرير القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقيل المراد بقوله (ن) حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثورى حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب ، قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجباه فانها لتفخر على الأرض وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن الأعمش به وهكذا رواه شعبة وعمر بن فضيل ووکیع عن الأعمش به ، وزاد شعبة فى روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقدرناه شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال : فذكره ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال إن أول شيء خلق ربى عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه . وقد روى الطبرانى ذلك مرفوعاً فقال حدثنا أبو حبيب زيد بن الهذلى المروزى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال للقلم اكتب قال ما أكتب ؟ قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة » ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) فالنون الحوت ، والقلم القلم (حديث آخر) فى ذلك رواه ابن عساکر عن أبي عبد الله مولى بنى أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ثم قال له اكتب ، قال وما أكتب قال اكتب ما يكون - أو ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله (ن والقلم وما يسطرون) ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ثم خلق القلم وقال وعزنى لأكلمك فيمن أحببت ولأقصدك ممن أبغضت »

وقال ابن أبى نجیح إن إبراهيم بن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت العظيم الذى تحت الأرض السابعة وقد ذكر البغوى وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة

سكنها كغلف السموات والأرض وعلی ظهرها ثورله أربعون ألف قرن وعلی متنه الأرضون السبع وما فیهن وما بینهن والله أعلم ومن العجیب أن بعضهم حمل علی هذا المعنی الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا إسماعیل حدثنا حمید عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله علیه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء قال إني سألتك عن أشياء لا یعلمها إلا نبی ، قال ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ینزع إلى أبيه ؟ وما بال الولد ینزع إلى أمه ؟ قال « أخبرنی بهن جبریل آتفا » قال ابن سلام فذلك عدو اليهود من الملائكة قال « أما أول أشراط الساعة فنار تحترق من المشرق إلى المغرب ، وأول طعام يأكله أهل الجنة زیادة كبدة الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذاسبق ماء المرأة ماء الرجل نزع » ورواه البخاری من طرق عن حمید ورواه مسلم أيضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله علیه وسلم نحو هذا وفى صحيح مسلم من حديث أبی أسماء الرحبی عن ثوبان أن حبرا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أن قال فما تحفهم یعنی أهل الجنة حين یدخلون الجنة قال « زیادة كبدة الحوت » قال فما غدوهم علی أثرها ؟ قال « ینحروهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شربهم علیه ؟ قال « من عین فیها تسمى سلسیلا » وقيل المراد بقوله (ن) لوح من نور . قال ابن جریر حدثنا الحسن بن شبيب المکتب حدثنا محمد بن زیاد الجزری عن فرات بن أبی الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله علیه وسلم « (ن) والقلم وما یسطرون) لوح من نور وقلم من نور یجرى بما هو کائن إلى يوم القيامة » وهذا مرسل غریب ، وقال ابن جریر أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله (ن) دواة والقلم القلم قال ابن جریر حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة فی قوله (ن) قالوا هی الدواة ، وقد روى فی هذا حديث مرفوع غریب جدا فقال ابن أبی حاتم حدثنا أبی حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن یحیی حدثنا أبو عبد الله مولى بنی أمیة عن أبی صالح عن أبی هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله علیه وسلم یقول « خلق الله النون وهی الدواة » وقال ابن جریر حدثنا ابن حمید حدثنا یعقوب حدثنا أخى عیسی بن عبد الله حدثنا ثابت التمالی عن ابن عباس قال ، إن الله خلق النون وهی الدواة وخلق القلم فقال اکتب ما أکتب قال اکتب ما هو کائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ألزم کل شیء من ذلك شأنه دخوله فی الدنيا ومقامه فیها کم وخروجه منها کیف ثم جعل علی العباد حفظة وللکتاب خزانا فالحفظة ینسخون کل يوم من الحزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الحزنة یطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الحزنة ما نجد لصاحبکم عندنا شیئا فترجع الحفظة فیجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألسنتم قوما عربا تسمعون الحفظة یقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل یكون لا یتنسخ إلا من أصل وقوله تعالى (والقلم) الظاهر انه جنس القلم الذى یكتب به كقوله (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم یعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقہ علی ما أنعم به علیهم من تعلیم الکتابۃ التى بها تنال العلوم ، ولهذا قال (وما یسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة یعنی وما یکتبون وقال أبو الضحی عن ابن عباس وما یسطرون أى وما یعملون وقال السدی وما یسطرون یعنی الملائكة وما تکتب من أعمال العباد ، وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذى أجراه الله بالقدر حين کتب مقادیر الخلائق قبل أن یخلق السموات والأرضین بخمسين ألف عام ، وأوردوا فی ذلك الأحادیث الواردة فی ذکر القلم فقال ابن أبی حاتم حدثنا أبو سعید یحیی ابن سعید القطان وبنس بن حبيب قالا حدثنا أبو داود الطیالسی حدثنا عبد الواحد بن سلیم السلمی عن عطاء هو ابن أبی رباح حدثنی الولید بن عباد بن الصامت قال دعانی أبی حنین حضره الموت فقال إني سمعت رسول الله صلى الله علیه وسلم یقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اکتب قال یارب وما أکتب ؟ قال اکتب القدر وما هو کائن إلى الأبد » وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الولید بن عباد عن أبيه به ، وأخرجه الترمذی من حديث أبی داود الطیالسی به وقال حسن صحيح غریب ورواه أبو داود فی کتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن

يحيى بن حسان عن ابن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة واسمه حبش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح ابن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال « إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء » غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: والقلم ، يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى (وما يسطرون) أي يكتبون كأنهم

وقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي لست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئهم به من الهدى والحق البين فنسبوك فيه إلى الجنون (وإن لك لأجراً غير ممنون) أي بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا يقطع ولا يبطل إلى إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم ، ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله (عطاء غير مجذوذ) (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه وقوله تعالى (وإنك لملئ خلق عظيم) قال العوفي عن ابن عباس وإنك لملئ دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال عطية: لملئ أدب عظيم . وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (وإنك لملئ خلق عظيم) ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أليست تقرأ القرآن ؟ قال بلى قالت فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أقرأ القرآن ! فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن . هذا مختصر من حديث طويل . وقد رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة الزمل إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وقال الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن ! (وإنك لملئ خلق عظيم) قال : قلت حديثي عن ذلك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريقي اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعتي قبل فاطرحي الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقيت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اقتصوا - أو اقتصى شك أسود - ظرفا مكان ظرفك » قالت فما قال شيئا . وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن بن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ (وإنك لملئ خلق عظيم) ؟ . وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألته عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي . ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي فهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كائنت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرأ

كان أطيّب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال البخارى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير . والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذى في هذا كتاب الشمايل

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده خادماً له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب يده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمة الله فيسكون هو ينتقم لله عز وجل وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » تفرد به

وقوله تعالى (فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون) أى فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذا كقوله تعالى (سيعلمون غداً من الكذب الأشتر) كقوله تعالى (وإنا أوبياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) قال ابن جرير قال ابن عباس فى هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس : بأيكم الفتون أى المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم الفتون أى أولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهر أى الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه وإنما دخلت الباء فى قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل فى قوله (فستبصر ويبصرون) وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم الفتون والله أعلم ثم قال تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم تعالى أى الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ويعلم الحزب الضال عن الحق

﴿ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ * وَذُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَازٍ مَّشَاءً بَنِيمٍ * مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُقْتَدِرٍ أَيْمٍ * عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُنْفِلُ عَلَيْهِ إِيْتِنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَدَسُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ ﴾

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين * ودوا لوتدهن فيدهنون) قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد (ودوا لوتدهن) تركن إلى آلتهم وتترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهائته إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التى يجترأ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها قال ابن عباس : المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب ، قال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف ، وقوله تعالى (هاز) قال ابن عباس وقتادة يعنى الاغتياب (مشاء بنميم) يعنى الذى يمشى بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهى الحالة وقد ثبتت فى الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « إنها ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه عن طريق عن إبراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعنى تماماً وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحارث قال مر رجل على حذيفة قيل إن هذا

يرفع الحديث إلى الأمراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » وقال أحمد حدثنا هشام حدثنا مهدي عن واصل الأحذب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه يسم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة نمام » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أمماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا أخبركم بشراركم المشاءون بالجميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حنينة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم « خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرا عباد الله المشاءون بالجميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت »

وقوله تعالى (منع للخير معتد أثيم) أى يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) فى تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع (أثيم) أى يتناول المحرمات ، وقوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع النوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ جعظرى مستكبر » أخرجه فى الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبادود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن طلق قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع منع » تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظرى الفظ الغليظ والجواظ الجموع النوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الأكل الشراب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف » وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو نوح عن معمر عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبكى السماء من بعد أصبح الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاءه من الدنيا هضم (١) فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونس عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى فى المأكل والشرب والمنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله بن عيسى عن إسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس (عتل بعد ذلك زنيم) قال رجل من قريش له زمة مثل زمة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزمة من بين أخواتها ، وإعما الزنيم فى لغة العرب هو الدعى فى القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعنى يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر : زنيم ليس يعرف من أبوه بنى الأم ذو حسب لثيم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (زنيم) قال : الدعى الفاحش اللثيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

وقال العوفي عن ابن عباس : الزنيم الدعى ويقال الزنيم رجل كانت به زمة يعرف بها ويقال هو الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة ، وزعم أناس من بنى زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد يغوث الزهرى وليس به ، وقال ابن أبي نجیح

عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق بالنسب ، وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية (عتل بعد ذلك زنيم) قال سعيد : هو الملحق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر ابن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، والزنماء من الشياه التي في عنقها هتان معلقتان في حلقيها . وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالبشر كما تعرف الشاة بزئمتها والزنيم الملحق . رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زئمة في عنقه يعرف بها قال : وقال آخرون كان دعيا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زئمة مثل زئمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زئمة في أصل أذنه ويقال هو اللثيم الملحق في النسب ، وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالبشر ، وقال مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزئمتها . والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالبشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا ولد زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لا يدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبيه » وقوله تعالى (أن كان ذاملا وبنين إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا محسودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبق ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال تعالى ههنا (سنسمه على الخرطوم) قال ابن جرير سنيين أمره يانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمعة على الخراطيم ، وهكذا قال قتادة (سنسمه على الخرطوم) شين لا يفارقه آخر ما عليه ، وفي رواية عنه : سميا على أنفه ، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس (سنسمه على الخرطوم) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال ، وقال آخرون (سنسمه) ممة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم ، حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لا مانع . من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه ، وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (عم يتساءلون) حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى ابن هلال الصدقي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافرا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه راض ومن مات همازا لمازما ملقبا للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْتُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا هَلْ لَّكُمْ حَزَنٌ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ * فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ *

وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ * قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿

هذا مثل ضرب به الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعظام من النعمة الجسيمة وهو بثثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالكذب والرد والماربة ولهذا قال تعالى (إنا بلوناكم) أي اختبرناهم (كما بلونا أصحاب الجنة وهي البستان الشتمل على أنواع الثمار والفواكه) (إذ أقسموا ليصر منها مصبحين) أي حلفوا فيها بينهم ليجدن ثمرها ليلا ثلاثا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء (ولا يستثنون) أي فيما حلفوا به ، ولهذا حنهم الله في أيمانهم فقال تعالى (قطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي أصابتها آفة سماوية (فأصبحت كالصريم) قال ابن عباس أي كالليل الأسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع إذا حصد أي هشا يبسا . وقال ابن أبي حاتم . ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والمعاصي إن العبد ليزن الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيء له » ثم تلا رسول الله ﷺ (قطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قد حرموا خبر جنتهم بذنبهم (فتنادوا مصبحين) أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجنادى أي القطع (أن اغدو على حركم إن كنتم صارمين) أي تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرثهم عنباً (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أي قوة وشدة ، وقال مجاهد (وغدوا على حرد) أي جد ، وقال عكرمة على غيظ ، وقال الشعبي (على حرد) على المساكين ، وقال السدي (على حرد) أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدي في قوله هذا (قادرين) أي عليها فيما يزعمون ويرومون (فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أي فلما وصلوا إليها وأثرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينفع شيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا والطريق ولهذا قالوا (إنا لضالون) أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا (بل نحن محرومون) أي بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب (قال أوسطهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والريبع بن أنس والضحاك وقتادة أي أعد لهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟) قال مجاهد والسدي وابن جريج (لو لا تسبحون) أي لو لا تستثنون قال السدي وكان استثناءهم في ذلك الزمان تسييحا وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينفع ولهذا قالوا (إنا كنا ظالمين) فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجناد فها كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) أي اعتدنا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) قيل رغبوا في بدلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبومهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب . وقد كان أبومهم يسير

فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر لعياله قوت ستمهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء ، قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات وبدل نعمة الله كفرا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي هذه عقوبة الدنيا كما ممتنع وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ * إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبعد ولا تفرغ ولا ينقض نعيمها ثم قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال (ما لكم كيف تحكمون) أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى (أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون) يقول تعالى أقبأ أيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كاتدعونه ؟ (إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون) أي أمعكم عهد وما واثيق مؤكدا (إن لكم لما تحكمون) أي أنه سيسجل لكم ما تريدون وتشتهون (سلموا إليهم بذلك زعيم) أي قل لهم من هو النظم للتكفل بهذا قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل (أم لهم شركاء) أي من الأصنام والأنداد (فلأيتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْخَبَرِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى : أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم . بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخاري ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور ، وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق *

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر وجده . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هارون بن عمر الخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له سجدا » ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي في الدار الآخرة بأجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا الناقضين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون

ثم قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) يعني القرآن ، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني منه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمدته في غيه وأنظره ثم أخذه أعزيم مقتدر ، ولهذا قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنيان نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ولهذا قال ههنا (وأملئ لهم إن كيدى متين) أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدى ومكرى بهم ولهذا قال تعالى (إن كيدى متين) أي عظيم لمن خالف أمرى وكذب رسلى واجترأ على معصيتي

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقوله تعالى (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ؟ * أم عندهم الغيب فهم يكتبون) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جنتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى (فاصبر) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولا تباعك في الدنيا والآخرة (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ومماعه تسبيح البحر بما فيه للعلی التقدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) . وقال تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * للبت في بطنه إلى يوم يبعثون) وقال ههنا (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك . مكروب ، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال (لا إله

إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين) خرجت الكلمة نحن حول العرش فقالت الملائكة يارب: هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غربية فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا، قالوا لا، قال هذا يونس، قالوا يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم، قالوا أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فنتجيه من البلاء. فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى (فاجتبه ربه فجعله من الصالحين). وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ليزلقونك) لينفذونك (بأبصارهم) أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبعضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث الروية من طرق متعددة كثيرة.

﴿ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴾ قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود الشكعي حدثنا شريك ج وحدنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أوحه أودم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان

﴿ حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ﴾ قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله بن غير حدثنا إسحاق ابن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أوحه » هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين عن عبد الرحمن بن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي. وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا « لا رقية إلا من عين أوحه »

﴿ حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة بن اليزيد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دثي عن ابن حرب عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ « إن العين لتلولع الرجل باذن الله فيتصاعد حالقا ثم يتردى منه » إسناده غريب ولم يخرجوه.

﴿ حديث حابس التميمي ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حبة بن حابس التميمي أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا شيء في الهام والعين حق، وأصدق الطيرة القأل » وقد رواه الترمذي عن عمرو بن مولى عن أبي غسان يحيى بن كثير عن مولى بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب. قال وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حبة بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيكان بن أبي حبة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا بأس في الهام، والعين حق وأصدق الطيرة القأل ». ﴿ حديث ابن عباس رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثني إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « العين حق، العين حق، تستنزل الخالق » غريب.

﴿ طريق أخرى ﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبق العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخاري وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن النهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول « أعوذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة. ومن كل عين لامة » ويقول « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام » أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث النهال به.

(حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضى الله عنه) قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفیان عن الزهرى عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد حبة فبالت أن لبط به فأتى به رسول الله ﷺ فقبل له أدرك سهلاً صريعاً قال « من تهمون به » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ » إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بعامر فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى الرقبتين وركبتيه وداخله إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفیان قال معمر عن الزهرى وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه ، وقد رواه النسائي من حديث سفیان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهرى به ، ومن حديث سفیان بن عيينة به أيضاً عن معمر عن الزهرى عن أبي أمامة ويكفأ الاناء من خلفه ، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهرى عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه به .

(حديث أبي سعيد الخدرى) قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ماسوى ذلك ورواه الترمذى والنسائي من حديث سعيد بن أبي ياسر عن مسعود الجريري به وقال الترمذى حسن

(حديث آخر عنه) قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال « نعم » قال باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنك والله يشفيك ، باسم الله أريقك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال : باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به ، قال أبو زرعة الرازى روى عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح (حديث أبي هريرة رضى الله عنه) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أن أنساً ماعمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجه من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عليه عن الجريري عن مضارب بن حزن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العين حق » تفرد به ورواه أحمد عن إسماعيل بن عليه عن سعيد الجريري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور بن عيسى عن ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » (حديث أسماء بنت عميس) قال الإمام أحمد حدثنا سفیان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقى قال : قالت أسماء يا رسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال « نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث سفیان بن عيينة به ، ورواه الترمذى أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذى حسن صحيح (حديث عائشة رضى الله عنها) قال ابن ماجه حدثنا طي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفیان ومسر عن معبد بن خالده عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقى من العين . ورواه البخارى عن محمد بن كثير عن سفیان عن معبد بن خالده ، وأخرجه مسلم من حديث سفیان ومسر كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هشام الخزومى حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعينوا بالله فان النفس حق » نرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويفسل منه للعين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان ابن حنينة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا (١) الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل »

« حديث سهل بن حنيف » قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدى ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كالיום ولا جلد خبأة فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق ، قال « هل تهيمون فيه من أحد ؟ » قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً فتغيط عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يوجبك بركت ؟ - ثم قال - اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرقبيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قحح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهروه من خلفه ثم يكفأ القدر وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس « حديث عامر بن ربيعة » قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الفضل قال فانطلقا يلتمسان الحمر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقة فأنته فناديته ثلاثاً فلم يجبني فأنتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال جاء يمشي فخاض الماء فكأنني أنظر إلى بياض ساقيه قال فضرب صدره يده ثم قال « اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » قال ققام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يوجب فليترك فان العين حق » . « حديث جابر » قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب ابن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن بن جابر ابن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » . قال البزار يعني العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر . قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن النذر المروى المعروف بشكر في كتاب المعجائب وهو مشتمل على فوائد جلية وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي طي الهافمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق لتورد الرجل القبر والجل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين » . ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه . « حديث عبد الله بن عمرو » قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشيد بن ابن سعد عن الحسن بن نوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به أحمد

« حديث عن علي » روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتماً فقال يا أحمد ما هذا النعم الذي أراه في وجهك ؟ قال « الحسن والحسين أصابتهم عین » قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتهما هؤلاء الكلمات ؟ قال « وماهن يا جبريل ؟ » قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم والبن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين

من أنفاس الجن وأعين الإنس فقالها النبي صلى الله عليه وسلم قفاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فإنه لم يتعوذ للمتعوذون بمثله» قال الخطيب البغدادي تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الخطي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه . وقوله تعالى (ويقولون إنه لمجنون) أى يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بالسنتهم ويقولون إنه لمجنون أى لجيئه بالقرآن قال الله تعالى (وما هو إلا ذكر للعالمين) آخر تفسير سورة ن والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الحاقة وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمِثُّهُ أَيَّامٌ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْغَاطِطَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ)

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها فقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى إهلاك الأمم الكاذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وهي الصيحة التي أسكتهم والزلزلة التي أسكتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الريح بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد (كذبت ثمود بطغواها) وقال السدي فأهلكوا بالطاغية قال يعنى عاقر الناقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى باردة قال قتادة والسدي والريح بن أنس والثوري (عاتية) أى شديدة المهبوب قال قتادة عنت عليهم حتى ثقت عن أفئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال طي وغيره عنت الحزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أى سلطها عليهم (سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما) أى كوامل متتابعات مشائم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والريح بن خثيم مشائم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) قال الريح وكان أولها الجمعة وقال غيره الأربعاء ويقال إنها التي تسمى الناس الأعجاز ، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لأنها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح في اليوم الثامن ، حكاه البغوي والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أى جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى ابن الضريس العبدى حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » وقال الثوري عن ليث عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب (فهل ترى لهم من باقية ؟) أى هل تحس منهم من أحد من بقاءهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلقا ثم قال تعالى (وجاء

فرعون ومن قبله) قرىء بكسر القاف أى ومن عنده ممن فى زمانه من أتباعه من كفار القبط ، وقرأ آخرون بفتحها أى ومن قبله من الأمم المشبهين له وقوله تعالى (والمؤتفات) وهم الأمم المكذبون بالرسول (بالخطئة) وهى التكذيب بما أنزل الله قال الربيع (بالخطئة) أى بالمعصية ، وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى (فعصوا رسول ربهم) وهذا جنس أى كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى (إن كل كذب الرسل فحق وعيد) ومن كذب برسل فقد كذب بالجميع كما قال تعالى (كذبت قوم نوح للرسلين) كذبت عاد الرسلين (كذبت ثمود الرسلين) وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال هنا (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة راية) أى عظمة شديد ألجمة ، قال مجاهد راية شديدة وقال السدى مهلكة

ثم قال تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله وارفع على الوجود ، وقال ابن عباس وغيره طغى الماء كثر . وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن على بن أبى طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله (حملناكم فى الخارية) ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدى ملك إلا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى عنت على الخزان ولهذا قال تعالى يمتنا على الناس (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) وهى السفينة الجارية على وجه الماء (لنجعلها لكم تذكرة) عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار كما قال (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) وقال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ولهذا قال تعالى (وتعبها أذن واعية) أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة (أذن واعية) عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك (وتعبها أذن واعية) سمعتها أذن ووعت أى من له مع صحيح وعقل رجيح ، وهذا عام فى كل من فهم ووعى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى حدثنا على بن حوشب سمعت مكحولاً يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ (وتعبها أذن واعية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سألت ربي أن يجعلها أذن على » قال مكحول فكان على يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن على بن سهل عن الوليد بن مسلم عن على بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل . وقد قال ابن أبى حاتم أيضاً حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعنى والد أبى أحمد الزبيرى حدثنى صالح بن الهيثم سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ لعلى « إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تمنى وحق لك أن تمنى » قال فنزلت هذه الآية (وتعبها أذن واعية) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الأعمى عن بريدة به ولا يصح أيضاً

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ * يَوْمَئِذٍ نَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

يقول تعالى خبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد أكدتها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) أى فمدت مد الأديم العكاظي وتبدلت الأرض غير الأرض (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء ففى يومئذ واهية) قال سماك عن شيخ من بني أسد عن طي قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج هي كقوله (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وقال ابن عباس متخرقة والعرش بجذائها (والملك على أرجائها) الملك اسم جنس أى الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس طي ما لم يه منها أى حافظها وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعي ، وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصري أبوابها ، وقال الربيع بن أنس فى قوله (والملك على أرجائها) يقول طي ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض . وقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أى يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب ، وفى حديث عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب فى ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أو عال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو السمع البصري حدثنا أبو قيلحي بن هانيء أنه سمع عبدالله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال كتب إلى أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن النكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أذن لى أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنته مخفق الطير سبعمائة عام » وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود فى كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » هذا لفظ أبي داود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال : وروى عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك ، وكذا روى السدى عن أبي مالك عن ابن عباس : ثمانية صفوف وكذا روى العوفى عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكرويون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أى تعرضون طي عالم السر والتجوى الذى لا يخفى عليه شئ من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى (لا تخفى منكم خافية) وقد قال ابن أبى الدنيا أخبرنا إسحق بن إسماعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخف عليكم فى الحساب غدا أن تمسبوا أنفسكم اليوم وتزنوا للعرض الأكبر (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا طي ابن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدي فآخذ يمينه وآخذ بشماله » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذى عن أبي كريب عن وكيع عن طي بن طي عن الحسن عن أبي هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليم بن حيان عن مروان الأصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأيدي فآخذ يمينه وآخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسل مثله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةَ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةَ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه (هاؤم اقرءوا كتابيه) أى خذوا اقرءوا كتابيه لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسانات محضة لأنه بمن بدل الله سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) أى ها اقرءوا كتابيه وثم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى ها كم وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا بشر بن مطر الواسطى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الأحول عن أبى عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه فى ستر من الله فيقرأ سيئاته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحساناته فيقرأها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه . وحدثنا أبى حاتم إبراهيم ابن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرنى عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل اللاتكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أى يظهر سيئاته فى ظهر صحيفة فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أى رب ، فيقول له إني لم أفضحك به وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إني ظننت أنى ملاق حسايه) حين نجا من فضيخته يوم القيامة . وقد تقدم فى الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدنى الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى إني سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمافى فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين » وقوله تعالى (إني ظننت أنى ملاق حسايه) أى قد كنت موقفا فى الدنيا أن هذا اليوم كائن لاحتاة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال الله تعالى (فهو فى عيشة راضية) أى مرضية (فى جنة عالية) أى رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعمة دورها ، دائم حبورها

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حنيفة أبو عتبة الحسن بن على بن مسلم السكونى حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة ، قال « نعم إنه ليس لهم أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تقصر بهم أعمالهم » وقد ثبت فى الصحيح « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وقوله تعالى (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) قال البراء بن عازب أى قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريرته وكذا قال غير واحد قال الطبرانى عن الدبرى عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه الجنة عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ » وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعطى المؤمن جوازا على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه الجنة عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ » وقوله تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) أى يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا وإلا فقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله قل « ولأننا إلا أن يتغمدى الله برحمته منه وفضل »

﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةَ * وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَّةَ * يَلَيِّنَهَا كَانَتْ

الْقَاضِيَةِ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةِ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةِ * خَذُوهُ فَعَلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ *
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِثُونَ ﴿

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى أحدهم كتابه في العرصات بشاله فحينئذ يندم فاية الندم (فيقول ياليتني
لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسايه * ياليتها كانت القاضية) قال الضحاك يعني موته لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن
كعب والريبع والسدي وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه (ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه)
أى لم يدفع عني مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه بل خلس الأمر إلى وحدي فلا معين لى ولا مجير فعندها يقول الله
عز وجل (خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه) أى يأمر الزبانية أن تأخذوه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الأغلال في عنقه ثم
تورده إلى جهنم فتصلبه إياها أى تغمره فيها . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن
قيس عن المنهال بن عمرو قال إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك إن الملك منهم ليقول هكنا فيلقى
سبعين ألفا في النار . وروى ابن أبي الدنيا في الأحوال أنه يتبدره أربعمائة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه فيقول مالى ولك
فيقول: إن الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك ، وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب عز وجل خذوه فغلوه
ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى اغمروه فيها ، وقوله تعالى (ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) قال كعب الأجار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العوفي عن ابن عباس
وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس (فاسلكوه) تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظّمون فيها
كما ينظّم الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على
رجليه وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن عيسى بن هلال
الصدقي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن راضاة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة -
أُرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أُرسلت من رأس السلسلة
لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » وأخرجه الترمذى عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن
المبارك به وقال هذا حديث حسن . وقوله تعالى (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يقوم
بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ، فإن لله على العباد أن يوحّدوه ولا يشركوا به
شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بأقام الصلاة وإيتاء الزكاة
وقبض النبي ﷺ وهو يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وقوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم *
ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون) أى ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لاجمى وهو
القريب ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الريبع والضحاك
هو شجرة في جهنم ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خفيف
عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدرى ما الغسلين ولكنى أظنه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس
قال الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال على بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار .

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا
مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ * نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى مقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من الغيبات عنهم إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ، أضافه إليه على معنى التبليغ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول للملكي (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام ، ثم قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) يعني أن محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها (وما هو على الغيب بضنين) أي بمتهم (وما هو بقول شيطان رجيم) وهكذا قال ههنا (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا يقول كاهن قليلاً ما تذكرون) فأضافه الله تارة إلى قول الرسول للملكي وتارة إلى الرسول البشري لأن كلاهما مبلغ عن الله ما استأنسه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى (تنزيل من رب العالمين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو الغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمعت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال : فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال ققرأ (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) قال فقلت كاهن ، قال ققرأ (ولا يقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) إلى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ، فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة والله الحمد والمنة

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ يَأْمُرُونَ بِالْكَفَرِ * إِنَّهُمْ كَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

يقول تعالى (ولو تقول علينا) أي محمداً صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لأجلنا بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى (لأخذنا منه باليمين) قيل معناه لا نتقنا منه باليمين لأنها أشد في البطش ، وقيل لأخذنا يمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه . وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك . والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات . ثم قال تعالى (وإنه لتذكرة للذين آمنوا وعدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عسى) ثم قال تعالى (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن . ثم قال تعالى (وإنه لحسرة على الكافرين) قال ابن جرير وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة . وحكاة عن قتادة بمثله وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك (وإنه لحسرة على الكافرين) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير إلى القرآن أي وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى (كذلك سلكتهم في قلوبهم الجبرمين لا يؤمنون به) وقال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) ولهذا قال ههنا (وإنه لحق اليقين) أي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة سأل سائل وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَأَصْبَحَ سَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا)

(سأل سائل بعذاب واقع) فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) أى وعذابه واقع لاحالة . قال النسائي حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) قال الضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس (سأل سائل بعذاب واقع) قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى (سأل سائل) دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ابن زيد وغيره (سأل سائل بعذاب واقع) أى واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله تعالى (واقع للكافرين) أى مرصداً للكافرين . وقال ابن عباس واقع جاء (ليس له دافع) أى لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى (من الله ذى المعارج) قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ذى المعارج) قال ذو الدرجات ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذى المعارج يعنى العلو والفواضل وقال مجاهد ذى المعارج معارج السماء ، وقال قتادة ذى الفواضل والنعم . وقوله تعالى (تعرج للملائكة والروح إليه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً ، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم فانها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء ، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو دواد والنسائي وابن ماجه من حديث النهاج عن زاذان عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة قال فيه « فلا يزال يصعد بها من مماء إلى مماء حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله » والله أعلم بصحته فقد تكلم فى بعض رواياته ولكنه مشهور وله شاهد فى حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه ، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . وقوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فيه أربعة أقوال (أحدها) أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى فى وسط الأرض السابعة ، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا حكام بن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال انتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة (فى يوم كان مقداره ألف سنة) يعنى بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض

مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكيم بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ﴿ القول الثاني ﴾ أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوما (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم) قال اليوم الدنيا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدرى أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل ﴿ القول الثالث ﴾ أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى ابن عبيدة أخبرني محمد بن كعب (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ﴿ القول الرابع ﴾ أن المراد بذلك يوم القيامة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سمالك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العدائي قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة : ردوه إلى فردوه فقال نبئت أنك ذومال كثير فقال العامري إني والله إن لي لمائة حمرا ومائة أدماء حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الحيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذا يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له إبل لا يعطى حقها في نجبتها ورسولها » قلنا يا رسول الله ما نجبتها ورسولها ، قال « في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمه وآشره حتى ييطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فاذا حاوزته أخرها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقرة لا يعطى حقها في نجبتها ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمه وآشره ثم ييطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطح كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها في نجبتها ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمه وآشره حتى ييطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطح كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى

سبيله « فقال العامري وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال أن تعطى الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقى الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به طريق أخرى لهذا الحديث » قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتسكوى بها جهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وذكر بقية الحديث في التتم والابل كما تقدم وفيه « الخيل لثلاثة لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وطي رجل وزر » إلى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طريقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام ، والغرض من إيراده هنا قوله « حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علي وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه ، فقال إنما سألتك لتحدثني ، قال هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) أي اصبر يا أحمد طي تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ولهذا قال (إنهم يرونه بعيدا) أي وقوع العذاب . وقيام الساعة يراه الكفرة بعيدا لوقوع بمعنى مستحيل الوقوع (ونراه قريبا) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيماً * يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْجُحْرِ * لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوْىِ * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين (يوم تكون السماء كالمهل) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردي الزيت (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف النفوش قاله مجاهد وقتادة والسدي ، وهذه الآية كقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن النفوش) . وقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميلاً) أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره قال العوفي عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وهذه الآية السكينة كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) وكقوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وكقوله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقوله تعالى (يود المحرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلاً) أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بعء الأرض ذهباً أو من ولده القدي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأحوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدي (فصيلته) قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة فخذ الله هو منهم وقال أشهب عن مالك : فصيلته أمه

وقوله تعالى (إنها لظى) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وقال العوفي عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والهام؛ وقال مجاهد مادون العظم من اللحم، وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب وقال أبو صالح (نزاعة للشوى) يعنى أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا (نزاعة للشوى) لحم الساقين، وقال الحسن البصرى وثابت البناني (نزاعة للشوى) أى مكارم وجهه، وقال الحسن أيضا تحرق كل شئ فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة (نزاعة للشوى) أى نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه. وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا، وقال ابن زيد الشوى: الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم. وقوله تعالى (تدعو من أدبر وتولى) وجمع فأوعى (أى تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها: وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه) وجمع فأوعى (أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة. وقد ورد في الحديث «ولا توعى فيوعى الله عليك» وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول (وجمع فأوعى) وقال الحسن البصرى يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا. وقال قتادة في قوله (وجمع فأوعى) قال كان جموعا قوموا للخبيث

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ دِينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَقْنَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة (إن الإنسان خلق هلوعا) ثم فسره بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أى إذا مسه الضر فرع وجزع وانخل قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خبر (وإذا مسه الخير منوعا) أى إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «شر ما في رجل: شح هالغ وجبن خالغ» ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبي عبد الرحمن المقرئ به وليس لعبد العزيز عنده سواء. ثم قال تعالى (إلا الصلّين) أى الإنسان من حيث هو متصف بصفات الدم إلا من عصمه الله ووقفه وهده إلى الخير ويسر له أسبابه وهم الصلّون (الذين هم على صلّاتهم دائمون) قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي، وقيل المراد بالصلّاء ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلّاتهم خاشعون) قاله عتبة بن عامر ومنه للماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذى لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلّاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلّاته، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ

أنه قال « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفي لفظ « ما داوم عليه صاحبه » قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه ، وفي لفظ أثبتته ، وقال قتادة في قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو عموذ ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن

وقوله تعالى (والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) أى فى أموالهم نصيب مقرر لدوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الداريات . وقوله تعالى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون (إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى من الإماء (فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون) أى إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يهدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد فى الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وفى رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وقوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قانئون) أى يحافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتُمونها (ومن يكتُمها فإنه آثم قلبه)

ثم قال تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال ههنا (أولئك فى جنات مكرمون) أى مكرمون بأنواع اللذات واللسار

﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْمَلُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْنُهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ * يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ * خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يميننا وشمالا فرقا فرقا ، وشيعا شيعا ، كما قال تعالى (فلهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة) الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين (عن اليمين وعن الشمال عزين) واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس (فما للذين كفروا قبلك

مهطمين قال قبلك ينظرون (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن في قوله (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون : ما قال هذا الرجل ؟ وقال قتادة (مهطعين) عامدين (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة وعبر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووکیع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الأعمش عن السيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن مرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الأعمش به وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

وقوله تعالى (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا) أي أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ وفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقررا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبذاءة التي الاعداء أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أي من اللئ الضعيف كما قال تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) وقال (فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) أي الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها . وتقرير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ، ولهذا أتى بآتي ابتداء القسم ليدل على أن القسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر أصناف الموجودات ولهذا قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير) وقال تعالى في الآية الأخرى (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال ههنا (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خيرا من هذه فإن قدرته سالحة لذلك (وما نحن بمسبوقين) أي بما جازين كما قال تعالى (أحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوي بنانه) وقال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) واختار ابن جرير (على أن نبدل خيرا منهم) أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ، ثم قال تعالى (فذرهم) أي يا محمد (يخوضوا ويلعبوا) أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي فسيعلمون غيب ذلك ويدققون وباله (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير إلى غاية يسعون إليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصب ، وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عينوه يوفضون يتبدرون أيهم

يستله أول . وهذا مروى عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقاتدة والضحاك والريشع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) أى خاضعة (ترهقهم ذلة) أى فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) . آخر تفسير سورة سأل سائل ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة نوح عليه السلام وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنبأوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين) أى بين النذارة ظاهر الأمر واضحه أن اعبدوا الله واتقوه أى اتركوا محارمه واجتنبوا ما أمره (وأطيعوا) فيها أمرهم به وأنها كم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن هنا قيل إنها زائدة ولكن القول بزدياتها فى الإثبات قليل ، ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر ، وقيل إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل إنها للتبعض أى يغفر لكم الذنوب العظيم التى وعدكم على ارتكابكم إياها الاتقام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى يمد فى أعماركم ويدبر عنكم العذاب الذى إن لم تحتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم ، وقد يستدل بهذه الآية من يقول إن الطاعة والبروصلة الرحم يزادها فى العمر حقيقة كما ورد به الحديث « صلة الرحم تزيد فى العمر » . وقوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة فانه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذى قد قهر كل شىء العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِيْعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأُصْصَغُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأُصْصَكَبُوا أَسْتَكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّيَّءَ عَلَيْكُمْ مَّدْرَارًا * وَبَمَدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبِجَعَلْ لَكُمْ جُنَّتٍ وَبِجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لَتَنَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم فى تلك المدة الطويلة التى هى ألف سنة إلا خمسين عاما وما بين لقومه ووضع لهم ودعاهم إلى الرشيد والسييل الأقوم فقال :

(رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا) أى لم أترك دعاءهم فى ليل ولانهار امتثالا لأمرى وابتغاء لطاعتك (فلم يزدتم دعائى إلا فرا) أى كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم) أى سدوا آذانهم لئلا يسمعون ما أدعوم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم . وقال سعيد بن جبير والسدى غطوا رؤوسهم لئلا يسمعون ما يقول (وأصروا) أى استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع (واستكبروا استكبارا) أى واستنكفوا عن اتباع الحق والالتحاق به (ثم إني دعوتهم جهارا) أى جهره بين الناس (ثم إني أعلنت لهم) أى كلاما ظاهرا بصوت عال (وأسررت لهم إسرارا) أى فيما بينى وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) أى ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فانه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كانت فى الكفر والشرك ، ولهذا قال (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) أى متواصلة الأمطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة فى صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات فى الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجادع السماء التى يستنزل بها المطر . وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا . وقوله تعالى (ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار) أى إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسفاكم من بركات السماء وأثبت لكم من بركات الأرض وأثبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها ، هذا مقام الدعوة بالترغيب ، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (مالكم لا ترجون لله وقارا ؟) أى عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظمته أى لا تخافون من بأسه وقمته (وقد خلقكم أطوارا) قيل معناه من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدى وابن زيد . وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) أى واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور الدركة بالحواس مما علم من التسيير والكسوفات فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر فى السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد فى الثانية والزهرة فى الثالثة ، والشمس فى الرابعة والربيع فى الخامسة والمشتري فى السادسة وزحل فى السابعة وأما بقية الكواكب وهى الثوابت فى فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهى من المغرب إلى المشرق ؛ وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من الغرب إلى المشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع فى السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه فى هذا المقام على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة لسننا بصدد بيانها وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) أى فاوت بينهما فى الاستنارة فجعله كلا منهما آئودجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى ينتهى ثم يشرع فى النقص حتى يستسر ليدل على مضى الشهور والأعوام كما قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا اسم مصدر والأتان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أى إذا متم (ويخرجكم إخراجا) أى يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة (والله جعل

لكم الأرض بساطاً) أى بسطها ومهدا وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشاخات (تسلكوا منها سبلا فجاجاً) أى خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبتهم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من النافع السماوية والأرضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهادا وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذى يجب أن يعبد ويوحى ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عدل له ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلى الكبير

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أنهى إلى وهو العليم الذى لا يعزب عنه شئ أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة للشملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بجمال وأولاد وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا) قرىء وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب وقوله تعالى (ومكروا مكرا كبيرا) قال مجاهد كبيرا أى عظيما ، وقال ابن زيد كبيرا أى كبير والعرب تقول أمر عجيب وعجاف وعجاف ، ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى فى قوله تعالى (ومكروا مكرا كبيرا) أى باتباعهم فى تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة (بل مكروا الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفربالله ونجعل له أندادا) ولهذا قال ههنا (ومكروا مكرا كبيرا) وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد : أما ود فكانت لسكر بدومة الجندل ؛ وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لمحمدان وأما نسر فكانت لمجير لآل ذى كلاء وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد فى زمن نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس (ويغوث ويعوق ونسرا) قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة شيث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال : أخبرنى جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقايل وصالح وعبد الرحمن الذى كان سماه عبد الحارث ، وود وكان وديقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر وقال ابن حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عمرو الدورى حدثنى أبو إسحاق المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن أبى حزة عن عروة بن الزبير قال : اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث ويعوق وسواع وسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبى المطهر

قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب ، قال فلما اقبل من صلاته قال : ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فله رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديتكم فتذكرونه ؟ قالوا نعم فنصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديتهم وجعلوا يذكرونه ؛ فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم ، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكركم إياه حتى اتخذها يعبودونه فمن دون الله أولاد أولادهم فكان أول ماعبد من دون الله : الصنم الذي صوره ودا .

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيرا) يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه (واجنبي وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه ليعرهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون ومثله في قوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

﴿ مِمَّا خَطَبْتِهِمْ أَغْرَقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

يقول تعالى (بما خطبناهم) وقرىء خطايهم (أغرقوا) أى من كثرة ذنوبهم وعتوم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فادخلوا نارا) أى تقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أى لم يكن لهم معين ولا معيذ ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أى لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك : ديارا واحدا وقال السدي : الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى وله نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال (سأوى إلى جبل يعصمي من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما اللوح فكان من الثقلين) وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبا فلما بلغ الماء منكبا وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها يدها فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) أى إنك إن أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك أى الذين تخلقهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أى فاجرا في الأعمال كافرا القلب وذلك لخبرته بهم ومكته بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قال (رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمنا) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التجبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصعب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي

إنما نعرفه من هذا الوجه. وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة للشروعة، وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) قال السدي إلهلاكوا وقال مجاهد إلهلاكوا أي في الدنيا والآخرة. آخر تفسير سورة نوح عليه السلام والله الحمد .

(تفسير سورة الجن وهي مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنا به وصدقوه واتقوا واليه فقال تعالى (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجا * يهدي إلى الرشد) أي إلى السداد والنجاح (فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا) وهذا القام شبيه بقوله تعالى (وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) وقد قدمنا الأحديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته هنا

وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (جد ربنا) أي فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروى عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة تعالى جلالة وعظمته وأمره ، وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) أي تعالى ربنا ، فأما مارواه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال : الجد أب ولو علمت الجن أن في الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا إسناد جيد ولكن لست أفهم مامعنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم . وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد ، أي قالت الجن : تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ صاحبة والولد ثم قالوا (وانه كان يقول سفيننا على الله شططا) قال مجاهد وعكرمة وقاتدة والسدي (سفيننا) يعنون إبليس (شططا) قال السدي عن أبي مالك (شططا) أي جورا ، وقال ابن زيد أي ظلما كبيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيننا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا ولهذا قالوا (وانه كان يقول سفيننا) أي قبل إسلامه (على الله شططا) أي باطلا وزورا ولهذا قالوا (وانا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا) أي ما حسبنا أن الانس والجن يتأثنون على الكذب على الله تعالى في نسبة صاحبة والوالد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك ، وقوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي كنا نرى أن لنا فضلا على الانس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وأديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم شيء يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تمودا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أي إنما ازدادت الجن عليهم بذلك جراءة ، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (فزادوهم رهقا) أي ازدادت الجن عليهم جرأة . وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من

الجن أن أضرب أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى ، قال قتادة : فإذا غاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أنى حدثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذا نزلوا وأدبوا بهرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادى فقال الجن نراهم يفرقون منا كما تفرق منهم فدنا من الإنس فأصابوهم بالخبيل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى إثمًا . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أى خوفا . وقال العوفي عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أى إثمًا وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانًا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المعرف الكندى حدثنا القاسم بن مالك - يعنى المزنى - عن عبد الرحمن ابن إسحق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصارى قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأوانا البيت إلى راعى غنم فلما اتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله . فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يهرب الإنسى ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم ، وقوله تعالى (وأنهم ظنوا كما ظنن أن لن يبعث الله أحداً) أى لن يبعث الله بعد هذه اللة رسولا . قاله الكلبى وابن جرير .

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً فَخَرَّ سَرَّاسِدًا وَسُهِبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسَنِ فَفَنِ يَسْتَمِعِ
الآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أراجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا *) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (أى من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحرقه ويهلكه) وأنا لا ندري أشتر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا (أى ما ندري هذا الأمر الذى قد حدث في السماء لا ندري أشتر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ، وهذا من أدهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخبر أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد في الصحيح « والشر ليس إليك » وقد كانت السكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » فقلنا كنا نقول يولد عظيم ، يموت عظيم فقال « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء » وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتامه وهذا هو السبب الذى حملهم على طلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذى حفظت من أجله السماء فأمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقى كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الآية ولا شك أنه لما حدث

هذا الأمر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لحراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت القاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رجوا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقامهم ويسبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً ﷺ وإن نظرتهم فلم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم ففرغت الشياطين في تلك الليلة فأثروا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال اتنوني من كل أرض بقبضة من تراب أثمها فأثوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلمهم تصيه ثم أسلوا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من كتاب السيرة الطول والله أعلم والله الحمد ولله

﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَالْوِلْدَانُ اسْتَغْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا * لَنَفْتَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أى غير ذلك (كنا طرائق قدا) أى طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قدا) أى منا المؤمن ومنا الكافر وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحشل حدثنا علي بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول تروح إلينا حتى قفلت له ما أحب الطعام إليكم فقال الأرز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً قفلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال نعم ، قفلت لما الراضة فيكم ؟ قال: شربنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج اللزني فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش ، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد : قلوب براها الحب حتى تعقلت * مذاهبها في كل غرب وشارق تهيم بحب الله والله ربها * معلقة بالله دوت الخلائق

وقوله تعالى (وأنا ظنننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً) أى نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لانعجزه في الأرض ولو أمعنا في الحرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً) قال ابن عباس وقتادة وغيرها فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فإنه العادل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) أى طلبوا لأنفسهم النجاة (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أى وقودا تسعير بهم وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غداً * لنفتنهم فيه) اختلف المفسرون في معنى هذا على

قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمعوا عليها (لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وكقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وعلى هذا يكون معنى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لئبتيهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ﴿ ذكر من قال بهذا القول ﴾ قال العوفي عن ابن عباس (وأن لو استقاموا على الطريقة) يعنى بالاستقامة الطاعة ، وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) قال الإسلام وكذا قال سعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظي ، وقال قتادة (وأن لو استقاموا على الطريقة) يقول لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا . وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله (لنفتنهم فيه) أى لئبتيهم به . وقال مقاتل نزلت فى كمار قریش حين منعوا المطر سبع سنين . ﴿ والقول الثانى ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) الضلال (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وكقوله (أحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ؟) وهذا قول أبى مجاز لاحق بن حميد فانه قال فى قوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وحكاها البغوى عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه . وقوله (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) أى عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتة وابن زيد (عذابا صعدا) أى مشقة لا راحة معها ، وعن ابن عباس : جبل فى جهنم وعن سعيد بن جبير : بئر فيها

﴿ وَأَنَّ السَّاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه فى محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة فى قوله تعالى (وأن الساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده . وقال ابن أبى حاتم : ذكر على بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سمع عن السدى عن أبى مالك أو أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (وأن للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد) قاله لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت القدس وقال الأعمش قالت الجن يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك فأنزل الله تعالى (وأن للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد) يقول صلوا لا تخالطوا الناس . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن محمود عن سعيد بن جبير (وأن للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد) قال : قالت الجن لنبى الله ﷺ كيف لنا أن نأتى المسجد ونحمن ناءون ؟ أى بعيدون عنك ، وكيف نشهد الصلاة ونحمن ناءون عنك ؟ فنزلت (وأن للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد)

وقال سفيان عن خفيف عن عكرمة نزلت فى الساجد كلها ، وقال سعيد بن جبير نزلت فى أعضاء السجود أى هى

لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجهة — أشار بيده إلى أشفه — واليدين والركبتين وأطراف القدمين » ، وقوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتمه الرسول فجعل يقرئه (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) يستمعون القرآن . هذا قول وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا أبو مسلم عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) فقالوا لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضا ، وقال الحسن لما قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة في قوله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفثوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه ، وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله بعده (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبتلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته (إنما ادعوربي) أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه (ولا أشرك به أحدا) ، وقوله تعالى (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلى من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل ، ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يبيده من الله أحدا لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على انقاذ من عذابه (ولن أجسد من دونه ملتحدا) قال مجاهد وقتادة والسدي لا ملجأ وقال قتادة أيضا (قل إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجسد من دونه ملتحدا) أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لا ولي ولا موئل

وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله ورسالاته) قال بعضهم هو مستثنى من قوله (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا) ويحتمل أن يكون استثناء من قوله (لن ينجيني من الله أحد) أي لا ينجيني منه ويخلصني إلا بإلاغي الرسالة التي أوجب أداها على كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) أي أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها . وقوله تعالى (حتى إذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا) أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا ، هم أم المؤمنين للموحدون لله تعالى ؟ أي بل الشركين لا ناصر لهم بالسكينة وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَهُمْ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد (قل إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) أي مدة طويلة وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي

يتداوله كثير من الحيلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض كذب لأصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيمأسأله أن قال يا محمد فأخبرني عن الساعة ؟ قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال يا محمد متى الساعة قال « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » قال أما إنى لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكنى أحب الله ورسوله قال « فأنت مع من أحببت » قال أنس فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسى بيده إنما توعدون لآت » وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخنسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إني لأرجو أن لا نعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعم الرسول المسمى والبشرى . ثم قال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أى يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقونهم على مامعه من وحى الله ولهذا قال (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) وقد اختلف المفسرون في الضمير الذى فى قوله (ليعلم) إلى من يعود ؟ قيل إنه عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظه من الملائكة مع جبريل (ليعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) وراوه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمى به . وهكذا رواه الضحاك والسدى ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس فى قوله (إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال هى معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الدين أرسل إليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي نجيع عن مجاهد (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم من كذب الرسل ان قد أبلغوا رسالات ربهم وفى هذا نظر . وقال البغوى قرأ يعقوب (ليعلم) بالضم أى ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا . ويحتمل ان يكون الضمير عائدا إلى الله عز وجل وهو قول حكاة ابن الجوزى فى زاد السير ، ويكون المعنى فى ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى (وما جعلنا القبله التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وكقوله تعالى (ولعلمن الله الذين آمنوا ولعلمن النافقين) إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ، ولهذا قال بعد هذا (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) . آخر تفسير سورة الجن والله الحمد ولله .

﴿ تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية ﴾

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا أحمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سمو هذا الرجل اسماً يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، ففرق المشركون على ذلك فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قرئ في ثيابه وتدنر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يا أيها المزمل) (يا أيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نُصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرْ إسمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل وهو التغطى في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ممثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً) قال ابن عباس والضحاك والسدي (يا أيها المزمل) يعنى يا أيها النائم . وقال قتادة : التزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعي : نزل وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يا أيها المزمل) قال يا محمد زملت القرآن . وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه) أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك . وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلاً) أى اقرأ على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن عوف عن سيفان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها » رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سيفان الثوري به وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » « ليس منا من لم يثخن بالقرآن » « ولقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » يعنى أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبته لك تحبيراً وعن ابن مسعود أنه قال لا تثرؤه شر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوى وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت الفصل الليلة في ركعة . فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة وقوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً) قال الحسن وقتادة أي العمل به وقيل ثقیل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك لما من مرة يوحى إلى الإلظنت أن نفسى تقبض » تفرد به أحمد . وفي أول صحيح البخارى عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى ؟ فقال « أحيانا يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده على ففصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأطل حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام ابن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فماتستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقیل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين

وقوله تعالى (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قیلا) قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : نشأ ، قام بالحبشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجاز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن السكندر والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآنات ، والقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى (هي أشد وطأ وأقوم قیلا) أى أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولنط الأصوات وأوقات المعاش . وقال الحافظ أبو يعلى اللوصلى حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قیلا) فقال له رجل إنما تقرأها وأقوم قیلا ، فقال له إن أصوب وأقوم وأهيا وأشباه هذا واحد . ولهذا قال تعالى (إن لك في النهار سبحا طويلا) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم : الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري : فراغا طويلا . وقال قتادة فراغا وبنية ومتقلبا . وقال السدى (سبحا طويلا) تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (إن لك في النهار سبحا طويلا) قال الحواشيك فأفرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ثم قرأ (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه — حتى تبلغ — فاقراءوا ما تيسر منه) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهذا الذى قاله كما قاله .

والدليل عليه ما رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن زارة ابن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقى رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « أليس لكم في أسوة حسنة ؟ » فنهام عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال اثنت عائشة

فسلها ثم ارجع إلى فأخبرني بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال ما أنا بقارها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبى فيها إلا مضياً ، فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا الذي معك ؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام ؟ قال ابن عامر قال فترجعت عليه وقالت نعم المرء كان عامراً قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت أأستقرأ القرآن قلت بلى قالت فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدلى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أأستقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل ؟) قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة . فهممت أن أقوم ثم بدلى وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعتين لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليما يسمعا ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك إحدى عشرة ركعة يابى ، فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافئني مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بن حنبل وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه

(طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قال جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلي عليه من الليل فتسمع الناس به فاجتمعوا فخرج كل مضطرب وكان بهم رجيا فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يعمل من الثواب حتى تعملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه » ونزل القرآن (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فشكلوا بذلك ثمانية أشهر قرأ الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردمهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قديمهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هي مكة وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفي سمعت ابن عباس يقول : أول منازل أول الزمل كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزلت (يا أيها المزمل) قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقرءوا ما تيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال : قلت لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أليست تقرأ (يا أيها الزمل) ؟ قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل إلا قليلا) قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيها الزمل) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك يعلم أنك تقوم أذنى من لثي الليل ونصفه وثله وطائفة من الذين معك - إلى قوله تعالى - وأقيموا الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله تعالى - فاقروا ما تيسر منه) فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق ، وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أى أكثر من ذكره واقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي (وتبتل إليه تبتيلا) أى أخلص له العبادة ، وقال الحسن : اجتهد وأبذل إليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعباد متبتل ومنه الحديث المروى نهى عن التبتل يعنى الانقطاع إلى العبادة وترك الزوج . وقوله تعالى (رب للشرق والغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلا) أى هو المالك للتصرف في المشرق والمغرب الذى لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذوه وكيلا كما قال تعالى في الآية الأخرى (فاعبدوه وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأُجْرُكُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالنَّعْمَةَ وَأَهْلَهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَجِيًّا * وَطُعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيَابٍ مُّهَيَّلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجرا جميلا وهو الذى لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذى لا يقوم لغضبه شيء (وذرنى والنعمه) (وذرني والكاذبين أولى النعمة) أى دعى والكاذبين المترفين أصحاب الأموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم (ومهلهم قليلا) أى رويدها كما قال تعالى (فتهم قليلا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ) ولهذا قال ههنا (إن لدينا أنكالا) وهى القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس وعبد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحامد بن أبى سليمان وقاتدة والسدي وابن البار للوالتورى وغير واحد (وججيا) وهى السعير المضطربة (وطعاما ذا غصة) قال ابن عباس ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج (وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال) أى تنزل (وكانت الجبال كغياب مهيل) أى تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء

إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعا صافصفا لا ترى فيها عوجا أى واديا ولا أمتا أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس (إننا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) أى بأعمالكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذنا ويلا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثورى (أخذنا ويلا) أى شديدا أى فاحذروا أتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) وأتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم، وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أى من شدة أهواله وزلازله وبلاؤه وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابث النار فيقول من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. قال الطبرانى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الحراسانى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال «ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابث من ذريتك بعنا إلى النار، قال من كم يا رب؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد» فاشند ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم «إن بنى آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل فيفهم وفى أشباههم جنة لكم» هذا حديث غريب وقد تقدم فى أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث. وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لأنه لم يجزله ذكر ههنا، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قُرْآنًا حَسَنًا وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى يتذكر بها أولو الألباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى من شاء الله تعالى هدايته كما قيده فى السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) إن الله كان علما حكما ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منك ولكن لا تقدر على المواظبة على ما أمرك به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أى تارة يمتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن نحصوه) أى الفرض الذى أوجب عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقرءاء كما

قال في سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أى بقرائك (ولا تخافت بها) وقد استدلل أصحاب الإمام أبى حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهى قوله (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعيين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ولو بآية أجزاء واعتضدوا بحديث للسئ صلاته الذى فى الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن فهى خداج فهى خداج غير تمام » وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعا « لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأمر القرآن » . وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى السكاسب وللتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمقدمات المستقبلية ولهذا قال تعالى (فاقراءوا ما تيسر منه) أى قوموا بما تيسر عليكم . قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك ، قال الله تعالى للعبد الصالح (وإنه لدو علم لما علمناه) (وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا أبأؤكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفى السنن « أوتروا بأهل القرآن » وفى الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن أبى بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فأنه أعلم . وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزيدى حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طائوس من ولد طائوس عن أبيه عن طائوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (فاقراءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا فى معجم الطبرانى رحمه الله تعالى : وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال أن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت التى كان الله قد أوجبها على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل « خمس صلوات فى اليوم والليلة » قال هل على غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى من الصدقات فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما يقيمونه لأنفسكم فى الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « أياكم ما أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ما له أحب إليه من مال وارثه قال « اعلموا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ورواه البخارى من حديث حفص بن غياث والنسائى من طريق أبى معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أى أكثروا من ذكره واستغفروه فى أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره . آخر تفسير سورة للزمل والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة المدثر وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * فَإِذَا يُعْرَفِ * فَأَنذِرْ * فَذَلِكَ يَوْمُنَا يَوْمُ عَسِيرٍ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ)

ثبت في صحيح البخارى من حديث يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) كما سيأتى ذلك هناك إن شاء الله تعالى . قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذى خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لى فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامى فلم أر شيئاً ونظرت خلفى فلم أر شيئاً فرفعت رأسى فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء بارداً قال - فدثرونى وصبوا على ماء بارداً - قال - فزلت (يا أيها المدثر . قم فأندِر . وربك فكبر) « هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال فى حديثه « فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجلست منه حتى هويت إلى الأرض فجلست إلى أهلى فقلت زمولونى زمولونى فأنزل (يا أيها المدثر . قم فأندِر - إلى - فاهجر) - قال أبو سلمة والرجز الأوثان - ثم حمى الوحي وتتابع « هذا لفظ البخارى ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضى أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذى كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق) خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم قرأ الوحي عنى فترة فبينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجلست منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجلست إلى أهلى فقلت لهم زمولونى زمولونى فزمولونى فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأندِر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحي وتتابع « خرجاه من حديث الزهري به . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن طلى بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلي حدثنا المعافى بن عمران عن إبراهيم بن يزيد سمعت ابن أبى مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا منه قال ما تقولون فى هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فعزّن وقنع رأسه وتدثر بأنزله فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأندِر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) وقوله تعالى (قم فأندِر) أى شمر عن ساق العزم وأندِر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (وربك فكبر) أى عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الأحول الكندى عن عكرمة عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه

الآية (وثيابك فطهر) قال لا تلبسها على معصية ولا على غدره ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :
فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتفتنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال إبراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الاثم ، وكذا قال إبراهيم النخعي وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفي رواية عنه (وثيابك فطهر) أي عملك فأصلح ، وكذا قال أبو رزين وقال في رواية أخرى (وثيابك فطهر) أي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أي طهرها من اللعاصي وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف جهده الله إنه لدنس الثياب وإذا وفى وأصلح إنه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لا تلبسها على معصية . وقال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من الأثوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعني لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ويقال لا تلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أي اغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهروا وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجلى

وإن تك قد ساءت لك مني خليقة فلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري : وخلقك فحسن ، وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الأصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقاتدة والزهرى وابن زيد : إنها الأوثان ، وقال إبراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) . وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لا تعط العطية تلتبس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقاتدة والسدي وغيرهم وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (ولا تمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصري : لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خفيف عن مجاهد في قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف ، وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز وجل . وقوله تعالى (فاذا قرأ القرآن فاستمع له حتى قل ما يقول) قال ابن عباس (فاذا قرأ القرآن) أي إذا قرأ القرآن فاستمع له حتى قل ما يقول . وقال ابن عباس (فاذا قرأ القرآن) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب القرن قد أقيم القرن ونحن ينتظر متى يؤمر فنفتح ؟ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « فإنا نأمرنا يا رسول الله ؟ » قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به .
وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) أي غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول

الكافرون هذا يوم عسر) ، وقدرينا عن زرارة بن أوفى قاضى البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى (فاذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحموا) شق شققة ثم خرميتا رحمه الله تعالى

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُنَبِّقُ وَلَا تُدْرِكُ * لَوَاحَةً لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)

يقول تعالى متوعدا لهذا الحثيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرًا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيداً) أى خرج من بطن أمه وحده لآمال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدوداً) أى واسعا كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهوداً) قال مجاهد لا يغيبون أى حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم ، وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشرة وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ فى النعمة وهو إقامتهم عنده (ومهدت له تمهيداً) أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلاً) لأنه كان لآياتنا عنيداً (أى معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم ، قال الله تعالى (سأرهقه صعوداً) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوى به كذلك فيه أبداً » وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وطى بن عبد الرحمن المعروف ببلان القرى قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعد فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعوداً صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعوداً صخرة ملساء فى جهنم يكلف أن يصعد بها وقال مجاهد (سأرهقه صعوداً) أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذاباً لراحة فيه واختاره ابن جرير . وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أى إنما ألهقه صعوداً أى قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يخلق من القال (وقدر) أى تروى (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر) دعاء عليه (ثم نظر) أى أعاد النظرة والتروى (ثم عبس) أى قبض بين عينيه وقطب (وبسر) أى كلع وكره ومنه قول توبة بن حمير :

وقد راينى منها صدود رأيتہ وإعراضها عن حاجتى وبسورها

وقوله (ثم أدبر واستكبر) أى صرف عن الحق ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكى عنهم ولهذا قال (إن هذا إلا قول البشر) أى ليس بكلام الله وهذا المذكور فى هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره فى هذا ما رواه

العوفى عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش اتسمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أ كفيكم شأنه فأنطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال ألسنت أ كثرهم مالا وولدا فقال له أبو جهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقصد تحدث به عشرين أ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لا تبق ولا تذر) وقال قتادة : زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيها قال الرجل فإذا هوليس بشعر وإن له خلوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض ما بين عينيه وكلع ، وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رقه فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال أى عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ، قال يعطونك فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أنى أ كثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال وانك كاره له ، قال فماذا أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذى يقوله لخلوة ، وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلو وما يعلى ، وقال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعنى حتى أتمكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا ، وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج لصدوم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، قال الله تعالى (سأصليه سقر) أى سأعمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال تعالى (وما أدراك ما سقر) وهذا تهويل لأمرها وتضخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لا تبق ولا تذر) أى تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يعوتون ولا يحيون ، قاله ابن بريده وأبو سنان وغيرها

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أى للجلد ، وقال أبو رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة (لواحة للبشر) أى حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى (عليها تسعة عشر) أى من مقدمى الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حارث عن عامر عن البراء في قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعته (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما إني سأثلهم عن تربة الجنة إن أتوني ، أما إنها درمكة بيضاء » فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام في الثانية ثم قال « أخبروني عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن الخبز إنما يكون من الدرمك » هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء وللشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البراز في مسنده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد : غلب أصحابك اليوم فقال « بأى شيء »

قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفتقلب قوم يستلون عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ » على بأعداء الله لكنهم قدسألو نبيهم أن يريهم الله جهرة « فأرسل اليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « إن سئلتهم عن تربة الجنة فهي الدرملك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « مائتة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يا أبا القاسم فقال « الخبز من الدرملك » وهكذا رواه الترمذي عند هذه الآية عن ابن أبي عمير عن شيان به وقال هو والبزار لا يعرف إلا من حديث مجاهد وقد رواه الامام أحمد عن علي بن الدين عن سفيان بن عيينة عن قتادة عن درملك فقط

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرَدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا آمِنًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَإِذْكُرْ لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

يقول تعالى (وما جعلنا أصحاب النار) أى خزائنها (إلا ملائكة) أى ذبانية غلاظا شدادا ؛ وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ، فقال الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون ، وقد قيل إن أبا الأشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه ، قال السهيلي وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارحته وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن ، قال وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ﴿ قلت ﴾ ولا منافاة بين ما ذكرناه والله أعلم ، وقوله تعالى (وما جعلنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أى إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا من الناس (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى (ويرداد الذين آمنوا إيمانا) أى إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض) أى من المنافقين (والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أى من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أى ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لثلاث يوم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايهم من اللتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بأخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت في حديث الاسراء المروى في الصحيحين وغيرها عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة « فإذا هو

يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم »
وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن موريق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطلت السماء وحق لها أن تثط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمت ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفراشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد ، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا » . وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيح السماء وما تلام أن تثط . ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائم ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد اللبشقي المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحلبى حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما نسمع يا رسول الله ؟ قال « أطلت السماء وحق لها أن تثط إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا إسناد غريب جدا

ثم قال حدثنا إسحق بن محمد بن إسماعيل الفروي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني ثم يمس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه في التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما رأيك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « إن رضى عمر رحمه ، والله على ذلك لوددت أنك جثتي برأس الحيت » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك ببناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش إن لله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رءوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال

« أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذى الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذى العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحى الذى لا يموت ، فقلها يا عمر في صلاتك » فقال عمر يا رسول الله فكيف بالذى كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذى أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك حل وجهك » هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة ، وإسحق الفروى روى عنه البخارى ، وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والنسائى والعقلى والدارقطنى ، وقال أبو حاتم الرازى كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجحى تكلم فيه أيضا ، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسل بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسل قريأ منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أروطة وهو خطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبی ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا إسناد لا بأس به

وقوله تعالى (وما هي إلا ذكري للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هي) أى النار التى وصفت (إلا ذكري للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل إذا دبر) أى ولى (والصبح إذا أسفر) أى أشرق (إنها لإحدى الكبر) أى العظام يعنى النار ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَنْجَبَ الْيَمِينَ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْجُرُمِينَ * مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَتْهُمْ حُحْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ خُفًّا مِّنْشَرَةٍ * كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ إِلَّا خِرَةً * كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ * وَمَا يَزِدُّكُمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

يقول تعالى مخبرا أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أى معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فانهم (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسألون المجرمين وهم فى الرفات وأولئك فى الدرجات قائلين لهم (ما سألكم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) أى ما عبدنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقهم من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نتكلم فيما لا نعلم : وقال قتادة : كلما غوى غاوى غوينا معه (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) يعنى الموت كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال رسول الله ﷺ « أما هو — يعنى عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى من كان

متصفا بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها ، ثم قال تعالى (فلما لهم عن التذكرة معرضين ؟) أي فالحؤولاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكركم به معرضين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) أي كأنهم في قمارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد سيدها من أسد ، قاله أبو وهريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ، أو رام ، وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مالهك عن ابن عباس : الأسد بالعربية ويقال له بالحشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا . وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى سخفاً منشرة) أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفي رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا برادة بغير عمل بقوله تعالى (كلا بل لا يخافون الآخرة) أي إنما أقسدم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها ثم قال تعالى (كلا إنه تذكرة) أي حقاً إن القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله) كقوله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأتاب . قاله قتادة . وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وقال « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن يغفر له » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث العوفي بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي به وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هدية بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبخاري والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي به : آخر تفسير سورة الدثر والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة القيامة وهي مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَدَرِينَ * عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنْبِئُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾

قد تقدم غير مرة أن القسم عليه إذا كان متتمياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي . والقسم عليه هنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجاهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعاً ، هكذا حكاه ابن أبي حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرآ (لا أقسم بيوم القيامة) وهذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً معاً كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قره بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ، ما أردت بكلمتي ، ما أردت

بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه ، وقال جوير بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللثوم ، وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : اللوامة المذمومة ، وقال قتادة (اللوامة) الفاجرة . قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أيعجب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أما كنهن المتفرقة (بل قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس أن نجعله خفأ وخافراً وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا والظاهر من الآية أن قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجعل) أي أيظن الإنسان أنا لا نجعل عظامه ؟ بل سنجعلها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتبية والزجاج ، وقوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) قال سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدما ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد (ليفجر أمامه) يمضي أمامه كبارأسه ، وقال الحسن لا يلقي ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدما قدما إلا من عصمه الله تعالى ، وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يجعل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب يوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) . وقال تعالى ههنا (فإذا برق البصر) قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الأول : والقصود أن الأبصار تنبه يوم القيامة وتخضع وتخار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (وجمع بين الشمس والقمر) . وقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين الممر) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفرو يقول أين الممر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ للمستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لانبعاة وهذه الآية كقوله تعالى (مالكم من ملجأ يومئذ ومالك من نكير) أي ليس لكم مكان تتكبرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ للمستقر) أي للرجع والمصير . ثم قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) وهكذا قال ههنا (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) . وقال طي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الإنسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره وبديده ورجليه وجوارحه . وقال قتادة ناهد على نفسه . وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا جيبوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه : وكان يقال إن في الإنجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القنادة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره !
وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ يبطل لا يقبل منه . وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجة . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل البيت يسمون الستر المعذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وكقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيخلفون له كما يخلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال (لا ينفع الظالمين معذرتهم) وقال (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء) وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)

﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُودُهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي أن تقرأه (فاذا قرأناه) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأه كما قرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفثي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفثيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفثي كما رأيت ابن عباس يحرك شفثيه فأنزله الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما قرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه يتلقى أوله ويحرك به شفثيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقاتدة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفتقر من القرآن عفاة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن نجمله لك (وقرآنه) أن تقرأه فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى (كلاً بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب يوم القيامة ومخالفة

ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم إنهم إنما همتهم إلى الدار الآخرة العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) من النظارة أى حسنة بهيمة مشرقة مسرورة (إلى ربها ناظرة) أى تراه عيانا كما رواه البخارى رحمه الله تعالى في صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها ، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ » قالوا لا ، قال « إنكم ترون ربكم كذلك » . وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فمن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » . وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة - قال - يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهى الزيادة » ثم تلا هذه الآية (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه « أن الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعنى في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبيجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن أذى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكة ألقى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن شعبة عن إسرائيل عن نوير قال سمعت ابن عمر . فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبيجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثورى عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألغنا من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله جمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهداة الأئمة ، ومن تأول ذلك بأن المراد بالي مفرد الآلاء وهى النعم كما قال الثورى عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجدة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعى رحمه الله تعالى . ما حجب الفجار الا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بادل عليه سيق الآية الكريمة وهى قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى حدثنا آدم حدثنا اللبارك عن الحسن (وجوه يومئذ ناضرة) قال حسنة (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهى تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (وجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحلة وقال السدى تغير ألوانها وقال ابن زيد (باسرة) أى عابسة (تظن) أى تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدى تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قرة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية - إلى قوله - وجوه يومئذ ناعمة * لسيما راضية * في جنة عالية) فى أشباه ذلك من الآيات والسيقات

(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقَرَابِقَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّقَتِ السَّاقُ * يَأْسُقُ * إِلَىٰ رَبِّكَ)

يَوْمَئِذٍ السَّاقُ * فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أُولَئِكَ
فَأُولَئِكَ * ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نَفْثَةً مِنْ مَنِّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْلِقَ الْوَتَّى *

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأحوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت
الترافى) إن جعلنا كلا راحة فعنها لست يا ابن آدم هنالك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا، وإن جعلناها بمعنى
حقا فظاهر أى حقا إذا بلغت الترافى أى انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والترافى جمع ترقوة وهى العظام
التي بين ثغرة النحر والماتق كقوله تعالى (فلولوا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليكم ولكن
لا تبصرون ، فلولوا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين) وهكذا قال ههنا (كلا إذا بلغت الترافى) ويذكر
ههنا حديث بشر بن حجاج الذى تقدم فى سورة يس . والترافى جمع ترقوة وهى قرية من الحلقوم (وقيل من راق ؟)
قال عكرمة عن ابن عباس أى من راق يرقى وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق) أى من طيب شاف وكذا قال قتادة
والضحاك وابن زيد ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نصر بن طى حدثنا روح بن السيب أبو رجاء السكبي
حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (وقيل من راق) قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة
العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام للملائكة، وهذا الإسناد عن ابن عباس فى قوله (والتفت الساق بالساق) قال التفت
عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس (والتفت الساق بالساق) يقول آخر يوم من أيام
الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة (والتفت الساق بالساق) الأمر
العظيم بالأمر العظيم ، وقال مجاهد بلاء بلاء وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى (والتفت الساق بالساق) هما ساقاك
إذا التفتا ، وفى رواية عنه ماتت رجلاه فلم تمحلاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدى عن أبى مالك وفى رواية
عن الحسن : هو لهما فى الكفن ، وقال الضحاك (والتفت الساق بالساق) اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون
جسده ، والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى (إلى ربك يومئذ للساق) أى للرجع والمآب وذلك أن الروح
ترفع إلى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة
أخرى كما ورد فى حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله
جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا إخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق
بقبله متوليا عن العمل بقاله فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى
ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى جذلان أشرا بطرا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال تعالى (وإذا اتقلبوا إلى أهلهم
اتقلبوا فكاهين) وقال تعالى (إنه كان فى أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور) أى يرجع (بلى انه كان به بصيرا)
وقال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى
(أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ * ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ) وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به للتبختر فى مشيه أى بحق
لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالفك وبارئك كما يقال فى مثل هذا طى سبيل التهمك والتهديد كقوله تعالى (ذق إياك
أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم من دونه)
وكقوله جل جلاله (اعملوا ما شئتم) إلى غير ذلك . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا عبد الرحمن
يعنى ابن مهاد عن إسرائيل عن موسى بن أبى عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت (أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ * ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ)
قال : قاله النبي ﷺ لأبى جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة وحديثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى)؟ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل، قال ابن أبي حاتم وحديثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أباجهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» فقال عدو الله أبو جهل أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإنني لأعز من مثي بين جبلها وقوله تعالى (أيجسب الإنسان أن يترك سدى) . قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى، والظاهر أن الآية نعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداة فقال تعالى (ألم يك نطفة من مني يعني) أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهيئ يعني يراق من الأصلاب في الأرحام . (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) ثم قال تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بده . وتناول القدرة للاعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداوة وإمامساوية على القولين في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شعبة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) . قال سبحانه اللهم فلي فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) . قال سبحانه فلي فسألوه عن ذلك فقَالَ سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم بالتين والزيتون فاتته إلى آخرها» (أليس الله بأحكم الحاكمين) . فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فاتته إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل بلى، ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (نبأى حديث بعده يؤمنون) . فليقل آمنا بالله «ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمير عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له من حديثك: قال رجل صدق عن أبي هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك وبلى» . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) قال سبحانه فلي . آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد ولله

(تفسير سورة الانسان وهي مكية)

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و(هل أتى على الإنسان؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ

قرأ هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر ؟) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرج نفس صاحبك - أوقال أخيك - الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيمًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أى أخلط ، والمشج والمشيح: الشيء المختلط بفضله ، قال ابن عباس فى قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى (نبتيه) أى نختبره كقوله جل جلاله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (فجعلناه مميها بصيرا) أى جعلناه له بصيرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا (إنا هديناه السبيل) أى بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا (وأما عمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وكقوله جل وعلا (وهديناه النجدين) أى بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد فى المشهور عنه والجمهور . وروى عن مجاهد وأبى صالح والضحاك والسدى أنهم قالوا فى قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) يعنى خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الهاء فى قوله (إنا هديناه السبيل) تقديره فهو فى ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها أو معتقها »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة «أعادك الله من إمارة السفهاء .» قال وما إمارة السفهاء ؟ قال «أمرأه يكونون من بعدى لا يمتدون بهداى ، ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وسيردون على حوضى يا كعب بن عجرة : الصوم جنة والصدقة تطفى الخيطية ، والصلاة قربات - أوقال برهان - يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا كعب : الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموقبها » ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم فى سورة الروم عند قوله جل جلاله (فطرة الله التى فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن القبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مامن خارج يخرج إلا يباه رايان : راية ييدملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؟ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته . »

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا *
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا ﴿

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أُرْصَدُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ بِهِ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالسَّعِيرِ وَهُوَ اللَّهَبُ وَالْحَرِيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) وَلَمَّا ذَكَرَ مَا أَعَدَّ لَهُؤُلَاءِ
الْأَشْقِيَاءُ مِنَ السَّعِيرِ قَالَ بَعْدَهُ (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) وَقَدْ عَلِمَ مَا فِي الْكَافُورِ مِنَ التَّبْرِيدِ
وَالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ مَعَ مَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ اللِّذَازَةِ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ الْحَسَنُ : يَرُدُّ الْكَافُورُ فِي طَيْبِ الرَّيْحَانِ وَلِهَذَا قَالَ (عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) أَيْ هَذَا الَّذِي مِزَجَ لَهُؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ مِنَ الْكَافُورِ هُوَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ
مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَرَفًا بِلَا مِزَجٍ وَيُرْوُونَ بِهَا وَلِهَذَا ضَمِنَ يَشْرَبُ مَعْنَى يَرَوِي حَقَّ عِدَاهُ بِالْبَاءِ وَنَسَبَ عَيْنًا عَلَى التَّخْيِيزِ ، قَالَ
بَعْضُهُمْ هَذَا الشَّرَابُ فِي طَيْبِهِ كَالْكَافُورِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ مِنْ عَيْنِ كَافُورٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا يَشْرَبُ
حِكْمِي هَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ ابْنُ جَرِيرٍ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) أَيْ يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا حَيْثُ شَاءُوا وَأَيْنَ شَاءُوا مِنْ
قُصُورِهِمْ وَدُورِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَحَالِمِهِمْ ، وَالتَّفْجِيرُ هُوَ الْإِنْبَاعُ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ
يَنْبُوعًا) وَقَالَ (وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا) . وَقَالَ مُجَاهِدٌ (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا وَكَذَلِكَ قَالَ عِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ ،
وَقَالَ الثَّوَالِي يَصَرَّفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) أَيْ يَتَعَبَّدُونَ
لَهُ فِيهَا أَوْجِبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ الْوَاجِبَةِ بِأَصْلِ الشَّرْعِ وَمَا أَوْجِبُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِطَرِيقِ النَّذْرِ . قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ
عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَيْلِيِّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فليطعه وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعُصِيَ اللَّهَ فليَعْصِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ . وَيَتْرَكُونَ الْحَرَمَاتِ
الَّتِي نَهَاها عَنْهَا خِيفَةً مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْعَادِ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي شَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ أَيْ مُنْتَشِرٌ غَامٌ عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
اللَّهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَاشِيًا ، وَقَالَ قَتَادَةُ اسْتَطَارَ وَاللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ :
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : اسْتَطَارَ الصَّدْعُ فِي الزَّجَاجَةِ وَاسْتَطَالَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسَأَتْ فِي الْقَوَا دُصْدَعًا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا

يَعْنِي مُمْتَدًا فَاشِيًا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) قِيلَ عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجَعَلُوا الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الطَّعَامِ أَيْ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ فِي حَالِ مَحَبَّتِهِمْ وَشَهْوَتِهِمْ لَهُ قَالَهُ
مُجَاهِدٌ وَمَقَاتِلُ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)
وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِيِّ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : مَرَضَ ابْنُ عُمَرَ فَاشْتَهَى عَنَابًا أَوَّلَ مَا جَاءَ الْعَنَبَ فَأُرْسِلَتْ صَفِيَّةُ يَعْنِي
امْرَأَتَهُ فَاشْتَرَتْ عَنْقُودًا بِدَرَاهِمَ فَاتَّبَعَ الرَّسُولُ سَائِلٌ فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ قَالَ السَّائِلُ : السَّائِلُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَوْهُ
إِيَّاهُ فَأُرْسِلَتْ بِدَرَاهِمَ آخَرَ فَاشْتَرَتْ عَنْقُودًا فَاتَّبَعَ الرَّسُولُ السَّائِلَ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ السَّائِلُ : السَّائِلُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَعْطُوهُ إِيَّاهُ
فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَأُرْسِلَتْ صَفِيَّةُ إِلَى السَّائِلِ فَقَالَتْ وَاللَّهِ إِنْ عَدْتُ لَا تَصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا أَبَدًا ثُمَّ أُرْسِلَتْ بِدَرَاهِمَ آخَرَ فَاشْتَرَتْ
بِهِ فِي الصَّحِيحِ « أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ أَنْ تُصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْغَنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ » أَيْ فِي حَالِ مَحَبَّتِكَ لِلْمَلِكِ وَحَرَمِكَ
عَلَيْهِ وَحَاجَتِكَ إِلَيْهِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) أَمَّا الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمُ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيْنَهُمَا
وَصَفَتُهُمَا ، وَأَمَّا الْأَسِيرُ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ : الْأَسِيرُ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ أَسْرَاؤُهُمْ

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للسلم والمشرية ، وهكذا قال سعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أى رجاء ثواب الله ورضاه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن نشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبيرة أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب (إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى إنما فعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطير . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطيرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله (يوما عبوسا قمطيرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قمطيرا) قال يقبض الوجه باليسور ، وقال سعيد بن جبيرة وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطيرا تقلص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطير هو الشديد يقال هو يوم قمطير ويوم قاطر . ويوم عصيب وعصيب وقد اقمطر اليوم بقمطر اقمطارا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بنى عمناهل تذكرن بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أى في وجوههم (وسرورا) أى في قلوبهم ، قاله الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وحوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلق قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا ترق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال قرئ على أبى سليمان الداراني سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قليل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجليل
شهووات الإنسان تورثه اللذ وتلقيه في البلاء الطويل

﴿ مُشْكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ لَكَ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الانكاء هل هو الاضطجاع أو الترفق أو التربع أو التمكن في الجلوس وأن الأرائك هي السررت تحت الحجال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا مهريرا) أى ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي لا يغيون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أى قرية إليهم أغصانها (وذلت قطوفها تذليلا) أى متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدل من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجنى الجنتين دان) وقال جل وعلا (قطوفها دانية) قال مجاهد (وذلت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذلت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترباها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والتمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه . وقوله جلت عظمتها (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أى يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالأول منصوب بخبر كان أى كانت قوارير ، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه يبينه بقوله جل وعلا (قوارير من فضة) قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد يبايض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفاقة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (قدروها تقديرًا) أى على قدر ريمهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب رى صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقاتدة وابن أبيزى وعبد الله بن عبيد بن عمير وقاتدة والشعبي وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفي عن ابن عباس (قدروها تقديرًا) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافي القول الأول فانها مقدرة في القدر والرى

وقوله تعالى (ويستقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أى يستقون يعنى الأبرار أيضا في هذه الأكواب (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما القربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله جل وعلا (عينا يشرب بها عباد الله) وقال ههنا (عينا فيها تسمى سلسيلا) أى الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسيلا قال عكرمة : اسم عين في الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة (عينا فيها تسمى سلسيلا) عين سلسة مستقيد ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الخلق واختار هو أنها تم ذلك كله وهو كما قال . وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ومن فسرههم بأنهم مخرسون في آذانهم الأقربة فأنما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في النظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا (وإذا رأيت) أى وإذا رأيت يا محمد (ثم) أى هناك يعنى في الجنة ونعيمها

وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحيرة والسرور (رأيت نعيًا وملكًا كبيرًا) أى مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولًا إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا في الحديث المروى من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى . وقد روى الطبراني ههنا حديثًا غريبًا جدًا فقال حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الوصلي حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتهم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة قال « نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى يياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتعمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر - إلى قوله - ملكًا كبيرًا) فقال الحبشي وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة قال « نعم » فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرة يده

وقوله جل جلاله (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولعان وهو مما يلي الظاهر كما هو للعمود في اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هناك عيين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من أحدها فأذهب الله ما في بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلکم الجنة أو ترموھا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أى جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَانِمًا أَوْ كَفُورًا * وَأَذْكُرِ آيَاتِ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يقول تعالى ممثنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (فاصبر لحكم ربك) أى

كما أكرمك بما أنزل عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تديره (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً)
 أى لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإنه
 الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) أى
 أول النهار وآخره (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً) كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن
 يبعثك ربك مقاماً محموداً) وكقوله تعالى (يا أيها الزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * وأزد عليه ورتل
 القرآن ترتيلاً) ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الله
 الآخرة وراء ظهورهم (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) يعنى يوم القيامة ثم قال تعالى (نحن
 خلقناهم وشددناهم بأسرع) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى خلقهم (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) أى وإذا
 شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً ، وهذا استدلال بالبداية على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير
 (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) أى وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت
 بآخرين وكان الله على ذلك قديراً) وكقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى
 (إن هذه تذكرة) يعنى هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) أى طريقاً ومسلكاً أى من شاء اهتدى
 بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أى
 لا يقدر أحد أن يهتدى نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نقماً (إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكماً) أى عليم
 بمن يستحق الهداية فيسيره له ويقض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة
 الدامغة ولهذا قال تعالى (إن الله كان عليماً حكماً) ثم قال (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) أى
 يهتدى من يشاء ويضل من يشاء فمن يهتد فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له . آخر تفسير سورة الإنسان والله الحمد والمنة

(تفسير سورة المرسلات وهي مكية)

قال البخارى ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله - هو ابن
 مسعود - رضى الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار يعنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فانه
 ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ « اقلوها » فابتدرناها فذهبت
 فقال النبي ﷺ « وقيت شركم كما وقيت شرها » وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش وقال الإمام أحمد : ثنا
 سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات
 عرفاً ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفاً)
 فقالت يا بنى أذكركم بقرأتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجه
 في الصحيحين من طريق مالك به

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا * فَالْمَعْصِفَاتُ عَصْفًا * وَالنَّشِيرَاتُ نَشْرًا * فَالْفَرْقَتُ فَرْقًا * فَالْمُلَقَّيَاتُ ذِكْرًا * عُدْرًا
 أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَلِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ * وَإِذَا
 الرُّسُلُ أَقْبَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَلَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)
 قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل المروزي ثنا أبي بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبي صالح
 عن أبي هريرة (والمرسلات عرفاً) قال اللالكى ، وروى عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدى

وإبراهيم بن أنس مثل ذلك وروى عن أبي صالح أنه قال هي الرسل وفي رواية عنه أنها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن الرسائل عرفا قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفا والناشرات نشرا) إنها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والرسائل عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، ومن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا علي بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرا هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشرا هي المطر ، والأظهر أن الرسائل هي الرياح كما قال تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهكذا العاصفات هي الرياح ، يقال عصفت الرياح إذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل . وقوله تعالى (فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا، عذرا أو نذرا) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والريح بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف هنا فأنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضيء ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعدار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره . وقوله تعالى (إنما تواعدون لواقع) هذا هو القسم عليه بهذه الأقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة . ثم قال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) وكقوله تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) (وإذا السماء فرجت) أي انفتحت وانفتحت وتبدلت أرجاؤها ووهت أطرافها (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) الآية وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) . وقوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت . وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) . ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجىء أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) وهو يوم الفصل كما قال تعالى (ليوم الفصل) ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله خدا وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

(أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نَنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِصَاتٍ وَأَسْنَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءهم به (ثم نبئهم الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير . ثم قال تعالى عمتنا على خلقه

وحتجا على الاعادة بالبداة (ألم تخلقكم من ماء مهين) أى ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارى عز وجل كما تقدم فى سورة يس فى حديث بشر بن جحاش « ابن آدم أتى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى جمعناه فى الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعنى إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقد رنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت اليت فلا يرى منه شئ . وقال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلناها رواسى شاخات) يعنى الجبال روى بها الأرض لثلا تيمد وتضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهِبِ * إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِثَّةُ صُفْرٍ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى لخب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يغنى من اللهب) أى ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقيهم حر اللهب . وقوله تعالى (إنما ترمى بشرى كالقصر) أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر (كأنه جملة صفر) أى كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبیر (جملة صفر) يعنى جبال السفن ، وعنه أعنى ابن عباس (جملة صفر) قطع نحاس وقال البخارى ثنا عمرو ابن على ثنا يحيى أناسفان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما (إنما ترمى بشرى كالقصر) قال كنا نعد إلى الحشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فرفعه للبناء فنسميه القصر (كأنه جملة صفر) جبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أى لا يشكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى لا يقدررون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرضات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) يعنى أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر . وقوله تعالى (فإن كان لكم كيد فكيدون) تهديد شديد ووعيد أكيد أى إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى وتتجوا من حكمى فافعلوا فإنكم لا تقدررون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفى الحديث « يا عبادى إنكم لن تبلقوا نقعى فتنفقوني ولن تبلقوا ضرى فتضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : ثنا على بن النذر الطرىفى الأودى ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان

ابن أبي الخارق عن أبي عبد الله الجدي قال : أتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فكيدون) اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنتقل حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادى : أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لا يخيبهم عنى وزر ولا تخفهم عنى خافية ، الذى جعل مع الله إلهاً آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، فتطوى عليهم فتقف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ * وَفَوْكَهَا مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ * كُلُوا وَامْتَعُوا قَلِيلًا * إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ * وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ * وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبادة المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أى بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليجوم وهو الدخان الأسود اللثين ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أى ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً (إنا كذلك نجزي المحسنين) أى هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للكافرين) . وقوله تعالى (كلوا وامتعوا قليلاً) أى مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) خطاب للكافرين يوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعد فقال تعالى (كلوا وامتعوا قليلاً) أى مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أى ثم تساقون إلى نار جهنم التى تقدم ذكرها (ويل يومئذ للكافرين) كما قال تعالى (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى إذا أمر هؤلاء الجيلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى (ويل يومئذ للكافرين) ثم قال تعالى (فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) أى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟)

قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثناء بن أبى عمر ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلاً أعرايا بدوي يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفاً - فقرأ - فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث فى سورة القيامة . آخر تفسير سورة المرسلات والله الحمد واللثة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة النبأ وهى مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ * الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن. والأظهر الأول لقوله (الذي هم فيه مختلفون) يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدًا لمنكري القيامة (كلا يعلمون ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعد أكيد. ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر العباد وغيره فقال (ألم نجعل الأرض مهادًا) أي مهددة للخلائق ذلولًا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادًا) أي جعلها لها أوتادًا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجًا) يعني ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتًا) أي قطعًا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسًا) أي ينعى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل إذا يشاها) وقال الشاعر:

فلما لبس الليل أوحين نصبت له من حذا آذانها وهو جأنح

وقال قتادة في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسًا) أي سكنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشًا) أي جعلناه مشرقًا نيرًا مضيًا ليمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبْعًا شَدَادًا) يعني السموات السبع في إتساعها وارتفاعها وإحكامها وإيقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجًا وهاجًا) يعني الشمس النيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم. وقوله تعالى (وأزّلنا من المعصرات ماء ثجاجًا) قال العوفي عن ابن عباس: المعصرات الريح وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن الأعمش عن النّهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وأزّلنا من المعصرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقاتلة ومقاتل والسكبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن إنها الرياح ومعنى هذا القول أنها تستندر المطر من السحاب، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من المعصرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضًا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير، وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد، كما يقال امرأة معصر إذا دنا حوضها ولم تحض وعن الحسن وقاتلة من المعصرات يعني السموات وهذا قول غريب، والاظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أي من بينه، وقوله جل وعلا (ماء ثجاجًا) قال مجاهد وقاتلة والربيع بن أنس: ثجاجًا منبأ وقال الثوري متتابعًا وقال ابن زيد كثيرًا، قال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الحج العج والثج» يعني صب دماء البدن هكذا قال، قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنعت لك الكرسف» يعني أن تحتشي بالقطن فقالت يا رسول الله هو أكثر من ذلك إنما أئج ثجا، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب للمتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى (لنخرج به حبا ونباتًا وجنت ألقافًا) أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للإناس والأنعام (ونباتًا) أي خضرا يؤكل رطبًا (وجنت) أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعموم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال ألقافًا قال ابن عباس وغيره ألقافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعتاب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد. ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَنَابًا * لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا هَمِيمًا وَغَسَاقًا * جَزَاءً * وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِثَنَانِنَا كِذَابًا * وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَ كُفْرًا إِلَّا عَذَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى (وما يؤخره إلا لأجل معدود) (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) قال مجاهد: زمرا زمرا قال ابن جرير يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بأسماءهم) وقال البخاري (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون سنة ؟ قال « أبيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يلبى الأعظم واحد وهو عجب الذهب ومنه يركب الخلق يوم القيامة » (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال هبنا (فكانت سرابا) أي يخيّل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعا صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) أي مرصدة معدة (للطاغين) وهم الردة العصاة المخالفون للرسول (ماآبا) أي مرجعا ومنقلبا ومصبرا ونزلا وقال الحسن وقناة في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) يعني أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فإن كان معه جواز نجا والا احتبس ؛ وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لا تبين فيها أحقابا) أي ما كثين فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان ، وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال نجدته ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ، وهكذا روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعمرو بن ميمون والحسن وقناة والريبع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدي أيضا سبعون سنة كذلك وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواها ابن أبي حاتم . وقال بشر بن كعب ذكر لي أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة اثنا عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الأسفدي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (لا تبين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال : سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد ؟ فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصري مشهور

وقال السدي (لا بين فيها أحقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) وقال خالد ابن معدان هذه الآية وقوله تعالى (إلا ما شاء ربك) في أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والريبع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى (لا بين فيها أحقابا) وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الريع بن أنس (لا بين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عز وجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواها أيضا ابن جرير ، وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي لا يجدون في جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حميا وغساقا) قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الريع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من تنه ، وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن إعادته - أجازنا الله من ذلك بمنه وكرمه - قال ابن جرير وقيل المراد بقوله (لا يذوقون فيها بردا) يعني النوم كما قال الكندي

بردت مراففها على فصدني * عنها وعن قبلاتها البرد

يعني بالبرد الناس والنوم . هكذا ذكره ولم يزهه إلى أحد . وقد رواه ابن أبي حاتم عن طريق السدي عن مرة الطيب وقوله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا : وقوله تعالى (جزاء أوفاقا) أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا : قاله مجاهد وقاتة وغير واحد . ثم قال تعالى (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون (وكذبوا بآياتنا كذبا) أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالكذب والمعادنة وقوله (كذبا) أي تكديبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع أعرابي يستفحق القراء على المروءة : الخلق أحب إليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم .

لقد طال ما ثبطتني عن صحابي * وعن حوج قصارها من شقايا
وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه كتابا) أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزهم على ذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أي يقال لأهل النار ذوقوا ما كنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم في مزيد من العذاب أبدا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال « هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَّ أَتَقَى * وَأَعْتَبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

يقول تعالى خيرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مفازا)

قال ابن عباس والضحاك: منزها. وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار. والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حدثني) والحدثان البساتين من النخيل وغيرها (وأعنايا وكواعب أترابا) أي وحورا كواعب، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أي نواهد، يعنون أن نهيهم نواهد لم يتدلين لأنهم أبكار عرب أتراب أي في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة. قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستقي حدثني أبي عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي عن أبي أمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال «إن قص أهل الجنة تبدو من رضوان الله وإن السحابة تفر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا ترويدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتقطرم الكواعب الأتراب» وقوله تعالى (وكأنا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة متتابعة. وقال عكرمة صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد (دهاقا) الملامى للترعة، وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة المتتابعة. وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله (لا لغوا فيها ولا تأثيم) أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضلهم ومنه وإحسانه ورحمته. عطاء حسنا أي كافيا وإفيا سالما كثيرا، تقول العرب أعطاني فأحسبني أي كفاني ومنه حسبني الله أي الله كافٍ

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْخَلْقُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا * يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾

غير تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي فعلت رحمته كل شيء، وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفسه إلا بإذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون في الراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال (أحدها) ما رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أرواح بني آدم (الثاني) هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه (الثالث) أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا يمشرون وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش (الرابع) هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبيرة والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين) على قلبك لتكون من المنذرين) وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحي (الخامس) أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الآية (والسادس) أنه ملك من الملائكة بقدر جميع الخلوقات. قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يقوم الروح) قال هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلفا. وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف السقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يحيى يوم القيامة صفا وحده. وهذا قول غريب جداً. وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصري حدثنا وهب الله بن روق ابن هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن لله ملكا لو قيل له اتقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفل، تسبيحه سبحانه حيث كنت» وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندى والله أعلم أنهم بنو آدم . وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن) كقوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) وكما ثبت في الصحيح «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل» وقوله تعالى (وقال صوابا) أى حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى (ذلك اليوم الحق) أى الكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لأن كل ما هو آت آت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى يعرض عليه جميع أعماله خيرا وشرها ، قديمها وحديثها كقوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) وكقوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) أى يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفيرة الكرام البررة ، وقيل إما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجوز حتى إنه ليقنص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتنى كنت ترابا) أى كنت حيوانا فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما . آخر تفسير سورة النبأ والله الحمد واللثة . وبه التوفيق والمعصية

(تفسير سورة النازعات وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَعْنَاءًا لَمْرَدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ * أَعْدَا كُنَّا عِظْمًا نَجِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ)

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى (النازعات غرقا) الملائكة ينون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حملته من نشاط وهو قوله (والناشطات نشطا) قاله ابن عباس وعن ابن عباس (والنازعات) هى أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار . رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد (والنازعات غرقا) الموت ، وقال الحسن وقتادة (والنازعات غرقا * والناشطات نشطا) هى النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى والنازعات والناشطات هى القسي في القتال والصحيح الأول وعليه الأكثر . وأما قوله تعالى (والسابحات سبحا) فقال ابن مسعود هى الملائكة ، وروى عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحا) الموت ، وقال قتادة هى النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح : هى السفن . وقوله تعالى (فالسابحات سبحا) روى عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصرى يعنى الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد الموت وقال قتادة : هى النجوم ، وقال عطاء هى الحيل في سبيل الله . وقوله تعالى (فالمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى هى الملائكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في المدبرات أمرا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفي . وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الأولى وهى قوله جل وعلا (يوم ترجف الراجفة) فكقوله جلت عظمتة (يوم ترجف الأرض والجبال) والثانية وهى الرادفة فهى

كقوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ، قال « إذا يكفيك الله ما أهلك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري باسناده مثله ولفظ الترمذى وابن أبي حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أى أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة أى ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى (يقولون أننا لمردودون في الحافرة) يعنى مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد الصير إلى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد ، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا (أننا كنا عظاما نخرة) وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها هى النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة ، وأما قولهم (تلك إذا كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) أى فإنما هو أمر من الله لاشئوى فيه ولا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى إسرائييل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) قال مجاهد (فإنما هى زجرة واحدة) صيحة واحدة وقال إبراهيم التيمي أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا طى خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصرى زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هى النفخة الآخرة وقوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض ، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان للسوى ، وقال الثوري الساهرة أرض الشام ، وقال عثمان بن أبى العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم ، وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السرى حدثنا مصعب ابن ثابت عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدي (فإذا هم بالساهرة) قال أرض يضاء عفراء خالية كالخبرة النقى ، وقال الربيع بن أنس (فإذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) ويقول تعالى (ويسألونك عن الجبال ققل ينسفها ربي نسفا * فيزورها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وبرزت الأرض التى عليها الجبال وهى لاتعد من هذه الأرض وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * إِذْ هَبَّ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْكُتُبَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَمْعَى * فَجَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى

يخبر تعالى رسوله محمدا ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره (إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي تجبر وتمرد وعتا (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي قل له هل لك أن تحيى إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاء به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له . وقوله تعالى (ثم أدبر يسمي) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الأعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة بشس الرfid المرفود) كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كلتا الأولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الأول ، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا * مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنْتَعِمَ بَكُمْ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقوله تعالى (بناها) فسر به بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء . وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلمة أسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ، قال ابن عباس : أغطش ليلها أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أثار نهارها . وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاهها) فسر به بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن النزال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (دحاهها) ودحها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والأكام فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاهها) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك . وقوله تعالى (والجبال أرساها) أي قررهما وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم . الرءوف بخلقه الرحيم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب

عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم : الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال نعم : الريح ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم : ابن آدم يتصدق يمينه يخفيها عن شماله » وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الأرض قصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي تنهم ويعجلون علي بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لاترون وكان أول قرار الأرض كلهم الجزور إذا نحر يخلج لحمه . غريب جدا . وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأثبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر باهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لحلقه ولما يحتاجون اليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ نَّحْشِهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

يقول تعالى (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة قاله ابن عباس هبت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفضح كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) (وبرزت الجحيم لمن يرى) أي أظهرت للناظرين فرأها الناس عيانا (فأما من طغى) أي تمرد وعتا (وأثر الحياة الدنيا) أي قدمها على أمر دينه وأخراه (فإن الجحيم هي المأوى) أي فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الجحيم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردّها إلى طاعة مولاه (فإن الجنة هي المأوى) أي منقلبه ومصيره ومرجه إلى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى (يستلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكرها إلى ربك منتهاها) أي ليس عليها اليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردّها ومرجعها إلى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين (ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغية يستلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله) وقال ههنا (إلى ربك منتهاها) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال « ما المستول عنها بأعلم من السائل » وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يحشاها) أي إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشى الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفصح وأنجح والحياة والحسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبسوا إلا عشية أو ضحاها) أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أضحى من يوم ، قال جوير عن الضحاك عن ابن عباس (كأنهم يوم يرونها لم يلبسوا إلا عشية أو ضحاها) أما غشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس (أوضحاها) ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة . آخر تفسير سورة النازعات والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة عبس وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ)

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عطاء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلج عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته . وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأُزِلَ الله تعالى (عبس وتولى) أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكي (أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه) أويذ كرتنفعه الذكرى (أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم) أما من استغنى فأنت له تصدى (أي أما الغنى فأنت تتعرض له لعله يهتدى) وما عليك ألا يزكي (أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة) وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى (أي يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له) فأنت عنه تلهي (أي تتشاغل ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يهين بالانذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقر والتنى والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهيدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى (عبس وتولى) جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأُزِلَ الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سواده يعني ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عطاء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أترى بما أقول بأسا ؟ » فيقول لا ! فني هذا أنزلت (عبس وتولى) . وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بإسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة (قلت) كذلك هو في الموطأ . ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يا رسول الله علني بما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكي * أويذ كرتنفعه الذكرى) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله

ﷺ وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ا - وإذا ذهب من عنده قال - هل لك حاجة في شيء ؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى (أما من استغنى فأنْتَ له تصدى . وما عليك ألا يزكى) فيه غرابة ونكارة وقد تسكلم في إسناده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الأعمى الذى أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلاً ضريب البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدى (كلا إنها تذكرة) يعنى القرآن (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أى هذه السورة أو العظة وكلها متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أى معظمة موقرة (مرفوعة) أى عالية القدر (مطهرة) أى من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى (بأيدى سفرة) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد : هى الملائكة . وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشى بغش إن مشيت

وقال البخارى : سفرة : الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى (كرام بررة) أى خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرؤه وهو عليه شاق ، له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ أَسْبَلَ سِرَّهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَيْكِهِمُ وَأَبًّا * مُتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم (قتل الإنسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس (قتل الإنسان) لعن الإنسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا الجنس الإنسان الكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج (ما أكفره) أى ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أى شيء جعله كافراً أى ما حمله على التكذيب بالمعاد . وقد حكاه البغوى عن مقاتل والكلبي وقال قتادة (ما أكفره) ما ألعنه ، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى (من أى شيء خلقه ؟)

من نطفة خلقه فقدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد (ثم السبيل يسره) قال العوفي عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدى واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه ، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وأبتره الله ، وطردت عنى فلانا وأطرده الله ، أى جعله طريدا ، قال الأعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) ، (وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمع أخبره عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « يا كل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه » قيل وما هو يا رسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنشأون » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة ولقظه « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الدنوب منه خلق وفيه يركب » . وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل . ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال لا يقضى أحدا بذا كل ما افترض عليه ، وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ، ولم أجد للمتقدمين فيه كلا ما سوى هذا ، والذي يقع لي في معنى ذلك والله أعلم أن العنى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أى لا يفعله الآن حتى تنتقض المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن يسجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فإذا تنهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فان القبور هي بطن الأرض ، وإن الأرض هي أم الخلق فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولقظت الأرض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها ، وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (أنا صبينا الماء صبا) أى أنزلناه من السماء على الأرض (ثم شققنا الأرض شقا) أى أسكنناه فيها فيدخل في نفوسها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض (فأنبثنا فيها حبا وعنبا وقصبا) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعناب معروف والقصب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها التت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى ، وقال الحسن البصري : القصب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو آدم وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلنا) يؤكل بلحا سراورطبا وتراونيثا ومطبوخا ويستصر منه رب وخل (وحداثا غلبا) : أى بساتين قال الحسن وقتادة : غلبا نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التفت واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذي يستظل به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحداثا غلبا) أى طوال ، وقال عكرمة غلبا أى غلاظ الأوساط . وفي رواية غلاظ الرقاب ، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله إنه لأغلب ، رواه ابن أبي حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق

عوى فأنار أغلب ضيغيا . فويل ابن للرعاة ما استبثار

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفي رواية عنه هو الحشيش البهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبیر

وأبو مالك : الأب السكلا وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قال حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدت ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبي كريب . وقال أبو السائب في حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام ، وقال العوفي عن ابن عباس : الأب السكلا والمرعى ، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال : أي مما تظلني وأي أرض تظلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ، وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبا) قال قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟ فقال لعمر بن الخطاب يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلًا وحدائقًا غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُودَةٌ مُمْسِقَةٌ * ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ عَلَىهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده . قال ابن جرير لعله اسم للنفخة في الصور وقال البغوي : الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) أي يراهم ويفر منهم ويتبعد عنهم لأن الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة : يلقي الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وثني بخير ما استطاعت فيقول لها فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعل أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف . قال وإن الرجل ليلقي ابنه فيعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني بخير . فيقول له يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعل أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) . وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لأسألك اليوم إلا نفسي حتى إن عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم إلا نفسي لا أسأله مريم التي ولدتني ولهذا قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) قال قتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي هو في شغل شاغل عن غيره ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال : فقالت زوجته يا رسول الله تنظروا ويرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » أو قال : ما شغله عن النظر -

وقد رواه النسائي منفردا به عن أبي داود عن عازم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الأحول البصري أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أبيضر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائي من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، إني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به قال « إن كان عندي منه علم » قالت يابني الله كيف يحشر الرجال ا قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت : واسوأتهن من يوم القيامة قال « وعن أى ذلك تسألين إنه قد نزل على آية لا يضررك كان عليك ثياب أولا يكون » قالت آية آية هي يا بني الله قال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد أبلجهم العرق وبلغ شحوم الأذان » فقلت يا رسول الله واسوأتهن ينظر بعضنا إلى بعض . فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائذ بن شريح ضعيف في حديثه ضعف ، وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أى يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أى مستبشرة (ضاحكة مستبشرة) أى مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قفرة) أى يعلوها وتغشاها قفرة أى سواد ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي محمد بن جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قفرة) أى يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى (أولئك هم الكفرة الفجرة) أى الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . آخر تفسير سورة عبس والله الحمد والمنة

(تفسير سورة التكويد وهي مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بجير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ)

قَتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَبَلُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْجِبَةُ أُرْلَتْ *
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) يعني أظلمت وقال العوفي عنه : ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعني رمى بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع في الأرض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض فعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها وإذا فعل بهاذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن شيخ من بحيلة عن ابن عباس إذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبوراً فتضرمها ناراً وكذا قال عامر الشعبي ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله (إذا الشمس كورت) قال « كور في جهنم » ، وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشي حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » هذا حديث ضعيف لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز ابن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخاري وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديراً أن يذكره ههنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله وقد رواه البزار فجود إirاده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجداً الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أحسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أي انتثرت كما قال تعالى (وإذا السكاكيات انثرت) وأصل الانكسار الانصباب . قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبيناهم كذلك إذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطيور والوحوش فهاجوا بعضهم في بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال اختلطت (وإذا العشار عطلت) قال أهملها أهلها (وإذا البحار سجرت) قال : قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هونار تتأجج ، قال فبيناهم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبيناهم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم يبعثه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خيثم والحسن البصري وأبو صالح وحامد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعلا (وإذا النجوم انكدرت) أي تناثرت ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا النجوم انكدرت) أي تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم عن النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولورضيأ الله يعبد لادخلها » رواه ابن أبي حاتم بالاسناد المتقدم ، وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صافها وقوله (وإذا العشار عطلت) قال عكرمة ومجاهد : عشار الإبل ، قال مجاهد :

عطلت تركت وسيت وقال أبي بن كعب والضحاك أهلها أهلها وقال الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تخطى منها أربابها وقال الضحاك تركت لأراعى لها والمعنى في هذا كله متقارب ، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - وأحدثها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المقطع المائل وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لاسيما لهم إليها ، وقد قيل في العشار إنها السحاب تعطل عن السير بين السماء والأرض لحراب الدنيا وقيل إنها الأرض التي تعشر ، وقيل إنها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كاتبا الامام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس ﴿ قلت ﴾ لا يعرف عن السلف والأئمة سواء والله أعلم وقوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت كما قال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الدباب رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم والسدي وغير واحد ، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية إن هذه الخلائق موافية فيقضى الله ما فيها ما يشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإذا الوحوش حشرت) قال حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فانهما يوقعان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم (وإذا الوحوش حشرت) قال أبي عليا أمر الله ، قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال (وإذا الوحوش حشرت) اختلطت قال ابن جرير والأولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى (والطير محشورة) أي مجموعة ، وقوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن السيب قال : قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقا والبحر المسجور (وإذا البحار سجرت) وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الديبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (والبحر المسجور) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفي سنن أبي داود « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم : سجرت أوقدت وقال الحسن : يبست وقال الضحاك وقاتلة : غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدي فتحت وصيرت ، وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت ، وقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سالك عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وإذا النفوس زوجت) - قال - الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الجنة ما أصحاب الجنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون) قال هم الضرباء ، ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سالك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس ققرأ (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم ، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفي رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الأنفس . وفي رواية عن النعمان

أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثاً وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وإذا النفوس زوجت) قال الأمثال من الناس جمع بينهم ؛ وكذا قال الربيع بن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح .

(قول آخر) في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يسئل وادم من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاماً فنبئت منه كل خلق بلى من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبئتوا ثم توسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى (وإذا النفوس زوجت) وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضاً في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أي زوجت بالأبدان . وقيل زوج المؤمنين بالجنود العيين وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبي في التذكرة وقوله تعالى (وإذا الموءودة سئلت) بأي ذنب قتلت) هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية النبات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فانه إذا سئل المظلوم لما ظن الظالم إذا اوقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أي سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أي طالبت بدمها . وعن السدي وقتادة مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً » ثم سأله عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الوأد الحفي وهو الموءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن القرني وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبي أيوب . ورواه أيضاً ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن إسحاق السيلحي عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثهم عن أبي الأسود به

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفي قال : انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله إن أمة مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل ، هلكت في الجاهلية فهل ذلك إفعالها شيئاً قال « لا » قلنا فأنها كانت وأدت أختنا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً قال « الوائدة والموءودة في النار إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها » ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هند به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزيري حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن علقمة وأبي الأحوص عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة والموءودة في النار » وقال أحمد أيضاً : حدثنا إسحاق الأزرق أخبرنا عوف حدثني خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال : قلت يارسول الله من في الجنة قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول : قيل يارسول الله من في الجنة قال « الموءودة في الجنة » هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله . وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس أطفال المشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى (وإذا الموءودة سئلت) بأي ذنب قتلت) قال ابن عباس هي المدفونة . وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن ممالك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى (وإذا

للمودة مثلت) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية قال « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يا رسول الله إني صاحب إبل قال « فاعمر عن كل واحدة منهن بدنة » قال الحافظ أبو بكر البرزخولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه ، وقدرناه ابن أبي حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهري فيما كتب إلى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره بأسناده مثله ، إلا أنه قال : وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية وقال في آخره « فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة » ثم قال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الأغرب عن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال « أعتق عددن نسأ » قال فأعتق عددن نسأ ، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يا رسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين قال على ابن أبي طالب فكنا نريها ونسميها القيسية . وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته يمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تمل فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يمل في صحيفته وقوله تعالى (وإذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدي كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدي أحيت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلقت) قال الضحاك وأبو مالك وقاتدة والربيع بن خيثم أي قربت إلى أهلها ، وتولة تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال تعالى (نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجرى الحديث .

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ * الْجَوَارِ الْكُنَسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد بن سريغ عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ (فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس) ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبي الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي إسحاق عن رجل من مراد عن علي (فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس) قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المنذر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ممالك بن حرب سمعت خالد بن عرعة سمعت علياً وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن ممالك عن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعة وهو السهمي الكوفي قال أبو حاتم الرازي روى عن علي وروى عنه ممالك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالله أعلم ، وروى يونس عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي أنها النجوم رواه ابن أبي حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة

والسدى وغيرهم أنها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوزة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى (فلا أقسم بالحنس الجوار الكنس) قال هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الحنس أى في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيوبها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي إلى كناسه إذا تعيب فيه وقال الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله فلا أقسم بالحنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عبد الله فلا أقسم بالحنس الجوار الكنس ما هي يا عمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي إسحاق عن أبيه وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس إلى الظل وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك وقال أبو الشفاء جابر بن زيد هي الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالحنس الجوار الكنس) فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت ، قال : فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون إنها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها ، قال فقال إبراهيم لأنهم يكذبون على هذا كادوا عن طي أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل ، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله (الحنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجمع مراداً ، وقوله تعالى (والليل إذا عسعس) فيه قولان (أحدهما) إقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير إذا نشأ ، وقال الحسن البصري إذا غشي الناس ، وكذا قال عطية العوفي وقال طي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (إذا عسعس) إذا أدبر ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (إذا عسعس) أى إذا ذهب فتولى وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال : خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب للثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) ؟ هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أدبر قال لقوله (والصبح إذا تنفس) أى أضاء واشتد به قول الشاعر أيضاً : حتى إذا الصبح له تنفسا وأنجاب عنها ليلها وعسعسا
أى أدبر وعندى أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً لكن الإقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضياؤه إذا أشرق كما قال تعالى (والليل إذا يشئ والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجد) وقال تعالى (فالتق الإصباح وجعل الليل سكناً) وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علماء الأصول إن لفظة عسعس تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دناء من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتاً :
عسعس حتى لو يشأ أدنى كان له من ضوئه مقبس
يريد لو يشأ إذا أدغم اللال في اللال ؛ قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع . وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال الضحاك إذا طلع ، وقال قتادة إذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير إذا نشأ وهو المروى عن طي رضى الله عنه . وقال ابن جرير يعنى ضوء النهار إذا أقبل وتبين . وقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يعنى إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى النظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذى قوة) كقوله تعالى (علمه شديد القوى * ذو مرة) أى شديد الخلق شديد البطش والفعل (عند ذى العرش مكين) أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ، قال أبو صالح في قوله تعالى (عند ذى العرش مكين) قال جبريل يدخل في سبعين حجاباً من نور بغير إذن (مطاع) أى له وجهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى قال قتادة (مطاع) أى في السموات يعنى ليس هو من أفناء الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله المليك جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمدا صلى الله عليه وسلم يقول تعالى (وما صاحبكم بمجنون) قال الشعبي وميمون ابن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمدا ﷺ ، وقوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستائة جناح (بالأفق المبين) أى البين وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء وهى المذكورة فى قوله (علمه شديد القوى . ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى) كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى ، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشى السدرة ما ينشى) فذلك إنما ذكرت فى سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أى بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أى ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أى ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين التهم والضنين البخيل . وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراد ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿ قلت ﴾ وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أى وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى (وما ينهى لهم وما يستطيعون . إتهم عن السمع لمزولون) ، وقوله تعالى (فأين تذهبون ؟) أى أين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضى الله عنه لو قد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فلوا عليه شيئا من قرآن مسيلة الكذاب الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحك أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أى من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أى عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ، ولا هداية فيما سواه (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبدالعزيز عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الأمر الينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) . آخر تفسير سورة التكوين والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الانفطار وهى مكية)

قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال : قام معاذ فصى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ « أفئتان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبوح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ! » وأصل الحديث خرج فى الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت) فى أفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال « من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَحَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * حَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ *)

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ * وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كَرَامًا كَتَبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أى انشقت كما قال تعالى (السماء منفطرية) (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) قال طي بن أبى طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب مأوها ، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها .

وقال الكلبي ملئت (وإذا القبور بعثت) قال ابن عباس بعثت ، وقال السدى تبثر تحرك فيخرج من فيها (علت نفس ما قدمت وأخرت) أى إذا كان هذا حصل هذا ، وقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق . كما جاء فى الحديث « يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بى ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ »

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان أن عمر ميم رجلا يقرأ (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فقال عمر : الجهل . وقال أيضا حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله قال وروى عن ابن عباس والريبع بن خيثم والحسن مثل ذلك . وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شئ ، ما غرك ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل ابن عياض لو قال لى ما غرك بى لقلت ستورك للرخاة ، وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ما غرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . وقد حكى البغوى عن الكلبي ومقاتل أنهما قالوا نزلت هذه الآية فى الأسود بن شريق ضرب النبى ﷺ ولم يعاقب فى الحالة الزاهنة فأنزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم ؟)

وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى ما غرك بالرب الكريم (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى جعلك سويا مستقيما معتدلا القائمة منتصبها فى أحسن الميئات والأشكال ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو الغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشى أن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال « قال الله عز وجل : يا ابن آدم أتى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وآتى أوان الصدقة ؟ » وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان الفزارى حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن طي بن رباح حدثنى أبى عن جدى أن النبى ﷺ قال له « ما ولد لك » قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جارية . قال « فمن يشبه » قال يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإمأمه فقال النبى ﷺ عندها « مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أم قرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك » قال شكلك

وهكذا رواه ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سيعد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان :

يروى عن موسى بن طي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، قال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم ، قال « فما ألواتها » قال حر . قال « فهل فيها من أورك » قال نعم ، قال « فأتى أناها ذلك » قال عسى أن يكون نزع عرق قال « وهذا عسى أن يكون نزع عرق » وقد قال عكرمة في قوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير ، وكذا قال أبو صالح (في أي صورة ما شاء ركبك) إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير وقال قتادة (في أي صورة ما شاء ركبك) قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات النكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلق على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن النظر والهيئة . وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أي إنما يحملك على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) يعني وإن عليكم ملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبايح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا طي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسر عن علقمة ابن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببيعه أو ليستره أخوه » . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببيعه » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث ﴿ قلت ﴾ وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبوزرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماء ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالفلوسي حدثنا بيان بن حران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - أحسبه قال يعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم ومموه وقالوا أفلح الليلة فلان . نجا الليلة فلان وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم ومموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البزار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا لَهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب ولهذا قال (يصلونها يوم الدين) أي يوم الحساب والجزاء والقيامة (وما هم عنها بغائبين) أي

لا يغيثون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من اللوت أو الراحة ولو يوما واحدا ، وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد بقوله تعالى (ثم ما أدركم ما يؤم الدين) ثم فسره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر هنا حديث « يابى هاشم أنفذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق الرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانقطار والله الحمد واللثة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة المطففين وهي مدنية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالوا: حدثنا طي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوى مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبت الناس كيلا فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله السكبي عن رجل عن عبد الله قال : قاله رجل لأبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين - حتى بلغ - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد بالتطفيف ههنا البخس في الكيل واليزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين إذا أكتالوا على الناس) أى من الناس (يستوفون) أى يأخذون حقهم بالوفاء والزائد (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى ينقصون ، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضمير امؤ كدال المستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب . وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل واليزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل إذا كتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وأوفوا الكيل واليزان بالقسط لا تكلف نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا اليزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في اليزان والكيل . ثم قال تعالى متوعدا لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ؟) أى ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسره فيه أدخل نارا حامية ؟ وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يقومون حفاة عراة غرلا في موقف صعب خرج ضيق ضحك على المحرم ونعشام من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

قال الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه » ، رواه البخارى من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمرو ومحمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف

آذانهم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني القداد يعني ابن الأسود الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقيبه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة طي قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا ، تغلي منها الحوام كما تغلي القدور يرقون فيها طي قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حماد بن يونس أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطي عرقه » وضرب بيده إشارة ، انفرد به أحمد ، وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عون الزياتي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد الدثني عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير : المستعان الله ، قال « فإذا أوتيت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به . وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رءوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة رواها ابن جرير . وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول « اللهم اغفر لي واهدي وارزقني وعافني » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّنَاتٍ * وَمَا يُكْذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَحْجُبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)

يقول تعالى (إن كتاب الفجار لفي سجين) أي ان مصيرهم ومآواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون : هي تحت الأرض السابعة ، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه

الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافرا كتبوا كتابه في سجين . وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر في جهنم ، وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين ففتوح » والصحيح أن سجين مأخوذ من السجن وهو الضيق فإن المخلوقات كل ما سافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والحمل الأضيئ إلى المركز في وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين) وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ما سجين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظي ثم قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما وعدهم الله من السجن والعذاب للذين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون يوم الدين) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجازرة في تناول الباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر ، وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل كما قال تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) وقال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتبتها فيملى عليه بكرة وأصيلا) قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) والرين يعتري قلوب الكافرين والقيم للأبرار والنعين للقرين وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » وقال الترمذي حسن صحيح ولفظ النسائي « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . وقال الحسن البصري هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، قال الإمام أبو عبد الله الشافعي وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل

يومئذ وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية . كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير حدثنا أبو معمر المقرئ حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ المحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلما هذا معناه ، وقوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقيق

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَمُهُ مِسْكَ * فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِمَّا أَجَّهُ مِنْ نَسِيمٍ * عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الأعمش عن ثمر بن عطاء عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد إنما السماء السابعة ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) يعني الجنة . وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق العرش اليمنى ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفجأ شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها . ثم قال تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم (على الأرائك) وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل معناه (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ المحجوبون) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أَدْنَاهُ وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة بما هم فيه من النعيم العظيم . وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي الحناجر الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « أياما مؤمن سقي مؤمنا شربة ماء على ظمئ سقاء الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأياما مؤمن أطمع مؤمنا على جوع أطمعه الله من ثمار الجنة وأياما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود في قوله (ختامه مسك) أي خلطه مسك ، وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي

الرداء (ختامه مسك) قال شراب أبيض مثل الفضة يغمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (ختامة مسك) قال طيبه مسك . وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أى وفى مثل هذا الحال فليتنافخ المتنافسون وليتباهى ويكثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لئلا هذا فليعمل العاملون) ، وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أى ومزاج هذا الرحيق للوصوف من تسنيم أى من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلى ، قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا يشرب بها المقربون) أى يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أى يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بهم يتغامزون عليهم أى يحتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أى وإذا انقلب أى رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فأكهين أى مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى (وما أرسلا عليهم حافظين) أى وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدرونهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كفواهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى (اخشوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آتنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إلى حزتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فالיום) يعنى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أى فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أى إلى الله عز وجل فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله القربين ينظرون إلى ربهم فى دأركرامته وقوله تعالى (هل توب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) أى هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتقصص أم لا ، يعنى قد جوزوا أو فر الجزاء وأتمه وأكمله . آخر تفسير سورة الطهانيين ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الانشقاق وهى مكية)

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواء مسلم والنسائي من طريق مالك به . وقال البخارى حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة القصة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم عليه السلام فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره ، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَقْتَتَ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ ﴾

لِرَبِّهَا وَحُتَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُتْلَقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *
فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ
يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ
بِهِ بَصِيرًا ﴿

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيها أمرها
به من الإنشاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل
قد قهر كل شيء وذلك له كل شيء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أى بسطت وفرشت ووسعت
قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري عن عطي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون
أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلى فيقول الله
عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض - قال - وهو المقام المأمود . وقوله تعالى
(وألق ما فيها وتخلت) أى ألق ما فى بطنها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحقت)
كما تقدم . وقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أى إنك ساع إلى ربك سعيًا وعامل عملًا (فملاقية)
ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير
عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، وأحب ما شئت فانك
مفارقة . واعمل ما شئت فانك ملاقيه » ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أى فلاق ربك ومعناه فيجازيك
بعملك ويكلفك على سعيك ، وعلى هذا فكل القولين متلازم قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى
ربك كدحا) يقول تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً . وقال قتادة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا)
إن كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله . ثم قال تعالى (فأما من
أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) أى سهلاً بلا تفسير أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإن من حوسب
كذلك هلك لا محالة . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها
قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى (فسوف
يحاسب حساباً يسيراً) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا
رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير من حديث أيوب السخنياء، به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضى
الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً » فقلت أليس الله يقول
(فسوف يحاسب حساباً يسيراً ؟) قال « ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت
وقد رواه أيضاً عن عمرو بن حنبل عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة
فذكر الحديث أخرجه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن حنبل عن
حدثنا مسلم عن الحرث بن الحريش عن الحرث بن أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن حنبل عن
عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا محمد بن إسحاق
حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ

عليه وسلم يقول في بعض صلواته « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر في كتابه فيتجاوزله عنه إنه من نوقض الحساب بإعاشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم ، وقوله تعالى (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى ويرجع إلى أهله في الجنة ، قاله قتادة والضحاك : مسرورا أى فرحا مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال إنكم تعملون أعمالا لا تعرف ويوشك الغائب أن يشوب إلى أهله فسرور أو مكظوم ، وقوله تعالى (وأما من أتى كتابه وراء ظهره) أى بشاله من وراء ظهره ثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك (فسوف يدعو ثورا) أى خسارا وهلاكا (ويصلى سميرا » إنه كان في أهله مسرورا) أى فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل (إنه ظن أن لن يحور) أى كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يبيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما ، والحور هو الرجوع قال الله (بل إن ربه كان به بصيرا) يعنى بلى سعيده الله كما بدأه ويحازيه على أعماله خيرا وشرها فإنه كان به بصيرا أى علما خيرا

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَهْلُ عِلْمٍ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

روى عن طى وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن طى بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا الشفق الحرة وقال عبد الرزاق عن معمر ابن خنيس عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض ، فالشفق هو حرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الخليل بن أحمد : الشفق الحرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فإذا ذهب قيل غاب الشفق . وقال الجوهري : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « وقت المغرب مالم يغيب الشفق » ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفى رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس رواهما ابن أبي حاتم ، وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى (والليل وما وسق) أى جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا . وقال ابن جرير : وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة (وما وسق) وما جمع قال قتادة وما جمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

• مستوفات لو يجدن ساقها •

قد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول ماسق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه ، وقوله تعالى (والقمر إذا اتسق) قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (والقمر إذا اتسق) إذا استوى . وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلأ وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا ليل وما وسق ، وقوله تعالى (لتركن طبقا عن طبق) قال البخارى أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال : قال ابن عباس (لتركن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون

قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركبن طبقا عن طبق) قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال ، هذا لفظه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة والطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبر والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو للتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) قال : محمد ﷺ ، ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن الشعبي (لتركبن طبقا عن طبق) قال : لتركبن يا محمد ساء بعد ساء . وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية (طبقا عن طبق) ساء بعد ساء ﴿ قلت ﴾ يعنون ليلة الإسراء ؟ وقال أبو إسحاق والسدي عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا منزلا ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمرا بعد أمر وحالا بعد حال ، وقال السدي نفسه (لتركبن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل ﴿ قلت ﴾ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى قال « فمن ؟ » وهذا محتمل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الأعمش حدثنا إبراهيم قال : قال عبد الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال السماء تنشق ثم تمطر ثم تكون لونا بعد لون . قال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود (طبقا عن طبق) قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركبن طبقا عن طبق) يا محمد يعني حالا بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركبن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرفا في الدنيا فارتفعوا في الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال فطما بعد ما كان رضيما ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر . وقفا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شعيب عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفي غفلة عما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره . اكتب شقيا أو سعيدا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملك وجاء ملك الموت فقبض روحه فإذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملك القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحدا سائما وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) قال « حالا بعد حال » ثم قال النبي ﷺ « إن قدامكم لأمرًا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمر بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله

ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا ، وقوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واكراما واحتراما وقوله تعالى (بل الذين كفرا يكذبون) أى من سجنهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهد وقتادة يكتمون فى صدورهم (فبشرهم بعذاب أليم) أى فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا ألما وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعنى لكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم (لهم أجر) أى فى الدار الآخرة (غير ممنون) قال ابن عباس غير منقوص ، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى (عطاء غير مجدود) وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وأن لحظة وإنما دخلوها بفضلهم ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون تسييحه وتحميده كما يلهمون النفس ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . آخر تفسير سورة الانشقاق والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة البروج وهى مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسما ذات البروج والسما والطارق . وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسي سمعت أبا المهزم يحدث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسماوات فى العشاء ، تفرد به أحمد

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ مُّشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِمَّا لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْأَخْرَاقِ)

يقسم تعالى بالسما وبروجها وهى النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (تبارك الذى جعل فى السما بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى : البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور فى السما ، وقال المنهال بن عمرو (والسما ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجاً تسير الشمس فى كل واحد منها شهراً ويسير القمر فى كل واحد منها يومين وثلاثاً فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين ، وقوله تعالى (واليوم للوعود وشاهد ومشهود) اختلف المفسرون فى ذلك . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن محمد ابن عمرو القزى حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « (واليوم للوعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ولا يستعبد فيها من شر إلا أعاده (ومشهود) يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف الحديث وقد روى موقوفاً على أبى هريرة وهو أشبه

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والوعود يوم القيامة . وقد روى عن أبي هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك والله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن للمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا » ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سألت رجلا من بني الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الدين ويوم الجمعة ، فقال لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرمة عن سعيد بن المسيب : ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم الدين ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أئمن عن عباد بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة » وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن ، حكاه البغوي ، وقال : الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أي لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهرهم وأرادوا أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعون بها ثم أرادوا أن يقتلوا منهم فقتلوا فيها ولهم في ذلك ما فعلوا قال تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى (وما تموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا ينام من لاذ بجناحه النبع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك . على كثير من الناس . ثم قال تعالى (الذي له ملك السموات والأرض) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيها وما بينهما (والله على كل شيء شهيد) أي لا ينسب عنه شيء في جميع السموات

والأرض ولا تخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟ فمن على أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماءهم فعمد إلى حفر أخدود وقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنهم ومشركونهم فغلب مؤمنهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحد منهم حبشي ، وقال العوفي عن ابن عباس (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) قال ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فيينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجراً فقال اللهم إني كان أمر الراهب أحب إليك وأرضي من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورمها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتي فإن ابتليت فلا تدل على ، فكان الغلام يرى الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جلس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفي ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي ؟ فقال أنا ؟ قال لا ، ربي وربك الله ، قال ولك رب غيري ؟ قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث إليه فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الادواء ؟ قال ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا . قال أولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع للنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع للنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهدوها أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في قرقر فقال إذا لجئتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي وإلا فانك لاتستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبن على جندع وتأخذ سهماً من كنانتي ثم قل باسم الله رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتنى . ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال باسم الله رب الغلام فوق السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا رب الغلام . فقيل للملك أرايت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الأخاديد وأضمرت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكانت تهاجس ابنت تقع في النار فقال الصبي : اصبري يا أمه فانك على الحق .

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة بنحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن

عثمان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذى فرواه في تفسير هذه الصورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد - المعنى واحد - قالوا: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أي ليلي عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر خمس والخمس في بعض قولهم تحريك شفثيه كأنه يتكلم فقل له إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أتتم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختروا النعمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفا » قال وكان إذا حدث بهذا الحديث ، حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لفتنا فاعلمه علمى هذا ، فذكر القصة بتامها وقال في آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود - حتى بلغ - العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب واصبعه على صدعه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذى : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومى فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يبدون الأوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيموت ولم يسجوه لى بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحده الله وعبدته وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكنتمه إياه وقال له يا ابن أخي أنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقذاح فجعلها ثم لم يبق لله اسم يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أو قد ناراهم جعل يقدفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدره فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فأخذته ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبت فأمسك على نفسك وما ظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضرا إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك بما أنت فيه من البلاد فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فشفي حتى لم يبق بنجران أحد به ضرا إلا أتاه فاتبه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقي فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر إنك والله لا تقدر على قتلى حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت على قتلتي قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله ابن التامر ثم ضربه بعضا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ابن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران . قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فانه أعلم أى ذلك كان ، قال فسار إليهم ذونواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاخاروا القتل فخذل الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففى ذى نواس وجنده

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما تمموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذونواس واسمه زرة ويسمى في زمان مملكتيه يوسف وهو ابن يان أسعد أبي كريب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان يهود من يهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطا قتل ذونواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدر وأعليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرباطا وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج في البحر ففرق واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذى يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسند كرتا فامن ذلك إن شاء الله في تفسير سورة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حضر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخذت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دما وفي يده خاتم مكتوب فيه رب الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله ووردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا . وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فليل له إن تحته رجلا صالحا فحضر الأساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نعمت على أصحاب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبني الحائط فثبت (قلت) هو الحارث بن مضاض ابن عمرو بن مضاض الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القاتل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قاله العرب

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوارث

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل عليه السلام فحرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الهيثم أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأتقدهما منها وألقى فيها الدين بفوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال أسباط عن السدي في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخذ بالشام ، وخذ باليمن . رواه ابن أبي حاتم ، وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطنانوس والرومي وأما التي بفارس فهو بختنصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذونواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا أنهم كانوا قومًا في زمان العترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنه والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخذ أخذودا من نار وقال لهم الجبار وقسم عليها اختاروا هذه أو الذي نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففرغت الذرية فقالوا لهم أي آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه . وقوله تعالى (إن الدين فتنوا المؤمنين والمؤمنين والمؤمنات) أي حرقوا قاله ابن عباس وعجابه وقتادة والضحاك وابن أبيزى (ثم لم يتوبوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وذلك أن الجزء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والغفرة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قَرُءٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

يخبر تعالى عن عبادته المؤمنين أن (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير) ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوه اللتين الذي ماشاء كان كما يشاء في مثل ملح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدى ويعيد) أي من قوته وقدرته التامة يبدى ويعيد كما بدأه بلاما نع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أي صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطيب ؟ قال نعم . قالوا فما قال لك ؟ قال : قال لي إني فعال لما أريد وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود) أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردعها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذا ألما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود) فقال يستمع فقال « نعم قد جاءني » وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) أي هم في شك وريب وكفر وعناد (والله من وراءهم محيط) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أي عظيم كريم (في لوح محفوظ) أي هو في اللأ الأعلى محفوظ

من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن طي حدثنا قرة بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) في جبهة إسرئيل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح ثمامة بن معاوية بن صالح أن أبا الأعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شيء قضى الله : القرآن ، فمقبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرئيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصري إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوي من طريق إسحق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين للشرق والغرب ، وحافته من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلعه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلعه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز وينذل ويفعل ما يشاء » . آخر تفسير سورة البروج والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطارق وهي مكية)

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وميمته أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصي حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعتهم يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال فدعيتي ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ الغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسر بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما مسمى النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل وتخفى بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح أنه أن يطرق الرجل أهله طروقا أي يأتيهم فجأة بالليل ، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بغير يا رحمن » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضي وقال السدي يتقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضيء ومحرق للشيطان وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق؟) تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداء فهو قادر على الاعادة بطريق الأولى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعنى الذى يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تربية المرأة موضع القلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة . وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الترائب بين ثدييها ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي ، وقال سفيان الثوري فوق الثديين وعن سعيد بن جبيرة الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل . وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حبيبة المدنى أنه بلغه في قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره . وقوله تعالى (إنه على رجعه لقادر) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ على رجع هذا الماء الدافق إلى مقاره الذى خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ﴿ والقول الثانى ﴾ إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أى إعادته وبشء إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداء قدر على الاعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أى يوم القيامة تبلى فيه السرائر أى تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكشون مشهورا ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله تعالى (فإله) أى الإنسان يوم القيامة (من قوة) أى فى نفسه (ولا ناصر) أى من خارج منه أى لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهَا * رُؤُودًا ﴾

قال ابن عباس : الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسماء ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقرها يأتين من ههنا (والأرض ذات الصدع) قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدى وغير واحد ، وقوله تعالى (إنه لقول فصل) قال ابن عباس: حق ، وكذا قال قتادة وقال آخر: حكم عدل (وما هو بالهزل) أى بل هو جد حق ، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سييله فقال (إنهم يكيدون كيدا) أى يمكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن ، ثم قال تعالى (فمهل الكافرين) أى أنظرهم ولا تستعجل لهم (أهلهم رويدا) أى قليلا أى وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والمهلك كما قال تعالى (نعمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . آخر تفسير سورة الطارق والله الحمد والمنة

تفسير سورة سبح وهى مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخارى حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال: أول

من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) في سور مثلها . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الأعلى) تفرد به أحمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى » . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك حديث الغاشية وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعا . هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجريز وشعبة ثلاثهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير به ، قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسلم عن إبراهيم بن محمد بن سالم عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة فالحق أعلم ، ولقبط مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد ققرأهما . وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبيزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والعوديين . وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة سدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَ عِشَاءً أَوْخَى * سَنَفَرُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى * فَذَكَرْ أَنْ نَقَمْتَ الْذُّكْرَى * سَيِّدَ كُرْمٍ مَنْ يَخْشَى * وَيَجْعَلُهَا الْأَشْمَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني ابن أيوب الفافقي حدثنا عمي إياس بن طاهر سمعت عقبة ابن عامر الجهني لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) قال « سبحان ربّي الأعلى » وهكذا ورواه أبو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا . وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح ربك الأعلى) فقال: سبحان ربّي الأعلى . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الحمداني أن ابن عباس كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربّي الأعلى وإذا قرأ (لا أقسم يوم القيامة) فأتى

على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانه وبلى ، وقال قتادة (سبح اسم ربك الأعلى) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحان ربى الأعلى ، وقوله تعالى (الذى خلق فسوى) أى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيئات . وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أى قدر قدرا وهدى الخلائق إليه كما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقوله تعالى (والذى أخرج الرعى) أى من جميع صنوف النباتات والزرع (فجعله غشاء أحوى) قال ابن عباس هشيما متغيرا وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه . قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وأن معنى الكلام والذى أخرج الرعى ، أحوى أخضر إلى السواد فجعله غشاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل . وقوله تعالى (سنقرئك) أى يا محمد (فلا تنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له . بأنه سيقربه قراءة لا ينساها (إلا ما شاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله وقيل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أى لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه . وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى يعلم ما يجر به العباد وما يخافونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) أى نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشر لك شرعا سهلا ممحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر . وقوله تعالى (فذكر إن نعمت الذكري) أى ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن هنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بما يعرفون آخرون أن يكذب الله ورسوله ، وقوله تعالى (سيدكر من يخشى) أى سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقية (ويتجنبها الأشقي * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هى مضرة عليه لأن بسببها يشعر ما يعاقبه من ألم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان بن يعنى التيمي عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم فى النار فيدخل عليهم الشفاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم - أوقال - ينبتون - فى نهر الحيا - أوقال الحيا - أوقال الحيوان - أوقال نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة فى حميل السيل » قال وقال : النبى صلى الله عليه وسلم « أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » قال : فقال بعضهم كأن النبى صلى الله عليه وسلم كان بالبادية . وقال أحمد أيضا حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أوكال قال - تصيهم النار بذنوبهم - أوقال بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فجما أذن فى الشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » قال : فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ، ورواه مسلم من حديث بشر بن الفضل وشعبة كلاهما عن أبى سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إياس الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فجما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل » . وقد قال الله تعالى إخبارا عن أهل النار (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كنتم) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) إلى غير ذلك من

الآيات في هذا المعنى

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْخَيْرَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى *
إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿

وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا العتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال كلها في صحف إبراهيم وموسى ، ولما نزلت (وإبراهيم الذي وفى) قال وفى إبراهيم (لا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى أن هذا الآية كتبه تعالى في سورة النجم (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأنت إلى ربك المنتهى) الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى (إن هذا لقى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) يقول الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى ، وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرن الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى) ثم قال تعالى (إن هذا) أى مضمون هذا الكلام (لقى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) وهذا الذى اختاره حسن قوى وقد روى عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم . آخر تفسير سورة سبح ، والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة الغاشية وهى مكية)

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة . وقال الإمام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . ورواه أبو داود عن القنبي والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ * آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لأنها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءني » . وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أى ذليلة قاله قتادة ، وقاله ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أى قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حاميه . قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا إبراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن إسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه ياراهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكى فقبل له يأمر المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه (عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية) فذاك الذى أبكاني . وقال البخارى قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدى عاملة في الدنيا بالمعاصى ناصبة في النار بالعذاب والهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى ناراً حامية) أى حارة شديدة الحر (تسقى من عين آية) أى قداستها حرها وغلبيتها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى . وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريح) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع ؛ قال عكرمة وهو شجرة ذات شوك لا طئة بالأرض . وقال البخارى قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع

إذا يبس وهو سم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس ممي الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ؛ وقوله تعالى (لا يبسن ولا يغنى من جوع) يعنى لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِنِيَّةٌ * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناعمة) أى يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها . وقوله تعالى (فى جنة عالية) أى رفيعة بهية فى العرفات آمنون (لاتسمع فيها لائغية) أى لاتسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الإثبات وليس المراد بها عينا واحدة وإنما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات . قال ابن أبى حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرعة عن عبد الله بن ضميرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنها الجنة تفجر من تحت تلأل - أو من تحت جبال - المسك » (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أرادولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقاتدة والضحاك والسدى والثوري وغيرهم ، وقوله تعالى (وزراري مبثوثة) قال ابن عباس الزراري البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ، ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ؛ ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أنى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك الماعفرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ « لأهل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور تلالاً ، وريحانة تهز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبدى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن للمشرون لها ، قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟) فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتتقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا حتى تنظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت أى كيف رافعا الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية للتأيد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن (وإلى

الأرض كيف سطحت ١) أى كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هورا كب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والأرض التى تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه ؛ وهكذا أقسم ضمام فى سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهمينا أن نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد إني أنا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ؟ قال « الله » قال فمن خلق الأرض ؟ قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال « الله » قال فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولى فقال والذى بعثك بالحق لأزيد عليهن شيئا ولا أتقص منهن شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر عن أنس به بطوله ، وقال فى آخره وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة فى الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبى : قالت الله ، قال فمن خلقتى قالت الله ، قال فمن خلق السماء : قالت الله قال فمن خلق الأرض ، قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فإني لأسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا . قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا فى إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المدينى ضعفه ولده الإمام على بن المدينى وغيره ، وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أى فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم (فإنا عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال (لست عليهم بمسيطر) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (لست عليهم بجبار) أى لست تخلق الإيمان فى قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذى تكبرهم على الإيمان قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وهكذا رواه مسلم فى كتاب الإيمان والترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثورى به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية ، وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) أى تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) ولهذا قال (فيعذبه الله العذاب الأكبر) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي هلال عن على بن خالد أن أبا أمامة الباهلى مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن آيتين كلفه سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » تفرد بإخراجه الإمام أحمد وعلى بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما هنا روى عن أبي أمامة وعنه سعيد بن أبي هلال ، وقوله تعالى (إن إلينا إياهم) أى مرجعهم ومنقلبهم (ثم إن علينا حسابهم) أى نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . آخر تفسير سورة الفاشية ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الفجر وهي مكية)

قال النسائي أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرني يحيى بن سعيد عن سليمان بن محارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذ فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل النبي فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعملت ناقتي فقال رسول الله ﷺ « أفنان يا معاذ ؟ أين أنت من سبع اسم ربك الأهل - والشمس وضحاها - والفجر - والليل إذا يغشى »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَفَّوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)

أما الفجر معروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر ، وقيل المراد بذلك الصلاة التي فعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس ، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الأول من رمضان ، والصحيح القول الأول قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياض بن عقبة حدثني خير بن نعم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن المتن في رفعه نكارة والله أعلم . وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً (قول ثان) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا ؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى (قول ثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا إثم عليه) وقال ابن جرير أخبرني محمد بن الرافع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » (قول رابع) قال الحسن البصري وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه

وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الأول وقال العوفي عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال : الله وتر واحد وأتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

(قول خامس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد (والشفع والوتر) قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد : الله الوتر وخلق الله الشفع الذكر والأنثى وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شيء خلقه الله شفع . السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا ، ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد (قول سادس) قال قتادة عن الحسن (والشفع والوتر) هو العدد منه شفع ومنه وتر . (قول سابع في الآية الكريمة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج . ثم قال ابن جرير وروى عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم . قال أبو العالية والريبع بن أنس وغيرهما : هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجدة من الليل . وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبي ﷺ ولفظه عام . قال الإمام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع في السند ، وكذا رواه ابن جرير عن بNDAR عن عفان وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو ابن طي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم (قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام . وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن طي حدثني أبي حدثني خالد بن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال « هي الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأستطدكر الشيخ المصنف وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري إمام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي حمزة نصر بن عمران الضبعي روى عنه قتادة وابنه أبو حمزة والثني بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلاً حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتل يوم الراوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد ، وعندى أن وقفه طي عمران بن حصين أشبهه والله أعلم ولم يحزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفي عن ابن عباس أي إذا ذهب ، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقاتدة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار هو يمكن حمله على ما قال ابن عباس أي ذهب ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أي أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا حمل قوله (والليل إذا يسر) على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) وكذا قال الضحاك (والليل إذا يسر)

أى يجرى ، وقال عكرمة (والليل إذا يسر) يعنى ليلة جمع ليلة الزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم
ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب
القرظى يقول فى قوله (والليل إذا يسر) قال : اسر يأسروا ولا تبيتن إلا بجمع ، وقوله تعالى (هل فى ذلك قسم لى حجر)
أى لى عقل ولب وحجا ، وإنما سمى العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى مالا يليق به من الأفعال
والأقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، ومنه حجر الجيمة ، وحجر الحاكم على
فلان إذا منعه التصرف (ويقولون حجرا محجورا) كل هذا من قيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات
العبادة وبفس العباد من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يقرب بها إلى عبادته المتقون المطيعون له
الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تركب
فعل ربك بعد ؟) وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى
كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال (ألم تركب فعل ربك بعد ؟ إرم ذات العباد ؟) وهؤلاء عاد
الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن إسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه
السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم
سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر
الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون بقوله تعالى (إرم ذات العباد) عطف بيان زيادة
تعريف بهم وقوله تعالى (ذات العباد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التى ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد
الناس فى زمانهم خلقا وأقوام بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى
خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسط فاذكروا آلاء الله ولا تغوا فى
الأرض مفسدين) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله
الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال ههنا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى القليلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم لغوتهم
وشدنتهم وعظم تركيبهم ، قال مجاهد : إرم ، أمة قديمة يعنى عادا الأولى ، قال قتادة بن دعامه والسدى : إن إرم بيت مملكة
عاد ، وهذا قول حسن جيد قوى وقال مجاهد وقتادة والسكبي فى قوله (ذات العباد) كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال
العوفى عن ابن عباس إنما قيل لهم ذات العباد لطولهم ، واختار الأول ابن جرير ورد الثانى فأصاب ، وقوله تعالى (التى
لم يخلق مثلها فى البلاد) أعاد ابن زيد الضمير على العباد لارتفاعها وقال بنو عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها فى البلاد ،
وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القليلة أى لم يخلق مثل تلك القليلة فى البلاد يعنى فى زمانهم ، وهذا القول هو
الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التى لم يعمل مثلها فى البلاد وإنما
قال (لم يخلق مثلها فى البلاد) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن
حدثه عن المقدم عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العباد فقال « كان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيحملها
على الحى فيهلكهم » ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد
الديلى قال قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذى رفعت العباد وأنا الذى شددت بذراعى نظروا واحد
وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرج إلا أمة محمد ﷺ قلت فعلى كل قول سواء كانت العباد أبنية بنوها
أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحا يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون فى القرآن
فى غير ما موضع القرونون بشمود كما ههنا والله أعلم
ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العباد) مدينة إما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية
كما روى عن القرظى أو غيرها ففیه نظر فانه كيف يلتزم الكلام على هذا (ألم تركب فعل ربك بعد ؟ إرم ذات
العباد) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فانه لا يتسق الكلام حيثئذ ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك

القبيلة السامة بعداد وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نهت على ذلك لئلا يفتربكثير بما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباها لآلىء وجواهر وتراها بنادق للسك وأنهارها سارحة ونمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا حبيب ، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقهم ليختبروا بذلك عقول الجبهة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك . وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والجهل فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجبهة والطامعين والتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر والياقيات والآلىء والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاير ونحو ذلك من الهديات ويطنزون بهم والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التي زعموها فكذب واقتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن قتلهم أو قتل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب . وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف ، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وعمود الدين جابوا الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحتونها ويغرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتأى النمار إذا خرقوها واجتأب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتنتحون من الجبال بيوتا فارحين) وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله بائد * كما باد حتى من شنيف ومارد
م ضربوا في كل صماء صعدة * بأيدي شداد أيداد السواعد

وقال ابن إسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) قال العوفي عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلتهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى . قال السدى كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني عن أبي رافع قيل لفرعون ذى الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رعى عظيمة حتى ماتت . وقوله تعالى (الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أى تمردوا وعتوا وطأوا في الأرض بالفساد والأذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أى أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يرد عنها القوم المجرمين وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كل بأسع فيه الدنيا والآخرة وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي إسناده نظر وفي صحته ، فقال حدثنا أبو حاتم أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة البيسانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المؤمن

لدى الحق أسير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محبته والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم : يونس الخذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أى لو كان من كلامه لكان حسنا ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبيه عن ابن عبد الكلاعى أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن للجهنم سبع قناطر قال والصراف عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول (قفوم إنهم مسؤولون) قال فيحاسبون على الصلاة ويستلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فافطعه قال وهى التى يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثُ أَكْلًا * وَتَحِبُّونَ الْكَلَّالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

يقول تعالى مكررا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيعسبون أنما نمدم به من مال وبنين * نساوع لهم في الحيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحناه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أى ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فإن الله تعالى يعطى المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما اللدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالإكرام له كما جاء في الحديث الذى رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يقيم بحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يقيم بساء إليه - ثم قال باصبعه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز بن ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصبعه الوسطى والى تلى الإبهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى لا يأمرؤن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على ذلك (وتأكلون التراث) يعنى لليراث (أكلا) أى من أى جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون الكلال حبا جما) أى كثيرا زاد بعضهم فاحشا

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِئْتُ يَوْمَئِذٍ بِمِغْصَدٍ * يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَلَيِّنَنِى قَدَمْتُ إِحْيَاى * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُؤْتِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا * يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجَعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِي عِبَادِى ﴾

وَادْخُلِي جَنَّتِي

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى (كلا) أى حقا (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم (وجاء ربك) يعنى لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهى النوبة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى فى ذلك وهى أول الشفاعات وهى للمقام المحمود كما تقدم بيانه فى سورة سبحان فيجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى (وجيء يومئذ بجهنم) قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى عن العلاء بن خاله السكاهلى عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبى عامر عن سفيان الثورى عن العلاء بن خاله عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزارى عن العلاء بن خاله عن شقيق عن عبد الله قوله . وقوله تعالى (يومئذ يذكّر الإنسان) أى عمله وما كان أسلفه فى قديم دهره وحديثه (وأتى له الذكرى) أى وكيف تنفعه الذكرى (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) يعنى يندم على ما كان سلف منه من المعاصى إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا طلى بن إسحق حدثنا عبد الله يعنى ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نقيير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن عبدا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت فى طاعة الله لحقره يوم القيامة ولودّ أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب . قال الله تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه (ولا يؤثّق وثاقه أحد) أى وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربه عز وجل وهذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها (يا أيّها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) أى إلى جوارحه وثوابه وما أعد لعباده فى جنته (راضية) أى فى نفسها (مرضية) أى قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملتهم (وادخلى جنتى) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فىمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت فى عثمان بن عفان : وعن بريدة ابن الحصيب نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه . وقال العوفى عن ابن عباس يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة (يا أيّها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) يعنى صاحبك وهو بدنّها الذى كانت تعمّره فى الدنيا (راضية مرضية) وروى عنه أنه كان يقرؤها (فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وكذا قال عكرمة والسكبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (وأن مردنا إلى الله) أى إلى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبى حاتم حدثنا طلى بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيّها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال « أما إنه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيّها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك

سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن .
ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير
قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم يطرطى خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير
القبر لا يدرى من تلاها (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ورواه
الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجlan الأفطس به فذكره . وقد ذكر الحافظ
محمد بن النضر المروى المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد
الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقى
رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفاطى وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم
قال الله تعالى في كتابه (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم غاص
في الماء وقال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء القداء من
عند الخليفة أبي جعفر النصور فخلصنا

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي حدثني
أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بكتابك وترضى بقضائك
وتفزع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبرة أنه قال : حديث رواحة هذا واحد أمه آخر تفسير سورة الفجر ، والله الحمد والمنة

(تفسير سورة البلد وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ *
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لبلده على عظمة قدرها في حال إحرام
أهلها ، قال خفيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لارد عليهم . أقسم بهذا البلد ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن
ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يا محمد يحل لك أن تقابل به ، وكذا روى
عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد ، وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك ،
وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا إثم ، وقال الحسن البصري أحلها الله ساعة من نهار
وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث للنفق على صحته « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يخلتلى خلاه ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها
اليوم كحرمها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفي لفظ آخر « فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن
لرسوله ولم يأذن لكم » ، وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن
خفيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، ورواه
ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم .
وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخفيف وشريك بن سعد
وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي
المساكن أقسم بعده بالسكان وهو آدم أبو البشر وولده وقال أبو غمران الجوني هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير وابن

أبي حاتم واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا ، وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيشمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زادا ابن عباس في رواية عنه منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجيح وجريج وعطاء عن ابن عباس : في كبد قال في شدة خلق ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نطفة ثم علقه ثم مضغة يتكبد في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروى من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها ، وقوله تعالى (أيعجب أن لن يقدّر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أيعجب أن لن يقدّر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيعجب أن لن يقدّر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يستل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وقال السدي (أيعجب أن لن يقدّر عليه أحد) قال الله عز وجل ، وقوله تعالى (يقول أهلكت ما لا لبدا) أي يقول ابن آدم أنفقت ما لا لبدا أي كثيرا قاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم (أيعجب أن لن يره أحد) قال مجاهد أي أيعجب أن لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف : وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يصير بهما (ولسانا) أي ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفقتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعمًا عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحلت لك وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرك وأحلت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصّب بفرجك ما أحلت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي » (وهديناه النجدين) الطريقتين قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الحارث والشر وكذا روى عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « هما نجدان فاجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث ، وقال أحمد ترك حديثه لاضطراره وروى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « يا أيها الناس إنيهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فاجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمّر ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلًا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال التديين وروى عن الربيع بن خثيم وقاتدة وأبي حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عقيل به ثم قال والصواب القول الأول

ونظير هذه الآية قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكَّ رَقَبَةً * أَوْ إطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * بَيْنَمَا ذَا مَقَرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيْنَا يَمِينًا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ)

قال ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أى دخل (العقبة) قال حبل في جهنم وقال كعب الأحبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة في جهنم وقال قتادة إنها عقبة قحمة شديدة فاقحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقة أو إطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أى أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة * فك رقه أو إطعام) قرئ فك رقة بالإضافة وقرئ على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناها متقارب . قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم . ولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب — أى عضوا — منها إربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج » فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال علي بن الحسين لعل له أقره غلامه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله ، وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا العلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال « من بنى مسجدا ليدكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة ، ومن أعتق نفسه مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيعة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة »

(طريق أخرى) قال أحمد حدثنا الحكم بن بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو ابن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضوا بعضوا ، ومن شاب شيعة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كعمتق رقبة من بنى إسماعيل » وروى أبو داود والنسائي بعضه (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة : قال السلمي قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فأتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيعة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أى باب شاء منها »

وهذه أسانيد جيدة قوية والله الحمد

(حديث آخر) قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عتبة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا وائلة بن الأسقع قلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار» وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عتبة عن العريف بن عياش الديلمي عن وائلة به . (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار» وحدثنا عبد الوهاب الحفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار» تفرد به أحمد من هذا الوجه . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة ، أعتق النسيئة وفك الرقبة» فقال يا رسول الله أوليست با واحدة ، قال «لا إن عتق النسيئة أن تفرد بعقبتها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها ، والنسيئة الكوف ، والفء على ذي الرحم الظالم فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن وتمر بالمعروف وإنه عن النكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير» . وقوله تعالى (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذي جماعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقاتدة وغير واحد والسبب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتبا) أي أطم في مثل هذا اليوم يتبا (ذا مقربة) أي ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة» وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أو مسكينا ذامترية) أي فقير أمدقما لا صفا بالتراب وهو الدعاء أيضا قال ابن عباس ذامترية هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفي رواية عنه هو البعد التربة ، قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير للمديون المحتاج ، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحده وقال ابن عباس وسعيد وقاتدة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قريبة المعنى . وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) أي كان من المؤمنين العاملين صالحا «للتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وفي الحديث الآخر «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو بن ميمون قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب اليمين) أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب الشمال) أي أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عليهم فلا يحيد لهم عنها ولا خروج لهم منها قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقاتدة والسدي (مؤصدة) أي مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة

قريش أى أغلقه وسبأى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيطلا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجوني إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبي حاتم . آخر تفسير سورة البلد والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية ﴾

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؟ »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَعْنَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها) النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفي عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس روى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتلوهُ وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى (والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشيا النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها ﴿ قلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاه) فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) أنه كقوله تعالى (والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختر عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجرى ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاه) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثني يزيد بن ذى حمادة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خلقى العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما هنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبنائها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بنيها بأيدى - أى بقوة - وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون) وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفي عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : ضحاها قسمها . وقال مجاهد وقاتة والضحاك والسدى والثورى وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه أكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد الجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » ، وقوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عذرة ابن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدبيلي قال : قال لي عمران بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما تستقبلون مما أنتم به نبههم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت بل شيء قضى عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال ففرغت منه فرعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يستل عما يفعل وهم يستلون قال سددك الله إني سألتك لأخبر عقلك إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أنتم به نبههم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال ففيم نعمل ؟ قال « من كان الله خلقه لإحدى التزتين يهتبه لها وتصدق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) » رواه أحمد ومسلم من حديث عذرة بن ثابت به ، وقوله تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرزائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) (وقد خاب من دساها) أي دسها أي أخلها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دس الله نفسه كما قال العوفي وحلى بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو بن الحارث عن عمرو بن هشام عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلحت نفس زكاها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجوير هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لميعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد الدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن حلي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ « (فألهمها فجورها وتقواها) - قال اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن ابن عمر عن صالح ابن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إني أعوذ بك من الغجز والكسل ، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع . وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم يملئناهم ونحن نملئهم ، رواء مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

﴿ كَذَبَتْ نَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذْ أَنْبَتَتْ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُّوْهَا فَمَدَّمْ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

يخبر تعالى عن نمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب (بطغواها) أي بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ أنبتت أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر نمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمرة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال «إذ أنبتت أشقاها أنبت لها رجل عارم عزيزا منيع في رهطه مثل أبي زمعة» ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سنينهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي «ألا أحدثك بأشقى الناس» قال بلى قال «رجلان أحيمر نمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبطل منه هذه» يعني لحيته . وقوله تعالى (فقال لم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فمقروها) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فمددم عليهم بذنوبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر نمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكركم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها . وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرئ فلا يخاف (عقباها) قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله اللزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي (ولا يخاف عقباها) أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة الشمس وضحاها ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الليل وهي مكية ﴾

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لماذ «فهل صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن الليث عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فسلم فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا : قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت ؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) قال علقمة (والذكر

(والأثنى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككونى ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره والذى أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا كلنا ، قال أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى - قال - والدكر والأثنى) قال أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهو لا يريدنى على أن أقرأ (وما خلق الله الكبر والأثنى) والله لا أتابعهم هذا لفظ البخارى . هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفع أبو الدرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثلث في المصحف الإمام العثمانى في سائر الآفاق (وما خلق الله الكبر والأثنى) فأقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) أى إذا غشى الخليفة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أى بضياؤه وإشراقه (وما خلق الله الكبر والأثنى) كقوله تعالى (وخلقناكم أزواجا) وكقوله (ومن كل شئ خلقنا زوجين) ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أى أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أى أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره (وصدق بالحسنى) أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة ، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلى والضحاك (وصدق بالحسنى) أى بلا إله إلا الله وفى رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أى بما أنعم الله عليه ، وفى رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثنى من مع أبا العالية الرباحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال « الحسنى : الجنة »

وقوله تعالى (فسنبههم لليسرى) قال ابن عباس يعنى للخير ، وقال زيد بن أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنى الحسنى بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أى بما عنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أى بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل . رواه ابن أبى حاتم (وكذب بالحسنى) أى بالجزاء فى الدار الآخرة (فسنبههم لليسرى) أى لطريق الشرك كما قال تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ﴿ رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا على بن عياش حدثنى العطار بن خاله حدثنى رجل من أهل البصرة عن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه مع أبى بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال فقيم العمل يا رسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له » ﴿ رواية على رضى الله عنه ﴾ قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيع الفرق فى جنازة فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار » فقالوا يا رسول الله أفلا تتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - إلى قوله - لليسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بيع الفرق فأتى رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله ومعه محضرة فكس فسكن فجعل ينكت بمحضرتها ثم قال « ما منكم من أحد - أو ما من نفس منقوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يا رسول الله أفلا تتكل على كتابنا وننزع العمل ؟ فمن كان منا من

أهل السعادة فيصير إلى أهل السعادة ومن كان متامناً أهل الشقاء فيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به (رواية عبد الله بن عمر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال : قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلامي سر ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء » ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح (حديث آخر من رواية جابر) قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أولاً أم نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » فقال سراقه فقيم العمل إذا ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن أبي بن وهب به (حديث آخر) قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سألت غلامان شابان النبي ﷺ فقالا : يا رسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف ؟ فقال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالوا : فقيم العمل إذا ؟ قال « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » قالوا : نحمد ونعمل (رواية أبي الدرداء) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان ابن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة بن حليس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قال : قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فكيف بالعمل يا رسول الله ؟ قال « كل امرئ مهياً لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خالد العصري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنتها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً » وأنزل الله في ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة بإسناده مثله (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فإذا جاء الرجل فدخل داره ف يأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق النخلة ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ « اذهب » ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمره من ثمرها فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها أنعطيني ما أعطيتك بها نخلة في الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلة للمائة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بعثها قال لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه قال : وما منك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ، ثم سكنا وأنشأ في كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهد لي إن كنت صادقاً فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا أني قد أعطيتك من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول

فقال صاحب النخلة قدرضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم تفرق فقال له قد أقالك الله ولست بأحق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قدرضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال تعطينها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق ففرقا فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك ولعمالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى - إلى قوله - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) إلى آخر السورة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن إدريس الأصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يمتق على الإسلام بمكة فكان يمتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تمتق أناساً ضعفاء فلو أنك تمتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي أبت إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى) ، وقوله تعالى (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) قال مجاهد : أي إذا مات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم إذا تردى في النار .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾

قال قتادة (إن علينا للهدى) أي يبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجهه كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) حكاه ابن جرير ، وقوله تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الجميع ملكنا وأنا للتصرف فيهما ، وقوله تعالى (فأندرتكم ناراً تَلَظَّى) قال مجاهد أي توهج . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول « أندرتكم النار » حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعته من مقامى هذا قال حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أهول أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه » رواه البخاري ، وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهول أهل النار عذاباً من له نعلان وشرا كان من نار يغلى منهما دماغه كايغلى الرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » ، وقوله تعالى (لا يصلاحها إلا الأشقى) أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) أي بقلبه (وتولى) أي عن العمل بجوارحه وأركانه

قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا بن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا الشقى » قبل ومن الشقى قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية » وقال الإمام أحمد حدثنا يونس وشريح قالوا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبي » قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟

قال « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » ورواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به وقوله تعالى (وسيجنبها الأتقى) أى وسيزجره عن النار التقي التقي الأتقى ثم فسر بقوله (الذى يؤتى ماله يتزكى) أى يصرف ماله فى طاعة ربه ليتزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى ليس بذله ماله فى مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطى فى مقابلة ذلك وإعسا دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى طمعاً فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أى ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الأمة وسابقيهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فانه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله فى طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يدك عندي لم أجرك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ، ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين فى سبيل الله دعت خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم » ، آخر تفسير سورة الليل والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الضحى وهى مكية)

روينا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرئ قال : قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحي قالالى : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإننا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبى أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البرزى من ولد القاسم بن أبى بزة وكان إماماً فى القراءات . فأما فى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العجلي قال هو منكرو الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبوشامة فى شرح الشاطبية عن الشافعى أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير فى الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضى صحة هذا الحديث . ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل إذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحي ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . وذكر القراء فى مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وقرت تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحي والليل إذا سجى) السورة بتامها كبر فرحاً وسروراً ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فانه أعلم

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَتَّوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزِ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت حذفا يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم العلقمي به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس مع جندب قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال للمشركون ودع محمدا ربه فأنزل الله تعالى (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى قالا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندبا يقول رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في أصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لعت ؟ »

قال فكنت ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لأبي سعيد قيل إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب ، وذكر أن أصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب هنا جملة سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة . فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة إنى أرى ربك قد قلاك عما نرى من جزعك قال فنزلت (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحق هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا إليه وتدل على منبهط عليه وهو بالأبطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال له هذه السورة (والضحي والليل إذا سجي) قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال للمشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحي وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجي) أى سكن فأظلم وادهم ؟ قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (فائق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (ما ودعك ربك) أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك (وللاخرة خير لك من الأولى) أى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصبر إلى الله عز وجل واختار ما عند الله طى هذه الدنيا الدنية ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا السعدي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : اضطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأنثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث السعدي به وقال الترمذي حسن صحيح . وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جلته نهر الكوثر الذي حافاه قباب اللؤلؤ المحوف وطيه مسك أذفر كما سيأتى وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر الخزومي عن طى بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر

في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف وقال السدي عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وسوف يعطيك ربك فترضى » .

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه أمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تديره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأندم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والحزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلايته وعنايته به ، وقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شباب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء إبليس فعذب بها عن الطريق فجاء جبريل ففتح إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوي ، وقوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أى كنت فقيرا ذاعيل فأغناك الله عن سواه فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر صلوات الله وسلامه عليه . وقال قتادة في قوله (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس التنى عن كثرة العرض ولكن التنى غنى النفس » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم وورق كفافا وقعه الله بما آتاه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أى لا تذله وتهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به ، قال قتادة كنى لليتيم كالأب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أى وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن إسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أى وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء للأئمة النبوي « واجعلنا شاكرين لنعمتك مشنين بها عليك قابليها وأتمها علينا » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن بإس الجري عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا منصور بن أى مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على النبى « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله » والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وإسناده ضعيف وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال « لا ما دعوتهم الله لهم وأنيتهم عليهم » . وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم

وقال صحيح . وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أبى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود . وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليئن به فن أثني به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره » قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي (وأما بنعمة ربك فحدث) قال ما عملت من خير فحدث إخوانك ، وقال محمد بن إسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله واقتضت عليه الصلاة فصل . آخر تفسير سورة الضحى والله الحمد ولله

(تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَقْضَى ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)

يقول تعالى (ألم نشرح لك صدرك) يعني أنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيماً واسمياً كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسمياً رحيماً لا يهرج فيه ولا يصر ولا ضيق . وقيل المراد بقوله (ألم نشرح لك صدرك) شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فآله أعلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد ابن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريشا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبل إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضي لا أجدهما مساقا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاى بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه افلق صدري فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلاء ولا وجع فقال له أخرج الفل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقمة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال أعد واسلم فرجعت بها أعد ورقة على الصغير ، ورحمة للكبير » وقوله تعالى (ووضعتنا عنك وزرك) بمعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الذي أقضى ظهرك) الاتقاض الصوت وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أقضى ظهرك) أي أثقلت حمله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتاني جبريل فقال إن ربك يقول كيف رفعت ذكرك : قال الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج : وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومهم من يحيى الموتى، قال: يا محمد ألم أجذك يتيماً فأوَيْتَكَ؟ قلت بلى يا رب قال ألم أجذك ضالاً فهدَيْتَكَ قلت بلى يا رب قال ألم أجذك عائلاً فأغنَيْتَكَ، قلت بلى يا رب قال ألم أشرح لك صدرك، ألم أرفع لك ذكرك، قلت بلى يا رب » وقال أبو نعيم في دلائل النبوة حدثنا أبو أحمد العطري حدثنا موسى بن سهل الجويني حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزان الهيثبي حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والأرض قلت يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خيلاً وموسى كلياً وسخرت له أود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى لما جعلت لي قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله أني لا أذكر إلا ذكركت معي وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد
إذا قال في الخمس للؤذن أشهد وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد
وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ اليثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أمهم بالإيمان به ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رحمه الله:

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب في الفم الرضي
وقال أيضاً: ألم تر أنا لا يصح أذاننا ولا فرضنا إن لم نكرره فيها

وقوله تعالى (فإن مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً (أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خواربوا الجهمي حدثنا عائذ بن شرحبيل سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ جالساً وحياله حجر فقال « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » فأنزل الله عز وجل (فإن مع العسر يسراً) وإن مع العسر يسراً (ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه « لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرج » ثم قال (فإن مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً) ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شرحبيل (قلت) وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن مسعود موقوفاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين. وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول « لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً » وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلاً وقال سعيد بن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال « لن يغلب عسر يسرين » ومعنى هذا أن العسر معروف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال (لن يغلب عسر يسرين) يعني قوله (فإن مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً) فالعسر الأول عين الثاني واليسر تعدد. وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل المعونة من السماء على قدر الثبوت، ونزل الصبر على قدر المصيبة » ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا
من راقب الله في الأمور نجماً
من صدق الله لم ينله أذى
ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاريه وأطمأنت وأرست في أما كنها الخطوب
ولم تر لانتكشاف الضر وجهها ولا أغنى بحيلته الأريب
أنتاك على قنوط منك غوث بمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تراءت فوصول بها الفرج القريب
ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخره:

وقوله تعالى (فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة ، ومن هذا القيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخثنان » وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء » قال مجاهد في هذه الآية إذا فرغت من أمر الدنيا فقممت إلى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن ابن عباس نحوه وفي رواية عن ابن مسعود (فانصب * وإلى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت حالى وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فإذا فرغت فانصب يعنى في الدعاء ، وقال زيد بن أسلم والضحاك (فإذا فرغت) أى من الجهاد (فانصب) أى في العبادة (وإلى ربك فارغب) قال الثوري اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل. آخر تفسير سورة ألم نشرح ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة التين والزيتون وهى مكية)

قال مالك وشعبة عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الراكتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه ، أخرجه الجماعة في كتبهم .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْأَدْنَى * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ)

اختلف المفسرون هنا على أقوال كثيرة قليل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هى نفسها وقيل الجبل الذى عندها وقال القرطبي هو مسجد أصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذى على الجودي ، وقال مجاهد هو تينكم هذا (والزيتون) قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس . وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذى تعصرون (وطور سينين) قال كعب الأحبار وغير واحد هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الأمين) يعنى مكة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي وابن زيد وكعب الأحبار ولا خلاف فى ذلك ، وقال بعض الأئمة هذه محال ثلاثة بعث الله فى كل واحد منها نبيا مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار (فالأول) محلة التين والزيتون وهى بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام (والثانى) طور سينين وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران (والثالث) مكة وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنا وهو الذى أرسل فيه محمدا ﷺ قالوا وفى آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعنى الذى كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعنى جبل

بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعنى جبال مكة التي أرسل الله منها محمدا ﷺ فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا أقسم بالأشرف ثم بالأشرف منه ثم بالأشرف منهما وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) هذا هو القسم عليه وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الأعضاء حسنها (ثم رددناه أسفل سافلين) أى إلى النار قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال بعضهم (ثم رددناه أسفل سافلين) أى إلى أزدل العمر ، وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد إلى أزدل العمر ، واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى (والعصر إن الإنسان لني خسر) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (وقوله (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع كما تقدم ، ثم قال (فما يكذبك) أى يا ابن آدم (بعد بالدين ؟) أى بالجزاء في المعاد ولقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى فأى شيء يملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد ابن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال: قلت لمجاهد (فما يكذبك بعد بالدين) عني به النبي ﷺ قال: معاذ الله ، عني به الإنسان وهكذا قال عكرمة وغيره . وقوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجهل ولا يظلم أحدا ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه . وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعا « فإذا قرأ أحدكم التين والزيتون فأتى على آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » آخر تفسير سورة التين والزيتون ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة اقرأ - وهي أول شيء نزل من القرآن ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه - وهو التعب - الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاءه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ « فقلت ما أنا بقارى » - قال - فأخذني فغطى حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارى فغطى الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارى فغطى الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم « قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة « ما لي ؟ » وأخبرها الخبر وقال « قد خشيت على نفسي » فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخى أبها وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت خديجة أى ابن عم اجمع من ابن أخيك فقال ورقة بن نوفل ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ « أو مخرجى هم ؟ » فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرأ

مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وقت الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رهوس شواهي الجبال فكلمنا أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سندته ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى فمن أراد أن يفهم هناك محرر والله الحمد والمنة فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمة للبركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علة وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان . وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي . والرسمي يستلزمهم من غير عكس فلهذا قال (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) وفي الأثر قيدوا العلم بالكتابة ، وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْفَانٌ * إِذْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَنْسِفَنَّ بِالْأَنفِيسِ * نَاصِيَةً كَذِبَهُ خَاطِئَةً * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأثر وبطر وطينان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال (إن إلى ربك الرجعى) أى إلى الله الصير والمرجع وسبحاسبك على مالك من أين جمعته وفهم صرفته . قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن إسحاق السائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو حميس عن عون قال : قال عبد الله : من هو مان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فينمى فى الطغيان ، قال ثم قرأ عبد الله (إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقال للآخر (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقد روى هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ « من هو مان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » . ثم قال تعالى (أرايت الذى ينهى عبدا إذا صلى) نزلت في أبي جهل لعنه الله ، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال (أرايت إن كان على الهدى) أى فما ظنك إن كان هذا الذى تنهى على الطريق المستقيمة في فعله أو أمر بالتقوى بقوله وأنت تزجره وتوعده على صلاته ولهذا قال (ألم يعلم بأن الله يرى) أى أما علم هذا الناهى لهذا المتهدى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجزيه على فعله أتم الجزاء . ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا (كلا لئن لم ينته) أى لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد (لنسفنا بالناصية) أى لنسمنها سوادا يوم القيامة ثم قال (ناصية كاذبة خاطئة) يعنى ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها (فليدع ناديه) أى قومه وعشيرته أى ليدعهم يستنصر بهم (سندع الزبانية) وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يظلم أحزبنا أو حزبه ؟ قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال « لئن فعل لأخذته للملائكة » ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعنى ابن عمرو عن عبد الكريم . وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدى عن عبيد الله بن عمرو به ، وروى طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدى عن عبيد الله بن عمرو به ، وروى

أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلى عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال يا أحمد ألم أنكه عن هذا ؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وأتبره فقال يا أحمد بأى شيء تهددنى ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادى ناديا فأنزل الله (فليدع ناديه * سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الامام أحمد أيضا حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله يصلى عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لما تواروا وأروا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجحدون مالا ولا أهلا » وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه فأنزل الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ هذه الآية (لنسفعا بالناسية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية) فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلى قفيل ما يمنعك ؟ قال قد اسود ما بينى وبينه من الكتاب قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته للملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا العتمر عن أبيه حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم . قالوا : نعم ، قال : فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال قفيل له مالك : فقال إن بينى وبينه خندق من نار وهول وأجنحة قال : فقال رسول الله « لودنا منى لا خطفتم الملائكة عضوا عضوا » قال وأنزل الله لأدرى فى حديث أبي هريرة أم لا (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة وقدرناه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائى وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به ، وقوله تعالى (كلا لا تطعه) يعنى يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرة ما وصل حيث شئت ولأنباله فإن الله حافظك وباصرك وهو يصمك من الناس (واسجدوا قرب) كما ثبت فى الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزوة عن ميمى عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » وتقدم أيضا أن رسول الله ﷺ كان يسجد فى (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذى خلق) . آخر تفسير سورة اقرأ والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة القدر وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ

الْمَلَكِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)

يجر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهى الليلة المباركة التى قال الله عز وجل (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) وهى ليلة

القدر وهى من شهر رمضان كما قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن

جملة واحدة من الأوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى معظما لشأن ليلة القدر التى اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال

(وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) . قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود

ابن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن

ابن على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين أو يأسود وجوه المؤمنين فقال : لا تؤنبنى رحمك الله فإن

النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت (إنا أعطيناك الكوثر) يا محمد يعنى نهرا فى الجنة ونزلت (إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية

يا محمد ، قال القاسم فعددنا فاذا هي ألف شهر لاتزيد يوما ولا تنقص . ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقة يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي قال وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذى إن يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخاله الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف ابن مازن كذا قال وهذا يقتضى اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزى هو حديث منكر ﴿ قلت ﴾ وقول القاسم بن الفضل الحداني إنه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر لاتزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فإن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين واجتمعت البيعة لمعاوية ومضى ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الإمرة بالسكية بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكان القاسم ابن الفضل أسقط من مدتهم أيام بن الزبير وعلى هذا فيقارب ما قاله الصحة في الحساب والله أعلم ، ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق للدم دولة بنى أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر : إذا أنت فضلت امرأ ذا براعة على ناقص كان اللدح من النقص

ثم الذى يفهم من الآية أن الألف شهر المذكورة في الآية هي أيام بنى أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بنى أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارتة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا مسلم بن يعنى ابن خاله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فأنزل الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) التى لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثني بن الصباح عن مجاهد قال كان في بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية (ليلة القدر خير من ألف شهر) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بنى إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء نفر ثمانين سنة لم يصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال : فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس

معه وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعي وغير واحد وقال عمرو بن قيس اللاتى عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لامعاده وهو كقوله ﷺ « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيا سواه من المنازل » رواه أحمد وكأجاء في قاصدا للجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ « قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) أى يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الله كبر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيها له ، وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ والله أعلم ، وقوله تعالى (من كل أمر) قال مجاهد: سلام هي من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الأعمش عن مجاهد في قوله (سلام هي) قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) ، وقوله تعالى (سلام هي حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور حدثنا هشام عن أبي إسحاق عن الشعبي في قوله تعالى (من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر ، وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ (من كل أمرى سلام هي حتى مطلع الفجر) وروى البيهقي في كتابه فضائل الأوقات عن علي أثرا غريبا في نزول الملائكة ومرورهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين ، وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأخبار أثرا غريبا عجيبا مطولا جدا في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الأرض ودعائهم للمؤمنين والؤمنات ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عمران بن القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر « إنها ليلة سابعة أو ثمانية وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى » وقال الأعمش عن النهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله (من كل أمر سلام) قال لا يحدث فيها أمر . وقال قتادة وابن زيد في قوله (سلام هي) يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ، ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بجير بن مسعد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليلة القدر في العشر الباقى ، من قامهن ابتغاء حسنتهن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهى ليلة وتر : تسع أو سبع أو خمسة أو ثالثة أو آخر ليلة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قنرا ساطعا ما كنه ساجية لا يبرد فيها ولا حر ولا يحل لسكوك يرمى به حتى يصبح ، وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض النسخ نكارة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : في ليلة القدر « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة تصبح فمس صبيحتها ضعيفة حرماء » وروى ابن أبي عاصم النبيل

باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة لاحارة ولا باردة كأن فيها قمرًا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها »

(فصل) اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين . قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهرى حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرًا من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر ، وهذا الذي قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالحق أعلم . وحكى الخطابي عليه الإجماع ونقله الراضى جازمًا به عن المذهب ، والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم للماضين كما هي في أمتنا

قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سمالك الحنفي حدثني مالك بن مرثد ابن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال « بل هي في رمضان » قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة ؟ قال « بل هي إلى يوم القيامة » قلت في أي رمضان هي قال « التسوها في العشر الأول والعشر الآخر » ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت في أي العشرين هي ؟ قال « ابتغوها في العشر الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يا رسول الله أقسمت عليك بحق عليك لما أخبرني في أي العشر هي ؟ فغضب على غضبي لم يضب مثله منذ صحبتته وقال « التسوها في السبع الأواخر ، لا تسألني عن شيء بعدها » ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى ابن سعيد القطان به ، ففيه دلالة على ما ذكرناه وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام « فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم » لأن المراد رفع علم وقتها عينا . وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان) حدثنا حميد بن زنجويه السامي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قاله رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي واستغربه الراعى جدا

(فصل) ثم قد قيل إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي رزين وقيل إنها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبو داود حديثا مرفوعا عن ابن مسعود وروى موقوفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكى عن الحسن البصري ، ووجهوه بأنها ليلة بدر وكانت ليلة الجمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان وفي صبيحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه (يوم الفرقان) وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضا رضى الله عنهما ، وقيل ليلة إحدى وعشرين للحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال الذي تطلب أمامك ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال « من كان اعتكف معي فليرجع فإني رأيت ليلة القدر وإني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر وإني رأيت كأتى أسجد في طين وماء » وكان سقف

السجد جريدا من النخل وما نرى في السماء شيئا فجاءت قزعة فطرنافصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه وفي لفظ في صبح إحدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات ، وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد الله فآله أعلم ، وقيل ليلة أربع وعشرين . قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناده رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » ابن لميعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصنابحي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر فهذا الوقوف أصح وآله أعلم . وهكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب أنها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى » فسره كثيرون بليالي الأوتار وهو أظهر وأشهر ، وحمله آخرون على الأشفاق كما رواه مسلم عن أبي سعيد أنه حمله على ذلك وآله أعلم ، وقيل إنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان ممت عبدة وعاصبا عن زر سألت أبي بن كعب قلت أبا النذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يتم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك ؟ قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لاشعاع لها يعني الشمس وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي عن عبدة عن زر غن أبي فذكره وفيه فقال : والله الذي لا إله إلا هو إنها لي في رمضان يحلف ما يستثنى وواقه إني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة سبع وعشرين ، وأما أنها أن تطلع الشمس في صبيحتها يبيضها لا شعاع لها ، وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هي) لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فآله أعلم وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم أنهما معا عكرمة يقول : قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها في العشر الأواخر قال ابن عباس فقلت لعمر إني لأعلم - أو إني لأظن - أي ليلة القدر هي فقال عمر : وأي ليلة هي ؟ فقلت سابعة تمضي - أو سابعة تبقى - من العشر الأواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الشهر يدور على سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لأشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لأمر ما فطناله ، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله ويأكل من سبع قال هو قول الله تعالى (فأنبثنا فيها جبا وعنبا) الآية وهذا إسناده جيد قوي ومتمن غريب جدا فآله أعلم وقيل إنها تكون في ليلة تسع وعشرين . وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فانها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة » وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر «إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» فقد ربه أحمد وإسناده لا بأس به ، وقيل إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آثقا ولما رواه الترمذى والنسائى من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكره أن رسول الله ﷺ قال « في تسع ييقين أو سبع ييقين أو خمس ييقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعنى التمسوا ليلة القدر » وقال الترمذى حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر «إنها آخر ليلة» (فصل) قال الشافعى في هذه الروايات : صدرت من النبي ﷺ جوابا للسائل إذا قيل له أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول « نعم » وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل . نقله الترمذى عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر وهذا الذى حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثورى وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو ثور والزننى وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو محكى عن الشافعى نقله القاضى عنه وهو الأشبه والله أعلم . وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحريها في السبع الأواخر » وفيها أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » ولغظه للبخارى ويحتج للشافعى أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخارى في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن أن يكون خيرا لكم فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » فيه استئناس لما يقال إن المارة تقطع الفائدة والعلم النافع كما جاء في الحديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه » وقوله « فرفعت » أى رفع علم تعيينها لكم لأنها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لأنه قد قال بعد هذا « فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وقوله « وعسى أن يكون خيرا لكم » يعنى عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغاءها في جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت المهم تتقاصر على قيامها فقط وإنما اقتضت الحكمة إيهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغالها ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده ، أخرجه من حديث عائشة . ولها عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكف العشر الأواخر من رمضان ، وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد اللزى أخرجه ، ولمسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره ، وهذا معنى قولها وشد اللزى ، وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مؤزره واعتزل نساءه انفرده به أحمد . وقد حكى عن مالك رحمه الله أن جميع ليالى العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيت في شرح الرافعى رحمه الله والمستحب الأكثر من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الأخير منه ثم في أوتاره أكثر والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني لما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجويرى وهو سعيد بن إياس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله : إن واقعت ليلة القدر فادعوا ؟ قال « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق كهيم بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر

ما أقول فيها؟ قال « قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » وهذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائي أيضا من طريق سفيان الثوري عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال « قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » (ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر) رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا سيار بن حاتم حدثنا موسى ابن سعيد يعني الراسبي عن هلال بن أبي جبلة عن أبي عبد السلام عن أبيه عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على أغصانها في كل موضع شجرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة القدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تقرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك إما ساجد وإما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن أو بعض أما كنكم التي تطرحون فيها الحبث أو بيت فيه سكران أو بيت فيه مسكر أو بيت فيه وثن منصوب أو بيت فيه جرس معلق أو مبولة أو مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين إلا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر: لا إله إلا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة قلنا لكعب الأخبار يا أبا إسحاق صادقاً فقال كعب الأخبار وهل يقول لا إله إلا الله في ليلة القدر إلا كل صادق والذي نفسي بيده إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما إلا في تلك الساعة فتصير الشمس لاشعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متعيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولن صام رمضان إيمانا واحتسابا ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله فإذا أمسوا دخلوا إلى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدته العام؟ فيقولون وجدنا فلانا عام أول في هذه الليلة متعبدا وجدناه العام مبتدعا وجدنا فلانا مبتدعا وجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه تاليا لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليتهم حتى يصعدون إلى السماء الثانية ففي كل مساء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى يا سكاني حدثوني عن الناس وموهمي فإن لي عليكم حقا وإنني أحب من أحب الله فذكر كعب الأخبار أنهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسماءهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبرني بما أخبرك سكانك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم إلى فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهم الله فيقول وجدنا فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان، ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حدثا وتولى عما أمر به فيقول الله: يا جبريل إن تاب فأعطني قبل أن يموت ثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل لك الحمد إلهي أنت أرحم من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم . قال ورذ كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر رمضان أن لا يسمي الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب آخر تفسير سورة ليلة القدر، والله الحمد والملة.

(تفسير سورة لم يكن وهي مدنية)

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا علي هو ابن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت أبا حبة البدرى وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصارى قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها قال جبريل : يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أيسا . فقال النبي ﷺ لأبي « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » قال أبي وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال « نعم » قال فبكى أبي (حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) » قال وسألتك ؟ قال « نعم » فبكى ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث شعبة به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم الملقى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال : قال لى رسول الله ﷺ « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » قلت يا رسول الله وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » قلت له يا أبا النذر ففرحت بذلك . قال وما يعنى والله يقول (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال مؤمل قلت لسفيان القراءة في الحديث ؟ قال نعم . تفرد به من هذا الوجه (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن - قال ققرأ - (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) - قال ققرأ فيها - ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره » ورواه الترمذى من حديث أبي داود الطيالسى عن شعبة به وقال حسن صحيح (طريق أخرى) قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن خلد الجلبى حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا النذر إني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال بالله آمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت ، قال فرد النبي ﷺ القول ، قال : فقال يا رسول الله وذكرت هناك ؟ قال : « نعم باسمك ونسبك فى الملاء الأعلى » قال فقرأ إذا يا رسول الله ، هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تشبثاله وزيادة لإيمانه فانه كما رواه أحمد والنسائى من طريق أنس عنه ، ورواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عنه - كان قد أنكر على إنسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما قرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأها وقال لكل منهما « أصبت » قال أبى فأخذنى من الشك ولا إذ كنت فى الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ فى صدره قال أبى ففضت عرقا وكأنا أنظر إلى الله فرقا وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه ولفظه فى أول التفسير فلما نزلت هذه السورة وفيها (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) فيها كتب قيعة) قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لا قراءة تعلم واستذكار والله أعلم وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ بالحدبية عن تلك الأسئلة وكان فيها قال أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ، قال

« بلى أفأخبرت أنك تأتبه عامك هذا » قال : لا قال « فانك آتبه ومطوف به » فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبي ﷺ سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب قراها عليه وفيها قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية كما تقدم

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن إسماعيل الجعفي اللذي حدثنا عبد الله بن سلمة ابن أسلم عن ابن شهاب عن إسماعيل بن أبي حكيم اللذي حدثني فضيل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله ليسمع قراءة لم يكن الدين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزني لأمكن لك في الجنة حتى ترضى » حديث غريب جدا . وقدرناه الحافظ أبو موسى اللذي وابن الأثير من طريق الزهري عن إسماعيل بن أبي كلثم عن مطر اللذي - أو اللذي - عن النبي ﷺ « إن الله يسمع قراءة لم يكن الدين كفروا ويقول أبشر عبدي فوعزني لأنسأك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكن لك في الجنة حتى ترضى »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ رَسُولُ مَنْ
اللَّهُ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ
دِينُ الْقِيمَةِ ﴿

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم ، وقال مجاهد لم يكونوا (منفكين) يعني متبنيين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة (حتى تأتيتهم البينة) أى هذا القرآن ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيتهم البينة) . ثم فسر البينة بقوله (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يعني محمدا ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذى هو مكتوب فى الملائكة الأعلی فى صحف مطهرة كقوله (فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة) ، وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) قال ابن جرير أى فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يذكر القرآن بأحسن الذكر ، وينبئ عليه بأحسن الثناء وقال ابن زيد (فيها كتب قيمة) مستقيمة معتدلة ، وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) كقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعنى بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيانات تفرقوا واختلفوا فى الذى أراد الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء فى الحديث المروى من طرق « إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابى »

وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) كقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (حنفاء) أى متحنفين من الشرك إلى التوحيد كقوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة الأنعام بما أضفى عن إطادة ههنا (وقيموا الصلاة) وهى أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهى الإحسان إلى الفقراء والمهاجرين (وذلك دين القيمة) أى الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة ، وقد استدلل كثير من الأئمة كالزهري والشافعى بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلية فى الإيمان ولهذا قال (وما أمروا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا »

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

يُخبر تعالى عن مآل الفجار من كفره أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله للنزلة وأنبياء الله المرسلين أنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدون فيها أي ما كثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية) أي شر الخليقة التي برأها الله وذراها. ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدلل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله (أولئك هم خير البرية) ثم قال تعالى (جزاؤهم عند ربهم) أي يوم القيامة (جنت عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا) أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم القيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم. وقوله تعالى (ذلك لمن خشي ربه) أي هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه وعبدته كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فانه يراه. وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا بلى يا رسول الله قال «رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا بلى يا رسول الله قال «رجل في ثلثة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ألا أخبركم بشر البرية؟» قالوا بلى قال «الذي يسأل بالله ولا يعطى به». آخر تفسير سورة لم يكن، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة إذا زلزلت ، وهي مكية ﴾

قال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم العجلي حدثنا ثابت قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله قال له «اقرأ ثلاثا من ذوات الرأ» فقال له الرجل كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني ، قال «اقرأ من ذوات حم» فقال مثل مقالته الأولى ، فقال «اقرأ ثلاثا من المسبحات» فقال مثل مقالته ، فقال الرجل ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى إذا فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفلق الرويحل ، أفلق الرويحل - ثم قال - طي به - فجاءه فقال له - أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة» فقال له الرجل أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أثني فأضحى بها؟ قال «لا ولكنك تأخذ من شعرك وتقسم أظفارك وتقص شاربك وتحلق عاتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل» وأخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن القرني به. وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلي حدثنا ثابت البناني عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن» ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن مسلم ، وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الجويني عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن» هذا لفظه. وقال الترمذي أيضا: حدثنا طي بن حجر حدثنا يزيد بن هارون حدثنا يمان بن القيرة العنزي حدثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا

زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ، ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة . وقال أيضا حدثنا عقبه بن مكرم العمي البصري حدثني ابن أبي فديك أخبرني سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان » قال لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج ؟ قال « أليس معك قل هو الله أحد - قال بلى قال - ثلث القرآن - قال أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ - قال بلى ، قال ربع القرآن - قال - أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ - قال بلى قال - ربع القرآن - قال - أليس معك إذا زلزلت الأرض - قال بلى ، قال - ربع القرآن ، تزوج » ثم قال هذا حديث حسن ، تفرد بهن ثلاثهن الترمذي لم يروهن غيره من أصحاب الكتب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

قال ابن عباس (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي تحركت من أسفلها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعني ألقمت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت) وقال مسلم في صحيحه حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاد كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول في هذا قاطعت رحمى ويجىء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » وقوله عز وجل (وقال الإنسان ما لها) أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعد لها من الزلزال الذي لا يحيد لها عنه ثم ألقمت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقوله تعالى (يومئذ تخدث أخبارها) أي تخدث بما عمل العاملون على ظهرها . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تخدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد مع ربيعة الحدسي أن رسول الله ﷺ قال « تحفظوا من الأرض فانها أمكم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهى غبيرة » . وقوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) قال البخارى أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أي أوحى إليها ، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يومئذ تخدث أخبارها) قال : قال لها ربها قولى فقالت ؟ وقال مجاهد أوحى لها أي أمرها وقال القرطبي أمرها أن تنشق عنهم . وقوله تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) أي يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا أي أنواعا وأصنافا ما بين شقي وسعيد مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار ، قال ابن جرير يتصدعون أشتاتا فلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدي أشتاتا فرقا . وقوله تعالى (ليروا أعمالهم) أي ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر ولهذا قال (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . قال البخارى حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني مالك عن

زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الحيل لثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر وطى رجل وزر. فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طيلها فى مرج أروضة فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواتها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له ، وهى لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى له ستر ، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهى على ذلك وزر» فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن بن عصفرة بن معاوية عم الفرزق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها. وهكذا رواه النسائي فى التفسير عن إبراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا عصفرة عم الفرزق فذكره . وفى صحيح البخارى عن عدى مرفوعاً « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وله أيضاً فى الصحيح « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تغفر من دلوك فى إماء المستسقى ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » وفى الصحيح أيضاً « يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » يعنى ظلفها وفى الحديث الآخر « ردوا السائل ولو بظلف محرق » وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن عبد الله الأنصارى حدثنا كثير بن زيد عن الطلب بن عبد الله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « يا عائشة استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » تفرد به أحمد . وروى عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر ابن عبد الله بن الزبير حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل أن عائشة أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به وقال ابن جرير حدثني أبو الخطاب الحسائي حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا مالك بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال « يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبما قيل ذر الشئ ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي الخطاب به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال فى كتاب أبي قلابة عن أبي إدريس أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ فذكره ورواه أيضاً عن يعقوب عن ابن علي عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا بكر وذكره (طريق أخرى) قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لما نزلت (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وأبو بكر الصديق رضى الله عنه قاعد فبكى حيث أنزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يبكيك يا أبا بكر » قال يبكي هذه السورة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم » . (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وطى بن عبد الرحمن بن النخيلة المعروف بملان المصري قال حدثنا عمرو بن خالد الحارثي حدثنا ابن لهيعة أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال لما أنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قلت يا رسول الله إني لراء عملي ؟ قال « نعم » قلت تلك الكبار الكبار قال « نعم » قلت الصغار الصغار قال « نعم » قلت واثكل أمي قال « أشر يا أبا سعيد فان الحسنة بشر أمثالها - يعنى إلى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يعفو الله ولن ينجو أحد منكم بعمله » قلت ولا أنت يا رسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه

برحمة « قال أبو زرعة لم يرو هذا غير ابن لهيعة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وذلك لما نزلت هذه الآية (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه فيجئ المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نهبه ، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغبية وأشياء ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكبائر فرغهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر فنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة) يعني وزن أصغر النمل (خيرا يره) يعني في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرة ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « يا أيها السامعون ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وإن رسول الله ﷺ ضرب لمن مثالا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قدفوا فيها . آخر تفسير سورة إذا زلزلت، والله الحمد والمنة

(تفسير سورة العاديات وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَالْعُدَيْتِ ضُبْحًا * فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا * فَالْمُعِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا *
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ
رَسُولٌ مِّنَ الْأَقْبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾

يقسم تعالى بالحيل إذا أجزيت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو (فالموريات قدحا) يعني اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار (فالمعيرات صباحا) يعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمتع الأذان فان مع أذانا وإلا أثار . وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) يعني غبارا في مكان معترك الخيول (فوسطن به جمعا) أي توسطن ذلك المكان كلهن جمع . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله (والعاديات صباحا) قال : الإبل وقال على هي الإبل وقال ابن عباس هي الحيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت . قال ابن أبي حاتم وابن جرير وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا في الحجر جالسا جاءني رجل فسألني عن (العاديات صباحا) فقلت له الحيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانقتل عن فذهب إلى على رضى الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات صباحا فقال سألت عنها أحدا قبلى ؟ قال نعم سألت ابن عباس فقال الحيل حين تغير في سبيل الله قال اذهب فادعه لى فلما وقف على رأسه قال أنفتق الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات صباحا . إنما العاديات صباحا من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس فترعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على رضى الله عنه ، وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال على إنما العاديات صباحا من عرفة إلى المزدلفة فإذا أووا إلى المزدلفة

أوروا النيران ، وقال العوفي وغيره عن ابن عباس: هي الحيل . وقد قال بقول طي إنها الإبل جماعة منهم إبراهيم وعبيد ابن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتاده والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جرير عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبج أح أح ، وقال أكثر هؤلاء في قوله (فالموريات قدحا) يعني بمخافرها وقيل أسعرت الحرب بين ركبائهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد (فالموريات قدحا) يعني مكر الرجال وقيل هو إيقاد النار إذا رجعو إلى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرهما بالحيل هو إيقاد النار بالمزلفة . قال ابن جرير والصواب الأول : أنها الحيل حين تفتح بمخافرها

وقوله تعالى (فالمنيرات) صبحا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني إغارة الحيل صبحا في سبيل الله ، وقال من فسرهما بالإبل هو الدفع صبحا من المزلفة إلى منى وقالوا كلهم في قوله (فائرن به قعما) هو المكان الذي حلت فيه أثارت به النار إما في حج أو غزو . وقوله تعالى (فوسطن به جمعا) قال العوفي عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعين ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة ، وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا حفص بن جميع حدثنا مالك عن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر فزلت (والعاديات ضبحا) ضبحت بأرجلها (فالموريات قدحا) قدحت بمخافرها الحجارة فأورت نارا (فالمنيرات صبحا) صبحت القوم بغارة (فائرن به قعما) أثارت بمخافرها التراب (فوسطن به جمعا) قال صبحت القوم جميعا . وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) هذا هو القسم عليه بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود . قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير وعبد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الكنود الكفور قال الحسن : الكنود هو الذي يعد للمصائب وينسى نعم الله عليه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (إن الإنسان لربه لكنود) - قال الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع ربه » ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف ، وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفا وقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد) قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وإن الإنسان على كونه كنودا لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى (ما كان للشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) . وقوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) أي وإنه لحب الخير وهو المال لشديد ، وفيه مذهبان (أحدهما) أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال (والثاني) وإنه لحريص بخيل من حبة المال وكلاهما صحيح . ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ومنها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الإنسان من الأهوال (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ؟) أي أخرج ما فيها من الأموات (وحصل ما في الصدور) قال ابن عباس وغيره يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة . آخر تفسير سورة العاديات والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَذْرِيكَ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ ﴾

قَامُهُ هَاوِيَةٌ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ • نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿

القارعة من أسماء يوم القيامة كالخافة والطامة والصاخة والفاشية وغير ذلك . ثم قال تعالى معظمها أمرها ومهولاً لشأنها (وما أدراك ما القارعة) ثم فسر ذلك بقوله (يوم يكون الناس كالفراس المبثوث) أى فى انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومحيثهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراس مبثوث كما قال تعالى فى الآية الأخرى (كأنهم جراد منتشر) وقوله تعالى (وتكون الجبال كالمنفوش) يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى (العهن) الصوف ثم أخبر تعالى هما يؤول إليه عمل العاملين وما يصيرون إليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال (فأما من هتلت موازينه) أى رجحت حسناته على سيئاته (فهو فى عيشة راضية) يعنى فى الجنة (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيئاته على حسناته ، وقوله تعالى (قَامُهُ هَاوِيَةٌ) قيل معناه فهو ساقط هاوياً بأمره فى نار جهنم وعبر عنه بأمره يعنى دماغه روى نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح وقتادة ، قال : قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوى فى النار على رءوسهم ، وقيل معناه قَامُهُ الذى يرجع إليها ويصير فى العاد إليها هَاوِيَةٌ وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها ، وقال ابن زيد : الهاوية النار هى أمه ومأواه التى يرجع إليها ويأوى إليها وقرأ (ومأواهم النار) قال ابن أبي حاتم وروى عن قتادة أنه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية (وما أدراك ما هِيَ • نَارٌ حَامِيَةٌ)

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فإنه كان فى غم الدنيا قال ويسألونه ما فعل فلان ؟ فيقول : مات أو ما جاءكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية ، وقد رواه ابن مردويه عن طريق أنس بن مالك مرفوعاً بأبسط من هذا وقد أوردناه فى كتاب صفة النار - أجازنا الله تعالى منها بمنه وكرمه - وقوله تعالى (نار حامية) أى حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير . قال أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية ؟ فقال « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » ورواه البخارى عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتبية عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به ، وفى بعض ألفاظه « أنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبي زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقال رجل إن كانت لكافية ؟ فقال « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حراً فحراً » تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وروى الإمام أحمد أيضاً حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن عبد العزيز بن جعدة « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » وهذا على شرط الصحيحين ولم يفرجوه من هذا الوجه وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق (١)

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدرى « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً » وقد قال الإمام أحمد حدثنا قتبية حدثنا عبد العزيز هو ابن محمد الدراوردي عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » تفرد به أيضاً من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضاً وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا إبراهيم بن النضر الحزامى حدثنا معن ابن عيسى التزاز عن مالك عن عمه أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتندرون

ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لهى أشد سوادا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفا « وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه . وروى الترمذى وابن ماجه عن عباس الدورى عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة » وقد روى هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وجاء فى الحديث عند الإمام أحمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة العبدى عن أبي سعيد وعجلان مولى المشعل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلى منهما دماغه » وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها وأشد ما تجدون فى الصيف من حرها » وفى الصحيحين « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » . آخر تفسير سورة القارعة والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة التكاثر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

يقول تعالى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصرى حدثنى خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ألهاكم التكاثر - عن الطاعة - حتى زرتم المقابر - حتى يأتىكم الموت » وقال الحسن البصرى (ألهاكم التكاثر) فى الأموال والأولاد ، وفى صحيح البخارى فى الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كئنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يعنى « لو كان لابن آدم واد من ذهب » . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول « (ألهاكم التكاثر) يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضيت ؟ » ورواه مسلم والترمذى والنسائى من طريق شعبة به ، وقال مسلم فى صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول العبد مالى مالى ، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأَمْضى ، وما سوى ذلك فذهاب وتاركه للناس » تفرد به مسلم

وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان : الحرص والأمل » أخرجاه فى الصحيحين وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الأحنف بن قيس واسمه الضحاك أنه رأى فى يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل لى فقال إنما هو لك إذا أنفقتة فى أجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الأحنف ميمثلا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته * فإذا أنفقتة فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة قال صالح بن حبان حدثنى عن ابن بريده فى قوله (ألهاكم التكاثر) قال نزلت فى قبيلتين من قبائل الأنصار فى بنى حارثة وبنى الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما

فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجلعت
احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله (ألم أكن
التكاثر حتى زرتم المقابر) لقد كان لكم فيهم آية عبرة وشغل وقال قتادة (ألم أكن التكاثر حتى زرتم المقابر) كانوا يقولون
نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من
أهل القبور كلهم والصحيح أن المراد بقوله: زرتم المقابر أي صرتم إليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعود فقال « لا بأس طهور إن شاء الله » فقال: قلت طهور بل
هي حمى تغور، على شيخ كبير، تزيده القبور، قال « فنعم إذن ». وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد
ابن سيعد الأسدي أخبرنا حكام بن سالم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن النبال عن زر بن حبیش عن علي
قال ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت (ألم أكن التكاثر حتى زرتم المقابر) ورواه الترمذي عن أبي كريب عن حكام
ابن سالم به وقال غريب، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سلمة بن داود العرضي حدثنا أبو المليح الرقي عن
ميمون بن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ (ألم أكن التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنية ثم
قال يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله. قال أبو محمد يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى الجنة
أو إلى نار وهكذا ذكر أن بعض الأعراب مع رجلا يتلو هذه الآية حتى زرتم المقابر فقال بعث اليوم ورب الكعبة أي
إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره، وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن
البصري هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعني أيها الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعني
أيها المؤمنون، وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي لو علمت حق العلم لما ألكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة
حتى صرتم إلى المقابر ثم قال (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) هذا تفسير الوعيد للتقدم وهو قوله (كلا سوف
تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك
مقرب ونبي مرسل على ركبته من الهابة والعظمة ومعاينة الأهوال على ما جاء به الأثر الروى في ذلك، وقوله تعالى
(ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أي ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير
ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزاري المقرئ
حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خاله الجزاري حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب
يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهر فوجد أبا بكر في المسجد فقال « ما أخرجك هذه الساعة؟ » فقال
أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال « ما أخرجك يا ابن الخطاب؟ » قال أخرجني الذي
أخرجك ما قال فقدم عمر وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما ثم قال « هل بكما من قوة تنطلقان إلى هذا النخل
فتصيان طعاما وشربا وظلا؟ » قلنا نعم قال « مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري » قال فتقدم
رسول الله ﷺ بين أيدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت يا رسول الله
قد والله سمعت تسليما ولكن أردت أن تزيدني من سلامك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرا » ثم قال
« أين أبو الهيثم لأراه » قالت يا رسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتي الساعة إن شاء الله فبسطت
بساطا تحت شجرة فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله ﷺ
« حبك يا أبا الهيثم » فقال يا رسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه ومن تذوقه ثم أتاكم بماء
فشربوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » هذا غريب من هذا الوجه
وقال ابن جرير حدثني الحسين بن علي الصدائي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال بينا أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ما أجلسكما ههنا؟ » قالا: والذي

بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال « والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى غيره » فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ « أين فلان ؟ » فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد شيء أفضل من نبى زارنى اليوم فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بمذق فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا كنت اجتيت » فقال أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبى ﷺ « إياك والحبوب » فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « لتسئلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعم » ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث السكارى عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به ، وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلة عن أبي هريرة رضى الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة ، وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبي نضرة عن أبي عسيب يعنى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعاني فخرجت اليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط « أطمعنا » فجاء بمذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » قال : فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا من ثلاثة : خرقه لف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحر والقر » تفرد به أحمد ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعم الذى تسئلون عنه » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت (ألهاكم التكاثر) قرأ حتى بلغ (لتسئلن يومئذ عن النعم) قالوا يا رسول الله عن أى نعيم نسئل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أى نعيم نسئل ؟ قال « أما إن ذلك سيكون » وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عمه قال كنا فى مجلس فطلع علينا النبى صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس قال « أجل » قال ثم خاض الناس فى ذكر النعم وطيب النفس من النعم » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عروب الأشعرى قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال النبى ﷺ « إن أول ما يسئل عنه - يعنى يوم القيامة - العبد من النعم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونزوك من الماء البارد » تفرد به الترمذى ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لما نزلت (ثم لتسئلن يومئذ عن النعم) قالوا يا رسول الله لأى نعيم نسئل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال « إن ذلك سيكون » وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان هوان بن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذى حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراى حدثنا حفص بن عمر العدنى عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما أنزلت هذه الآية (ثم لتسئلن يومئذ عن النعم) قالت الصحابة يا رسول الله : وأى نعيم نحن فيه وإنما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : قل لهم أليس تحتدون النعال وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصهبانى عن ابن أبي ليثة

أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال « الأمن والصحة » وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولادة النوم ، رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة . وقال سعيد ابن جبير حتى عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا ، وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء وقال أبو قلابة : من النعيم أكل السمن والسهل والخبز النقي وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال النعيم صحة الأبدان والأصماع والأبصار يسأل الله العباد فيها استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا) وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ما فوق الإزار وظل الحائط وجر ، يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحق ابن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل - قال عفان يوم القيامة - يا ابن آدم حملتك على الحيل والابل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ » تفرد به من هذا الوجه . آخر تفسير سورة التكاثر والله الحمد والمنة

(تفسير سورة العصر وهي مكية)

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال : وما هي ؟ فقال (والعصر إن الإنسان لني خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلة هنيهة ثم قال وقد أنزل على مثلها ، فقال له عمرو وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر وإيما أنت أذنان وصدور سائر كحفرته ، ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو ، والله إنك لتعلم أي أعلم أنك تكذب . وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف (بمساوي الأخلاق) في الجزء الثاني منه شيئا من هذا أو قريبا منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه أذنان وصدرة وباقيه دمهم فأراد مسيلة أن يركب من هذا المديان ما يعارض به القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان . وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصص قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لو سمعهم .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسِيرٌ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ)

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العصر ، والشهور الأول فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لني خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى من جنس الإنسان عن الحشران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بهوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء

الطاعات ، وترك المحرمات (وتواصوا بالصبر) أى على المصائب والأقدار وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر . آخر تفسير سورة العنكبوت الحمد والمنة

(تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ، وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَيْلٌ لَّكُم مِّمَّزَّةُ لَمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ)

المجاز بالقول واللامز بالفعل يعنى يزدري الناس وينتقص بهم ، وقد تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (هازم شاء بنهم) قال ابن عباس : همزة لمزة ، طعان معياب . وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزة فى وجهه والهمزة من خلفه . وقال قتادة الهمزة واللامزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين والهمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الأخنس بن شريق وقيل غيره . وقال مجاهد هى عامة . وقوله تعالى (الذى جمع مالا وعدده) أى جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدى وابن جرير وقال محمد بن كعب فى قوله (جمع مالا وعدده) ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخذه) أى يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار (كلا) أى ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لينبذن فى الحطمة) أى ليقين هذا الذى جمع مالا وعدده فى الحطمة وهى اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدراك ما الحطمة) نارا لله الموقدة التى تطلع على الأفئدة (قال ثابت البناني : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي وقال محمد بن كعب : تأكل كل شئ من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده ، وقوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا على ابن سراج حدثنا حماد بن حرزاد حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ (إنها عليهم مؤصدة) قال : مطبقة . وقدرناه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسماعيل ابن خالد عن أبي صالح قوله ولم يرفعه . وقوله تعالى (فى عمد ممددة) قال عطية العوفى عمد من حديد ، وقال السدى من نار ، قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (فى عمد ممددة) يعنى الأبواب هى للمددة ، وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفى عن ابن عباس أدخلهم فى عمد ممددة عليهم بهاد فى أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب ، وقال قتادة كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد فى النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح (فى عمد ممددة) يعنى القيود الثقالة . آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الفيل وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَزِمُمُوهُمْ حِيَجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ)

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فباصرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة وعوثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آفاتهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى .

وكان دينهم إذا ذك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول : لم تنصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن صيانته للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأُمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء . وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم في قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذي قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصانيا فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريبا في البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرياط وأبرهة فاختلفا في أمرها وتصاولا وتقاتلا وتضافا فقال أحدهما للآخر إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز إلى وأبرز إليك فأناقتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فصر به بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب إليه النجاشي يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحف ليطن بلاده ويحزن ناصيته فأرسل إليه أبرهة يترقبه ويصانه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف ويحرب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فير قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشي إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصناء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الأرجاء ممتما العرب القليس لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم أبرهة لأشرم على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقططانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخرنه حجرا حجرا . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عرمرم ثلاثا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعث إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره فأنه أعلم ، يعني ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل في الأركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا أن حقا عليهم المحاجة دون البيت ورد من أراد به كيد فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نقر فعدا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريد الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نقر فاستصعبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نقيل بن حبيب الخثعمي في قومه شهران وناهس ققاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نقيل ابن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصعبه معه ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات فأكرمهم وبشوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة إلى اللخمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان في السرح مائتا بعر لعبد الطلب ، وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير القدمة وكان يقال له الأسود ابن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن إسحاق وبعث أبرهة حنطة الحميري إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف

قريش وأن يخبره أن الملك لم يجرى لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء خناسة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال : فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمة ، وإن يغلى بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له خناسة فاذهب معي إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً حسن النظر ، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط ؟ وقال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال لترجمان : إن حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبني حين رأيته ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أنكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمته لا تكلمني فيه ، فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن لبيت ربا سيمنعه . قال ما كان ليمنع مني قال أنت وذلك ، ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فمرضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رءوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم إن المرء يم • نزع رحله فامنع رحاله
لا يخلين صليهم • وعالمهم أبدا محال

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رءوس الجبال ، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً غير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فله وكان اسمه عموداً وعباً جيشة فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نقيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك عمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نقيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مراقه فتزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين يتدرون الطريق ويسألون عن نقيل ليدلهم على الطريق ، هذا ونقيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة ، وجعل نقيل يقول :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن إسحاق وقال نقيل في ذلك أيضاً :

ألا حيث عنايا ودينا نعمنا كم منع الأصباح عنا
ودينة لو رأيت ولا تريبه لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعدرتي وحمدت أمري ولم تأسى على ما فات بينا
حدث الله إذا أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نقيل كأنك على الحبشان دينا

وذكر الواقدي بأسناده أنهم لما تعبوا لدخول الحرم وهبوا الفيل جعلوا لا يصفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها فإذا وجهوه إلى الحرم ربحوا وصاح ، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل في ذلك ، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشرف مكة فيهم الطعمر بن عدى وعمرو بن عامر بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو التقي على حراء ينظرون ما الحبيشة يصنعون وماذا يلقون من أمر الفيل

وهو العجب العجيب ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أى قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلفت عليهم وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن إسحاق جاءوا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب . وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدى به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خنعم . وقال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أكلة أكلة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فقامت حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد للطلب أصاب يومئذ من الذهب ماملأ حفرة قال ابن إسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحسبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول مارؤى به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والسر ذلك العام وهكذا روى عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تركبوا فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول) (لإيلاف قريش * لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فأخبرني يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإعما هوسنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجرارة من هذين الجنسيتين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقضب واحده عصف انتهى ما ذكره ، وقد قال حماد بن سلمة عن عامر عن زر عن عبد الله وأبوسلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقناة الأبابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شق متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل إيل

وقال ابن جرير حدثني عبد الأطل حدثني داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال في قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هى الأفاطيع كالإبل المؤيلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأ كف الكلاب وحدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشام أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله تعالى (طيرا أبابيل) قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رءوس كءوس السباع ، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير (طيرا أبابيل) قال هى طيور سود بحرية في مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الأبابيل مثل التى يقال لها عتقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين في رجله وحجرا في منقاره قال فجاءت حتى صفت على رءوسهم ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها فلما وقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله رجلا شديدا فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا ، وقال السدى عن عكرمة عن ابن عباس: حجارة من سجيل ، قال طين في حجارة

سك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هنا ، وقوله تعالى (فجعلهم كعصف ما كُول) قال سعيد بن جبير
يعنى الثبن الذى تسميه العامة هبور وفي رواية عن سعيد ورق الحنطة ، وعنه أيضا العصف الثبن والمأ كُول القصيل يحز
للدواب وكذلك قال الحسن البصرى ، وعن ابن عباس العصف القشرة التى على الحبة كالغلاف على الحنطة

وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فرائته فصار درينا ، والمعنى أن الله سبحانه
وتعالى أهلكتهم ودمرهم وردم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما
جرى للمكهم أبرهة فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بها جرى لهم ثم مات فملك
بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة . ثم خرج سيف بن ذى يزن الحميرى إلى كسرى فاستعانته على
الجبشة فأنفذ معه من جيوشه ققاتلوا معه فرد الله إليهم ملكهم وما كان فى آياتهم من الملك وجاءته وفود العرب
بالتهنئة . وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة
قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان . ورواه الواقدي عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء
بنت أبي بكر أنها قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح للشركون ذبائحهم ﴿ قلت ﴾ كان اسم
قائد الفيل أنيسا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد
عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وأما بحث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقصود
وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد قواه
ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشى قدم مكة كعاد على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روى عن ابن لهيعة
عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح
قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق شيئا من أشعار العرب فيما كان من قصة
أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبهرى :

تكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى لىالى حرمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها مارأى فاسوف ينبي الجاهلين عليهم
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم بل لم يعيش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى المدنى :

ومن صنعه يوم قيل الحبو ش إذ كل ما بعثوه رزم عاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنفه فانخرم وقد جعلوا سوطه مغولا إذا يعموه قفاه حكم
فولى وأدبر أدرأجه وقد باء بالظلم من كان ثم فأرسل من فوقهم حاصبا
يلقهم مثل لف القزم يحض على الصبر أحبارهم وقد تأجوا كشواج القزم

وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفى وروى لأمية بن أبى الصلت بن ربيعة :

إن آيات ربنا باقيات ما يمارى فيهن إلا الكفور خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور ثم يحلو النهار رب رحيم بمهابة شعاعها منشور
حبس الفيل بالغمس حتى صار يحبو كأنه معقور لازما حلقة الجران كما قطر
من ظهر ككبك محذور حوله من ملوك كندة أبطال ملاوئ فى الحروب صقور

خلفوه ثم ابذعروا جميعا كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أي حرنت فقال رسول الله ﷺ « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أجبتهم إليها » ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخاري ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب » . آخر تفسير سورة الفيل والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة لا يلاف قريش وهي مكة)

(ذكر حديث غريب في فضلها) قال البيهقي في كتاب الخلافات حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفي بمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزيني حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن شريحيل حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا بسبع خلال : إني منهم وإن النبوة فيهم والحجاجة والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل وإنهم عبدوا الله عز وجل عشرين سنين لا يعبدوا غيرهم وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلا رسول الله ﷺ - (بسم الله الرحمن الرحيم * لا يلاف قريش * لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(لا يلاف قريش * لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن اللحن عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لا يلاف قريش أي لا تتلافهم واجتماعهم في بلد آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في التاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلد آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمتهم بل من صوفي الهم وسار معهم آمن بهم وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى (لا يلاف قريش لا يلافهم) بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى (لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف) ، وقال ابن جرير : الصواب أن اللام التعجب كأنه يقول اعجبوا لا يلاف قريش ونعمت عليهم في ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشداهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال (فليعبدوا رب هذا البيت) أي فليوحده بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرما وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى (الذي أطعمهم من جوع) أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أي تفضل عليهم بالأمن والرخس فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلها منه كما قال تعالى (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون *) ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله ابن عمرو القرظي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله

عليه السلام يقول « ويل لكم قريش ثلاث قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحاراني حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكنا رأيت عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضى الله عنها فعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم . آخر تفسير سورة لإيلاف قريش ، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرْآوْنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

يقول تعالى أرايت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو الماعذ والجزاء والثواب (فذلك الذي يدع اليتيم) أى هو الذي يهقر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام المسكين) كما قال تعالى (كلابل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعنى للناققين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال (المصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكسبية كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرطا فيخرجها عن وقتها بالكسبية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل فى صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الحشوع فيها والتدبر لمعانها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيب منها وكل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فقهر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام إليها فقهرها نهر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلا ولعله إنما حمله على القيام إليها مراة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكسبية . قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكر الله إلا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون) . وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن بن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إن فى جهنم لواديا تستعبد جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادى للرأئين من أمة محمد لحامل كتاب الله والمصدق فى غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج فى سبيل الله » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبى يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ « من مع الناس بعمله مع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره ، وما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الوصلى فى مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا عجلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشر حدثنا الأعمش

عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كنت أسلى فدخل طي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية » قال أبو طي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشر متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن الثني بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد بن الثني وابن ماجه عن بشار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضراب بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسل . وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية ابن هشام عن شيان النخعي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) : « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن حمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكليّة ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرطا وتأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا : سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح إسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أى لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبي نجیح عن مجاهد قال طي الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن طي وكذا روى من غيره عنه عن ابن عمر وه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبیر وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهرى والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصرى إن سلى رادى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم للناقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الحراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال السعدي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين أنه سئل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشياء ذلك . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهم وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن قيس أخبرنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه . وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن طي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبيد الله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول للماعون منع الدلو وأشياء ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، وكنا نمد الماعون طي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال : الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعنى متاع البيت وكذا قال مجاهد

وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد أنها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس
ويعنعون الماعون قال لم يجيء أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويعنعون الماعون قال اختلف الناس في ذلك فمنهم
من قال يعنعون الزكاة ومنهم من قال يعنعون الطاعة ومنهم من قال يعنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن
يعقوب بن إبراهيم عن ابن علي عن ليث بن أبي سليم عن أبي إسحق عن الحارث عن علي : الماعون منع الناس الفأس
والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي
قاله عكرمة حسن فإنه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد
ابن كعب ويعنعون الماعون قال المعروف . ولهذا جاء في الحديث « كل معروف صدقة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري (ويعنعون الماعون) قال بلسان قريش المال . وروى هنا
حديثا غريباً عجيباً في إسناده ومثله فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي حدثنا دهم بن دهم
العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النخعي حدثني قرة بن دعموص النخعي أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله
ما تعهد إلينا قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يا رسول الله وما الماعون قال « في الحجر وفي الحديد وفي الماء » قالوا
فأى الحديد ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتنون به » قالوا ما الحجر قال « قدوركم الحجارة »
غريب جداً ورفع منكر وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم . وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة علي النخعي فقال روى
ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النخعي عن علي بن فلان النخعي سمعت رسول الله ﷺ يقول « السلم أخو
السلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يا رسول الله ما الماعون . قال « الحجر والحديد
وأشياء ذلك » والله أعلم . آخر تفسير السورة والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة
رفع رأسه متبسماً إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكتم فقال رسول الله ﷺ « إنه أنزلت علي آتفا سورة » فقرأ
(بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) حتى ختمها فقال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم
قال « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد الكواكب يختلج
العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد
الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آتيته عدد نجوم السماء
وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل
عن أنس ، ولفظ مسلم قال : بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً
قلنا ما أضحكك يا رسول الله . قال « لقد أنزلت علي آتفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ
فصل لربك وأنحر * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ثم قال « أتدرون ما الكوثر . — قلنا الله ورسوله أعلم قال — فإنه نهر
وعنديه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم في السماء فيختلج
العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك »

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسطة من السورة وأنهم منزلة
معه . فأما قوله تعالى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة وقد رواه الإمام أحمد من
طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت يدي في تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصابؤه اللؤلؤ » . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت يدي إلى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل » ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المخوف فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر » وهو لفظ البخاري رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى برسول الله ﷺ مضى به جبريل في السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال « يا جبريل ما هذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذي خبأك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو مخرج في الصحيحين . وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المخوف ، فقال الملك - الذي معه - أتدري ما هذا ؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله ، وضرب يده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهام وغيرهم عن قتادة . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر » قال أبو بكر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها »

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر ؟ قال « هو نهر في الجنة أعطانيه ربي هو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها يا عمر » رواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء . وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ، ثم قال البخاري رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال إسرائيل : نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمير بن عطية عن شقيق أومسروق قال : قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت : نهر في بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصابؤه اللؤلؤ والياقوت ، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعه في أذنيه ، وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لأنه يسمعه نفسه والله أعلم . قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ . ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة

فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه ، ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبي بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكوثر الخير الكثير ، وقال الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لأن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعارب بن دثار والحسن بن أبي الحسن البصري حتى قال مجاهد هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر في الجنة حافته ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماء أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو ذلك ، قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء ابن السائب عن عارب بن دثار عن ابن عمر أنه قال الكوثر نهر في الجنة حافته ذهب وفضة يجري على الدر والياقوت ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد عن جرير عن عطاء ابن السائب به مثله موقوفا ، وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد حدثنا علي بن حفص حدثنا ورقاء قال : وقال عطاء عن عارب بن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماءه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا . وقال الترمذي حسن صحيح

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال عارب بن دثار لما قال سعيد ابن جبير في الكوثر ؟ قلت حدثنا عن ابن عباس أنه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (إنا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب يجري على الدر والياقوت » . وقال ابن جرير حدثني ابن البرقي حدثنا ابن مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يابني الله آتفا حامداً نحوك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار ، أولا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل فقدمت إليه حيسا فأكل منه فقالت يا رسول الله هنيئا لك ومريثا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرني أبو حمزة أنك أعطيت نهرنا في الجنة يدعى الكوثر فقال « أجل وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض ، وهكذا روى عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة ، وقال عطاء هو حوض في الجنة ، وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والثالثة وتحرك فاعبده وحده لاشريك له وانحر على اسمه وحده لاشريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والربيع وعطاء الحراساني والحكم وسعيد بن أبي خalde وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه للمشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى (ولأنك كانوا لما لم يذكر اسم عليه وإنه لفسق) الآية ، وقيل المراد بقوله (وانحر) وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروي هذا عن علي ولا يصح ، وعن الشعبي مثله وعن أبي جعفر الباقر (وانحر) يعني رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل (وانحر) أي استقبل بنحرك القبلة ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقد روى ابن أبي حاتم هنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن إبراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا إسرائيل بن حاتم اللروزي حدثنا

مقاتل بن حيان عن الأصمغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذه النجيرة التي أمرني بها ربّي ؟ » فقال : ليست بنجيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وإن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم في المستدرک من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراساني (وانحر) أي ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرک یعنی به الاعتدال رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح الناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول « من صلى صلاتنا ونسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله إني نسكت شأني قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهي فيه اللحم قال « شاتك شاة لحم » قال فان عندى عناقا هي أحب إلى من شاتين أفنجزى ، عنى ؟ قال « تنجزك ولا تنجزى أحد أبعدك » قال أبو جعفر بن جرير والصواب قول من قال إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرک اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء . وقوله تعالى (إن شاتك هو الأبتري) أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتري الأقل الأذل النقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت في العاص بن وائل وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان : قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبتري لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة ، وقال فمر بن عطية نزلت في عقبه بن أبي معيط ، وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش ، وقال البرار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر النبت من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أتم خير منه قال فنزلت (إن شاتك هو الأبتري) هكذا رواه البرار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء نزلت في أبي لمب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لمب إلى الشركين فقال بتر محمد أئيلة فأنزل الله في ذلك (إن شاتك هو الأبتري)

وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه إن شاتك يعني عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة : الأبتري الفرد ، وقال السدي كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (إن شاتك هو الأبتري) وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتري إذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد . آخر تفسير سورة الكوثر ، والله الحمد ولله .

(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهي مكية)

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال : رقت

النبي صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال : رمت النبي صلى الله عليه وسلم شهراً وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرين وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيري وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي إسحاق به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها قال « ما فعلت الجارية ؟ » قال تركتها عند أمها قال « فجيء ما جاء بك » قال جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال « اقرأ قل يا أيها الكافرين ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » تفرد به أحمد . وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمر القطراني حدثنا محمد بن الطويل حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أويت إلى فراشك فاقرا قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فانها براءة من الشرك » . وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن بن (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يخطمها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال قلت يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي قال « إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرا قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك » والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالاخلاص فيه فقوله تعالى (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكليّة فقال (لا أعبد ما تعبدون) يعني من الأصنام والأنداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له ، فها هنا بمعنى من ، ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ولهذا قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) فتنبرأ منهم في جميع ما هم فيه فإن العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه يعبدون الله بشارعه ولهذا كان كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أي لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (لكم دينكم ولي دين) كما قال تعالى (وإن كنتم بولك فقل لي عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقال لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . وقال البخاري يقال (لكم دينكم) الكفر (ولي دين) الإسلام ولم يقل ديني لأن الآيات بالنون فحذف الياء كما قال (فهو يهديين) (ويشفين) وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما عبدوا والدين قال (وليزیدن)

كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيذ كقوله (فإن مع العسر يسرا) وكقوله (لترون الجحيم) ثم لثرونها عين اليقين) وحكاها بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة قاله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال (أولها) ما ذكرناه أولا (الثاني) ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون * ولا أتم عابدون ما أعبد) في الماضي (ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أتم عابدون ما أعبد) في المستقبل (الثالث) أن ذلك تأكيذ محض (وتم قول رابع) نصره أبو العباس بن تيمية في بعض كتبه وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفي الفعل لأنها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفي قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفي الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الامكان الشرعي أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم . وقد استدلل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة (لكم دينكم ولي دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توارث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى » . آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

(تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية)

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر عن أبي العباس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العباس عن عبد الحميد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم : (إذا جاء نصر الله والفتح) قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر بإحلاته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته الشهيرة . وقال الحافظ البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا الاسقاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « إنه قد نعت إلى نفسي » فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرني أنه نعت إليه نفسه فبكت ثم قال « اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي » فضحكت وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)

قال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه ممن قد علمت فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أ كذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرد به البخاري . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم

عن أبي رزین عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعت إلى نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة تفرد به أحمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعى إليه . وقال ابن جرير حدثني إسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفی عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن - قيل يا رسول الله وما أهل اليمن ؟ قال - قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » ثم رواه ابن عبد الأطلی عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسل . وقال الطبرانی حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) حتى ختمت السورة قال نعت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ما كان قط اجتهدا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزین عن ابن عباس قال : لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قد نعت إليه نفسه فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزین أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعت إلى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبرانی حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العميس عن أبي بكر ابن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا (إذا جاء نصر الله والفتح) وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى الطائمی عن أبي سعيد الخدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس خير وأنا وأصحابي خير - وقال - لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رآيا ذلك قالوا : صدق . تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح « لاهجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فأنفروا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره . معنى ملبح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحو من عشرة آلاف قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لأمر الجيش إذا فتح بلدا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم يصلها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما مفسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتحيا للقدوم علينا والوفود إلينا فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان

توابا) قال النسائي أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس : قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعت لرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فأخذ في أشد ما كان اجتهدا في أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم ، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان » وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » وقال : « إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمي وأمرني إذا رأيته أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان توابا . فقد رأيتهما (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) » ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به . وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غوث عن الشعبي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال « سبحان الله وبحمده » فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال « إني أمرت بها - فقال - (إذا جاء نصر الله والفتح) » إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب هنا

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح) كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » ثلاثا تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحداً فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب لإيماننا ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام والله الحمد واللثة ، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا (السيرة) فمن أراد فليراجعه هناك والله الحمد واللثة . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي حدثني أبو عمار حدثني جابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم على ف جعلت أحذنه عن افتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » . آخر تفسير سورة النصر ، والله الحمد واللثة

(تفسير سورة تبت وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَأُمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ

الْخَطَلَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقال « أرايتم إن

حدثكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ - قالوا نعم ، قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب ألهدنا جمعتنا ، تبالك فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها . وفي رواية ققام ينفذ يديه وهو يقول تبالك سائر اليوم ألهدنا جمعتنا ؟ فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) الأول دعاء عليه والثاني خبر عنه فأبوه لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمى أباه لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبنغضة له والا زدراء به والتنقص له ولدينه . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل وكان جاهلياً فأسلم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله فلتحلوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غديرتين يقول إنه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواء عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيراً ؟ قال لا والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر القربة تفرد به أحد . وقال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضى الوجه ذوجة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول « يا بني فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أفذ عن الله ما بعثني به » وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلبوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبي من هذا ؟ قال عمه أبو لهب رواء أحمد أيضاً والطبراني بهذا اللفظ ، فقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وتب) أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه . وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن عباس وغيره (وما كسب) يعني ولده ، وروى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فاني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بما لي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) . وقوله تعالى (سيملي ناراً ذات لهب) أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وامراته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلها تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب في جهنم حبل من مسد) يعني تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهياة لذلك مستعدة له (في جهنم حبل من مسد) قال مجاهد وعروة : من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي (حمالة الحطب) كانت تمشي بالنخيمة واختاره ابن جرير . وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه إلى أحد والصحيح الأول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلاً في جهنم من مسد النار . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الليث وقال عروة بن الزبير المسد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ، وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً ، وقال الجوهري : المسد ، الليث ، والمسد أيضاً حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسداً إذا أجدت قتله

وقال مجاهد (في جهنم حبل من مسد) أي طوق من حديد ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسداً ؟ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قال حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبي بدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فहर

وهي تقول : مذمما أبينا ودينه قلينا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ « إنها لن تراني » وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجالك فقلت وهي تقول قد علمت قريش أني ابنة سيدها. قال: وقال الوليد في حديثه أو غيره فعترت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب إني لحسان فما أكل ، وثقاف فما أعلم ، وكلثانا من بني العم ، وقريش بعد أعلم ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قال حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (تبت يدائي لـ) جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تتحيت لا تؤذيك شيء فقال رسول الله ﷺ « إنه سيحال بيني وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت إنك لمصدق فلما قلت قال أبو بكر ما رأيتك ؟ قال « لا ، ما زال ملك يسترنى حتى ولت » ثم قال البزار لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر رضي الله عنه . وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى (في جيدها جبل من مسد) أي في عنقها جبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائما ، قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن جبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد في ذلك :

وبسكرة وعحورا صرارا * ومسدا من أبق مغارا

قال والأبق القنب . وقال آخر : يا مسد الخوص تموذ مني * إن تك لدينا لنا فاني * ما شئت من أئمت منقسن قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب وامرأتها حمالة الحطب * في جيدها جبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقبض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا ، لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة . وآخر تفسير السورة ، والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الاخلاص وهي مكية)

(ذكر سبب نزولها وفضلها)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغانى حدثنا أبو جعفر الرازى حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد : انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله هو أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) وكذا رواه الترمذى وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير وعجمود بن خدّاش عن أبي سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذى قال (الصمد) الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثل شيء . ورواه ابن أبي حاتم عن حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلًا ولم يذكره حدثنا ثم قال الترمذى وهذا أصح من حديث أبي سعيد

(حديث آخر في معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجاهد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها إسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير

واحد من السلف وروى عبيد بن إسحق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ انساب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسل ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شئ نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد . الله الصمد ، والصمد ليس بأجوف

(حديث آخر في فضلها) قال البخارى حدثنا محمد بن وهب بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عميرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال « سلوه لأى شئ يصنع ذلك » فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ « أخبروه أن الله تعالى يحب » هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد الهلى ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به (حديث آخر) قال البخارى في كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة كما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلهم أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى فلما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال ما أنا بباركها إن أحببت أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمر بك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » قال إني أحبها ، قال « حبك إياها أدخلك الجنة » هكذا رواه البخارى تعليقا مجزوما به . وقد رواه أبو عيسى الترمذى في جامعه عن البخارى عن إسماعيل بن أبي أويس عن عبيد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر بإسناده مثله سواء ثم قال الترمذى غريب من حديث عبيد الله بن ثابت . قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « إن حبك إياها أدخلك الجنة » وهذا الذى علقه الترمذى قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا فقال حدثنا أبو النضر حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبك إياها أدخلك الجنة » . (حديث في كونها تعدل ثلث القرآن) قال البخارى حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا مع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتعالمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إنها تعدل ثلث القرآن » زاد إسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف والقعنبي ، ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن مالك به . (حديث آخر) قال البخارى حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم والضحاك المشرق عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة » فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله . فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » تفرد بإخراجه البخارى من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شريحيل الحمداى المشرق كلاهما عن أبي سعيد ، قال الفربرى : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق

أبي عبد الله قال : قال أبو عبد الله البخاري عن إبراهيم مرسل وعن الضحاك مسند .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « والذى نفسى بيده إنها لتعدل نصف القرآن - أو ثلثه - » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فان (قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد) ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال « إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب واسم أبي حازم سلمان

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خيثم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة من الأنصار عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فانه من قرأ (قل هو الله أحد) في ليلة فقد قرأ ليلته ثلث القرآن » هذا حديث تسعى الاسناد للإمام أحمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بن دارزاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصار لهما عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد وقاتدة بن النعمان وأبي هريرة وأنس وابن عمرو وأبي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه على روايته إسرائيل والفضيل بن عياض . وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطر بوافيه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » ورواه النسائي في اليوم واليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به . ولم يقع في روايته هلال بن يساف

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه ابن ماجة عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم واليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن أبي السميط حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال « فإن الله جزء القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن » ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » وكذا رواه النسائي في اليوم واليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله . ورواه النسائي أيضا في اليوم واليلة من

حديث محمد بن إسحاق عن الحارث بن الفضيل الأنصاري عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أن قرأ من أصحاب محمد ﷺ حديثه عن النبي ﷺ أنه قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

﴿ حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة ﴾ قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله ﷺ « وجبت - قلت وما وجبت قال - الجنة » ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث « حبك إياها أدخلك الجنة » ﴿ حديث في تكرار قراءتها ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا قطر بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشي حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد ، ثلاث مرات في ليلة فإنها تعدل ثلث القرآن » هذا إسناد ضعيف وأجود منه

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر القدسي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا ابن أبي ذئب عن أسيد بن أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول ؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمشي وحين تصبح ثلاثا ، تكفيك كل يوم مرتين » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن أبي ذئب به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائي من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه « تكفيك كل شيء » ﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ليث بن سعد حدثني الحليل بن مرة عن الأزهر بن عبد الله عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة » تفرد به أحمد والحليل بن مرة ضعفه البخاري وغيره بجملة ﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبائن بن فائد عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يحتسبها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب » تفرد به أحمد ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل وهو ابن معبد قال الدارمي وكان من الأبدال أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نكثت قصورنا ، فقال رسول الله ﷺ « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا نصر بن طي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرني أم كثير الأنصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائة مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناده ضعيف ، حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه « من قرأ كل يوم مائة مرة قل هو الله أحد عفى عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين »

قال الترمذي وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : يا عبدی ادخل على يمينك الجنة » ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روى من غير هذا الوجه عنه ، وقال أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا

أبي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » ثم قال لا تعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والأغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ (حديث آخر) في الدعاء بما تضمنته من الأسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ للمسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأنني أعهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال « والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب (حديث آخر) في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن أبي شداد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينه خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد » قال : فقال أبو بكر أو إحداهن يارسل الله قال « أو إحداهن » (حديث) في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو ابن جرير عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » إسناده ضعيف (حديث) في الاكثار من قراءتها في سائر الأحوال قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ ببثوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيأمرني بمثلها فأتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال « يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثلها فيما مضى ؟ » قال إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال : « وفيهم ذلك ؟ » قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل وفي النهار وفي مشاءه وقيامه وقعوده فهل لك يارسل الله أن أقبض الأرض فتصلي عليه : قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم . (طريق أخرى) قال أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود أبي عبد الله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي ﷺ فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت فرفع سريره فنظر إليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي ﷺ « يا جبريل بم نال هذه النزلة من الله تعالى » قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته إياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال . ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روى هذا من طرق آخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة (حديث آخر) في فضلها مع المؤمن قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاع حدثني علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسل الله بم نجاه المؤمن ؟ قال : « يا عقبة أخرس لسانك وليس معك بيتك وابك على خطيئتك » قال ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتدأتني فأخذ بيدي فقال « يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » قال : قلت بلى جعلني الله فداك قال : فأقرأني (قل هو الله أحد - - - - - قل أعوذ برب الفلق - - - - - قل أعوذ برب الناس) ثم قال « يا عقبة لا تنسهن ولا تنسهن ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتن منذ قال لا تنسهن ومات ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسل الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال : « يا عقبة سل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عن ظلمك » روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه أحمد من طريق

آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء تفرد به أحمد (حديث آخر) في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا الفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزيز بن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الائنات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كل في سؤده، والشريف الذي قد كل في شرفه، والعظيم الذي قد كل في عظمته، والحليم الذي قد كل في حلمه، والعليم الذي قد كل في علمه، والحكيم الذي قد كل في حكمته. وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسؤد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثل شيء سبحانه الله الواحد القهار، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد، وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن (الصمد) الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال عكرمة (الصمد) الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه، وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضاً وسعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي (الصمد) الذي لا جوف له. قال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) الصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال عبد الله بن بريدة أيضاً (الصمد) نور يتلأأ، وروى ذلك كله وحكاها ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذا أبو جعفر بن جرير ساقاً أكثر ذلك بأسانيده، وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش حدثنا صالح بن حي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قد رفعه قال «(الصمد الذي لا جوف له) وهذا غريب جداً والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك. وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة. قال مجاهد (لم يكن له كفوا أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتية يوم القيامة فردا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون) وفي الصحيح صحيح البخاري «لأحد أصبر على أذى سمعه من الله منهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم» وقال البخاري حدثنا أبو الجان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل

كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه لنبيدي كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه لأخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم ولد ولم يكن لي كفواً أحد» ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعاً بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين . آخر تفسير سورة الاخلاص، والله الحمد والمنة

(تفسير سورتي المعوذتين وهما مدينتان)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش قال : قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها ، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ . ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما معاً زر بن حبیش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال إني سألت رسول الله ﷺ فقال « قل لي قل فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ . وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ عنهما فقال « قل لي فقلت لكم قولوا » قال أبي فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول ، وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبیش ، وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال إني سألت النبي ﷺ فقال « قل لي فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ورواه البخاري أيضاً والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال سألتنا عنهما رسول الله ﷺ قال « قل لي فقلت » وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلمعه لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ثم لعله قدر رجوع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضی الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك والله الحمد والمنة . وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يرمثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) » ورواه أحمد ومسلم أيضاً والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالة عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في ثقب من تلك الثقب إذ قال لي « يا عقبة ألا تركب » قال فأشفقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ثم ركب ثم قال « يا عقبة ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » قلت بلى يا رسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مربى فقال « كيف رأيت يا عقبة اقرأ بهما كلأمت وكلاقت » ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث ابن وهب عن ميمون بن صالح عن العلامة بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعي وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن أبي رباح وقال الترمذي غريب (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن مشر بن عاهان عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ بالمعوذتين فإنك لن تقرأ بمثلهما » تفرد به أحمد (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا

حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقود ساله فقال رسول الله ﷺ «اقرأ قل أعوذ برب الفلق» فأعادها له حتى قرأها فعرف أني لم أفرح بها جدا فقال «لعلك تهاونت بها؟ فما كنت تصلي بشيء مثلها». ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين فذكر نحوه (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا العتمر سمعت النعمان عن زياد بن الأسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال «إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)» (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال «يا عقبة قل» قلت ماذا أقول؟ فسكت عني ثم قال «قل» قلت ماذا أقول يا رسول الله؟ قال «قل أعوذ برب الفلق» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال «قل» قلت ماذا أقول يا رسول الله؟ قال «قل أعوذ برب الناس» فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك «ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعذ بمثلها» (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء بن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت: أقرأني سورة هود أو سورة يوسف فقال «لن تقرأ شيئا أنفع عبد الله من قل أعوذ برب الفلق» (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الأوزاعي عن يحيى بن عن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله بن عابس الجعفي أن النبي ﷺ قال له «يا ابن عابس ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون» قال بلى يا رسول الله قال «قل أعوذ برب الفلق» - وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان» فهذه طرق عن عقبة كالتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية صدى بن عجلان وفروة بن مجاهد عنه «ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد - و - قل أعوذ برب الفلق - و - قل أعوذ برب الناس)».

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال: قال رجل كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يعقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ونزلني فلحقني فضرب منكبي فقال «قل أعوذ برب الفلق» فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه فقال «إذا صليت فاقرأ بهما» الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم. ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن عليه به (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمد بن الثني حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الأسدي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال «قل» فلم أدر ما أقول ثم قال لي «قل» قلت (هو الله أحد) ثم قال لي قل قلت (أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حتى فرغت منها ثم قال لي «قل» قلت (أعوذ برب الناس) حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلن قط» (حديث آخر) قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ «اقرأ يا جابر» قلت وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال «اقرأ قل أعوذ برب الفلق» - و - قل أعوذ برب الناس» فقرأتهما فقال «اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما» وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، وقال الإمام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القسبي والنسائي عن قتيبة، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانية عن مالك به. وتقدم في آخر

سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما : رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى حديث حسن صحيح

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : الفلق الصبح وقال العوفى عن ابن عباس (الفلق) الصبح ، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظى وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظى وابن زيد وابن جرير وهى كقوله تعالى (الفلق الاصباح) وقال طلى بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله ، وقال كعب الأحبار (الفلق) بيت فى جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبو حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سمى عن السدى عن زيد بن طلى عن أبائه أنهم قالوا (الفلق) جب فى قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضيئ منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه . وكذا روى عن عمرو بن عبسة والسدى وغيرهم . وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطى حدثنا نصر بن خزيمه الخراسانى عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الفلق جب فى جهنم مغطى» إسناده غريب ولا يصح رفعه . وقال أبو عبد الرحمن الحبلجى (الفلق) من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخارى فى صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى (من شر ما خلق) أى من شر جميع المخلوقات ، وقال ثابت البناتى والحسن البصرى جهنم وإبليس وذريته مما خلق (ومن شر غاسق إذا وقب) قال مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخارى عنه وكذا رواه ابن أبي نجيع عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى والضحاك وخسيف والحسن وقتادة إنه الليل إذا قبل بظلامه وقال الزهرى (ومن شر غاسق إذا وقب) الشمس إذا غربت ، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل ذهب وقال أبو المزهزم عن أبي هريرة (ومن شر غاسق إذا وقب) الكوكب وقال ابن زيد : كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الأستقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترفع عند طلوعها

قال ابن جرير ولهمؤلاء من الآثار ما حدثنى نصر بن طلى حدثنى بكار عن عبد الله بن أخى مام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب - النجم الغاسق» قلت وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر قلت وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا أبو داود والحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال قالت عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال «تعوذى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير من سننهما من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به وقال الترمذى حديث حسن صحيح ولفظه «تعوذى بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب» ولفظ النسائى «تعوذى بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب» قال أصحاب القول الأول وهو آية الليل إذا ولج هذا لا ينافى قولنا لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم لا تضىء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم . وقوله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك . يعنى السواحر قال مجاهد إذا رقيت وتفنن فى العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأطل حدثنا ابن نور عن معمر بن طائوس عن أبيه قال ما من شئ أقرب من الشرك من رقية الحية والجانيب وفى الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال اشكيت يا محمد ؟ فقال «نعم» فقال باسم الله أريقك من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحرتم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود فى رؤوسهم وجعل تدميرهم فى تدميرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوم ما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى . وقال الإمام أحمد حدثنا أم معاوية حدثنا الأعشى عن يزيد بن

حبان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بركذا وكذا فأرسل إليهما من يحيى بهما فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجهما فجاء بهما فحلفا قال فقال رسول الله ﷺ كأنما شط من عقلي فاذكرك ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية عن محمد بن حازم الضرير وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال «يا عائشة أعلمت أن الله قد أثنى فيما استغفرت فيه؟ أثنى رجلان ففقد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوع، قال ومن طبه، قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان مناققا، قال وفيه؟ قال في مشط ومشاطة، قال وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان» قالت فأني البئر حتى استخرجه فقال «هذه بئر التي أريتها وكان ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رموس الشياطين» قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت؟ فقال «أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا» وأسند من حديث عيسى بن يونس وأبي حمزة أنس بن عياض وأبي أسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، وعنده فأمر بالبئر فدقنت وذكر أنه روى عن هشام أيضا بن أبي الزناد واليث بن سعد، وقد روى مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأثام ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله؟ قال مطبوع، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاهم اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ابن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان ففرض رسول الله ﷺ واشتر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين وجعل يذوب ولا يدرى ما عراه فبينما هو نائم إذ أثام ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل؟ قال طيب، قال وما طيب قال سحر قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبهم طبه قال بمشط ومشاطة قال وابن هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر تأتيه يقوم عليه الماتع، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي» ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزيير وعمار بن ياسر فزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأرسل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما شط من عقلي وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، الله يشفيك. فقالوا يا رسول الله أفلا تأخذ الحبيث تقتله فقال رسول الله ﷺ «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن يثير على الناس شرا» هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة وبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفة من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والإلهية فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه مامن أحد من بني آدم إلا وله قرين يزني له الفواحش ولا يألوه جهدا في الخبال، والمعصوم من عصمه الله

وقد ثبت في الصحيح أنه « مامنكم من أحد إلا قد وكل به قرينه » قالوا وأنت يا رسول الله قال « نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » ، وثبت في الصحيحين عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال رسول الله « على رسلكما إنها صفية بنت حي » فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا - أو قال شرا - . » وقال الحافظ أبو يونس الموصلي حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدي بن أبي عمارة حدثنا زياد النخعي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي التمس قلبه فذلك الوسواس الخناس » غريب وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عبيدة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبي ﷺ حمارة فقلت تعس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا تقل تعس الشيطان فانك إذ قلت تعس الشيطان تعظم وقال بقوتي صرغته وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الباب » تفرد به أحمد إسناده جيد قوى وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله تعظم وغلب . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبس به كما يبس الرجل بدايته فإذا سكن له زقه أو ألجمه » قال أبو هريرة رضي الله عنه وأتم ترون ذلك أما الزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله ، وأما اللجم ففأفاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (الوسواس الخناس) قال الشيطان جائم على قلب ابن آدم فإذا ساء وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس ، وكذا قال مجاهد وقتادة وقال العتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفض في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فإذا ذكر الله خنس وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فإذا أطيع خنس

وقوله تعالى (الذي يسوس في صدور الناس) هل يختص هذا بآدم كما هو الظاهر أو يعم بني آدم والجن ؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع في إطلاق الناس عليهم وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذي يسوس في صدور الناس) ثم بينهم فقال (من الجنة والناس) وهذا يقوى القول الثاني وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذي يسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي حدثنا أبو عمرو والد دمشق حدثنا عبيد بن الحشاخ عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال قممت فصلت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال : فقلت يا رسول الله ولان شياطين ؟ قال « نعم » قال : فقلت يا رسول الله الصلاة ؟ قال « خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر » قلت يا رسول الله فالصوم ؟ قال « فرض مجزئ » وعند الله مزيد » قلت يا رسول الله فالصدقة ؟ قال « أضعاف مضاعفة » قلت يا رسول الله أيها أفضل ، قال « جهد من مقل أو سر إلى فقير » قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ، قال « آدم » قلت يا رسول الله ونبيي كان قال « نعم نبي مكلم » قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال « ثلثمائة وبضعة عشر » جماعهم قال مرة « خمسة عشر » قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك عليك أعظم ، قال « آية الكرسي » (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فانه أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الحمداي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشئ لأن آخر من السماء أحب إلى من أن أتسلكم به قال : فقال النبي ﷺ « الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والأعمش كلاهما عن ذر به .

(آخر التفسير ، والله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين)

(ويتلوه فضائل القرآن للمؤلف أيضا وبه يتم الكتاب إن شاء الله والله الحمد والمنة على التمام ، إنه ولي الأنعام)

﴿ فهرس الجزء الرابع من تفسير ابن كثير ﴾

صفحة	صفحة	صفحة
٤٧٤ تفسير سورة التكويد	٢٠٥ تفسير سورة الحجرات	٢ تفسير سورة الصافات
٤٨٠ تفسير سورة الانقطار	٢٢٠ تفسير سورة ق	١٣ تحطيم الأصنام
٤٨٣ تفسير سورة المطففين	٢٣١ تفسير سورة الداريات	١٤ الدييح إسماعيل عليه السلام
٤٨٧ تفسير سورة الانشقاق	٢٣٨ تفسير سورة الطور	٢٦ تفسير سورة ص
٤٩١ تفسير سورة البروج	٢٤٦ تفسير سورة النجم	٢٩ تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود
٤٩٧ تفسير سورة الطارق	٢٦٠ تفسير سورة اقتربت الساعة	٤٤ تفسير سورة الزمر
٤٩٨ تفسير سورة الأطل	٢٦٩ تفسير سورة الرحمن	٥١ ضرب الأمثال في القرآن
٥٠١ تفسير سورة الفاشية	٢٨١ تفسير سورة الواقعة	٥٧ الحث على التوبة
٥٠٥ تفسير سورة الفجر	٣٠٢ تفسير سورة الحديد	٦٢ تفسير قوله تعالى وما قدروا
٥١١ تفسير سورة البلد	٣١٨ تفسير سورة المجادلة	الله حق قدره
٥١٥ تفسير سورة الشمس	٣٣٠ تفسير سورة الحشر	٦٣ النفخ في الصور
٥١٧ تفسير سورة الليل	٣٤٢ أسماء الله الحسنى	٦٤ دخول الأشقياء النار
٥٢١ تفسير سورة الضحى	٣٤٤ تفسير سورة الممتحنة	٦٥ دخول للتقين الجنة
٥٢٤ تفسير سورة ألم نشرح	٣٥٢ مبايعة النساء	٦٧ ذكر سعة أبواب الجنة
٥٢٦ تفسير سورة التين	٣٥٦ تفسير سورة الصف	٦٩ تفسير سورة المؤمن
٥٢٧ تفسير سورة العلق	٣٦٢ تفسير سورة الجمعة	٧١ استجواب الدعاء للمؤمنين السابقين
٥٢٩ تفسير سورة القدر	٣٦٨ تفسير سورة المنافقين	٧٢ الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده
٥٣٦ تفسير سورة البينة	٣٧٣ تفسير سورة التناين	٧٨ إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر
٥٣٨ تفسير سورة الزلزلة	٣٧٧ تفسير سورة الطلاق	٨٠ نصيحة مؤمن آل فرعون
٥٤١ تفسير سورة العاديات	٣٨٥ تفسير سورة التحريم	٩٠ تفسير سورة فصلت
٥٤٢ تفسير سورة القارعة	٣٩٤ تفسير سورة الملك	٩٥ شهادة الجوارح على الإنسان
٥٤٤ تفسير سورة التكاثر	٤٠٠ تفسير سورة ن	١٠٠ فضل الدعاء إلى الله
٥٤٧ تفسير سورة العصر	٤١٢ تفسير سورة الحاقة	١٠٥ تفسير سورة الشورى
٥٤٨ تفسير سورة المهزلة	٤١٨ تفسير سورة الماعرج	١٢٢ تفسير سورة الزخرف
٥٥٣ تفسير سورة الفيل	٤٢٤ تفسير سورة نوح	١٣٧ تفسير سورة الدخان
٥٥٣ تفسير سورة قريش	٤٢٨ تفسير سورة الجن	١٤٧ تفسير سورة الجاثية
٥٥٤ تفسير سورة الماعون	٤٣٤ تفسير سورة المزمل	١٥٣ تفسير سورة الأحقاف
٥٥٦ تفسير سورة الكوثر	٤٤٠ تفسير سورة الدثر	١٦٢ وفد الجن الذين استمعوا القرآن
٥٥٩ تفسير سورة الكافرون	٤٤٧ تفسير سورة القيامة	١٧٢ تفسير سورة محمد ﷺ
٥٦١ تفسير سورة النصر	٤٥٢ تفسير سورة الإنسان	١٨٢ تفسير سورة الفتح
٥٦٣ تفسير سورة المسد	٤٥٨ تفسير سورة المرسلات	١٨٦ ذكر سبب البيعة
٥٦٥ تفسير سورة الإخلاص	٤٦١ تفسير سورة النبأ	١٩٣ فضل أصحاب رسول الله ﷺ
٥٧٣ تفسير سورة الفلق	٤٦٦ تفسير سورة النازعات	١٩٤ قصة صلح الحديبية
٥٧٤ تفسير سورة الناس	٤٧٠ تفسير سورة عبس	

قضاائل القرآن

وهو ذيل

تفسير الحافظ بن كثير

وضعه في آخر التفسير وجعله متمماً له

وجدناه في آخر النسخة المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف
ولكنه غير موجود في النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب فضائل القرآن)

قال البخارى رحمه الله^(١) (كيف ينزل الوحي؟ وأول ما نزل) قال ابن عباس: المهيمن الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله. حدثنا عبيد الله بن موسى، عن شيان، عن يحيى، عن أبي سلة، قال أخبرتنى عائشة، وابن عباس، قالوا: لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرًا. اهـ

ذكر البخارى رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به، فجرينا على منواله وسنته مقتدين به. وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخارى قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل (وأنزّلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: ثنا الثنى ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن علي - يعني ابن أبي طلحة - عن ابن عباس قوله (ومهيمناً عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله، وفي رواية شهاداً عليه. وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس (مهيمناً عليه) قال مؤتمنا، ونحنو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف. وأصل المهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن. وفي أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء^(٢).

وأما الحديث الذي أسنده البخارى أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرًا فهو بما انفرد به البخارى دون مسلم وإسحاق رواه النسائي من حديث شيان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبي سلة عنهما. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) هذا إسناد صحيح.

أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا مما لا خلاف فيه. وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لأنه عليه السلام أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح. ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام لأن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر يلقي إليه الكلمة والشيء ثم قرن

(١) أى في كتاب فضائل القرآن في أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب.

(٢) هذا تفسير اللفظ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الأنبياء أو عليها هي الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم أتوا نصياً منه، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ما حفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها.

به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه في زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان ، لأنه ابتدئ بنزوله . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله في كل سنة في شهر رمضان فلما كانت السنة التي توفي فيها عارضه مرتين تأكيذاً وتثبيتاً . وأيضاً في الحديث يان أنه ^(١) من القرآن مكي ، ومنه مدني . فالسكنى ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من السكى ، وآخر أنها من اللدني ، واختلفوا في آخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تعيينها عشر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مدنية ، وما فيه (يا أيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنياً كما في البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) .

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من مع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شيء في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (يا أيها الناس) فإنه أنزل بمكة . ثم قال ثنا طي بن معبد عن أبي الليث عن ميمون بن مهران ، قال ما كان في القرآن (يا أيها الناس - و - يا بني آدم) فإنه مكي ، وما كان (يا أيها الذين آمنوا) فإنه مدني .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثنى من السكى آيات ، يدعى أنها من اللدني ، كما في سورة الحج وغيرها .
والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح فالحق أعلم .

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن طي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) ، و (يا أيها النبي لم تحرم) ، والفجر ، (والليل إذا يشئ) ، و (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ولم يكن و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رَوَوْا عنه التفسير .

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر . وما به الحجرات والموذات .

(الحديث الثاني ^(٢))

وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبي ، عن أبي عثمان ، قال أنبت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ « من هذا ؟ » ^(٣) أو كما قال ، قالت هذا

- (١) كذا في الأصل والمراد أن الشأن وإلا لقال : أن من القرآن مكيّاً إلخ أو : أن القرآن منه مكي الخ .
- (٢) الحديث الأول هو الذي بدأ به الكتاب ولم يضع له عنواناً (٣) عبارة البخاري : فقال لأم سلمة الخ ولم يذكر القائل ﷺ والمراد أنه ﷺ سألها ليعلم هل لكونه جبريل أو لكونه ملكاً تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه

دحية ، فلما قام قالت (١) والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بجبريل - أو كما قال - قال أبي (٢) فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال من أسامة بن زيد رضى الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد الترسى ، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراد هذا الحديث هنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام ، وهو ملك كريم ، ذو وجهة وجلالة ومكانة ، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) الآيات .

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوله جبريل ومحمداً صلى الله وسلم عليهما ، وسنستقصى الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضى الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضاً لدحية بن خليفة الكلابي ، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية ، وكان جميل الصورة رضى الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلابي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة ، وهم قبيلة من قضاة وقضاة قبل إهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم .

(الحديث الثالث)

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، ثنا سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال قال : النبي ﷺ « مامن الأنبياء نبي إلا أعطى مامله آمن عليه البشر ، وإنا ما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ورواه أيضاً في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائى عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبرى به .

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : مامن نبي إلا أعطى - أى من المعجزات - ما آمن عليه البشر ، أى ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من أتباعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه متقولاً إلى الناس بالتواتر ، ففى كل حين هو كما أنزل . فلهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » وكذلك وقع . فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ، ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته . ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فقال (أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وقصر التحدى على هذا المقام فى السور

الكية . كما ذكرنا في المدنية أيضا كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة ، عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة المحكمة ، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لأتينا أمير المؤمنين فلا سأله عما سمعت العشي ، قال فبجسته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث . قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أثنائي جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك » قال - فقلت له فأين المخرج يا جبريل ؟ - قال - فقال في كتاب الله ، به يقسم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك - مرتين - قول فصل ، وليس بالهزل ، لا تخلفه الألسن ، ولا تنفى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذي : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن علي الجعفي ، ثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إنني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة » فقلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيف به الأهواء . ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلق عن كثرة الرد . ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا به) من قال به صدق . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » خذها إليك يا أعور . ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال (قلت) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبري حمزة من عهده . على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه تعدد الكذب في الحديث فلا ، والله أعلم .

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن إسحاق المجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور اللبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيف فيستعجب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة ، أما إنني لأقول : ألم ، حرف ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر »

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق المجرى ، واسمه إبراهيم بن مسلم وهو أحد

التابعين ولكن تكلموا فيه كثيرا ، وقال أبو حاتم الرازي : لين ليس بالقوى وقال أبو الفتح الأزدى : رفاع كثير الوهم . ﴿ قلت ﴾ فيحتمل والله أعلم أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وإما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضاً ثنا حجاج عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله

(الحديث الرابع)

قال البخارى : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله ﷺ بعد وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلواني وعبد بن حميد والنسائي عن إسحاق ابن منصور الكوسج أربعمائة عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسوله ﷺ شيئا بعد شيء كل وقت بما يحتاج إليه ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فإنه استلب الوحي بعدها حينما يقال قريبا من سنتين أو أكثر ثم حى الوحي وتتابع وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر * قم فأندري)

(الحديث الخامس)

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أوليتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والضحي * والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) وقد رواه البخارى في غير موضع أيضا ومسلم والترمذى والنسائي من طرق آخر عن سفيان وهو الثورى وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلي به . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحي

والناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحي متابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ في العناية والاكرام قال البخارى رحمه الله (١) : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرأنا عربيا بلسان عربى مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني أنس بن مالك قال : فامر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في الصحاف وقال لهم : إذا اختلفتم أتم وزيد في عرية من عرية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتى قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخارى منه ظاهر وهو أن القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خالد ثنا يزيد بن شيان ابن عبد الملك بن عمير عن جابر بن مرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يملين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح .

(١) في البخارى هنا كلمة ﴿ باب ﴾ والمؤلف لا يذكر الأبواب فيما ينقله هنا عن البخارى كما تقدم مثله .

وقال أيضا حدثنا إسماعيل بن أسد ثنا هوزة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرأ من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فكتبوها بلغة مضر فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر عليه السلام وقد قال الله تعالى (قرآنأ عربياً غير ذى عوج لعلمهم يتقون) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (ولو جملناه قرآنأ أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ثم ذكر البخارى رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي فذكر الحديث فى الذى سأل عمن أحرم بعمره وهو متضخخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم فجأه الوحي فأشار عمر إلى يعلى أى تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال « أين الذى سألنى عن العمرة آفا ؟ » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه فى كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر فى الترجمة التى قبلها لكان أظهر وأبين والله أعلم .

(جمع القرآن)

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل قد استحر^(١) بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا تهملك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمروني به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتبعت القرآن أجمعه من العسب والخفاف^(٢) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى لم أجد لها مع غيره^(٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم . وقد روى البخارى هذا في غير موضع من كتابه . ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن الزهري به وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي ﷺ مقاما لا ينبغي لأحد من بعده : قاتل الأعداء من مانع الزكاة والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعث والسرايا ، وورد الأمر إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أما كنه للتفرقة حتى تمكن القارىء من حفظه كله . وكان هذا من سر قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضي الله عنه وأرضاه ، ولهذا روى عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقيصة عن سفیان الثوري عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عبد خير عن طي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ يقول : ختمه صحيح أيضا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أى اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة . يعنى يوم قتال مسيلة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض اليمامة في حديقة الموت

وذلك أن مسيلة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف . فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفا ، فالتقوا معهم ، فأنكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب . فسادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعهم السيوف المسلة في أقبعتهم قتلا وأسراً ؛ وقتل الله مسيلة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا إلى الإسلام .

(١) استحر اشتد (٢) اللخاف بكسر اللام جمع لحفة وهى صفائح الحجارة الرقاق ، وتجمع على لحف بضمهتين كما فى رواية أخرى (٣) يعنى أنه لم يجد لها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحي لا أنه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها فى الصلاة وغيرها.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم . فلماذا أشار عمر على الصديق ، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال . فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجع الصديق قليلا ليستثبت الأمر ، ثم واقفه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك . ثم صار إلى ما رآياه رضى الله عنهم أجمعين . وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى . ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا عبد الله بن محمد بن خالد ، ثنا يزيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال إنا لله ، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في الصحف . وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر . ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع ، ولهذا كان مهيئنا على حفظه وجمعه ، كما رواه ابن أبي داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو ، عن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن ، كان لا يقبل من أحد شيئا ، حتى يشهد شاهدان ، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك كما قال أبو بكر بن أبي داود . ثنا أبو الطاهر . أنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق (١) أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه (٢) منقطع حسن

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة - يعنى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر الآيتين - مع أبي خزيمة الأنصارى . وفي رواية مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره (٣) فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس الذى ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابي فأنكر الأعرابي البيع ، فشهد خزيمة هذا بصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي . والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع . عن أبي العالية أن أبي بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت . وقدرى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . أن عثمان شهد بذلك أيضا

وأما قول زيد بن ثابت : فتنبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . وفي رواية من العسب والرقاع والاضلاع . وفي رواية من الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال . أما العسب فجمع عسيب ، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : وهو من السعف فوق الكرب ، لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . واللخاف جمع لحفة وهى القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمونه من القرآن من رسول الله ﷺ ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقاه زيد ، هذا من عسبه ، وهذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أى من حفظه وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات . وهذا من أعظم الأمانة ، لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ففعل صلوات الله وسلامه عليه

(١) فرق ككتب خاف أى خاف أن يضيع منه شيء - كما في الروايات الأخرى - إذا مات جميع حفاظه قبل أن يكتب (٢) لعل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ وكذلك عمر كان يحفظه (٣) أى لم يجدوها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عن كتبها وتقدم في حاشية قبل هذه أنها كانت محفوظة وأن زيدا كان يسأل عن شيء يحفظه ويعرفه .

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد . والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين فقال « إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت . فجعل يشير بأصبعه إلى السماء عليهم ويقول « اللهم اشهد . اللهم اشهد . اللهم اشهد » رواه مسلم عن جابر .
وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال « بلغوا عني ولو آية » يعني ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه فبلغوا عنه ما أمرهم به . فأدوا القرآن قرآنا ، والسنة سنة . لم يلبسوا هذا بهذا

ولهذا قال عليه السلام « من كتب عني سوى القرآن فليمحاه » أي لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها والله أعلم . فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ، والله الحمد والمنة

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة . فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته . وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سنده إن شاء الله .

(كتابة عثمان رضي الله عنه للمصاحف) (١)

قال البخاري رحمه الله : ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا إبراهيم ، ثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف فننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن (٢) فاكتبوه بلسان قريش فإنا أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفه أو مصحف أن يحرق (٣)

قال ابن شهاب الزهري فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت فقال ، فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، فدكنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري

(١) هذا العنوان من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف

(٢) أي إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها من نحوهم وغيره فانه نزل بها لانها لغة الرسول ﷺ وأفصح لغات العرب وإنما أقرأ جبريل النبي ﷺ بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره

(٣) حكمة ذلك أن مصحف حفصة هو الذي نسخت عنه المصاحف الرسمية التي تحروا في جمعها ونسخها فيخشى من إباحة وجود غيرها أن يكون في بعضها غلط أو أن تكون سببا للكذب والاختلاف

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها في سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

فان الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء . وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن ، وواقفه على ذلك جميع الصحابة . وإنما روى عن عبد الله بن مسعود شيء من التفضيز بسبب انه لم يكن ممن كتب المصحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الامام . ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق . حتى قال على بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا ، فانفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى على أن ذلك من مصالح الدين . وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» وكان السبب في هذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . فانه لما كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافا وافترقا ، فلما رجع إلى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى وذلك ان اليهود والنصارى يختلفون فيما بأيديهم من الكتب ، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعاني أيضا ، وليس في توراة السامرة حروف الممزة ، ولا حرف الهاء ولا الياء ، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسخة اليهود والسامرة .

وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : انجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل يوحنا ، وهي مختلفة أيضا اختلافا كثيرا . وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم . منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط . ومنها ما هو أكثر من ذلك ، إما بالنصف أو الضعف . ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه ، وأحكامه ، وكلامه ، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا . وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية للطهارة

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعته ، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل اليه بالمصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد ؛ وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه ؛ ففعلت حفصة . وأمر عثمان هؤلاء الأربعة ؛ وهم زيد بن ثابت الأنصاري ؛ أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي ؛ أحد فقهاء الصحابة ونجباءهم علما وعملا ؛ وأصلا وفضلا . وسعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي وكان كريما جوادا ممدحا ؛ وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي

فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخا . وإذا اختلفوا في موضع الكتابة على أية لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا في التابوت ، أي يكتبونه بالبناء أو الهاء ؛ فقال زيد بن ثابت إنما هو التابوت ، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت ، فتراجعوا إلى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم . وكان عثمان رضي الله عنه والله أعلم رتب السور في المصحف ، وقدم السبع الطول وثني بالمئين (١)

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب ، عن عوف الاعرابي عن يزيد الفارسي ، عن ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ، وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتوها في السبع الطول ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»

(١) إنما كان الترتيب توقيفياً على العرضة الأخيرة كما في الصحاح

وكانت الأنفال من أول ما نزلت بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يتبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول .

فهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ﷺ وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ^(١) ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته . فان نكسه أخطأ خطأ كثيراً . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضي الله عنه . والأولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً ، كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمناقين ، وتارة بسبح وهل أذاك حديث الغاشية . فان فرق جاز ، كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم عن أبي قتادة وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم) السجدة وهل آتى على الإنسان . وان قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً ، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، أخرجه مسلم وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم يوسف

ثم إن عثمان رضي الله عنه رد الصحف إلى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت ، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة ^(٢)

(١) قال صاحب النار: هذا خطأ لا يصح في جميع السور بل هو باطل واعتمده بعضهم في هاتين السورتين عملاً بهذه الرواية وهو مردود أيضاً وقد انتقدته في تفسير النار بقولي بعد نقله عن الألوسي مانعه :
وأقول إن جواب عثمان لابن عباس (رضي الله عنهم) هو كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب يقول « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يتبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطول اه
ولأجل هذه الرواية ذهب البيهقي إلى أن ترتيب جميع السور توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأنفال وبراءة وواقفه السيوطي . ويرد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبي صلى الله عليه وسلم جميع السور إلا الأنفال وبراءة ، وقد صح أنه ﷺ كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين ، فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه ولولا ذلك لعارضة الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روى عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره في الأقطار

وهذا الحديث قال الترمذي حسن لا يعرفه إلا من حديث عوف (بن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. اه
ويزيد الفارسي هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره والصحيح أنه غيره روى عن ابن عباس وحكى عن عبد الله بن زياد وكان كاتبه وعن الحجاج بن يوسف في أمر المصاحف . وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه ، وقال أبو حاتم لأبأس به . اه ملخصاً من تهذيب التهذيب ، فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن للتواتر

(٢) الأولى بل التعمين أن يقال لئلا يدعى أحد بعد ذلك أن فيها ما يخالف هذه المصاحف فانها كانت صحفاً منشورة يظهر أنها لم تكن قوية بشكل واحد وقياس واحد فتتخذ مصحفاً إماماً يصلح للبقاء للمصاحف التي نسخت لهذا الغرض وجعلت رسمية بالإجماع . وقد تقلت صحف الأخبار العامة أن أحدها وهو الذي كان محفوظاً عند قياصرة الروسية وهبه خلفهم الشيوعيون لأمير بخارى بعد أن أخذوا صورته منه بالآلة الشمسية (الفوتوغرافية) ويقال إن الأصل قد قذف إلى الأمير

التي نفذها عثمان إلى الآفاق، مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين؛ وترك عند أهل المدينة مصحفاً. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني؛ معه يقوله. وصحح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف - وهذا غريب - وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق ثلاثاً تختلف قراءات الناس في الآفاق. وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه - قاتلهم الله - وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له. وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلمهم وافقوه

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغندر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال طي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعه. وقال أبو بكر بن أبي داود ثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد، وهذا إسناد صحيح، وقال أيضاً حدثنا إسحق بن إبراهيم الصواف ثنا يحيى بن كثير ثنا ثابت بن عمار الحنفي قال سمعت غنيم بن قيس المازني قال قرأت القرآن على الحرفين جميعاً، والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب للمصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال قلنا له يا أبا العنبر لم؟ قال لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر. وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله حدثني عمران بن حدير عن أبي مجاز قال لولا أن عثمان كتب القرآن لألفت الناس يقرءون الشعر. وحدثنا أحمد بن سنان سمعت ابن مهدي يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستألي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً. وجمعه الناس على المصحف وأما عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقد قال إسرائيل عن أبي إسحق عن خنيس بن مالك قال لما أمر بالمصاحف يعني بتحريقها ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغسل مصحفاً فليغسل فإنه من غل شيئاً جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي فأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ

وقال أبو بكر ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الأعمش عن أبي وائل قال خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: من يغسل يأت بما غل يوم القيامة، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة (١) وإن زيد بن ثابت ليأتى مع الغلمان له ذؤابتان والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخبركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته. قال أبو وائل فلما نزل عن المنبر جلست في الحلقة فما أحد ينكر ما قال. أصل هذا مخرج في الصحيحين وعندهما: ولقد علم أصحاب محمد ﷺ آتى من أعلمهم بكتاب الله وقول أبي وائل فما أحد ينكر ما قال يعني من فضله وحفظه وعلمه والله أعلم. وأما أمره بغل المصاحف وكتابتها فقد أنكره عليه غير واحد. قال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال كنا نعد عبد الله جباناً فما باله يواظب الأمر؟

وقال أبو بكر بن أبي داود: باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالوا ثنا أبو أسامة حدثني زهير حدثني الوليد بن قيس عن عثمان بن حسان العامري عن فلفلة الجعفي قال فزع فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم إننا لم نأتك زائرين ولكننا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد. وهذا الذي استدلل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا تظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه والله أعلم

(١) الغلول: السرقة من الغنائم مراده أن حفظ هذا العدد من السور في مكة وفي أوائل الهجرة قبل أن يرشد زيد ويكتب القرآن وإلا فهو قد كان يحفظ القرآن كله وكتبه ويجوز أن يكون أصله سبعين مرة

وقال أبو بكر أيضا حدثني عمي ثنا أبو رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد قال قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأتم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله ، يقول الرجل والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به (١) فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى يجمع من ذلك شيء كثير ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فنأشدهم : لسمعت (٢) رسول الله ﷺ وهو أملاء عليك ؟ فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ، قال فأبى الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص ؛ قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن ؛ إسناد صحيح

وقال أيضا ثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت ؛ قال فنعثوا إلى الربرة التي في بيت عمر فجاء بها قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخرجه قال محمد فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال لا قال محمد فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله . صحيح أيضا (٣) قلت (٤) الربرة هي الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة رضي الله عنها ؛ فلما جمعها عثمان رضي الله عنه في المصحف ردها إليها ولم يحررها في جملة ما حرره مما سواها لأنها هي بعينها التي كتبها وإنما رتبته (٥) ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها فما زالت عندها حتى ماتت ؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحررها وتناول في ذلك ما تناول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو الهيثم ثنا شعيب عن الزهري أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن المصحف التي كتبت معها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك المصحف فأرسلن بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشقت وقال مروان إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه المصحف يرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب (٦) إسناد صحيح

وأما ما رواه الزهري عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها فقد كره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر وإنما هذا كان حال جمع الصديق المصحف كما جاء مصرحا به في غير هذه الرواية عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، والدليل على ذلك أنه قال فألحقناها في سورتها من المصحف وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية .

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظا على الناس القرآن وجمعاهم لئلا يذهب منه شيء ؛ وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام فإنه عارضه به عامئذ مرتين ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض « وما أرى ذلك إلا لاقترب أجلى » أخرجاه في الصحيحين وقد روى أن عليا رضي الله عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن أبي داود رحمه الله حيث قال ثنا محمد بن إسحاق بن الأحمسي ثنا ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين قال لما توفي النبي ﷺ أقسم على أن لا يرتدى برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه بعد أيام أكرهت إماتني يا أبا الحسن ؟ فقال : لا والله إلا أني أقسمت أن لا يرتدى برداء إلا لجمعة ؛ فباعه ثم رجع . هكذا رواه وفيه انقطاع

- (١) أي ما وجد معه شيء منه إلا جاء به (٢) أي تقسم إنك سمعت الخ
 (٣) الصواب أنه - جمعها في مصاحف متينة تجلد وتبقى وأما ترتيبها فقد كان توقيفياً كله على العرضة الأخيرة تراه في رواية الصحيحين هنا . وما سبق من استثناء الأنفال والتوبة ضعيف كما سبق
 (٤) هذا هو الحق . اللعقول فالمراد من اتلافها سد ذريعة القول والتشكيك كما قلنا

ثم قال لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهولين الحديث وإنما رويوا: حتى أجمع القرآن . يعني أتم حفظه فإنه يقال للذي يجمع (١) القرآن قد جمع القرآن (قلت) وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر والله أعلم فإن عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك (٢) ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال إنها بخط علي رضي الله عنه وفي ذلك نظر فإن في بعضها [كتبه علي بن أبي طالب] (٣) وهذا لحن من الكلام وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيأرواه عنه الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء أخر تمها أبو الأسود بعده ثم أخذ الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه وصار علماء مستقلا وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم التي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرق القصور للعمورة بذكر الله ، وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسةائة ، وقد رأيت كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوى يجبر محكم في رقأظنه من جلود الإبل والله أعلم ، زاده الله تشريفا وتعظيما وتكريما فأما عثمان رضي الله عنه فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وإنما كتبها يزيد بن ثابت في أيامه وغيره فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ثم نفذت إلى الآفاق رضي الله عنه

وقد قال أبو بكر بن أبي داود ثنا علي بن حرب الطائي ثنا قريش بن أنس ثنا سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى بني أسيد قال لما دخل المصريون على عثمان ضربه بالسيف على يده فوقعت على (فسيفكهم الله وهو السميع العليم) فمديده وقال والله إنها لأوليد خبط للفصل . وقال أيضا ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب قال سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي ذهب ، يحتمل أنه سأله عن المصحف الذي كتبه يده (٤) ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة والله أعلم .

(قلت) وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جدا ، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الانبار ، ثم قدم مكة فتزوج الصبياء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل إن أول من تعلمه من الانبار قوم من طيء من قرية هناك يقال لها بقية ، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال سألنا المهاجرين من أين تعلمت الكتابة ؟ قالوا من أهل الانبار

(قلت) والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة للتكوفة ثم هذبها أبو طي بن مقلة الوزير وصار له في ذلك نهج وأسلوب في الكتابة ، ثم قربها على بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراه ، وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تنحج جيدا وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس في ذلك . واعتنى بذلك الامام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله فبوا على ذلك وذكرنا قطعة سالحة هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا

ولهذا نص الإمام مالك على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام . ورخس غيره في ذلك . واختلفوا في الشكل والنقط ، فمن مرخص ومن مانع

- (١) لعل الأصل الذي يحفظ (٢) هذه الاشاعات من وضع الروافض المقتريين ومن غلاتهم من زعم أن في مصحفه عليه السلام زيادات وخلافا وأن المهدي سيظهره ، وهي أكاذيب تتضمن مطاعن شديدة في علي وآل بيته من كتمان ما أنزل الله واستحقاق لعن الله للكاتبين ما أنزل الله ، برأ الله آل بيت رسوله من مقترياتهم ولعن الله مقتريها
- (٣) هذا الغلط يدل على أن الكاتب له أعجمي فالظاهر أنه من زنادقة الفرس كما تراه في حاشية أخرى
- (٤) أي كتبه لنفسه فإن المصاحف التي كتبها الجماعة وقرئت على علماء الصحابة قدوزعت على الأمصار

فأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا . والأولى اتباع السلف الصالح . ثم قال البخارى :

(ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم)^(١)

وأورد فيه من حديث الزهرى ، عن ابن السباق عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نحو ما تقدم في جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) ولم يذكر البخارى أحدا من الكتاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا والله أعلم . وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام

ثم قال البخارى رحمه الله (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعت فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وقد رواه أيضا في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضا عن معمر كلاهما عن الزهرى بنحوه ورواه ابن جرير من حديث الزهرى به ، ثم قال الزهرى بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا في حرام وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الامام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ما حك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أقرأني آية كذا وكذا؟ قال « نعم » وقال الآخر أليس تقرئني آية كذا وكذا؟ قال « نعم » فقال « إن جبريل وميكائيل أتاني فقام جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف »

وقد رواه النسائي من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب بنحوه . وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت .

(١) كتاب جمع كاتب والذي في نسخ البخارى (باب كاتب النبي ﷺ) ويعني به زيد بن ثابت . قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال ابن كثير : ترجم كتاب النبي ﷺ ولم يذكر سوى حديث زيد بن ثابت . . . الخ ثم قال الحافظ إنه لم يقف عليه في شيء من نسخ البخارى إلا بلفظ كاتب وهو مطابق لحديث الباب اه يعني أن البخارى قصد بهذا الباب ذكر زيد بن ثابت وحده [لأنه كان أكثر ما يكتب ولكثرة تعاطيه الكتابة أطلق عليه اسم (الكاتب) بلام العهد] يريد أن ابن كثير اشتشكل ذكره زيدا وحده لأنه أي ابن كثير قل ترجمة الباب بالجمع كتاب وهو ما لم يعرف في نسخ الصحيح . وذكر الحافظ كتاب الوحي بمكة والمدينة ومنه قوله : وعن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخاله وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله ابن الأرقم الزهرى وشرحيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين اه

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد حدثني عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعاً فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فقال لهما النبي ﷺ « اقرأوا - فقرأوا فقال - أصبأ » فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال كبر على ولا إذا كنت في الحاهلية فلما رأى الذي غشيتني ضرب في صدري ففضت عرقاً . وكأنا أنظر إلى الله فرقا ، فقال « يا أبي إن الله أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمي ، فأرسل إلى أن اقرأ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمي ، فأرسل إلى أن اقرأ على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها - قال - قلت اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت خفف عن أمي ، فقال اقرأ على حرفين فقلت رب خفف عن أمي ، فأمرني أن أقرأ على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة ، كلها شاف كاف »

وقال ابن جرير حدثني يونس عن ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك فأنطقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألت من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفنا ما أقرأتني رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما « اقرأ - فقرأ فقال - أحسنت - ثم قال للآخر - اقرأ - فقرأ - فقال - أحسنت » قال أبي فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي فضرب يده في صدري ثم قال « اللهم أخشى . الشيطان عنه ، يا أبي أناني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت رب خفف عن أمي ، ثم أناني الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت رب خفف عن أمي ، ثم أناني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثل ذلك ، ثم أناني الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة - فقال - يا رب اللهم اغفر لأمتي يارب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعاً لأمتي يوم القيامة » إسناد صحيح قلت وهذا الشك الذي حصل لأبي في تلك الساعة هو والله أعلم السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة اعلام وابلغ ودواء لما كان حصل له سورة (لم يكن) إلى آخرها لا شأناً على قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديدية على عمر بن الخطاب وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبي بكر الصديق ، وفيها قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب أن رسول الله كان عند إضاء بنى غفار فأثاء جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على حرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتي لا تطيق ذلك » قال ثم أثاء الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على حرفين قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأياها حرف قرءوا عليه فقد أصابوا وأخرجهم مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به

وفي لفظ لأبي داود عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إني أقرئت القرآن فقيل لي طي حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي قل طي حرفين فقيل لي طي حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي قل طي ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت ميمعا عليا عزيزاً حكيماً ما لم تخط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب » وقد روى ثابت بن قاسم نحوه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحوه ذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار الراق قال رسول الله ﷺ لجبريل « إني بعثت إلى أمة أميين ، فيهم الشيخ العاسي والعجوز الكبيرة والغلام ، فقال مرهم فليقرءوا القرآن طي سبعة أحرف » وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عند أحجار الراق فذكر الحديث والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال « لقيت جبريل عند أحجار الراق فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية ، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العاسي الذي لم يقرأ كتاباً قط ، فقال إن القرآن أنزل طي سبعة أحرف » وقال أحمد أيضاً ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ربي بن خراش ؛ قال حدثني من لم يكذبني - حذيفة - قال لقي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار الراق فقال إن أمتك يقرءون القرآن طي سبعة أحرف . فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن إن من أمتك الضعيف فمن قرأ طي حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه . هذا إسناد صحيح ولم يخرجه

(حديث آخر) في معناه عن سليمان بن صرد ، قال ابن جرير ثنا إسماعيل بن موسى السدي ثنا شريك عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد يرفعه قال « أنا في ملكان فقال أحدهما اقرأ ، قال طي كم ؟ قال طي حرف ، قال زده حتى انتهى إلى سبعة أحرف »

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد قال أتى أبي بن كعب رسول الله ﷺ برجلين مختلفين في القراءة فذكر الحديث ، وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد عن أبي أنه أتى النبي ﷺ برجلين فذكره

وقال ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن فلان العبدى - قال ابن جرير ذهب عنى اسمه - عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب ، قال رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ ، فقلت من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت استقرئ هذا ، قال فقرأ فقال « أحسنت » قال قلت إنك أقرأني كذا وكذا فقال « وأنت قد أحسنت قد أحسنت قد أحسنت » قال فضرب بيده طي صدرى ثم قال « اللهم أذهب عن أبي الشك » قال ففضت عرقاً ، وامتلاً جوفى فرقاً ، قال : ثم قال « إن الملكين أتياي ، فقال أحدهما اقرأ القرآن طي حرف ، وقال الآخر زده ، قال قلت زدني فقال اقرأ طي حرفين حتى بلغ سبعة أحرف اقرأ طي سبعة أحرف »

وقد رواه أبو عبيد عن حجاج عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سدير العبدى عن سليمان بن صرد ، عن أبي عن النبي ﷺ بنحو ذلك . ورواه أبو داود عن الوليد الطيالسي عن هام عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب بنحوه . فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الحراعى شاهد ذلك والله أعلم .

﴿ حديث آخر عن أبي بكرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده قال اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ما لم تخطم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة به وزاد في آخره « كقولك هلم وتعال »

﴿ حديث آخر عن سمرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا بهز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر عن أبي هريرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف ، مرأه في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما علمت منه فاعملوا ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به ﴿ حديث آخر عن أم أيوب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عبيد الله - هو ابن أبي يزيد - عن أبيه عن أم أيوب - يعني امرأة أبي أيوب - الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاءك » وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة

﴿ حديث آخر عن أبي جهم ﴾ قال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي - وقال غيره عن بسر بن سعيد - عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا فإن مرأه فيه كفر » وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب فقال حدثنا أبو سلمة الخزازي ثنا سليمان بن بلال حدثني يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثني أبو جهم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ فقال « القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن مرأه في القرآن كفر » وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه

ثم قال أبو عبيد : ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن المهدي عن محمد بن إبراهيم عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال عمرو - يعني ابن العاص - إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل فقال الرجل هكذا أقرأها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكر ذلك له فقال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأى ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا في القرآن فإن مرأه فيه كفر » ورواه الإمام أحمد عن أبي سلمة الخزازي عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن عخرمة عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن المهدي عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه وفيه « فإن المرأه فيه كفر إنه الكفر به » وهذا أيضاً جيد

﴿ حديث آخر عن ابن مسعود ﴾ قال ابن جرير ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وأفعلوا ما أمرتم به ، واتّهموا عما نهيتهم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به ، كل من عند ربنا » ثم رواه عن أبي كريب عن الحارثي عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه والله أعلم ﴿ فصل ﴾ قال أبو عبيد قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان عن حماد

ابن سلمة عن قتادة عن الحسن عن ممرة بن جندب عن النبي ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف » قال أبو عبيد ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض وذلك بين في أحاديث ترى

قال وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجم من هوازن ، قال أبو عبيد والمجرم بنو أسعد بن بكر وخيثم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم ، ولهذا قال عمر : لا يعلو في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف قال ابن جرير والفتان الآخرتان قريش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس ولكن بلغة

قال أبو عبيد ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشده فيه الشعر قال أبو عبيد يعني أنه كان يستشهد به على التفسير ، وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد أومجاهد عن ابن عباس في قوله (والليل وما وسق) قال وما جمع وأنشد

• قد اتسقن لو يجدن سائقا •

حدثنا هشيم أنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال الأرض قال وقال ابن عباس قال أمية بن أبي الصلت : (١)

• عندهم لحم بحر ولحم ساهرة •

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض ؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بحر فقال أحدهما أنا فطرتهما ، أنا ابتدأتها ، إسناد جيد أيضاً

وقال الامام أبو جعفر بن جرير أنسبى رحمه الله بعد ما أورد طرفاً مما تقدم : وصح وثبت ان الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع إذ كان معلوماً ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه . ثم قال وما برهانك على ما قلته دون ان يكون معناه ما قاله مخالفوك من انه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الأمة وخيار الأئمة ؟ قيل له إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت انهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفاً ، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم . يعني كما تقدم في رواية أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة . ثم بسط القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف .

ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم . جمعهم على حرف واحد وهو هذا المصحف الإمام . قال واستوسقت له الأمة على ذلك ؛ بل أطاعت ورائت أن فيها فعله الرشيد والهداية ، وترك القراءة بالأحرف الستة . التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ،

(١) الشاهد الذي هنا ليس مصرعاً موزوناً . وفي لسان العرب انه فسر الساهرة بالأرض وأنشد :

وفيه لحم ساهرة وبحر • وما فاهوا به أبداً مقيم

ونظراً منها لأنفسها ولن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانفتت آثارها . فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ، لدثورها وعفو آثارها - إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته وكيف جازلهم ترك قراءة أقرأ هموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل إن أمره بإمام بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العمل^(١) بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين - إلى أن قال - فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فعن معنى قول النبي ﷺ « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » بمعزل ، لأن المراء في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب ﷺ بالمراء في الأحرف السبعة الكفر كما تقدم^(٢)

(الحديث الثاني)

قال البخارى رحمه الله ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن السور بن محزمة وعبد الرحمن بن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكذت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبسته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأني رسول الله ﷺ فقلت كذبت فان رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها ، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال ﷺ « كذلك أنزلت » ثم قال « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذلك أنزلت ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » وقد رواه الإمام أحمد والبخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري ، ورواه الإمام أحمد أيضاً عن ابن مهدي عن مالك عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد (القارى) عن عمر فذكر الحديث بنحوه

وقد قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا حرب بن ثابت ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر فغير عليه ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير على ، قال فاجتمعا عند النبي ﷺ فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له « قد أحسنت » قال فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « يا عمر إن القرآن كله صواب مالم يجعل عذاب مغفرة ، ومغفرة عذاب »^(٣) وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكتفى بأبي ثابت لا نعرف أحداً جرحه

(أقوال العلماء في معنى السبعة الأحرف^(٤))

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال ؟ قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصارى القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة

(١) في نسخة طبعة الحشاش لتفسيره : العلم (٢) اختصر هذا الجواب وأورده بالمعنى لا بلفظه .

(٣) كذا في الأصل (٤) العنوان ليس من الأصل

وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي ونحن نذكر منها خمسة أقوال ﴿قلت﴾ ثم سردها القرطبي وحاصلها ما أنا موره ملخصاً

﴿فالأول﴾ وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبد الله بن رهب وأبو جعفر محمد بن جرير والطحاوي أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة باللفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم . وقال الطحاوي وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكر قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل استزده . حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

وروى ورقاء عن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) : للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا ، وكان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : مروا فيه ، سوا فيه (١) قال الطحاوي وغيره وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، وقد ادعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة في أول الأمر ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة .

﴿قلت﴾ وقال بعضهم إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين للأمور باتباعهم . وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضاً . فرتب لهم للمصاحف الأئمة على العرصة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لا يقرءوا بغيرها . وأن لا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم فيها سعة . ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال فلو أنا أمضينا عليهم ، وأمضاه عليهم . وكذلك كانت ينهى عن التعة في أشهر الحج لثلاث قطع زيارة البيت في غير أشهر الحج . وقد كان أبو موسى يبيح التمتع فتركه فتيه اتباعاً لأمر المؤمنين ، وميماً وطاعة للأئمة المهديين .

﴿القول الثاني﴾ أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف ولكن وبعضه على حرف وبعضه على حرف آخر ، قال الخطابي وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما في قوله (وعبد الطاغوت) و (يرتع ويلعب) قال القرطبي ذهب إلى هذا القول أبو عبيد واختاره ابن عطية ، قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعد به من بعض ، وقال القاضي الباقلاني : ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أي معظمه ، ولم يبق دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى (قرأنا عريباً) ولم يقل قرشياً ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً ، يعني حجازها ويمها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال لأن لغة غير قريش موجودة في صحيح القراءات كتحقيق المميزات فإن قريشاً لا تهمز ، وقال ابن عطية : قال ابن عباس ما كنت أدري معنى (فاطر السموات والأرض) حتى سمعت أعرابياً يقول لبئر ابتداء حفرها : أنا فطرتها

﴿القول الثالث﴾ أن لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصة لقول عثمان أن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب ، كما ينطق به الحديث في سنن ابن ماجه وغيره

(١) ويرى بعض العلماء أن بعضهم كان يقول مثل هذا تفسيراً فظنه بعض الرواة قرآناً .

﴿ القول الرابع ﴾ وحكاية الباقلاني عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء . منها ما لا تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه ، مثل (ويضيق صدرى) ويضيق^(١) ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه ، مثل (فقالوا ربنا باعد - وباعد - (٢) بين أسفارنا) وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف ، مثل ننشرها وننشرها (٣) أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل (كالعن النفوش - أو - كالصوف النفوش (٤)) أو باختلاف الكلمة واختلاف المعنى ، مثل (وطلح منضود - وطلع منضود (٥)) أو بالتقدم والتأخر : مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق - أو - سكرة الحق بالموت (٦)) أو بالزيادة ، مثل (تسع وتسعون نعمة - أثني (٧) - وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين - فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم)

﴿ القول الخامس ﴾ أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن ، وهي أمر ، ونهى ووعد ، ووعد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال ، قال ابن عطية وهذا ضعيف ، لأن هذه لا تسمى حروفاً وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها

﴿ فصل ﴾

قال القرطبي : قال كثير من علمائنا كالمداوني وابن أبي صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان للصحف ، ذكره ابن النحاس وغيره ، قال القرطبي وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها . وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسن وأولى عنده ، قال وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما روه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات ، واستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب . قال البخاري رحمه الله :

﴿ تأليف القرآن ﴾^(٨)

حدثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبرني (٩) يوسف بن ماهك قال إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير ؟ قالت: ويحك ما يضرك ؟ قال يا أم المؤمنين أريني مصحفك ، فقالت لم ؟ قال لعل أولف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل ؟ إنما

(١) ويضيق بالرفع قراءة الجمهور وبالنصب قراءة يعقوب على أنه عطف على « يكذبون » قبله
(٢) باعد بصيغة الطلب والدعاء قراءة الجمهور ، وباعد بالفعل الماضي قراءة يعقوب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (بعد) من التبديد والكلمة في المصحف بغير ألف فتحتمل القراءتين المشهورتين

(٣) الأولى بالزاي والثانية بالراء وهما قراءتان سبعيتان
(٤) العهن هو الصوف مطلقاً أو المصبوغ والقراءة به غير متواترة والأرجح في مثلها أنها تفسير .
(٥) قراءة (طلع) بالمعين شاذة لا يثبت بها القرآن وتخالف رسم المصحف الإمام (٦) الثانية شاذة فهي كالتى قبلها

(٧) زيادة أثني شاذة فهي تفسير لبيان الواقع فإن النجعة أثني الضأن ويقال مثله في الثلاثين بعده
(٨) حذف لفظ باب كعادته (٩) في البخاري « وأخبرني » قال الحافظ في الفتح : كذا عندهم (أي رواية البخاري)

وما عرفت ماذا عطف عليه ثم رأيت الواو ساقطة في رواية النسفي وكذا ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث اه
يعنى أنها ذكرت عند سائر الرواة سهواً .

نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء نزل : لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تنزونا لقالوا لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آتى السور

والمراد من التأليف ههنا (١) ترتيب سورته ، وهذا العراقي سأل أولاً عن أى الكفن خير أو أفضل فأخبرته عائشة رضى الله عنها ان هذا مما لا ينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تكلفاً لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتفتت في الأسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ ۱۱ ولهذا لم يتبالح مع عائشة رضى الله عنها في الكلام لثلا يظن أن ذلك أمر مهم ، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث حمزة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فانها أطهر وأطيب » وصححه الترمذى من الوجهين ، وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بياض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجنائز . ثم سألتها عن ترتيب القرآن ، فانتقل إلى سؤال كبير وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أى مرتب السور ، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام به والله أعلم ، ولهذا أخبرته إنه لا يضرك بأى سورة بدأت وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يجهل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد (٢) ثم لما اتفاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولاً فأولاً ، وهذا من حكمة الله ورحمته ، ومعنى هذا الكلام ان هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداية بها في أوائل المصاحف مع أنها من أول ما نزلت ، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك ، ولهذا لم ترخص له في ذلك ، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه آتى السور والله أعلم ، وقول عائشة لا يضرك بأى سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو آخر (٣) كما دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الرد أنه قال : فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات ، وغير الحروف والآيات ، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضى الله عنه فإنه مرتب على هذا النحو المشهور والظاهر أن ترتيب السور منه ما هو راجع إلى رأى عثمان رضى الله عنه وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول برائة وذكره الأنفال من الطول ، والحديث في الترمذى وغيره بإسناد جيد قوى (٤)

- (١) هذا كلام المؤلف ابن كثير في بيان معنى رواية البخارى هذه
- (٢) الأولى ان يكون مرادها سورة المدثر فانها أول سورة أنزلت بالأمر بالتبليغ وفيها ذكر الجنة والنار وإنما كان نزل قبلها خمس آيات من سورة العلق لا كلها وليس فيها أمر بالتبليغ
- (٣) كذا في الأصل وقد سقط منه جواب لو والمراد أنه لو قدم أو آخر في الصلاة لا يكره
- (٤) الصواب ما قدمنا في حاشية أخرى (ص ١٨) من أنه لا يحتاج به ولا سيما في مثل موضوعه وأن ترتيب السور توقيفي في المصحف ولكنه لا يجب في الصلاة

وقد ذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله (١) ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان (اقرأ باسم ربك الأكرم) وأول مصحف ابن مسعود (مالك يوم الدين) ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف ، وأول مصحف أبي (الحمد لله) ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد (٢) ثم قال القاضي ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة ، قال : فأما ترتيب الآيات والبسمة في الأوائل فهو من النبي ﷺ . وقال ابن وهب في طائفة : سمعت سليمان بن بلال يقول سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال قدمتا وألف القرآن على علم بمن أله ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك فهذا ما يتنهي إليه ولا يسئل عنه ، قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ قال أبو الحسن بن بطلال إنا نجد تأليف سورة في الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحداً قال إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه وإنه لا يعمل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف ، ألا ترى إلى قول عائشة لا يضرك أية قرأت قبل ؟ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها ، قال : وأما ما روى عن ابن مسعود وابن عمر انهما كرهما أن يقرأ القرآن منكوسا وقالا إنما ذلك منكوس القلب ، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدىء بآخرها إلى أولها فإن ذلك حرام محظور (٣)

(ثم قال البخاري) : ثنا آدم عن شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهم من العتاق الأول وهن من تлады . انفراد بإخراجه البخاري ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العمانية ، وقوله من العتاق الأول أي من قديم ما نزل ، وقوله وهن من تлады أي من قديم ما كتبت وحفظت ، والثالث في لغتهم قديم المال والنتاع ، والطارف حديثه وجديده ، والله أعلم حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنا أبو إسحق مع البراء بن عازب رضي الله عنه يقول : تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يقدم النبي ﷺ وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة . والمراد منه أن (سبح اسم ربك الأعلى) سورة مكية نزلت قبل الهجرة والله أعلم (ثم قال) : ثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن شقيق قال : قال عبد الله : لقد علمت النظائر (٤) التي كان النبي ﷺ يقرأهن اثنين اثنين في كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسأله فقال : عشرون سورة من أول الفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون (٥)

(١) إن صح هذا وما أراد يصح عنه فالمراد به ترتيب السور بعد تمام كل منها من مكى ومدنى لا الآيات قبل تمام سورها (٢) المراد من قوله في أول مصحف ابن مسعود وأبي واحد وهو سورة الفاتحة فذكر كل راو آية منها وإلا كان قولاً باطلاً بدليل الاجماع على أن الفاتحة هي التي ابتدوا بها جميع المصاحف وهو المراد من اسمها ، وأما اختلافهم في ترتيب السور في مصاحفهم الشخصية فقد يكون بعض الروايات فيه من الدسائس ، وقد يكون سببه أن بعضهم يكل عند جمع سورة مما كانت متفرقة فيه من عظام الأكتاف والخاف وغيرها قبل كمال سورة أخرى يعلم أنها نزلت قبلها فيقدمها كتقديم أبي لآل عمران المدنية بالاجماع على الأنعام للكية بالاجماع (٣) ومثله قراءة الحنطة منكوسة وإنما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءته كله ، وفرق بينه وبين قراءة بعضه في الصلاة أو للوعظ فإنه يتخير فيه

(٤) وفي رواية لعلت . والمراد بالنظائر السور المتشابهة في معانيها كالحواميم والفصل

(٥) هذه رواية أبي ذر للصحيح وسقط من غيرها ذكر حم الدخان وعم يتساءلون

هذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضي الله عنه ، فان الفصل في مصحف عثمان رضي الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ فذكر حديثا فيه أن النبي ﷺ كان يمر معهم بعد العشاء فكثرت عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء ، قال : قلنا ما أمكنك عنا يا رسول الله ؟ قال « طرأ على حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » قال فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال قلنا كيف تمزبون القرآن ؟ قالوا نخرجه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة ، وحزب للفصل من (ق) حتى يختم . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي به وهذا إسناد حسن

(فصل)

فأما نقط المصحف وشكله فيقال إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلوا ذلك ، ويقال إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي ، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحف قد قطعه له يحيى بن يعمر والله أعلم وأما كتابة الأعشار على الحواشي ، فينسب إلى الحجاج أيضا وقيل بل أول من فعله للآمون ، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكمه وكره مجاهد ذلك أيضا وقال مالك لا بأس به بالحبر . فأما بالالوان للصبغة فلا . وأكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسا^(١) وقال قتادة : بدأوا فتقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وقال يحيى بن كثير أول ما أحدثوا النقط وقال هو نور له ثم أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم أحدثوا الفواحي والحواشي ، ورأى إبراهيم النخعي فأنه سورة كذا فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود لا تخطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال أبو عمرو : الداني : ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها .

(معارضة جبريل النبي ﷺ القرآن^(٢))

ثم قال البخاري رحمه الله : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، قال مسروق عن قاطمة عن عائشة أسر^(٣) إلى رسول الله ﷺ « إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضرا جلي » هكذا ذكره معلقا ، وقد أسنده في مواضع آخر ، ثم قال ثنا يحيى بن قزعة ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . وهذا الحديث متفق عليه وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد والله أعلم ثم قال ثنا خالد بن يزيد ثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف كل عام عشرين أو عشرين في العام الذي قبض

(١) ومثل هذا قوله بوجوب اتباع رسم الصحابة في المصاحف التي تكتب للتلاوة وإباحة الرسم المستحدث في مصاحف التعليم فقط لتسهيله . وغرضه أن مصاحف التلاوة يجب أن تكون كالمصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة حفظا للأصل . وكلامه هنا يدل على أن التابعين ومن بعدهم أنبتوا عدداً آيات بالارقام في مصاحفهم لأنها لا تقتضي اشتباهاً في اللفظ ولا في المعنى ، ووضعها في كتب التفسير أولى لأنه يساعد على المراجعة والفهم

(٢) في البخاري : باب كان جبريل الخ فترك المصنف كلمة باب كعادته

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عياش - عن أبي حصين واسمه عثمان بن عاصم به ، والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليقى ما بقي ويذهب ما نسخ وتوكيدا واستبجانا وحفظا . ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرصة الأخيرة رضى الله عنه وأرضاه وخص بذلك رمضان من بين الشهور لأن ابتداء الإجماع كان فيه . ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثرة اجتهاد الأئمة في تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك

(القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)^(١)

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال لا أزال أحبه ممعت النبي ﷺ يقول « خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب رضي الله عنهم »

وقد أخرجه البخاري في اللئاقب في غير موضع ومسلم والنسائي من حديث الأعمش عن أبي وائل عن مسروق به . فهؤلاء أربعة : اثنان من المهاجرين الأولين : عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد كان سالم هذام من سادات المسلمين وكانت يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ المدينة ، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين

ثم قال : حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة^(٢) والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادا يقول غير ذلك .

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا بمحضر فقرا ابن مسعود عورة يوسف فقال رجل ما هكذا أنزلت ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ (٣) فقال « أحسنت » ووجد منه ربح الحمر فقال أتجترأ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الحمر ؟ فجلده الحد .

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ؟ ولوأعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وهذا كله حق وصدق (٤) وهو من اخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجمله غيره فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله ﷺ « استقرئوا القرآن من أربعة » فبدأ به . وقال أبو عبيد ثمامة مصعب بن المقدام عن سفيان عن

(١) الذي في صحيح البخاري : باب القراء من أصحاب النبي ﷺ

(٢) قال الحافظ في شرحه من الفتح : زاد عاصم عن بدر عن عبد الله . وأخذت بقية المصحف عن أصحابه

(٣) وفي رواية مسلم . والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ ، وفيها فينا أنا أكله إذ وجدت منه ربح الحمر الخ

(٤) قوله : وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخاري .

الأعمش عن إبراهيم عن عمر عن النبي ﷺ « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية عن الأعمش به مطولاً وفيه قصة ، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدارقطني وقد ذكرته في مسند عمر ، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وابن أم عبد ، هو عبد الله بن مسعود كان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري : ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ قال أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، ورواه مسلم من حديث همام . ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك حدثنا معلى بن أسد ثنا عبد الله بن المثنى ثنا ثابت وثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً ولعل مراده لم يجمع القرآن من الأنصار ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد وكلهم مشهورون ، إلا أبا زيد هذا فانه غير معروف إلا في هذا الحديث وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي واسمه قيس بن السكن بن قيس بن ذعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وقال ابن نمير اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس ، وقيل هما اثنان جمعا القرآن حكاه أبو عمر بن عبد البر وهذا بعيد ، وقول الواقدي أصح لأنه خزرجي لأن أنسا قال نحن ورثناه وهم من الخزرج وفي بعض الألفاظ : وكان أحد عمومي ، وقال قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل لللائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمله الدبر عاصم بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين خزيم بن ثابت ، فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي ، وقد شهد أبو زيد هذا بديراً فما ذكره غير واحد ، وقال موسى بن عقبة عن الزهري : قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة .

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار مع أنه قال « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » فلو أنه كان أقرأهم لكتاب لما قدمه عليهم . هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن على ابن إسماعيل الأشعري ، وهذا التقرير لا يدفع ولا يشك فيه ، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً ، وقد بسطت تقرير ذلك في مسند الشيخين رضي الله عنهما .

ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنده ، وعلى بن أبي طالب يقال إنه جمعه على ترتيب ما أنزل وقد قدمنا هذا .

ومنهم عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما أنزلت ، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبليغه للطلبي لذهبت إليه

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة كان من السادات النجباء ، والأئمة النقباء ، وقد قتل يوم البجعة شهيداً .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول وترجمان القرآن ، قد تقدم عن مجاهد أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أحقه عند كل آية وأسأله عنها .

ومنه عبد الله بن عمرو كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن يحيى ابن حكيم بن صفوان ، عن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « اقرأه في شهر » وذكر تمام الحديث (١) .

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم عنوا بالتماس وجه لصحته تبعاً للصحة سنداً وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح ما قاله المحققون من الأجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات مانعه :

وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة (أحدها) أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه (ثانيها) المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك (ثالثها) لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثاني (رابعها) أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة (خامسها) أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفي حال غيرهم ممن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر في نفس الأمر كذلك أو يكون السبب في خفائهم أنهم خانوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره (سادسها) المراد بالجمع الكتابة فلا يفي أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلب ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب (سابعها) المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين (ثامنها) أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه .

وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهد به أن رجلاً أتى أبا الهرداء فقال إن ابني جمع القرآن فقال اللهم غفرأ إنما جمع القرآن من سمعه وأطاع ، وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخروج دون الأوس فقط فلا يفي ذلك عن غير القيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم ، ويحتمل أن يقال إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا ينبغي بعده

والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ فقد تقدم في البحث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية ، وقد صحح مسلم حديث يوم القوم أقرؤم لكتاب الله وتقدمت الإشارة إليه وتقدم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرؤم وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ

وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال « اقرأه في شهر » الحديث وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين ، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي ﷺ فصد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادة ، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء إنما أكله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس وعداً بن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة وجمبع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني وعد بعض التأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اه .

ثم قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل ، أنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر : على أفضانا ، وأبى أقرؤنا ، وإنا لنلع من لحن أبى . وأبى يقول أخذته من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء ، قال الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا يدل على ان الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صوابا وهو خطأ فى نفس الأمر ولهذا قال الإمام مالك : مامن أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر . أى فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر البخارى فضل فائحة الكتاب وغيرها وذكرنا فى تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال

(نزول السكينة والملائكة عند القراءة)^(١)

وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت القرس فسكت فسكنت ، ققرأ فجالت القرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت القرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن يصيبه ، فلما اجتريه^(٢) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها^(٣) فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسى وانصرفت اليه فرفعت رأسى إلى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصاييح فخرجت حتى لأراها ، قال « وتدرى ماذا ؟ » قال لا ، قال « تلك الملائكة ذنت لصوتك ، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم » قال ابن الهاد وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى عن أسيد بن الحضير^(٤)

هكذا أورد البخارى هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع فى الرواية الأولى فان محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى الذى تابعى صغير لم يدرك أسيدا لأنه مات سنة عشرين وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث إنه قال : وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد ، ولم أره بسند متصل عن الليث بذلك إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى الأطراف أن يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك

وقد رواه الإمام أبو عبيد فى فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أسيد بن حضير فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال : قال ابن الهاد وحدثني عبد الله بن خباب عن أبى سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائى فى فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب بن الليث وعن طلى بن محمد بن طلى عن داود بن منصور كلاهما عن الليث عن خاله بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن يزيد بن عبد الله - وهو ابن الهاد - عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد عن أسيد به ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضا فجمع بين الإسنادين ، ورواه فى المناقب عن أحمد بن سعيد الراباطى عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد أن أسيد بن حضير بينا هو ليلة يقرأ فى مرابه الحديث ولم يقل عن أسيد ولكن ظاهره أنه عنه والله أعلم وقال أبو عبيد حدثني عبد الله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته ، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه

(١) فى البخارى باب نزول النخ

(٢) أى فلما جر أسيد ابنه يحيى من ذلك المكان وفى رواية أخرى

(٣) ذكر الحافظ أن فيه اختصارا أصله كما رواه أبو عبيد . رفع رأسه إلى السماء فاذا هو بمثل الظلة فيها أمثال

المصاييح عرجت إلى السماء حتى ما يراها وفى صحيح البخارى أشياء لهذا الحذف سببه أن بعض الرواة يختصر الرواية للعلم بما يتركه منها فيقتصر البخارى على لفظه وإن لم يفهمه من لم يعرف أصله كاملا وفى بقية هذه الرواية هنا مثل لما حذف منها

(٤) جاء فى نسخة هذا الكتاب اسم حضير فى أول هذا الحديث وآخره محلى بالألف واللام خلافا لما فى نسخ البخارى

وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير قال : قلت يا رسول الله بينا أنا أقرأ الباردة بسورة فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلقي حتى ظننت أن قرسي تطلق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين قال فالتفت فرأيت إلى أمثال الصاييح ما بين السماء والأرض فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » فقال والله ما استطعت أن أمضي فقال « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب » وقال أبو داود الطيالسي : ثنا شعبة عن أبي إسحق مع البراء يقول : بينا رجل يقرأ سورة الكهف ليله : رأى دابته تركض - أو قال فرسه يركض - فنظر فإذا مثل الصبابة أو مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن - أو تنزلت على القرآن - » وقد أخرجه صاحبنا الصحيح من حديث شعبة

والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضى الله عنه فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد وهذا من أغرب تعليقات البخارى رحمه الله ، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة ، وقد اتفق نحو هذا الذى وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس ؟ لم تزل داره الباردة تزهو مصاييح قال « فاعله قرأ سورة البقرة » قال فسئل ثابت . فقال قرأت سورة البقرة

وفى الحديث المشهور الصحيح « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكروا الله فيمن عنده » رواه مسلم عن أبي هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء فى بعض التفسير أن الملائكة تشهده وقد جاء فى الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج إليهم الذين نزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

(من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين ^(١))

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد بن معقل أترك النبي ﷺ من شئ ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين ثم رد به البخارى ومعناه أنه عليه السلام ما ترك ما لا ولا شيئا يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا

وفى حديث أبي الدرداء « إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعنى القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة أى تابعة له والقصود الأعظم كتاب الله تعالى كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

فالأنبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ « ما تركنا فهو صدقة » وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك وواقفه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلى والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يقوله أيضا عنه عليه السلام رضى الله عنهم أجمعين

(١) فى صحيح البخارى زيادة باب كما تقدم فى نظائره . والدفتان بالتشديد اللوحان والمراد ما بين جانبي المصحف

﴿ فضل القرآن على سائر الكلام ﴾^(١)

حدثنا هدية بن خالد أبو خالد ثنا همام ثنا أنس بن مالك عن أبي موسى رضى الله عنهما عن النبي ﷺ «مثل الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها» وهكذا رواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعندما فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر

﴿ثم قال﴾ ثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إنا أجلكم فى أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عملاً فقال من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، فقال من يعمل لى من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال هل ظلمتكم من حاكم شيئاً؟ قالوا لا، قال فذاك فضلى أوتيه من شئت»

فرد به من هذا الوجه ومناسبته لترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم للماضية مع طول مدتها كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفى السند والسنان عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «أتم توفون سبعين أمة، أتم خيرها وأكرمها على الله»

وإنما فازوا بهذا بركة الكتاب العظيم القرآن الذى شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له، لأن كل الكتب للتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه فكل مرة كنزول كتاب من الكتب للتقدمة^(٢)

وأعظم الأمم للتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة وهو الشبه بآخر النهار، وأعطى المتقدمين قيراطاً قيراطاً، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفى ما أعطى أولئك فقالوا أى ربنا مالنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ فقال هل ظلمتكم من أكرمكم شيئاً؟ قالوا لا قال فذاك فضلى - أى الزائد على ما أعطيتكم أوتيه من أشياء، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفرركم والله غفور رحيم) • • • • • لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(١) فى أصل صحيح البخارى زيادة باب كما تقدم فى أمثاله وإنما نعيد ذكره لتنبیه الجمهور إلى النقل عن البخارى .

(٢) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فضله عليها ذاتي له بلفظه وأسلوبه وبمعانيه وقد كان بهما معجزاً الخلق ومكملاً للدين الالهى فيهم وبغير ذلك من خصائصه . وأهل الكتاب لا يسلمون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوسايا التي كتبها الله له فى الألواح، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لفرعون وقومه ولبنى إسرائيل فكان تدريجياً

(الوصاة بكتاب الله)

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن مغول ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل .

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به ، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ماترك لإمامين الدفتين . وذلك ان الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) وأما هو عليه السلام فلم يترك شيئاً يورث عنه ، وأما ترك ماله صدقة جارية من بعده فلم يحتج إلى وصية في ذلك ، ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماءاته إلى الصديق ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك قال « يا أي الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله ^(١)

(من لم يتغن بالقرآن)

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن » وقال صاحب له يريد بجهر به فرد من هذا الوجه ، ثم رواه عن علي بن عبد الله بن اللدني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال سفيان : تفسيره يستغنى به

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، ومعناه ان الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسها وذلك انه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكامل خلقهم وتمام الحشية وذلك هو الغاية في ذلك ، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضى الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تمهلون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كادل عليه هذا الحديث العظيم ^(٢) ومنهم من فسر الاذن ههنا بالأمر والأول أولى لقوله « ما أذن الله لشيء » ، ما أذن لنبي يتغن بالقرآن « أى يجهر به والأذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قال تعالى (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ماقبها وتخلت * وأذنت لربها وحقت) أى استمعت لربها وحقت أى وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه ، فالأذن ههنا هو الاستماع . ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله عليه السلام « الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »

وقول سفيان بن عيينة إن المراد بالتغن يستغنى به ، فان أراد انه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذى

(١) أى باب الوصاة وفي نسخة من البخارى الوصية

(٢) وأوصى عليه السلام أيضاً بالنساء وبالرفيق وباخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان

(٣) حذف منه كلمة باب (٤) المراد بالأذن أى السمع في الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله في ذكر الاعتدال

من الركوع [سمع الله لمن حمده] وفعله من باب تعب وفرح

تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاص الظاهر من مراد الحديث لأنه قد فسر بعض رواة بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرمة ممعت ابن عيينة يقول معناه يستغنى به فقال لي الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغنى ، إنما هو يتحزن ويترنم به . قال حرمة وممعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل الزنى والربيع عن الشافعي رحمه الله

وطى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لان هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية ، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك أنزلنا القرآن عليك وأنت رجل أمي ؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تراتب للبطون) أى وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التفتي بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

(فصل)

(في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات)

قال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن قباث بن رزين عن طى بن رباح اللخمي عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في المسجد تدارس القرآن قال « تعلموا كتاب الله واقتنوه - قال وحسبت أنه قال وتغنوا به - فوالله نفسى بيده لهو أشد ثقلنا من الخاض من العقل »

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن طى عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال « واقتنوه وتغنوا به » ولم يشك . وهكذا رواه النسائي في كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن طى عن أبيه به ، ومن حديث عبد الله ابن المبارك عن قباث بن رزين عن طى بن رباح عن عقبة ، وفي بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث ففيه دلالة على السلام على القارىء

وقال أبو عبيد ثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن المهاجر بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آتاء الليل والنهار وتغنوه وتغنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون » وهذا مرسل ، ثم قال أبو عبيد : قوله « تغنوه » أى اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الأقلال معه ققرأ : وقوله « وتغنوه » يقول اقتنوه كما تقتنوا الأموال اجعلوه مالمكم

وقال أبو عبيد حدثني هشام بن عمار عن طى بن حمزة عن الأوزاعي قال حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال « الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول عن إسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة . وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبي راشد عن الوليد عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبي ﷺ « الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد يعنى الاستماع ، وقوله في الحديث الآخر « ما أذن الله لشيء » أى ما استمع

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مليكة حدثنا

(١) لتصدير الباب بالآية على التقدير الثاني وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخارى وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره باطلاق يدخل فيه كل ما يناسبه ، وذكرنا من أسباب نزول الآية ما أخرجه الطبري من مجيء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما مسموع من أهل الكتاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كفى ب قوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » فنزلت الآية

القاسم بن محمد حدثني السائب قال : قال لي سعد يا ابن أخي هل قرأت القرآن ؟ قلت نعم ، قال غن به فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « غنوا بالقرآن ، ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا فان لم تقدرُوا على البكاء فنبأ كوا »

وقد روى أبو داود من حديث الليث عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فنبأ كوا ، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا » وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه والله أعلم

وقال أبو داود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث البيت رث الهيئة فانتسبنا له فقال : تبارك كسبة فسمعتة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرايت إذا لم يكن حسن الصوت ، قال يحسنه ما استطاع . فترد به أبو داود ، فقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم إنما فهموا من التغن بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتخزينه كما قاله الأئمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا إسناد جيد . وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا . ونقل الأزدى عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمدهونه

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » قال أبو عبيد وإنما كره أيوب فيأمرني أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الألحان المبتدعة ، فلهذا نهى أن يحدث به ﴿ قلت ﴾ ثم إن شعبة رحمه الله ، روى الحديث متوكلا على الله كما روى له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير حاملها الشرعية المرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريه وتخزينه والتخضع به كما رواه الحافظ الكبير تقي بن مخلد رحمه الله حيث قال : ثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي موسى عن أبيه قال : قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة » قلت أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرت لك تحميرا . ورواه مسلم من حديث طلحة به . وزاد « لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود » وسيأتي هذا في باب حيث يذكره البخاري . والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحميرا ، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطى صوتا حسنا كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد : ثنا ساجان التميمي أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدي قال كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنيح قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان اللدني ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجعفي يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام فقامت معه حتى أستمع له ثم التفت إلي فقال « هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا » إسناد جيد .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ، وفي بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) خلت أن فؤادي قد انصدع (١) وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته في الشريك المصطفى الكفر ، فكان هذا سبب هدايته ، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشام الله . وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشام الله ، وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن ؟ فقال « الذي إذا سمعته رؤيته يخشى الله » (٢)

وقد روى هذا متصلاً من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضرير ثنا عبد الله بن جعفر المدني ثنا إبراهيم بن إسماعيل عن مجمع عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » ولكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد علي بن المديني - وشيخه ضعيفان والله أعلم والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والالتفات للطاعة فأما الأصوات بالنغمات المحدثه المركبة على الأوزان والالوان والموسيقى فالقرآن ينزه عن هذا ويجعل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقة بن الوليد عن حصين بن مالك الفزاري قال سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ « اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » وحدثنا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن علي بن علقمة قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا أعلمه إلا قال عابس الغفاري فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال ما هؤلاء ؟ قال يفرون من الطاعون فقال : يا طاعون خذني ، فقالوا أتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يتمنين أحدكم الموت » فقال إني أبادر خصالاً سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته - بيع الحكم والا (٣) بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون أحدهم ليس بأقربهم ولا أفضلهم إلا لينغمس به غناء ، وذكر خلتين آخرتين

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفاري عن النبي ﷺ مثل في ذلك أو نحوه ، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلاً يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه . وهذه طرق حسنة في باب الترهيب (٤)

(١) في تفسير سورة الطور من البخاري أنه قال : كاد قلبي أن يطير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها ما هنا

(٢) كذا في الأصل ويوضح معناه الرواية الأخرى بعده

(٣) موضع البياض مقطوع من الأصل

(٤) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح سند شيء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند المحدثين . والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم المحموده شرعاً هي ما تكون به القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعاً في القلب واعتباراً في العقل ، وأن المحذور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلادة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وما من أحد ممتع قراءة المجددين أولى الأصوات الحسنة إلا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه بفراءتهم

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الأئمة

والسبب في تأويل التنغي بالقرآن وكراهة بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والسرفين في الشهوات ، ولذلك حرم للتشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقاً مع العلم بأن مزامير نبي الله داود أنزلت لأجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد اقبال الطير على مماع الغنين الحسن الصوت كالبلبل والمزار في كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماح الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند مماع الغناء . وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها ، ولا يوجد في كتب أنبياء بني إسرائيل شيء من الصلوات والتسبيح للرب والثناء عليه كزمير داود التي لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذي طرأ على غيرها وجاء في آخرها الأمر بذلك وإننا كثيراً ما رأينا بعض أدباء النصارى يرغبون في مماع القرآن من القراء اليهوديين ويعترفون بقوة تأثيره في القلوب ، وفي الصحيح أن الشركين كانوا يؤذون أبا بكر رضي الله عنه ويمنعون من الصلاة في المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في بيته لما رأوا من اقبال الناس ولا سيما النساء والأولاد للمدركين عليه وتأثير قراءته في أنفسهم

وقد أدرك بعض علماء الأفرنج ما كان لتلاوة رسول الله ﷺ للقرآن من التأثير العظيم في جذب العرب إلى الإسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الأنبياء في هداية الناس وإننا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التي تتم بها فائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث من فتح الباري فقد جمع ما قاله جميع العلماء في تأويل التنغي في بيتين من نظمته ثم قفى عليها بخلاصة أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله :

تغن بالقرآن حسن به الصوت حزيناً جاهزاً رنم
واستغن عن كتب الألى طالباً غنى يد والنفس ثم ائزم

[ثم قال] وسأني ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن في ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل إلى مماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك ، فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالألحان ، وحكاه أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنيلي عن جماعة من أهل العلم وحكى ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنجي والتزالي من الشافعية وصاحب الدخيرة من الحنفية الكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو للنصوص للشافعي وقوله الطحاوي عن الحنفية ، وقال الفوراني من الشافعية في الابانة يجوز بل يستحب وعمل هذا الاختلاف إذا لم تختل بشيء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووي في التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولقظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال وأما القراءة بالألحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهته وقال في موضع آخر لا بأس به ، فقال أصحابه : ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فإن لم يخرج بالألحان عن النهج القويم جاز وإلا حرم

وحكى الماوردي عن الشافعي أن القراءة بالألحان إذا انتهت إلى إخراج بعض الألفاظ عن مخرجها حرم ، وكذا

رحمهم الله على النعمى عنه ، فأما إن خرج به إلى التمثيط الفاحش الذى يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريره والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الأخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ثم قال ولنا ما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد ، ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

(اغتباط صاحب القرآن^(١))

حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا على اثنين : رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

أشهر به البخارى من هذا الوجه واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهري ثم قال البخارى ثنا على بن إبراهيم ثنا روح ثنا شعبة عن سلمان قال سمعت ذكوان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا حسد إلا فى اثنين : رجل عمل الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال ليتنى أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق فقال رجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل »

ومظمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن فى غبطة وهى حسن الحال فينبغى أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تعبطه بذلك ، يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطاً إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم ، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أولاً ، وهذا مذموم شرعاً مهلك ، وهو أول معاصى إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والاعظام . والحسد الشرعى المدحوخ هو تمنى حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة ، ولهذا قال عليه السلام « لا حسد إلا فى اثنين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية وهى اتفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الدين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وألقوا مما رزقناهم سرّاً وعلاؤه يرجون تجارة لن تبور)

== حكى ابن حمدان الحنبلى فى الرعاية وقال الغزالى والبندنجى وصاحب الدخيرة من الحنفية : إن لم يفرط فى التمثيط الذى يشوش النظم استحب وإلا فلا .

وأغرب الرافضى فحكى عن أمالى السرخسى أنه لا يضر التمثيط مطلقاً وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لا يرجع عليه ، والذى يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث

وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه أن تراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك فى حسنه ، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء فإن وجد من يراعيها معاً فلا شك فى أنه أرجح من غيره لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويحتمل المنوع من حرمة الأداء والله أعلم ، اهـ .

(١) فى البخارى زيادة باب كما سبق فى أمثاله .

وقد روى نحو هذا من وجه آخر فقال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي بخط يده : كتب إلى أبو توبة الربيع بن نافع فكان في كتابه حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليم بن موسى عن كثير ابن مرة عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال « لا تنافس بينكم إلا في اثنتين : رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويتبع ما فيه فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأصدق به » وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن نمير ثنا عبادة بن مسلم وحدثني يونس بن حباب عن سعيد أبي البختري الطائي عن أبي كبشة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، فاما الثلاث التي أقسم عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم أحد مظامة فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر - وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه فانه قال - إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلماً فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعلم فيه حقه - قال - فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت بمثل فلان - قال - فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً فهو يخط في ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل رحمه ، ولا يعلم الله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول لو كان لي مال لفعلت بمثل فلان - قال - هي نيته فوزرهما فيه سواء »

وقال أيضاً حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الأتماري قال : قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال : قال رسول الله - فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو يخط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علماً فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال : قال رسول الله - فهما في الوزر سواء » إسناده صحيح والله الحمد والمنة .

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)^(١)

حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذي أقعدني مقعدى هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله

وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبي عبد الرحمن من غير ذكر سعد بن عبيدة ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة . وخطأ بدار يحيى بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ، وقال رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه باسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح . وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد طول لولا الملائة له كرهناه . وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما تركه ، والله أعلم .

(١) في البخاري (باب خيركم) الخ .

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وهذه صفات المؤمنين التبعين للرسول وهم الكمل في أنفسهم السكملين لغيرهم ، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينفون عنه وينأون عنه) في أصح قول المفسرين في هذا هو أنهم ينفون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدم عنه أيضاً فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكلم في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وكما قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما ينبغي به وجه الله ، وعمل هو في نفسه صالحاً وقال قولاً صالحاً أيضاً فلا أحد أحسن حالا من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فبعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج . قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه ، وآتاه ما طلبه ورأاه آمين

قال البخاري حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبي ﷺ امرأة فقالت إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال « مالي في النساء من حاجة » فقال رجل زوجها ؟ قال « أعطها ثوباً » قال لا أجد ، قال « أعطها ولو خاتماً من حديد » فاعتل له فقال « ما معك من القرآن ؟ » قال كذا وكذا فقال « قد زوجتها بما معك من القرآن » وهذا الحديث متفق على صحة إخرجه من طرق عديدة ، والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن وأمره النبي ﷺ أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقاً لها على ذلك ، وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يحصل صداقاً ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه السلام « زوجتك بما معك من القرآن » أي بسبب ما معك كما قاله أحمد بن حنبل : نكركم بذلك أو بموض ما معك ، وهذا أقوى لقوله في صحيح مسلم « فعلها » وهذا هو الذي أراد البخاري ههنا وتحريه باقي الخلاف المذكور في باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

(القراءة عن ظهر قلب)^(١)

إنما أورد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم بن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال للرجل « ما معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور عدها قال « أتقرأهن عن ظهر قلب ؟ » قال نعم قال « اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن » وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن) حدثنا نعيم بن حماد عن بقة بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليم بن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة » وهذا الإسناد فيه ضعف فان معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي وأيا ما كان فهو ضعيف . وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديعوا النظر في المصحف . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضاً عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى

(١) في البخاري زيادة كلمة باب كنهظائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد فقد صار معلوماً باطراد

عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف ققرأ أو فسر لهم . إسناد صحيح ، وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال إذا رجع أحدكم من موقفه فليشر للمصحف وليقرأ . وقال الأعمش عن خيشمة دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي أقرأ به الآية فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه (١) ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكروا منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فلا استنبات أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال . فأما تلقين القرآن فمن فم اللقن أحسن لأن الكتابة لا تدل على الأداء كما أن الشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيئا يوقفه على ألقاظ القرآن . فأما عند المعجز عما يلقي فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لفته ولفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن الأوزاعي أن رجلا صحبهم في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال « إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل » وحدثنا حفص بن أبي غياث عن الشيباني عن بكير بن الأخنس قال كان يقال إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل . وقال بعض العلماء الدار في هذه المسئلة على الحشوع فإن كان الحشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل . فإن استويا فالقراءة نفع أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف . قال الشيخ أبو زكريا النواوي رحمه الله في التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

(تلييه)

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر (٢) لأنها قضية عين فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لا يحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر حاكم رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أمي لا يدرى الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده : الثاني أن سياق الحديث إنما هو لأجل استنبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليجعله تعليمها لزوجته ، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

(استدكار القرآن وتماهده)

حدثنا عبد الله بن يوسف أنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل العقلة . إن تاهد عليها أمسكها . وإن ألقها ذهبت » هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القرآن إذا تاهد عليه صاحبه ققرأ بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القرآن » أخرجاه ، قاله ابن الجوزي في جامع السانيد وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به

(١) وتدلل أيضا على ما كان من كثرة الصاحف عند الصحابة رضي الله عنهم وهو ما يجعله كثير من الناس (٢) هذه الشرطية لا وجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة إلى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله . وحفظ القرآن أمر عظيم وله مزايا من أعظمها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الأوقات والحالات التي لا يتمكن فيها من نظر المصحف أو لا يجد فيها وهي كثيرة

حدثنا محمد بن عرعة (١) ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « بئس ما لأحدم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلا من صدور الرجال من النعم »

تابعه بشر هو ابن محمد السخيتاني عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله . وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير ابن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به ، وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن منصور به ، والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعا في رواية هؤلاء كلهم وقد رواه النسائي عن قتيبة عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله موقوفا وهذا غريب . وفي مسند أبي يعلى « فأنما هو نسي » بالتخفيف وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به . ورواه النسائي في اليوم واليلة من حديث محمد بن جعدة عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لمو أشد تفصيلا من الإبل في عقلها »

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد الأشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به وقال الامام أحمد ثنا علي بن إسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا موسى بن طلي سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن هاجر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتتنوا به ، فوالذي نفسي بيده لمو أشد تفصيلا من الخناس في العقل »

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهد لئلا يمرضه حافظه للنسيان فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه ، فإنه قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد بن يزيد بن أبي زياد عن عيسى ابن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل » وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد كما رواه خالد بن عبد الله ، وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن إدريس عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عبادة عن النبي ﷺ بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل اللهم ، وكذا رواه أبو بكر ابن عباس عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه سعيد بن زيد ووه في إسناده ، ورواه وكيع عن أصحابه عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي ﷺ مرسلا ، وقد رواه الإمام أحمد في مسند عبادة بن الصامت فقال : ثنا عبد الصمد ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه منها إلا عدله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » وكذا رواه أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد فقيه اختلاف لكن هذا في باب التهيب مقبول والله أعلم ، لاسيما إن كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن ابن جريج قال حدثت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت على أجور أمي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنبا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتها رجل فنسيها » قال ابن جريج وحدثت عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « من أكبر ذنوب نوافي به أمي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت

(١) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري . ولولا وضعنا له في أول السطر لظن الكثيرون أنه لعبد الرزاق

مع أحدهم ففسبها » وقد روى أبو داود والترمذى وأبو يعلى والبخارى وغيرهم من حديث ابن أبي داود عن ابن جريج عن الطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت على أجور أمتي حتى الغداة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسبها » قال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وذا كرت به البخارى فاستغربه

وحكى الوالى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أنه أنكر سماع الطلب من أنس بن مالك (قلت) وقد رواه محمد بن يزيد الأدمى عن ابن أبي داود عن ابن جريج عن الزهرى عن أنس عن النبي ﷺ به فأنه أعلم .

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أجمع) قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وهذا الذى قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعرضه للنسيان وعدم الاهتمام به فيه تهاون كبير وفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعاهدوا القرآن » وفى لفظ « استذكروا القرآن » فانه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم « التفصى التخلص يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها ، ومنه تفصى النوى من القمرة إذا تخلص منها أى إن القرآن أشد تفلتنا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقاب .

وقال أبو عبيد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله - يعنى ابن مسعود - إني لأميت القارىء إن أراه ممينا نسبياً للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز بن أبي داود قال سمعت الفضاك بن مزاحم يقول ما من أحد تعلم القرآن ففسبه إلا بذنب يحدثه لأن الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب . ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن كما انه يكره له أن يقرأ فى أقل من ثلاثة أيام كما سيأتى هذا حيث يذكره البخارى بعد هذا وكان الألبق أن يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

(القراءة على الدابة)

حدثنا حجاج أنا أبو شعبة أنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح .

وهذا الحديث قد خرج الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به ، وهذا أيضاً له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يلته القارىء فى الطريق ، وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء انه كان يقرأ فى الطريق ، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن فى ذلك ، وعن الامام مالك انه كره ذلك كما قال ابن أبي داود حدثنى أبو الربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلى من آخر الليل فخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التى كان يقرأ منها شيء فقال ما أعلم القراءة تكون فى الطريق ، وقال الشعبي تكراه قراءة القرآن فى ثلاثة مواضع فى الحمام وفى الحشوش وفى بيت الرضى وهى تدور ، وخالفه فى القراءة فى الحمام كثير من السلف انها لا تكراه وهو مذهب مالك والشافعى وإبراهيم النخعى وغيرهم ، وروى ابن أبي داود عن طي بن أبي طالب انه كره ذلك ونقله ابن النذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصرى ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعى

ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أن القراءة فى الحمام تكراه ، وأما القراءة فى الحش فكرهتها ظاهرة ولو قيل بحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا . وأما القراءة فى بيت الرضى وهى تدور فلتلا يعلو غير القرآن عليه والحق يعلو ولا يعلو والله أعلم

(تعلم الصبيان القرآن)

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال إن الذي تدعونه الفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ فقلت له وما المحكم ؟ قال للفصل انفرد باخراجه البخاري ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت رسول الله ﷺ وقد كان جمع الفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره إذ ذاك عشر سنين وقد روى البخاري أنه قال توفي رسول الله ﷺ وأنا غثون وكانوا لا يختنون حتى يحتلم فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجاوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر والله أعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلى به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد علوقا بخاطره وأرسخ وأثبت كما هو المهود من حال الناس .

وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ثم توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولاء بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلا قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه . واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلحق خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

(نسيان القرآن وهل يقول نسييت آية كذا وكذا ؟)

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيى ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ في السجد فقال « رحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا » انفرد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى ابن يونس عن هشام وقال « اسقطن من سورة كذا وكذا » انفرد به أيضا ، تابعه على بن مسهر وعبد الله عن هشام وقد أسندهما البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة .

حدثنا أحمد بن أبي رجا ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال « يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا » ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة (١)

(١) تستدل الفقهاء بمثل هذا على جواز النسيان على النبي ﷺ ولكن قيدوه إجماعا بما ليس سبيله التبليغ فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتابته وتيجتها واحدة وإن كان حكمهما في الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير تيسير أمرا طبيعيا لا يؤخذ صاحبه عليه . ولكن الله عصم رسوله من نسيان ما أمرهم بتبليغه لئلا تبطل به حكمة الرسالة فيه ، والراجع في قوله تعالى (فلا تنسى إلا ما شاء الله) أن الاستثناء فيه منقطع لتأكيد النبي بمعنى أن النسيان لا يقرئك إياه مجتمع لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا في أي حال من الأحوال لكن إذا أراد الله =

(الحديث الثاني) حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن أبي وأبي عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بشي ما لأحدم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسي »
ورواه مسلم والنسائي من حديث منصور به وقد تقدم . وفي مسند أبي يعلى إنما هو نسي « بالتحفيف هذا لفظه . وفي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفي حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا لأن النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه أسبابه من التثاسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك ، فأما النسيان نفسه فليس بفعله ، ولهذا قال بل هو نسي مبنى لما لم يسم فاعله ، وأدب أيضاً في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) وهو والله أعلم من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنباً كما تقدم عن الضحاک بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فصل الذكر لشيء بسبب ذكر الله تعالى والله علم

(من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا)

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما ليلة كفناه »

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبنا الصحيح والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبي مسعود عتبة بن عمرو الأنصاري البدرى

(الحديث الثاني) ما رواه من حديث الزهري عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القاري كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي (١)

(الحديث الثالث) ما رواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مع رسول الله ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد فقال « رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية كنت أستقطن من سورة كذا وكذا »
وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقر .

وحده أن يفسيك شيئاً فلا راد لمشيئته . وهذا لا يدل على وقوع هذه المشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم ﷺ في خطاب قومه المشركين (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) الآية وفي معناه قول القراء هو للتبرك وليس هنالك شيء استثنى . وقيل المراد بالنسيان المنفى العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور في الحديث موضوعه شيء كان وقع التبليغ به ، والذي أراه أنه كان نسياناً عارضاً بحيث لو قرأ ﷺ السورة بعده لقرأها تامة ، وإلا كانت الرواية مردودة وإن صح سندها عند البخاري فإنه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة إلا الظاهر وهو كاف في قبول روايتهم إلا إذا عارضها مثل هذا المانع ، وهو قد انقرد برواية هذا الحديث كما رأيت . ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(١) قوله : وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعني وذكر البخاري الحديث بطوله

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس عن عثمان أنه قال إذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله ﷺ « اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخر وعليه حمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق

(الترتيل في القراءة)

وقوله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلاً) وقوله (وقرآنًا فرقناه لئقرأ على الناس على مكث) وما يكره أن يهتد كهذا الشعر . (يفرق فيها) فصل ، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه . حدثنا أبو النعمان ثنا مهدي بن ميمون ثنا واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كهذا الشعر إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرآن الذي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثمانى عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم (١)

ورواه مسلم عن شيان بن فروخ عن مهدي بن ميمون عن واصل وهو ابن جبان الأحمد عن أبي وائل شقيق ابن سلة عن ابن مسعود به

وقال الإمام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لميعة عن الحارث بن يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم بن خراش عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرأون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا : كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه .

(الحديث الثاني) ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه ، وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكير قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « قال لصاحب القرآن اقرأ وارتل ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلت عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله فكانت عجل فقال عبد الله فذلك أبي وأمي ، رتل فانه زين القرآن . قال وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن . وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن أبي حمزة قال : قلت لابن عباس إنى سريع القراءة وإنى أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحامد بن سلة عن أبي حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن في حديث حماد أحب إلى من أن أقرأ القرآن أجمع هذمة ثم قال البخاري رحمه الله :

(١) ويرسمها بعضهم هنا « حاميم » ويعني بالسورتين الضافتين إلى الفصل هنا : الدخان والتي تليها ، ويقال إنها كانت كذلك في مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

(مدالقراءة)

حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم الأزدي ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كان يمد مدأ . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي ﷺ ؟ فقال كانت مدأ ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بيسم الله (١) ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم

انفرد به البخارى من هذا الوجه . وفي معناه الحديث الذى رواه الإمام أبو عبيد ثنا أحمد بن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها نعت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفاً حرفاً . وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن إسحق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملى والترمذى والسنائى كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به وقال الترمذى حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد وحدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج وقال الترمذى غريب وليس إسناده بمتصل يعنى أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم والله تعالى أعلم

(الترجيع)

حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل قال رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته أو جملة تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث فى القراءة على الدابة وأنه من التنفق عليه ، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح ، وأما الترجيع فهو التردد فى الصوت كما جاء أيضاً فى البخارى أنه جعل يقول ۞ وكان ذلك صدر من حركة الدابة تحته فدل على جواز التلاوة عليه وإن أفضى إلى ذلك . ولا يكون ذلك من باب الزيادة فى الحروف بل ذلك مقتضى الحاجة كما يصر على الدابة حيث توجهت به مع إمكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة والله أعلم

(حسن الصوت بالقراءة)

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر حدثنا يحيى الحماني ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » وهكذا رواه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الكندى عن أبي يحيى الحماني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن وقال حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخارى من لم يتغن بالقرآن وذكر هناك أحكاماً أغنى عن إطاعتها ههنا والله تعالى أعلم

(١) أى لام لفظ الجلالة واللد فى أسماء البسملة هو الذى يسميه القراء اللد الطيعى الذى لا يتحقق حرف للدد بونه وحروف اللدهى الألف والواو والياء الساكنة

﴿ من أحب أن يسمع القراءة من غيره ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي النبي ﷺ « اقرأ على القرآن » قلت اقرأ عليك وعليك أنزل قال « إني أحب أن أسمع من غيري » وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش ، وله طرق يطول بسطها ، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة » فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحييراً . وقال الزهري عن أبي سلمة كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده ، وقال أبو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته .

﴿ قول المقرئ للقارئ حسبك ﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ على » فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « نعم » فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال « حسبك الآن » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان ، أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الأعمش به ، ووجه الدلالة ظاهر وكذا الحديث الآخر « اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا »

﴿ في كم يقرأ القرآن ﴾

وقول الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه)

حدثنا علي حدثنا سفيان قال : قال لي ابن شبرمة نظرت كم يكفي الرجل من القرآن ؟ فلم أجده سورة أقل من ثلاث آيات ، فقلت لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات . قال سفيان (١) أخبرنا منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره علقمة عن أبي مسعود فلقيته (٢) وهو يطوف بالبيت فذكر النبي ﷺ أن « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح لأن عبد الرحمن ميمه أولاً من علقمة ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه وطى هذا هو ابن المديني وشيخه سفيان بن عيينة وما قاله عبد الله ابن الكوفة فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن وقد جاء في حديث في السنن « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات » ولكن هذا الحديث أعنى حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأخص ولكن وجه مناسبه للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر . والله أعلم (٣) والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله :

(١) هذا لفظ رواية أبي ذر للبخاري وفيها اختصار وسائر الروايات : قال علي حدثنا سفيان الخ

(٢) في نسخة البخاري التي شرح عليها الحافظ والتسلائي : ولقيته الخ . يعني أن عبد الرحمن كان مع هذا الحديث من علقمة بن قيس عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فأخبره به

(٣) قال الحافظ في الرد على المؤلف في قوله هذا : وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير =

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحنى أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنيته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطلأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً (١) منذ أتيناها . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ قال « القى به » فلقيته بعد فقال « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم قال « كيف تختم ؟ » قال كل ليلة ، قال « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر » قال قلت إن أطيق أكثر من ذلك قال « صم ثلاثة أيام في الجمعة » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « أفطر يومين وصم يوماً » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « صم ، أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافتطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة » فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أتى كبرت وضعت ، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع وقد رواه في الصوم والنسائي أيضاً عرج بندار عن غندر عن شعبة عن مغيرة ، والنسائي من حديث حصين كلاهما عن مجاهد به

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي هريرة عن أبي سلمة قال وأحسبني سمعت أنا من أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ « اقرأ القرآن في شهر » قلت إنى أجسد قوة قال « فاقرأ في سبع ولا ترد على ذلك » فهذا السياق ظاهره يقتضى اللع من قراءة القرآن في أقل من سبع ، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد : ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن جبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن صمصمة أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال « في كل خمس عشرة » قال إنى أجدي أقوى من ذلك قال « في كل جمعة »

وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة . وعن حجاج عن شعبة عن أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي الهلب قال كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان وكان تميم الدراي يختمه في كل سبع وحدثنا هشيم عن الأعمش عن إبراهيم قال كان الأسود يختم القرآن في كل ست وكان علقمة يختمه في كل خمس ، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر في ذلك جلياً ، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك كما رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنا جبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن النذر الأنصاري أنه قال يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم » قال فكان يقرؤه حتى توفي . وهذا إسناد جيد قوي حسن فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لهيعة ، إنما يخشى من تدليس أو سوء حفظه ، وقد صرح ههنا بالسباع ، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه ، وشيخه جبان بن واسع ابن جبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة وهذا على شرط كثير منهم والله أعلم .

والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدلل به ابن عينة من حديث أبي مسعود ، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة اه . يقول محمد رشيد رضا صاحب هذه التعليقات يريد البخاري أن آية الزمل ترد على ابن شبرمة في قوله : لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات يعني في الصلاة أو في قيام الليل ، وكذا حديث أبي مسعود المرفوع الصريح في الاكتفاء بآيتين وهما آخر سورة البقرة .

(١) وفي رواية ولم يغش من الغشيان . وهو كناية عن عدم مضاجعتها . والكنف : السر والجانب

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم إن استطعت » قال فكان يقرؤه كذلك حتى توفي (حديث آخر) قال أبو عبيد ثنا يزيد عن همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لا تنفقه في قراءة في أقل من ثلاث » وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح

(حديث آخر) قال أبو عبيد ثنا يوسف بن العرف عن الطيب بن سليمان قال حدثنا حمزة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث . هذا حديث غريب جدا وفيه ضعف فان الطيب بن سليمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذلك المشهور والله أعلم . وقد ذكره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث كما هو مذهب أبي عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضا

قال أبو عبيد ثنا يزيد عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبي العالية عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، صحيح

وحدثنا يزيد عن سفيان عن طي بن بذيمة عن أبي عبيدة قال عبد الله : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز وحدثنا حجاج عن شعبة عن طي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله ، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان عن عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث . إسناده صحيح

(فصل)

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك، منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال أبو عبيد رحمه الله حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خصفة عن السائب بن يزيد أن رجلا سأل عبد الرحمن ابن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه فقال نعم قال : قلت لأعجلن الليلة على الحجر فقامت فلما قلت إذا أنا برجل مقنع يزحمني فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه فتأخرت عنه فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت هذه هو أدى الفجر أوتر بركة لم يصل غيرها . وهذا إسناده صحيح ثم قال ثنا هشيم أنا منصور عن ابن سيرين قال : قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : ان تقتلوه أوتدعوه فقد كان يحيي الليل كله بركة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن

وقال أيضا حدثنا أبو معاوية عاصم عن ابن سليمان عن ابن سيرين أنهما الدارقي قرأ القرآن في ركعة . حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال : قرأت القرآن في ركعة في البيت ، يعني الكعبة . وحدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة : طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئتين ، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن . وهذه كلها أسانيد صحيحة .

ومن أغرب ما ههنا ما رواه أبو عبيد رحمه الله حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر أن سليم بن عتر التجيبي كان يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات ويجمع ثلاث مرات ، قال فلما مات قالت امرأته رحمك الله إن كنت لترضى ربك وترضى أهلك ، قالوا وكيف ذلك ؟ قالت كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن ثم يلم بأهله ، ثم يفتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله ، ثم يفتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ، ثم يلم بأهله ثم يفتسل ويخرج إلى صلاة الصبح .

قلت كان سليم بن عتر تابعيا جليلا ثقة نبيلًا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصها ، قال أبو حاتم روى عن أبي الدرداء وعنه ابن زحر ثم قال حدثني محمد بن عون عن أبي صالح كاتب الليث حدثني حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة قال كان سليم بن عتر من خير التابعين - وذكره ابن يونس في تاريخ مصر - وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان

يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وعن منصور قال كان على الأزدى يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان (١) وعن إبراهيم بن سعد قال كان أبي يختم فيما يحل حيوته حتى يختم القرآن .

قلت وروى عن منصور بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء وكانوا يؤخرونها قليلا ، وعن الامام الشافعى رحمه الله أنه كان يختم في اليوم واليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة . وعن أبي عبد الله البخارى صاحب الصحيح أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى الصوفى قال سمعت الشيخ أباعثمان الغربى يقول كان ابن السكاتب يختم بالنهار أربع ختمات ، وبالليل أربع ختمات وهذا نادر جدا ، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بانهم في ذلك حديث مما تقدم أو أنهم كانوا يفهمون ويشكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الشيخ أبو زكريا النواوى في كتابه (البيان) (٢) بعد ذكر طرف مما تقدم ، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده ، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهزيمة . ثم قال البخارى رحمه الله

(البكاء عند قراءة القرآن)

وأورد فيه من رواية الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأ على » قلت اقرأ عليك عليك أنزل ؟ قال « إني أشتى أن أصمعه من غيرى » قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟) قال لى « كف أو أمسك » فإذا عيناه تذرفان وهذا من التفق عليه كما تقدم وكما سيأتى إن شاء الله

(من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به)

حدثنا محمد بن كثير أنا سفيان ثنا الأعمش عن خيشمة عن سويد بن عفلة عن على رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول « يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينا لقيتموهم فاقتلوهم ، فان قتلهم أجرتهم يوم القيامة » وقد روى في موضعين آخرين ومسلم وأبوداود والنسائى من طرق عن الأعمش به

حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من

(١) هذا محمول على أنه كان يقرأ آخر القرآن في هذا الوقت فيتم به مابدأه في طامة يومه وليلته السابقة ، فمن العلوم بالضرورة أن ما بين المغرب والعشاء لا يكفي لقراءة ربع ختمة إلا بالهزيمة للنهى عنها لمنافاتها التدبر كما تقدم في موضعه . إلا أن تكون القراءة روحية لالسانية وللصوفية غرائب يتناولونها في هذه الكرامات الروحية حتى ذكر الشعراى عن بعضهم قراءة القرآن مشات الألوف وألوف الألوف ، وأكثر ما تيسر لكاتب هذه التعليقات في أيام الفراغ أنه كان يقرأ في بعض أيام رمضان ختمة كاملة والذى تربينا عليه منذ سن التمييز أننا كنا تدارس القرآن مع كبير أهل بيتنا السيد أحمد أبو الكمال عم والدى فقرأ معه كل يوم من أيام رمضان نصف ختمة كل واحد منا يقرأ ربع حزب بالتجويد المعتدل

(٢) كذا وتقدم في مبحث القراءة في المصحف أنه التبيان

الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئا ، وينظر في القدح فلا يرى شيئا ، وينظر في الریش فلا يرى شيئا ، ويتأري في الفوق »

ورواه في موضع آخر ومسلم أيضا والنسائي من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة به

حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي موسى رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالآتربة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر طعمها طيب ولا ریح لها ، ومثل النافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل النافق الذي لا يقرأ القرآن كالخنظلة طعمها مر - أو خيث - وريحها مر »

ورواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب كما جاء في الحديث «واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه » يعنى القرآن . ولذا كورون في حديث طى وأبي سعيد هم الخوارج وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم وقد قال في الرواية الأخرى « يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مرءون في أعمالهم في نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح فكانوا في ذلك كالذمومين في قوله (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم كما سيأتى تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى .

والنافق للشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو الرأى بتلاوته كما قال تعالى (إن النافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ثم قال البخارى

(اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم)

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل عارم (١) ثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجونى عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم قوموا عنه » حدثنا عمرو بن طى بن بحر القفاس ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سلام بن أبي مطيع عن أبي عمران الجونى عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم قوموا » تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان . وقال غندر عن شعبة عن أبي عمران قال سمعت جندبا قوله (٢) وقال ابن عون عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله ، وجندب أكثر وأصح

وقد رواه في مواضع آخر ومسلم كلاهما عن إسحق بن منصور عن عبد الصمد عن هام عن أبي عمران به ، ومسلم أيضا عن يحيى بن يحيى عن الحارث بن عبيد أبي قدامة عن أبي عمران ورواه مسلم أيضا عن أحمد بن سعيد بن حبان ابن هلال عن أبان العطار عن أبي عمران به مرفوعا ، وقد حكى البخارى أن أبانا وحامد بن سلمة لم يرفعا فأنه أعلم ، ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم عن هارون بن موسى الأعور النحوى عن أبي عمران به .

(١) كذا في النسخة وفي نسخة ابن حجر والقسطلانى وغيرها ذكر أبى النعمان بكنته فقط واسمه محمد بن الفضل السدوسى ويلقب بعارم ولم يكن عارما . وابن كثير يكثر فيما ينقله من صحيح البخارى في هذا الكتاب من مثل هذه الزيادة للايضاح ويحتمل أن يكون لبعضها رواية عنه

(٢) قوله : قوله يعنى به حديثا وقع أنه من قوله غير مرفوع إلى النبي ﷺ .

ورواه النسائي أيضا من طرق عن سفيان عن الحجاج بن قرافة عن أبي عمران به مرفوعا ، وفي رواية عن هارون ابن زيد بن أبي الزرقاء عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبي عمران عن جندب موقوفا . ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن إسحق بن الأزرق عن عبد الله بن عون عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله . قال أبو بكر بن أبي داود لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب . ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالوا : ثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران عن جندب مرفوعا . فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار . والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري من الأكثر والأصح أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له لا في حال شغلها وملها فانه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه السلام « اكفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يعمل حتى تموا » وقال « أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه » وفي اللفظ الآخر - أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل -

ثم قال البخاري : ثنا سلمان بن حرب ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبد الله - هو ابن مسعود - أنه سمع رجلا يقرأ آية ميمع من النبي ﷺ خلفها ، فأخذت يده فانطلقت إلى النبي ﷺ فقال « كلا كما يحسن فاقرأ - أكبر على قال - فان من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عز وجل » (١)

وأخرجه النسائي من رواية شعبة به . وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والنازعة في ذلك والرأ فيه كما تقدم في النهي عن ذلك والله أعلم .

وقريب من هذا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمي ثنا يحيى بن سعيد الأموي عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبیش قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، قال فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا يناجيه قلنا له اختلفنا في القراءة فاحمروه رسول الله ﷺ فقال علي : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم . وهذا (٢) آخر ما أورده البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن وفيه الحمد والمنة

(كتاب الجامع لأحاديث شتى)

(تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله)

(فصل) قال أحمد ثنا معاوية بن هشام ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال نبي الله ﷺ « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ وارق واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه » وقال أحمد ثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس التميمي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف من بعد الستين سنة ، أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرأون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر » قال بشير فقلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به

(١) الذي في نسخ البخاري « فان من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم » أي فأهلكهم الله ، كما قال القسطلاني أو المعنى فأهلكهم الاختلاف . قال الحافظ في شرحه من الفتح وفي رواية الستملي « فأهلكوا » بضم أوله ولم يذكر ما أورده ابن كثير هنا

(٢) أي هذا الباب الذي وضعنا الحاشية الأولى هنا لآخر كلمة منه

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي الخطاب عن أبي سعيد أنه قال إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا أحمد بن محمد بن عمر بن هياج الكوفي ثنا الحسين بن عبد الأعلى ثنا محمد بن الحسن الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وقال رسول الله ﷺ « إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ثم قال فردد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الإمام أحمد ثنا أبو عبيدة الحداد حدثني عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة حدثني أبي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ثنا خالد بن خداح ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن عباد المكي ثنا حاتم بن إسماعيل عن شريك عن الأعمش عن زيد ابن أبان عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القرآن غني لا فقر بعده ولا غنى دونه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق ثنا عبد الله بن الحر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن » ابن الحر ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لميعة ثنا بكر بن سواد عن وفاء الخولاني عن أنس ابن مالك قال : بينما نحن نفرينا العربي والعجمي والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتمم في خبر تقرأون كتاب الله وفيكم رسول الله وسيأتي على الناس زمان يتقفون كما يتقف القدح يتمجلون أجورهم ولا يتأجلونها » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الله بن الجهم ثنا عمرو بن أبي قيس عن عبد ربه ابن عبد الله عن عمر بن نهران عن الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره » .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا أبو عبيدة حدثني يزيد الرقاشي عن أنس قال قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال فأتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله ألا أعجبك من أبي موسى أنه قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال : فقال رسول الله ﷺ « أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد ؟ » قال نعم قال فخرج رسول الله ﷺ فأقعد الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى فقال « إنه ليقرأ على مزار من مزامير داود عليه السلام » هذا حديث غريب وي زيد الرقاشي ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر هو ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر ابن عبد الله قال خطبنا لرسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ثم رفع صوته وتحمر

وجنتاه ويشدد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول « أتسكن الساعة بمثت أنا والساعة هكذا - وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى - صبحتكم الساعة ومستكم ، من ترك ما لأفلاهلهم ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وطى » .

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الوهاب - يعني ابن عطاء - أنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا قوم يقرءون القرآن قال « اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أحمد أيضاً ثنا خلف بن الوليد ثنا خالد بن حميد الأعرج عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفيما العجمي والأعرابي قال فاستمع قال: فقال « اقرءوا فكل حسن وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أبو بكر البزار ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش طي العللي الكندي عن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه - أو كلمة نحوها - دح^(١) في قفاه إلى النار . وحدثنا أبو كريب ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن عبد الله عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر حدثني بكير بن يونس عن موسى بن طي عن أبيه عن يحيى بن كثير^(٢) الجعفي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ ألف آية كتب له قنطاراً ، والقنطار مائة رطل والرطل ثلثا عشرة أوقية والأوقية ستة دنابر والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط مثل أحد ، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله ملائكتي نصب عبدى كي أشهدكم يا ملائكتي إني قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك »

وقال أحمد ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالليت الحطب » قال البزار لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه

وقال الطبراني ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثني أبي قال وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سواء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله عز وجل يقول (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) »

وقال الطبراني ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا أبي ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طائوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » .

وقال أيضاً حدثنا أبو يزيد القراطيسي ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن سليمان عن سعيد أبي سعد البقال عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أحسنوا الأصوات بالقرآن » وروى أيضاً بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً « أشرف أمتي حملة القرآن » .

وقال الطبراني ثنا معاذ بن الثني ثنا إبراهيم بن أبي سويد الدارع ثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ فقال أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال « الحال المرتحل » قال يا رسول الله ما الحال المرتحل ؟ قال « صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله »

(١) السح والدع : الدفع بهنك (٢) في تقرير التهذيب أنه يحيى بن أبي كثير

(ذكر الدعاء المأثور لتحفظ القرآن وطرد النسيان)

قال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا الحسين بن اسحاق التستري ثنا هشام بن عمار ثنا محمد بن ابراهيم القرشي حدثني أبو صالح وعكرمة عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب يا رسول الله القرآن يتفلس من صدرى فقال النبي ﷺ « أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ؟ » قال نعم بأبي أنت وأمي قال - صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبهم الدخان . وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبهم تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمي من أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقي حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلم قلبي حب كتابك كما علمتني ، وارزقي أن أتأمله على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطلق به لساني ، وتفرج به عن قلبي ، وتشرح به صدرى ، وتستعمل به بدنى ، وتقويني على ذلك وتعينني عليه ، فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا موفق له إلا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمنا قط » فأتى النبي ﷺ بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث فقال النبي ﷺ « مؤمن ورب الكعبة ، علم أبا الحسن علم أبا الحسن » هذا سياق الطبراني .

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه : حدثنا أحمد بن الحسن ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال بأبي أنت وأمي تفلس هذا القرآن من صدرى فما أجبتني أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟ » قال أجل يا رسول الله فعلمني قال - إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فأنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقال أخى يعقوب لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة فإن لم تستطع قم في وسطها فإن لم تستطع قم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ؟ وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمي من أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقي حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدرى ، وأن تغسل به بدنى ، فإنه لا يعينني على الخير غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب باذن الله ، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط » قال ابن عباس فوالله ما لبث على إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال يا رسول الله والله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن وأنا أعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا . فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك « مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال وقد تقدم من غير طريقه . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ثم قال على

شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فإنه أعلم فانه من البين غرابته بل نكارتة (١) والله أعلم .

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ثنا العمري عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثل القرآن مثل الابل العقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وإن تركها ذهبت » ورواه أيضا عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد عن عبيد الله العمري به ، ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه .

وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبي الحوار ثنا مسعر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن قراءة ؟ قال « من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله عز وجل »

قال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه فقال رسول الله ﷺ « ان قلبك حشى الايمان وان العبد يعطى الايمان قبل القرآن » وبهذا الاسناد أن رجلا جاء بابن له فقال يا رسول الله ان ابني يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ « ماتنقم ؟ ان ابنك يظل ذا كرا ويبيت سالما » .

وقال أحمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حي بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعتني النوم بالليل فشفعني فيه - قال - فيشفعان »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « أكثر منافق أمتي قراؤها »

وقال أحمد ثنا وكيع حدثني ممام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبيد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن اسحاق بن راهويه ثنا أبي ثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبي حجاج التميمي عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النوبة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه . ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يغفو ويصفح لفضل القرآن »

وقال الامام أحمد ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا عباد بن مبسر عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة »

وقال البزار حدثنا محمد بن حرب ثنا يحيى بن التوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهري عن شعبة وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مرأ في القرآن كفر » ثم قال عنبسة هذا ليس بالقوى وعنده فيه إسناد آخر .

وقال الحافظ أبو يعلى ثنا أبو بكر بن أبي أدريس ثنا القبري عن جده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ قال « أعربوا القرآن وأتمسوا غرائب »

(١) بل أسلوبه أسلوب الموضوعات لا أسلوب أفصح البشر محمد ﷺ وعلى رضى الله عنه ولا أسلوب عصرها .

وقال الطبراني ثنا موسى بن حازم الاصبهاني ثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا اسماعيل ابن عباس عن يحيى بن الحارث المزمري عن القاسم أبي عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد وتميم الداري عن النبي ﷺ قال « من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فاذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه يقول ربك اقبض فيقول العبد يده يارب أنت أعلم فيقول بهذه الخلد وبهذه النعيم » آخر فضائل القرآن وبه تم التفسير .

للمحافظ العلامة الرحلة الجيهن مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين اسماعيل الشهير

بابن كثير كثر الله فوائده ، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن

معمر المقرئ البغدادي عفا الله عنه وشقه بالعلم ووقفه للعمل

به آمين ، وحرس الله مجد مالكة آمين - بتاريخ

يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين

وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه

على مشرفها ، والحمد لله أولا وآخرا وباطنا

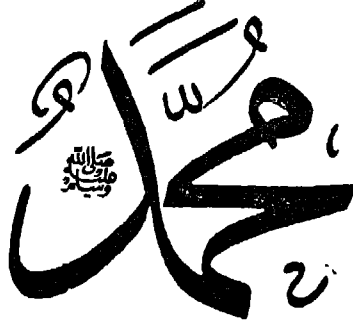
وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد

النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً



﴿ تم طبع الكتاب والحمد لله ﴾



للأستاذ محمد رضا ، أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول سابقا

خير ما كتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

استقصى فيه أطوار حياته منذ ولادته ، قبل النبوة وبعدها ، وما حدث له في أسفاره وإقامته وما بذل من جهد في نشر دعوته ، وما لاقاه من أهل مكة من عنت وإيذاء .

يمجد القارىء في هذا الكتاب صورة لرجولة محمد وصبره ، ومثابرته على إظهار دعوته بالحجة ، ويمجد فيه قدوة صالحة للثبات على المبدأ الحق ، ووقوفه أمام الكثرة من أعدائه ، وكيف استهان بهذه الكثرة في سبيل امتثال أوامر الله وتنفيذ رسالته .

وفوق هذا يمجّد فيه غزواته مفصلة تفصيلا وافيا في أسلوب شيق مفهوم مع صحة النقل والتحرى في الإسناد .

ويمجد فيه ماجرى بينه وبين اليهود ، وما عاناه من خيانتهم ونقضهم للمهد ، وما بذله لهم من حلم ، وحسن معاملة ، ويمجد فيه من الأسباب المقولة البررة لطردهم من المدينة ما لا يدع مجالا للشك في أن اليهود من شر ما خلق الله على وجه الأرض .

وتدأقبل المسلمون على اقتنائه إقبالا استنفد طبعماته الثلاث . وهما هي دار إحياء الكتب العربية تقدمه إلى أبناء المسلمين في طبعته الرابعة مصححا تصحيحا متقنا .

